بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

من تمام

الفصل الثاني

من

القسم الرابع

في الآخذين من الزاوية الالغية الطريقة الصوفية عن الشيخ الالغي

وفي هذا الجزء بالاجمال

المعدريون

التيزنيتيون

الاكلوئيون

وفي الجزء بالتفصيل من الذين اسنت عليهم التراجم :

المعدريون

العلامة سيدي محمد بن مسعود المعدري

العلامة سيدي احمد بن مسعود المعدري

الفقيه الكبير سيدي ابرهيم كزور المعدري

التيزنيتيون

القاضي سيدي محمد بن احمد أوعامو التيزنيتي

نائب القاضي سيدى ابو بكر التيزنيتي

العدل سيدى محمد السماهر التيزنيتي

الفقيه الصوفي الخامل سيدى الطيب بن احمد الطاحونى التيزنيتي

الاكلوئيون

العلامة سيدي عثمان بن احمد الايكراري الاكلويى

الصوفي العظيم سيدي محمد بن عبد الرحمن الايكراري الاكلويى

الاستاذ الفلكى سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكراري الاكلويى

الاديب الصوفي سيدى الطاهر السماهرى الاكلويى

محمد بن مسعود المعدرى

ثم البونعماني

نحو : ١٢٨٢هـ = ١٨ - ٣ - ١٣٣٠ هـ

نسبه

محمد بن مسعود بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبدالله بن محمد ـ فتحا ابن ابى القاسم بن يعزى بن محمد ـ فتحا ـ بن يعزى (وهو المشهور بالطالب يعزى) بن ابى بكر بن ياسين بن عبدالرحمن بن موسى بن جنيد بن هارون ابن محمد بن احمد بن محمد ـ فتحا ـ بن يوسف ، بن عبد الله بن كندوز (وهو الجد الجامع لبنى سملالة) بن عبد الرحمن بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد ابن الحسين بن على بن اسماعيل ابن مولاى ابرهيم بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

هكذا ذكر الاستاذ مسعود والد مترجمنا الاعلى نسب اسرته ، نقل لنا عن خطه ذاهبا الى ان جعفر بن عبد الله الموجود فى بعض المشجرات انما هو ابو جعفر كنية ابرهيم قتيل البصرة ، وذلك مايقوله بعضهم • وقيل ان السملاليين من ابناء الحسن المثلث وقيل ادارسة

اسرة آل مسعود الشريفة العالمة الورعة ، من اعظم الاسر التى عرف لها التاريخ السوسى ما عرف لها من مجد سامق، حتى ليفترع هامة السماء • ومن همة عزوف حتى لتصدف عن شربة الماء ان كان فيها ما يمس بمروءتها ودينها وتسمى (آل الطالب يعزى) وأصلها الاصيل من سملالة ، ثم انتقل اجدادها الى قرية (ايت الطالب يعزى) من (تاجاجنت) بمجاط ، ثم الى (تيمنجاض) بايت برايم • فهناك ولد سيدى مسعود الذى تفرعت عنه هذه الشجرة التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء • هذا ماكنا نسمعه قبل • والان هاك بعض مايتعلق بالطالب يعزى ، ومحمد بن محمد ـ فتحا ـ والد سيدى مسعود • كما وجدناه بخط بعض المعتنين من رجالات الاسرة ، قال فى هذا الاخير :

(هو الفقير الصالح محمد الملقب بـ (أوالطالب) بن محمد - فتحا - يعرف عندهم بصاحب الحيلات ، لما له من الثبات والرزانة والتؤدة فى أموره كلها وكان هذا الرجل كريما متدينا غيورا على دينه ، ذا مروءة وشهامة واقدام فى ساحة الوغى • لايفارقه الحياء والوقار وطلاقة الوجه ، وينشد واصفه :

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت   بشدة الباس منه رقة الغزل

يسعى فى مصالح قومه ويجلب لهم الخير ، ويدرأ عنهم مكايد الدهر • ويذود عن حوضهم

وأما اخلاقه فهى اخلاق الرجال المحنكين الذين يانفون من كل مايكسب لهم هضم الجانب • ويوقعهم فى زاوية الضيم والهوان • يرون الموت فى سبيل العز وفى استقلال ءارائهم مجدا موئلا • وفخرا مؤبدا • أبى الله الا أن تكون نفسه أبية عصامية • لاتخنع لاحد • ولاتخضع الا فى سبيل الحق الذى جعله اللهفوق كل شئ • اذ تلك الروح المطهرة ماخلقها الله للمذلة والتقليد • وانما خلقها للعز والاستبداد

واما أحواله فهى احوال المخلصين السالكين سبيل الخير والرشاد ، العاملين لدنياهم وأخراهم

اولئك ءابائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا ياجرير المجامع

والحاصل لاتسل عما ترويه السنة القوم عن هذا الرجل • من دماثة الاخلاق ولين العريكة • وكثرة العبادة • واكرام الضيف ، والخير•ومعاملة قومه بالمروءة والانسانية ومواساة المنكوب • والتحبب لاهل الله • ومحبة أهل البيت وتعظيمهم • ومخالطة أهل العلم والعمل ، والامربالمعروف والنهى عن المنكر • فعلى هذا المنوال ينسج هذا الرجل الى ان قضى نحبه ولقى ربه رحمه الله سنة ١٢٦٤هـ توفى بـ (تامانارت) ودفن بها فى مقبرة الشيخ سيدى محمد بن ابرهيم التامانارتى رضى الله عنه • وسبب وفاته هناك أنه ساقته اليها الاقدار لغرض من الاغراض ، فنزل عند صديقه وأخيه فى الله الفقيه العالمالشهير سيدى ابرهيم بنيحيا التامانارتى صاحب الاحكامالشرعية المرسومة فىرسوم أيت همان • خصوصا (تيمجاض) فأصابه مرض وتوفى وقبره مشهور هناك • وكان رحمهالله يحفظ من القرءان خمسة (يسبح لله ما فى السماوات وما فى الارض) لاغير ، ويقرأ الدليل • ويدوم على الصلاة والسلام على محمد صلىالله عليه وسلم • فلما توفى بكته العيون • وحزنت عليه القلوب • وعم رزؤه كل منعرف مقدرته وترك فى السنة الناس مايلهج بمحاسنه ومآثره • كما ترك صيتا رنانا وذكرا جميلا وشهرة عظيمة ، لما له فى قلوب الناس من التمكن والثار الخير ومنائره لاتحصى ولاتستقصى • ولو

اردنا ان نضع تاليفا خاصا فى ترجمته ، لفعلنا • ولكن شهرته تغنينا عن ذلك

وإذا الكريم مضى وولى عمره   كفل الثناء له بعمر ثان

وكان صاحب الترجمة فى أول نشاته • تزوج بامرأة اسمها بكة بنت يحيا بن أحمد الهمانية الدهوزية بـ(تيمجاض) ولد معها أحمد فقط والله أعلم واحمد هذا رجل خير صالح ذاكر تقى • من عباد الله الصالحين ، كما أخبرنى بذلك غير واحد • ولم اقف على وقت وفاته • فخلف بعد وفاته ولديه السيد مبارك والسيد عبدالله • أما السيد مبارك فقد حذا حذو والده واسلافه فى الخيارة والصلاح والعبادة ، لاسيما فى آخر عمره • اشتغل فيه بشىء كثير من الذكر • توفى سنة : ١٣٣٨ هـ فخلف ولده أحمد ، وهو رجل كريم المائدة طيب الاخلاق • جعله الله من خلفاء اسلافه الصالحين • وهو فى قيد الحياة الان ١٣٥١هـ واما الفقير عبدالله • أخو السيد مبارك بن احمد المذكور ، فانه رجل خير صالح عابد جدا • توفى بتيدلى باذبوهوش : ١٣٤٠ هـ

واصل اسلاف محمد بن محمد المذكور (تيزى اونبد) بين سملالة وادا وبعقيل ، انتقل صبيا الى (تاجاجات) بـ (مجاط) الجد الاكبر الولى الصالح سيدى يعزى المشهور بالطالب حين أرسله سيدى احمد بن موسى اليها (وقبر الطالب يعزى فى (زاكور) بـ (تاكنسا) فى حدود قبيلة (ايت رخا) ثم انتقل ابن ابن ابن سيدى يعزى المذكور وهو أبوالقاسم وبعض أخوانه من (تاجاجات) الى (ايت همان) بـ (تيمجاض) انتهى ما وجدناه •

ثم اننا لم نستحضر الان شيئا فى الميدان العلمى عن أحد هؤلاء الجدود المتقدمين مما يستحق الذكر ، ويلفت انظار الباحثين • غير ان الثمرة لتدل على زكاء الشجرة دلالة النور الوضاح على البدر الكامل فى ليلة الصحو لكن يوجد فى أبناء اعمام الشيخ مسعود بعض علم كما سنراه فى أبنائه كثيرا فجاءت كل الحواشى بما يجىء به القلب فى الوسط كالشهدة التى تجد مذاق اطرافها مثل مذاق اوساطها

١) المدني بن محمد بن الحسين البرايبمي

اخذ عن محمد بن مسعود ، وله مدارك لاباس بها • لاأعرفه • ويذكر انه يتعالى كثيرا الى المعالى • والى معارف اكبر من متناوله • ولايزال حيا الى الان ١٣٥٧هـ ويقال ان له نحو ٥٦ سنة (ثم قيل لى الان ١٣٨٠هـ انه متوفى)

٢ – عمر بن الحسين بن مبارك ابن الطالب يعزى الداهوزى التيمجاطى الاصل :

عالم جيد ربانى اخذ عن ابن عمه الشيخ سيدى مسعود وغيره ثم زاول

المشارطة . ففيما شارط فيه : زاوية (اكلو) الوكاكية ومسجد (العوينة) ويزاول فقه النوازل كثيرا الى ان اسن ، فاقبل على شانه وكانت له شهرة كبيرة بين علماء (ازاغار) بل هو من الرعيل الاول بين أقرانه علما وفهما وسمعة وعزوفا ، ويتوفى عن نحو : ٧٥ سنة قال فيه المورخ الرفاكي :

(ومنهم سيدى عمر نداهوز . تلميذ شيخنا سيدى مسعود الطالبى وسيدى محمد بن العربى الادوزى ، كان رحمه الله رجلا بكاء شديد الخوف مسكينا لايتكلم الا فيما يعنيه . وتزوج بعوينة بنى بلال . وأصله من تيمجاض بهمانة توفى رحمه الله عام ١٣٤٣هـ يوم عيد الاضحى)

ولم أقف أنا على شيء من ءاثاره . وكفى الدهوزى مفخرة ان كان شيخ محمد بنمسعود فى الفرائض . وسترى مكاتبة بينهما

هذان من استحضرهم الان من حاشية الاسرة المسعودية المباركة . ولنصمد الى المقصود من ذكر ما لافراد ءال مسعود الافذاذ . مقدمين الوالد فالاولاد

٣ - سيدى مسعود الطالبى : هو اول من نعرفه ، نبغ من هذه الاسرة . فرفع لها راية المعارف وغرس فيها من المجد العلمى مالايزال الى الان يوتى أكله غضا طريا .

مبتدأ حياته

لم نعرف الان كيف كانت نشأته فى الكتاب . كما لانعرف من أساتذته القرءانيين شيئا . وكل ماعندنا من هذا الطور : أنه متقن لحفظ القرءان غاية الاتقان . وكانني اخبرت بأن له اتقان حروف غير حرف نافع . وقد استحوذ عليه ذلك حتى كان مهتما ان يمضى عمره فى تعليم كتاب الله . وعزم على فتح تلك الصحيفة يوم ألقى مراسيه فى (مدرسة سيدى مزال بن هرون) من أول يوم . غير ان استاذه العربى الادوزى رشحه الى دراسة العلوم يوم ودعه الى (مدرسة سيدى مزال) فكان ترشيحا مباركا ادى فى مرتبته للامة من الارشاد والاخلاق وأعمال السنة مالم يكن يؤديه ولوزخر مازخر بالدراسة القرءانية الجافة التى لايشتغل اساتذتها بغير حفظ القرءان

ثم ذكر لى ولده شيخنا سيدى احمد أن والده تلقى القرءان فى قريته بـ (تيمجاض) وفى قرية (الخنابيب) عند استاذ القراءات اذذاك سيدى محمد الخنبوبى وهو فقيه جليل ومن أكابر القراء . أخذ عنه كثيرون القراءات السبع فى أواسط القرن الماضى توفى نحو ١٢٨٠ هـ

متلقالا للعلوم

أراد الله بهذه الامة خيرا حين أمال صفحة عنق امثال سيدى مسعود المعدرى الى أن يرتوى من مناهل المعارف ثم يهتم بنشرها • فان مثله فى همته واكبابه قليلون بين علماء سوس • وسترى من أعماله فى هذا الميدان ماترى

لم نعرف عنه انه تجاوز حضرة شيخ الجماعة العربى الادوزى ، فانه وحده من ملا وطبه • ثم اوكا عليه بكل محافظة صاحبه طول عمره • ولم يتجاوزه الى غيره • الا أنه اخذ قليلا عن الشيخ سيدى احمد بن محمد التيمكيدشتى • كما ستراه فى اجازة ابنه العلامة محمد للفقيه ابى زيدالعوفى ولم يكن عندنا ايضا من اخباره فى هذا الطور مايمكن انذكره فيتحلى بهصدر هذا العنوان

فى مدرسة سيدي مزال بن هرون أولا

بعد ان استتم الدراسة من المدرسة (الادوزية) وقف له شيخه العربى حتى شارط فى (مدرسة سيدى مزال) بهشتوكة • وسمعت ان أهلها هم الذين تطلبوا من سيدى العربى استاذا لمدرستهم • فعين لهم صاحب الترجمة • فذهب هذا على نية ان يدرس فيها القرءان • فاذا باستاذه أرسل معه تلاميذ مبتدئين من عنده • ليدرس معهم المتون الابتدائية • فكان ذلك سبب اقبال الشيخ سيدى مسعود على تدريس العلوم والاكباب عليها اكبابا غريبا بهمة اقتبست من همة استاذه الادوزى • فبسبب هذا طارت له الشهرة • وسارت باقباله على التعليم • وصبره عليهالركبان • فكان ذلك ممايجعل بعضالقبائل تتملى مثله لمدارسهم لتعمر • وعمارة المدارس بالعلوم اذذاك من صدور مفاخر القبائل بعضها على بعض • فتتنافس فيها (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وكانت اقامته فىهذه المدرسة التى بدت فيها باكورة اعماله فى السنوات التى تقدمت سنة : ١٢٨٠هـ ولا أدرى عددها

فى المدرسة البونعمانية

كان بنونعمان من أهل (يعزّى وِهدَى) البكريين • وكانت زاويتهم هناك لها شهرة بين القرن السابع والثامن • حتى بلغ صيتها مسامع مؤرخ ذلك العصر عبد الرحمن بن خلدون • فجرى ذكرها فى موضع من تاريخه الطويل وسماها : (زوايا بنى نعمان) ثم لم نعلم ماصنع الدهر بتلك الزوايا بعد ذلك ولم نجد مايدل عليها • الا قبابا مشيدة لكثيرين من رجالاتها مجهولين عندنا

لم يبق الا اسماؤهم ببقاء قبابهم الكثيرة هناك • ولعل ماوجده القرن الماضى من صبابة من الاهتمام بالعلم وبالقراءات انحدر من تلك الزوايا • وأن اغفل ذكرها التاريخ

كان الاستاذ احمد اضارضور مرة أو مرتين قبل أن يسافر الى فاس لتتميم دراسته مشارطا فى المدرسة (البونعمانية) كما كان مر بها أيضا قبله الاستاذ أحمد أوجمل الامزالى المشهور • وبعدهما الاستاذ مبارك ايحيصر المعـدرى • والاستاذ محمد بن حسين الاكلويى الجد لايت حسين • والاستاذ محمد الماسى ثم التاكنسى • ثم خطر لهذا مفارقة المدرسة لسبب دعاه الى ذلك • فتشبثت به القبيلة فقال لها : لاعمر لمدرستكم من سيدى مسعود الهمانى الذى تعرفونه فكان ذلك سبب اتصالهم بالاستاذ الذى نحسبه اذذاك فارق المدرسة (المزالية) فالتقوا معه فى قرية (ادمبارك) المشهورة هنالك فى (تاكنسا) فدعـوا معه الدعاء المعتاد ان يكون كاعلان لتمام الوفاق • فكان اسم القرية فلاحسنا • فكان بالمدرسة (البونعمانية) مباركا • كما كانت به مباركة ـ وكان ذلك ـ كما وجد بخطه ـ فى مفتتح رجب ١٢٧٨ هـ (وسترى أنه كتب أيضا فى تاريخ ذلك سنة ١٢٧٩هـ والغالب أنه الغى الكسر)

لم يكن كل الاساتذة المتقدمين قبل الاستاذ مسعود قائمين فى المدرسة (البونعمانية) حق القيام • بل كانوا متفاوتين فى أعمالهم الدراسية • كما كانوا متفاوتين فى مداركهم • بل كان بعضهم يشتغل فيها بتعليم القراءات كما كان بعض الاساتذة المقرئين يشارطون فيها أحيانا • فكانت البونعمانية بهم بين جزر ومد • وبين ازمنة تلحظ فيها عين السعادة وتغمض • حتى أتاها من الاستاذ مسعود من أتاها • فاستحالت الدلو غربا • بيد عبقرى لايفرى سواه فريه (١)

كيف دراسة الاستاذ لطلبته

كان عجبا يستحق كل الالتفات من سيدى مسعود : ذلك الاكباب العجيب الذى يحكيه عنه تلامذته متفقين • فقد وافق معاصره الذى فى طبقة اشياخه سيدى سعيدا الشريف فى تنظيم الدراسة فى الفنون بالمتون • فقسم المتـون كلها الى دروس • وعين لكل متن القدر الذى يدرس فيه ولابد • فكانت الالفية وما اليها • وخليل وما اليه • وكل مايدرس اذذاك من فنون النحو والفقه •

---

١) الغرب بفتح فسكون : الدلو الكبير جدا ، وقوله لايفرى سواه فريـه (والفرى كغنى) اى لايقدر ان يقوم مقامه أو أن يفعل مثل فعله • وذلك مقتبس من حديث معروف عند أهله

والبيان والاصول • وما يتبعها من الفرائض والحساب والتصريف وعلم المصطلح والحديث والتفسير منظمة تنظيما على ايام الاسبوع الخمسة • فمن صباح السبت الى عصر الاربعاء • لاتفتر الدراسة • وقد ضرب الاستاذ لتلاميذه من جده وحرصه على النظام مثلا شرودا (١) فكان مع اشتغاله بادارة شؤونه العامة كالفلاحة وما اليها في بلدة (المعدر) وفى (تيمجاض) لايمكن ان يخرق النظام ولا ان يتخلف عن الحضور صباح السبت • فكان مابين عصر الاربعاء الى صباح السبت هو الذى خصصه لما لابد له أن يشرف عليه من ضرورياته • فكثيرا ما يخرج من المدرسة اثر انقضاء الدرس بعد صلاة عصر الاربعاء الى (المعدر) أوالى (تيمجاض) او الى ما وراءهما مما تدعوه اليه الحاجة الملحة • ولكن لاتكادشمس السبت تشرق حتى يستوى على منصة التدريس • ولايكاد يتخلف عن هذا النظام الا اذا عراه ما لايمكن ان يسلم منه بشر

وكانت معلوماته بادىء ذى بدء غير مستبحرة • بل لايزال يسوده فى كثير من الفنون التى يزاولها التوسط فى المدارك • غير أنه بكثرة الدراسة تمكن فى ناصية غالب الفنون • فكان البيان والاصول ـ وهما الفنان اللذان لايقبل طلبة البادية عليهما غالبا ـ مما يدرسه احيانا لنجباء طلبته ، فقد كان مرة الاستاذ احمد اضارضور الاكرارى فى المدرسة البونعمانية لنازلة يزاول فقهها فى تلك القبيلة • فطلع على السطح • فاستدار به الطلبة • وقد أتوه بشرح (المنهج) لمحمد بن على اليعقوبى السوسى • فصاروا يوردون عليه من مسائل استشكلت فى درس الاستاذ سيدى مسعود • فبينها لهم • ثم قال لهم : انه يجب على من أراد تفهم أصول المذهب ان يكثر من سرد المسائل المبنية عليها • ومقصودنا من الحكاية ان نعلم ان (المنهج) مما يدرسه الاستاذ سيدى مسعود • والكتاب ـ كما هو معلوم ـ فى أصول المذهب

تكاثر الطلبة على المدرسة (البونعمانية) وقد جذبهم اليها حسن موقعها بين اشجار الزياتين الملتفة • وطيب هوائها • وسمعتها المتطايرة • فكان الصحراويون والسوسيون • اى العرب والعجم متساندين فى الدراسة • فيجتهد الاستاذان يؤدى الى كل بلسانه ما عليه له من الحقوق • فكان ينظم الصفوف من التلاميذ على العادة القديمة فى سوس • من أن هناك متونا ابتدائية فى كل فن • ثم اخرى ثانوية • فلابد من التدرج فيها قبل ان يشتغل بالعليا فعلى هذا انتظمت الصفوف فى (البونعمانية) أيضا • فزخرت المعارف وتفتقت ازهار النجابة • وأوحت القرائح بين المباحث بافكارها القيمة من بعض نبغاء تلاميذه

---

١) قال أبو تمام :

لا تعجبوا ضربى له من دونه ... مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

هذا والاستاذ مجتهد في توسيع ابنية المدرسة • حتى بلغت اضعاف ماكانت عليه يوم دخلها وقد ضاقت حتى لم يمكن ان يسكن مائة وستون الذى وصله عدد الطلبة الا بعد ابنية جديدة • فتكونت من حلقات المدرسة خمسة • كل حلقة لها اسمها الخاص • لانها تبنى متتابعة • فكلما شرع فى حلقة يظن أن ما يخطط فيها من البيوت كاف • فاذابالحال يستدعى اكثر منذلك • فأصبحت (البونعمانية) اكبر من كل مدارس سوس اتساعا وكثرة بيوت • كما كانت احفلها احباسا • والحقيقة أنها مافوقت عليها الا باجتهاد استاذ الذى لميكن يدركه احد اخيرا • بعد وفاة اقرانه فى الهمم • وأقران أشياخه كالشريف الكثيرى • وكالحسن التيمكيدشتي ومحمد بن على اليعقوبى الايلالنى المعاصر لال (تيمكيدشت) وامثالهم • حتى اصبحت (البونعمانية) بعد افتتاح هذا القرن • لايماثلها الا (الادوزية) تحت نظر الاستاذ محمد بن العربى الذى كان خلف ماكلف عن والده • على ان سيدى مسعودا قد فاقه بجمعه الهمة على التعليم • على حين أن ابن العربى لكثرة دواعى مجده مسابق فى كل ميدان طلاع من كل ثنية • فحينا يسافر الى (الحمراء) وحينا ينزل على فض قضية من النوازل فى أملاك من يحكمونه • وأما سيدى مسعود • فهوذلك المسكين الفقير المتبتل • المشتمل بشملة • الذى قسم اوقاته بين الدراسة وبين مشارفة شؤونه لاغير • وقد اعرض عن المجد فى المحافل وعن فض النوازل • الا أن كان يلقى الحق من فيه ـ بلا كتابة ـ فى مسألة ان سئل عنها بسرعة • ثم يذهب لطيته

كذلك ادى سيدى مسعود الحق الذى للعلم وطالبيه ، فاستحق أن ينوه به فى ذلك الميدان تنويها خالدا • تدرك به الاحفاد • مقدار اهتمام الاجداد

إجازات الاستاذ من أساتذته

وقفت على ان هناك اجازات للمترجم من الحسن بن الطيفور ، والحسن التيمكيدشتي • والعربى الادوزى • وهاك ما تيسر منها :

الاولى

اذنا لحامله الفقيه النبيه العلامة النزيه سيدى مسعود المعدرى • فى جميع ماأذنت فيه السنة المطهرة حركات وسكنات • واذنا له فى التعليم والارشاد واصلاح ذاتالبين • ووعظ المسلمين • ودعائهم الى القيام بواجب امور الديانات • سدده الله وأصلح عمله • وجعل نيته صالحة باتباع رضوان الله ءامين • وبه برسم الاذن تنشيطا له وتاييدا لحاله لقصد وجه الله ومشاركته فى الخير • بتاريخ أوائل ربيع الاول عام ١٢٩٤هـ (الحسن بناحمد

وفقه الله)

وتحته طابعه الذى يحتوى على اسمه

الثانيـة

وبعد : فقد التمس الاخ الصالح السيد مسعود بن محمد السملالى ثم الابراهيمى الاجازة ۰ أكرمنا الله تعالى واياه بتقواه ۰ ورزقنا واياه رشده وهداه ولست هناك ۰ ولا كنت اهلا أن اجاز ۰ فضلا عن أناجيز

فاركض برجلك مصر اننى رجل ‏ ‏ ‏ ‏ مثل المعيدى فاسمع بى ولاترنى

ولكن لظهور حسن ظنه بالله وبعباده ۰ أسعفته بعد ان تذاكرنا فى صحيح البخارى رحمه الله تعالى الفاظا غريبة من جهة الاعراب مع صحة الرواية بها فاستفدنا جودة قريحته وصحة حفظه وفطنته ۰ وأجزته اجازة عامة بشرطها المعتبر فى سبيلها المقرر ۰ وعليه فى ذلك عهد الله وميثاقه أن يستحضر الجنة (لاادرى) عند ارادته أن يقول أو يقرأ ۰ مع ذكر اسناد البخارى هنا خاصة ۰ اختصارا ۰ فقد سمعناه مرارا عن الامام الهمام الشريف الخالدى سيدى محمد بن احمد الوولتى عن الولى الصالح سيدى محمد بن أحمد التاساكاتى الهلالى ۰ عن الولى الصالح العارف بالله سيدى محمد بن أحمد الحضيكى ۰ عن سيدى أحمد بن محمد السملالى العباسى ۰ عن سيدى احمد بن محمد بن ناصر الدرعى ۰ عن سيدى أحمد بن على القدسى عن سيدى محمد بن احمد النهروالى ۰ عن والده سيدى احمد بن محمد المكى ۰ عن ابى الفتوح الطاووسى ۰ عن أبى يوسف الهروى ۰ عن الفرغانى محمد بن شاذبَخْت ۰ عن يحيا بن عمار الختلانى ۰ عنابى عبدالله الفربَرى عن مؤلفه امام المحدثين سيدى محمد بن اسماعيل البخارى ۰ رضى الله عنهم اجمعين ۰ وكتب لثمان خلون من شوال عام ۱۲۷۰ هـ عبد ربه الحسن بن طيفور ۰ سائلا منه الدعاء والتضرع الىالله تعالى ان يغفر له ماارتكب من الخطر ۰ واتيان الخطلوالخطر بجاه النبى وءاله صلى الله عليه وسلم

الثالثـة

حدثنا شيخنا أبو عبدالله محمد العربى بن ابراهيم الادوزى السملالى قال حدثنا شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد التيمكيدشتى ۰ قال حدثنا شيخنا أبو عبد محمد بن الحسن الطويل السملالى ۰ قال حدثنا شيخنا أبو مسعود بن ‏ ‏ ‏ ‏ (۱) المرزقونى السملالى قال حدثنا شيخنا احمد بن

۱) بياض بالاصل ۰ وهو مسعود بن محمد بن عبد الله المرزگونى

محمد بن ناصر الدرعى • قال حدثنا ابرهيم بنحسين الكردى عن والده عن ابى الفتوح الطاووسى عن أبى لقمان الختلانى عن الفرغانى • عن الفِربْرى عن الامام البخارى رضى الله عنهم اجمعين اه

همته العلمية

قد يستغرب القارىء من هذا العنوان من جديد • لان ذهنه سيسبق الى اننى لأعدو أن أعيد بعض ماكنت ذكرته عن سيدى مسعود فى الفصل السابق ولعمرى أن الذهن الذى يسبق الى هذا ، لذهن غائص • أو طائر الى سماوات الفهم من وراء العبارات • غير أننى لما تصورت همة سيدى مسعود من ناحية أخرى غير الدراسة العلمية ، اخترت أن أعلن لها بهذا العنوان • ليكون العنوان نفسه • بمثابة فذلكة لكل اطراف همته • ولكل اطراف همته انجذاب الى العلم

ان كثيرين من الذين اعتادوا الاكباب على التدريس • ويستفرغون فيه جهودهم نجدهم وراء ذلك لايهتمون بالمطالعة والاستنساخ • الا ماكان من سيدى مسعود فانه بقدر ما أكب على التدريس يكب وراء ذلك على استنساخ كل مايعجبه ، ويروق نظره • ثم لو كان الاستنساخ انما هو لكتب الدراسة وكتب الفتاوى لما وجد منى كمؤرخ شكرا جزيلا • ومحمدة طويلة • لكننى وجدت له من وراء استنساخه ءاثارا قيمة من كتب التاريخ السوسية • وكتب تراجم رجالاتهم الخاصة • وعهدى بكل من فى عصر سيدى مسعود • لايابهون بمثل ذلك • بل يعدون الاشتغال به من الفضول

الحق أقول • لم أجد أمامى منذ توجهت الى ماتوجهت اليه من احياء التاريخ السوسى من نفعنى سلفا بجهوده غير رجلين ، احدهما : أبو زيد الجشتيمى الذى نفعنى فى الادبيات • وما اليها • وكثير من تراجم من أدركهم أو حظوا بأن يجرى اسمهم تحت قلمه • وثانيهما سيدى مسعود المعدرى الذى نفعنى من الوجهة التى توجه اليها من تاريخ صلحاء سوس • فقد كان مولعا بذلك فكلما وجد شيئا من هذا القبيل استنسخه • بان يفرقه على تلاميذه فيصبح الكتاب وان كان طويلا مكتوبا كله فى ساعة • فما طالعت (كراسة البعقيلى) ولا (بشارة الزائرين) ولا (مؤلف سيدى يبورك بن عبدالله بن يعقوب فى الشيخ سيدى احمد بن موسى) ولا (المؤلف فى مناقب سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ) ولا ماكتب فى (حكايات مريم السملالية) الا مما استنسخه • كما كنت اطلعت من قديم فى خزانة ءاله على (مجموعة فى وكاك) ومثلها فى(سيدى وساى) وغيرهما من مجاميعه ثم لايقصر جهوده على الاثار السوسية بل يعتنى ايضا بكل مايراه كتابا نادرا • وقد كنت وقفت من قديم فى احدى مجاميعه

هل ا (مؤلف) فيه اسماء الصحابة الذين دخلوا المغرب فهذه الهمة التي لاتستحقر من العلم شيئا، فتابه بكل ماتراه من أخبار رجالات التاريخ، هي التي تستحق ان تسمى الهمة العلمية • لان حب الاستفادة ممتزج بها امتزاج الراح بالقراح

اعتناؤه بأضرحة الصالحين

كان سيدى مسعود من جيل غلب عليه التصوف ومحاسبة النفس • والاهتمام بالناحية الروحية اهتماما كبيرا • فكانوا يكبرون كل من يعلمون عنه انه ذو روح من السلف الصالح • فكان للمشاهد ولزيارتها ولتاثر خطا اصحابها عندهم من العناية العظمى مايتقربون به الى الله • والنفوس اذذاك لا تزال صافية من ادران هذه المدنية الغربية المادية التى تحمل فى طياتها الاهتمام العظيم بالشهوة البدنية • حتى لاحظ للارواح فيها • افلا يكون سيدى مسعود الذى علمنا من اخلاقه انزواء عن غير تلاميذه • الا من الذين جلوا فى هذا الميدان • فلذلك كان يتعهد كثيرا من اضرحة (جزولة) فينتابها بالزيارة ، ويشد اليها الرحال ـ رغم الحديث الذى اتفق المسلمون على تركه فكانت السيدة (تعزى) السملالية (والحاج يعزى) السملالى • وسيدى (احمد البعقيل) وسيدى (احمد بن موسى) وأمثالهم مما يالفهم الاستاذ • ويحبب اليه ان تستمتع روحه بمناجاة أرواحهم • ثم أورث ذلك اولاده ولايزال من يرتسم خطاه منهم مواظبا على ذلك الى الان

القدمى فى الطريقة الناصرية

لعلم كما يعلم كل من له المام بالطريقة الناصرية منذ نشاتها انها بنت العلم واخت العلم • لاتحيا الا بالعلم • ولاتموت الا يوم ينقطع عنها العلم فلا عجب اذن • ان رأينا من الاستاذ سيدى مسعود ما راينا فانه ناصرى الطريقة اشرب حبها، فلذلك كان فى عصره كمايكون كل رؤساء هذه الطريقة فى عصورهم كاحمد الصوابى • واحمد العباسى والحضيكى والتاساكاتى • ومحمد بن على الهوزالى • وابرهيم الظريفى الصوابى ومحمد ـ فتحا ـ بن يحيا الازاريفى وابرهيم بن محمد الولياضى واحمد التيمكيدشتى • وولده الحسن • والعربى الادوزى • وسعيد الشريف الكثيرى • وعشرات امثالهم من اساطين العلم والارشاد من السوسيين الناصريين علما وطريقة •

لم نكن نعرف من كان شيخه فى هذه الطريقة • وان كنا نحسب ان شيخيه العربى الادوزى • والشيخ احمد التيمكيدشتى • لايمكن ان يغفلتهما مثل سيدى مسعود • وهما ماهما اذذاك فى رياسة هذه الطريقة • غير اننا لم

نتحقق الا انه اخذ الاذن فى التعليم وارشاد الناس عن الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتى

وهاك ما كتبه له ننقله عن أصله مباشرة • بخط سيدى الحسن وطابعه وهو:

(أذنا لحامله الفقيه : النبيه ، العلامة النزيه • سيدى مسعود المعدرى فى جميع ما اذنت فيه السنة المطهرة حركات وسكنات • واذنا له فى التعليم والارشاد واصلاح ذات البين ووعظ المسلمين • ودعائهم الى القيام بواجب أمور الديانات) (الى ءاخر ماتقدم قريبا)

ثم ان سيدى مسعودا قام فى هذا المنصب خير قيام • فكان حاله اوعظ الناس من مقاله • لانه صموت • قلما يالف ان يحرك لسانه فى المحادثة بين الناس وكان وعظه لذلك تحفه الوجازة من كل ناحية • وكان لـه أصحاب كثيرون جدا فى (أزغار) يقتدون به ويعتقدون فيه ما يعتقده الحسنوا النيات الطيبو المقاصد فى الصالحين

وكان هو معذلك بسيطا ساذجا فى كل أموره • لايتظاهر بصلاح • ولا يتلفظ بما يتلفظ به من كانوا فى مثل منصبه • الا أنه مجد فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • خصوصا بين العشاءين فى ليالى الجمعات • وقبل طلوع الشمس فى أصبحتها • يجمع لذلك الناس العامة ، والطلبة • بل يحث تلاميذه على ذلـك

وهذه عادة كادت تكون عامة فى المدارس والمساجد السوسيـة اذذاك وقد كان أستاذنا سيدىعبد الله بنمحمد الالغى يفعلهذا بين العشاءين عشية كل خميس بنا ونحن نأخذ عنه فى المدرسة (الايغشانية) سنوات ١٣٣٠ هـ

ومن عادة سيدى مسعود بين العشاءين دائما فى الوقت الذى لا يفارق فيه مصلى المدرسة أن يخرج مع ثلة من الطلبة : اللطف الصغير • ثم يتنـاول (دليل الخيرات) فيقرأ ثلثه الى العشاء • والطلبة اثناء ذلك يطالعون فى الناحية الاخرى فى المصلى انصبتهم للغد • وتلك عادته لايتخلف عنها دائما • كماهى عادة كل الطلبة فى المدارس اذيطالعون لدروس الغد جماعات جماعات كـل طبقة على حدة ويتناوبون على المطالعة • وعلى ما يستصبحون به •

وكان مع ورعه لايتظاهر الا بأنه مكب على ماينافى مايسميه الناس زهدا كما يالفونه من كل من يعتقدون فيهم الصلاح من أمثاله ثم أنه لم يعهد منه مع رفعه للراية الناصرية ـ وكان من دعاتها ـ انبسط لسانه فى غيرها منالطرق فقد كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى جاره جدار الجدار • وهو رافع للراية الدرقاوية الحديثة العهد اذذاك • وقد سئل يوما عن هؤلاء الدرقاويين جيرانه فلم يـزد على ان قال : انني لاعرف عنهم الا مايرى منهم • فلم يعهد قط منه

من اطلاق اللسان مايعهد من مثل الاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى وأمثاله من انتقاد هذه الطريقة • ومن الدعاية ضدها بل كانت قرينته هي اول من اخذ عن الشيخ سيدى سعيد ــ كما ذكرناه في ترجمته فلم يهزه ذلك • ولالفت نظره قط • ولا تحول عما عهد منه من الانزواء والاشتغال بخويصة نفسه كانه ليس من الرؤساء الطرقيين في شيء • وقدسئل مرة عن الدرقاويين جيرانه فلم يزد على ان قال للسائل : لاأدرى من أعمالهم الامايدريه منهم كل احد ثم لم يزل ذلك حاله في الذين يعتنقون الاحمدية وغيرها • الى ان توفي مع اننا راينا من اشياخه سيدى العربى الادوزى وسيدى الحسن التيمكيدشتى ونظرائهما مقاومة شديدة للاحمدية باللسان وبالقلم • فرضى الله عن الجميع

قيامه على شؤونه

رأى القارىء من بعض ثنايا العبارات المتقدمة ان لهمة الاستاذ من بين وجهاتها تحديقا دائما الى ادارة شؤونه الخاصة • فلم يكن ذلك فارطا من اليراع • بل كان للاستاذ في القيام بشؤونه وتنمية أمواله اكباب لاينقص عن اكبابه على بث المعارف • فقدنشأ مقلا من دار أهله بـ (تيمجاض) بقبيلة (أيت برابيم) ثم لما كان يشارط صاريقتصد ويؤسس لماليته • فكان ذلك هو الداعي حتى بنى داره بـ (المعدر) لان هناك بعض املاك أهله قبله • فكان يقتني الاملاك في (تيمجاض) من (ايت برابيم) وفي (المعدر) وما اليه كـ «ماسة» فالل كثيرا في مسقط راسه وفي (بونعمان) وفي (تيكمى الجديد) بـ (ماسة) وكان يؤدى لذلك حقه كما ينبغي فيدافع من تحدثه نفسه بالتعدى عليه • وقد تنازع مدة مع الفقيه سيدى محمد ايحيصر • فقال سيدى عبد العزيز الادوزى لمحمد هذا : اجتهد ودافع عن نفسك • فان هؤلاء الصالحين امثال سيدى مسعود يصعب دفعهم عن شيء يهتمون بتحصيله • وذلك هو حال سيدى مسعود • كما كان يحاول ان ينتزع ممن ظهر له أن عنده له او لاحد ءابائه ملكا تحت يده • فهذا هو السبب حتى تحاكم مرة مع سملالى ــ كما احجو ــ الى الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى • ففصل بينهما حاكما لسيدى مسعود على غريمه • وبذلك صحت المودة بين الاستاذين فكان ذلك احد الاسباب في تاسيس المدرسة (الالغية) بحثه المستمر لابن عبد الله • كما يحثه ايضا الاستاذ محمد بن العربى الادوزى على ذلك • فكانت المنفعة العامة والمنفعة الخاصة مزدوجتين في التعارف بين اساتذة ذلك الجيل • وكذلك كان للشيخ الالغى اتصال كبير بسيدى مسعود • تعارفا في (المعدر) فلما نبه امر الشيخ الالغى صار يطرقه في داره بـ (المعدر) في جولاته • وفي المدرسة البونعمانية على عادته في الاتصال التام مع علماء عصره • وقد ذكر لى انسان ثقة انه كان مرة مع الشيخ • فمرا بالاستاذ في المدرسة (البونعمانية) فامره الشيخ

بالذهاب معه الى مدرسة (سيدى بوعبدلى) فتصاحبا . قال الحاكي : فقال لـه الشيخ أثناء الحديث : الى متى انت مهتبل باملاك (ماسة) الم يان لك ان تعتنى باستكثار شراء الكتب لاولادك . قال الحاكى ، فلم يزد سيدى مسعود عـلى ان تبسم من غير أن يجيبـه بشىء وحدثنى ءاخر أنه حضر لسيدى مسعـــود وهو يقول للشيخ : ان الله اعطاك ماانفردت به من العلم ومن الهمة والاقبال التام على منفعة العباد . فلو انقطعت لبث العلم فى احدى المدارس لكان الانتفاع بك أكثر من انتفاع الناس بأمثالنا . فقال له الشيخ ان لكل وجهة خاصة . ووجهتنا نحن الى ان نغرس فى القلوب ماهو لب العلوم من اخلاص العبوديـة لله وحده مع تحصيل مالابد منه مما لايعبد الله الا به

ورأيت بخط الاستاذ فى حاشية كتاب مانصه : رايت فى المنام ان الشيخ سيدى أحمد بن موسى جمع الى ثوبه بعد بسطه . كأنه أراد بذلك الى عطية . ثم بعد ذلك هممت وتفكرت . هل افعل دائما الاتاى . وقلت فى نفسى : كثر ذلك على . أين اجد السكر فى كل يوم . فقمت فرايت كان الشيخ سيـدى احمد بن موسى قال لى خذ المقراج . أوقال لى ادفعه . والحاصل انه ذكره لى . وسمعته منه فى المنام

من امثال هذه المنامات التى يهتم المترجم حتى فيها بالاقتصاديـات . تدرك ما يحوم حوله كلامنا فى هذا الفصل

ومما يتعلق بهذا ان أبنا للقائد الاكلويى كان فى (بونعمان) فكان يعلن شرب الاتاى . فامره الاستاذ باخفاء ذلك قائلا له . ان أضيافى لايشربونـه ومتى راوه عندك يظنون اننى قصرت فى حقهم

في حضرة المولى الحسن السلطان

نزل المولى الحسن حوالى (تزنيت) سنة : ١٢٩٩ هـ فاهرع اليه جميـع الطبقات من الناس . فكان الاساتذة يردون عليه مع تلاميذهم . فكان سيدى مسعود فى مقدمة الواردين . فقد قدم تلاميذه وهم جيش جرار . فاصطفوا فى معسكر السلطان معلنين الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . على عادة الناصريين فى امثال تلك المواقف . فقوبلوا كما يقابل غيرهم . وما كـانـوا ليتطلبوا من السلطان متقبلة . خصوصا من مثل المولى الحسن الذى كان اذذاك بملاطفته يملك القلوب . غير أن السلطان يصدر الجميع بالدعوات والصلات معا . ولم اتحقق كثيرا كيف كانت ملاقاته معه . وانما مربى ماذكرته هكذا اجمالا

في مدرسة سيدي مزال ثانيا

في سنة : ١٣٠٩هـ كان شنآن بين (أيت برابيم) فجرى الاستاذ مع كل طلبته وغيرهم في الاصلاح بينهم ٠ حتى التأم الفتق ٠ فاذا بفريق غدر ٠ فاجفل الاستاذ من (بونعمان) مستخلفا ولده محمدا ٠ فذهب بخمسة وعشرين تلميذا الى (سيدي مزال) حيث بقي سنة اوفوق ذلك بقليل ٠ ولكن لم يتسلم ابله المدرسة نهائيا الا في رمضان ١٣١٠ هـ

في مدرسة المعدر

لبغ الاستاذ محمد في مجلس والده سيدي مسعود ٠ كمانبغ من اقرانه كثيرون وكان له عند والده في سويداء قلبه مايكون لابر الابناء من ابر الاباء فبعد ان استتم الدراسة وظهرت مهارته قبل : ١٣٠٩هـ رأى الاستاذ من المصلحة ان يقدمه الى الميدان ٠ ليستغل شبيبته ٠ ولما كانت المدرسة (البونعمانية) مكتظة الاذكاء بالنجباء اراد أن يبقيه بينهم استاذا مستقلا ٠ بعد ماكان كخلف له ٠ ليزداد بمحاككتهم ٠ وكلهم من أقرانه الذين لايكبرونه مالم يكن يكبرهم بمعلوماته وتحقيقاته وتدقيقاته٠ فاستقر هو في مسجد (المعدر) ولم يكن فيه الاذكاء الا قراءة القرآن ٠ ولم يعتد فيه درس المعارف الاقليلا ٠ فلم يكديستقر فيه اواخر سنة : ١٣١٠ هـ حتى صار يوسس للطلبة الذين يلتفون حوله من جديد مايكنهم ٠ حتى تكونت مدرسة كبيرة ٠ فلم يمض الا قليل حتى ازدحمت مدرسة (المعدر) ايضا بالتلاميذ ٠ وتتابعت الدروس في الفنون فيها ٠ فكان للمعدريين في سيدي مسعود اعتقاد كبير ٠ وفي اسمارهم عنه خوارق يتناقلونها بسند صحيح ٠ وقد اقر اعينهم بعمارة مسجدهم بالعلوم ٠ وقد كان للمعدريين الاذكاء شان عجيب في الاهتمام بالدين ٠ حتى ان مصلى مسجدهم على اتساعه لتمتلىء كل صفوفه في العشاء والصبح ٠ بله غيرهما من الصلوات النهارية وكانوا احب الناس للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٠ تتقدم منهم وقت الصلوات الخمس بساعات ٠ وقد ادركنا منهم بعض ذلك ٠ فلذلك لايقدر مقدار فرحهم حين وجدوا من سيدي مسعود من كان له مثل شغفهم ٠ فكان امامهم الراتب وخطيب جمعتهم ٠ ومدرس مدرستهم ٠ ومرشد جاهلهم ٠ فاية نعمة مثل هذه يتطلبونها بعد

وثيقة تبين أوقات تنقلاته في المدارس

ظفرت بعد ان كتبت كل ماتقدم على ماكتبه بخط يده ٠ بين فيه أوقات تنقلاته بين مدارس (سيدي مزال) و (المعدر) وهذا نصها :

«وبعد : فليعلم الواقف على هذا الرسم انى دخلت مدرسة ولى الله سيدى مزال بن هارون بالشرط عام : ١٢٧٩هـ ثم بعد تمام العام انتقلت منها الى مدرسة ابى (١) النعمان فى بلدة البرايبيين عام ١٢٨٠هـ ومكثت فيها ثلاثين سنة • ثم رجعت الى مدرسة السيد مزال نفعنا الله به • وتركت ابنى محمدا فى مدرسة ابى النعمان • ودخل بالشرط فيها • ثم بعد كمال العام فى مدرسة سيدى مزال انتقلت الى مسجد المعدر عام : ١٣١٠هـ ودخل ابنى احمد بن مسعود الطالبى السملالى ثم المعدرى دارا : مدرسة القطب سيدى أحمد بن موسى السملالى بتازاروالت بالشرط عام : ١٣١٦هـ فى شهر جمادى الثانية • تقبل الله عملنا وعملهم • وجعله سعيا مشكورا مقبولا • وعملا لاينقطع بالموت الى يوم القيامة وأربحنا ورزقنا بركة هذه المساجد•»

هذه هى الوثيقة • وينبغى أن يعتمد عليها لانها مكتوبة أخير عمر الاستاذ ولعل ماكان تقدم لنا مما وجد بخطه • لايخالف بعض هذا

في أيام الحاحيين

حلت سنة : ١٣١٤هـ وسوس تأخذه رجفة شديدة مما يتحدث به الناس من اقبال الحاحيين بزحف عظيم عن اذن الحكومة • وماكانوا يجهلون ان الملاطفة التى يجدونها من المولى الحسن فى سنة ١٢٩٩هـ وفى سنة ١٣٠٣ هـ لايجدونها فى القواد الحاحيين الذين سيجعلون نصب أعينهم فرض المغارم ومصادرة الاموال بحق وبغير حق • وقد عرف السوسيون من هم هولاء من عهد القائد عبد الملك بن بيهى سنوات ١٢١٧هـ ثم عهد ولده القائد الحاج عبلا سنوات ١٢٧٩ هـ

لذلك بادر سيدى مسعود قبل وصول الحاحيين • متطلبا من الرئيس سيدى محمد بن الحسين التازروالتى : التحرير من كل الوظائف المخزنية • وكانت له يد على المعدريين • واحسب أنه كتب له ماياتى حين نزل هناك فى (توبْوزار) ونص ذلك بعد الحمدلة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

«يتعرف منه أن الشريف الابر سيدنا ومولانا محمد بن الحسين بن هاشم الايليغى • وجميع أعيان قبيلة ءال المعدر كلها : خاصة وعامة • حرروا شيخنا وقدوتنا العالم العلامة • والدراكة الفهامة • سيدى مسعود بن محمد السملالى الطالبى • وأسقطوا عنه الكلف المخزنية • ووظائف القبيلة • وأسدلوا عليه جلابيب التوقير والتعظيم وحملوه على كاهل المبرة والتكريم • لعلمه وتعليمه وورعه • حسبما اقتضاه وصفه بالخصال الحميدة • والسيرة الحسنة • وكتبه

---

١) هكذا بخطه • والمشهور بنو نعمان • كما عندنا ابن خلدون • والله أعلم أيهما الصواب• على أن أبا نعمان أقرب الى مايجرى على الالسنة (بو نعمان)

برسم التحرير ، عن اشهاد المذكورين بالسابع من ذى الحجة الحرام عــام ١٣١٤هـ عبد ربه : احمد بن محمد بن محمد ــ فتحا ــ الخياطى العينى ، لطف الله به ءامين ، وعبيد ربه احمد بن الحاج على امنه الله.»

كان هذا التحرير نافعا لسيدى مسعود ، لانه بمجرد ماستقر الحاحيون بـ (تزنيت) بعد قليل أصدروا له ما ياتى :

«كافة قبيلة ءال المعدر : وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فان الفقيه العلامة النحرير الفهامة المدرس الاديب الاريب سيدى مسعودا محرر من جميع الكلف المخزنية ، والوظائف السلطانية ، ومن ترامى عليه بشيء فلا يلومن الا نفسه ، والسلام ، فى فاتح صفر الخير عام ١٣١٥هـ) وتحت ذلك طابع لم اهتد الى مافيه صراحة

ثم تبع ذلك ما ياتى :

«اخواننا ءال المعدر قاطبة ، حفظكم وراعكم (كذا) وسلام الله البر الرحيم عليكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، عن خير مولانا نصره الله

وبعد : فحامله الفقيه البركة السيد مسعود بن محمد الملازم مسجدكـم حررناه فى جميع الوظائف المخزنية ، ووظائف القبيلة ، بحث الا (كذا) يطلب بجل ولايقل منها ، فمن دنا اليه يطلبه بها ، فالله يسخط عليه دنيا واخرى وان اوصله الينا شاكيا به يذق وبال امره ، ونكال صنعه ، وقرناه فى ذلك لاحفلين به وجه الله العظيم ، وما هو ديدنه من تعليم العلم ، وبه كتب اليكم فى ٢ من صفر عام ١٣١٥ هـ والسلام خليفة القائد سعيد الكلولى الحاج احمد ابن محمد ، الله وليهما»

ثم تلا ذلك مايأتى :

«وبعد : فبحول الله وقوته ، ووجود سيدنا أيده الله ونصره ، أسدلنا على الفقيه العلامة البركة ، السيد مسعود بن محمد ابراييم (الابراييمى)السملالى الطالبى اردية التوقير والتعظيم والاجلال ، وحملناه على كاهل المبرةوالاحترام وامرنا من سكن بينهم من القبائل فى المحل المذكور وغيره ، حيث يرى النزول بتعظيمه وتوقيره وتحريره والقيام بحقوقه ، والنظر فيه بعين الرضا بحيث لايسام بمكروه ، ولاينهضم له جانب ، ولا من انحاش اليه ، فلا تخرق عليه عادة ، ولاتجرى عليه كلفة بوجوه (كذا) من الوجوه ، بل يبقى على عادته الاولى ويتصل بحاله المعلوم مراعاة لخيرته ومروءته ، ولزومه دين الله ، والمناصحة لعباده ، وتعليم الجاهل منهم ، وترشيد الضال منهم ، وحتى مـن تمسـك وتشبث بأذياله يامن ويعظم ، فعلى هذا نامر اخوانه وجميع من نزل بلاده على الاطلاق ، فلا يعد بتكليف ولايحسب بما تحت يده مـن الماشية وغيرها مـن

التمولات على القاعدة التى يجرى عليها عمل القبائل عند التكاليف • فالله يكثر أمثاله فى الاسلام • والسلام • فى ١٧ من ربيع الاول عام : ١٣١٥ هـ وتحته طابع فيه : خديم المقام العالى بالله : سعيد بن احمد الكلولى وفقه الله •»

ثم تلا ذلك ماياتى :

«كافة قبيلة أهل المعدر خصوصا وعامة • وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • عن خير مولانا نصره الله

وبعد فان الفقيه ، العلامة المدرس الفهامة • شيخ الجماعة فى سوس الاقصى ونواحيها • ومن أفضلهم علما وعملا • ودينا وصلاحا • ونجاحا فى أمور الدنيا والاخرة وانتم تترامون عليه وتسومونه بما تسام عامتكم • وعليه بوصوله اليكم كفوا أيديكم عليه • وقصروا من اذايته • لئلا تكون سببا وسببا لهلاككم • فانه محرر موقر معظم • لاجل ملازمته لتدريس العلم • ونشره فى هذا العالم المبارك (كذا) والسلام فى ٨ ذى القعدة الحرام عام١٣١٥ وتحت ذلك طابع الغالب أنه للحاج أحمد الكلولى رئيس الجيوش الحاحية تحت يد عمه القائد سعيد والطابع لايقرأ غالبه»

ثم يلى ذلك ماياتى :

«اخواننا كافة قبيل ءال المعدر • وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله

وبعد : فقد قدمنا لكم الاعلام بتوقير الفقيه الارضى السيد مسعود • وتحريره من جميع الوظائف • فاذا بكم لم تبالوا • وعليه بوصوله اليكم كفوا عنه • ولاتطلبوه بقليل ولابكثير • فانه ان عاد للشكوة (كذا) علينا بكم • فلا تلوموا الا أنفسكم وقد حررناه من جميع الوظائف • والسلام • فى ٩ قعدة الحرام ١٣١٥ هـ»

وتحت ذلك طابع القائد سعيد المتقدم

تلك هى المرسومات التى ظفرنا بها انفسها • فيما يتعلق بسيدى مسعود تحرره من جهنم التى كان الناس اذذاك يتقلون فيها • وقد وصفوه فيها بما يستحقه • وأهل حاحة المخزنيون - خصوصا الكلوليين - معروفون باحترام العلم وأهله • وقد حرروا غالب العلماء والزوايا اذذاك • وقد تقدم فى ترجمة الجد عبدالله بن سعيد مع ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ماكانوا حرروا به أيضا قبيلتنا ءال عبد الله بن سعيد

ثم ان سيدى مسعودا لم يقف عند تحريرهم فقط • بل امدوه باعشار بعض القبائل • احسبها : تاكنسا فحازها • وكذلك كان يصل ءال انفلوس الذين خلفوا الكلوليين فى تزنيت قبل ان يتوفى

وقد كان نزل فى تزنيت على احد تلاميذه الكرماء • فالبسه لبسة حسنة

مرموقة فوجد بركتها عند هولاء • واما لوكان دخل عليهم بهيأته الزرية المعتادة فليسوا با بهين له • وقد كان مالك امر بتحسين الثياب • كما فى الابيات المشهورة التى أولها :

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

فى مدرسة سيدي من ال ثالثا

عهدنا بالأستاذ يبدىء ويعيد فى مدرسة (المعدر) التى أسسها • وقد رايت ذكر مسجد المعدر فى تلك التحريرات • ولم يكن مقامه مسفا عند ءال المعدر كما يتراءى فى الذى مضى من التحريرات الاخيرة • وانما يصيبه ذلك ممن يتول رياستهم • ولاشك ان المتولين للرياسة فى مثل تلك الاحوال اهل ابهة ووقاحة • لايرتدون الابالشكائم • ولذلك ارتدوا مرغمين بالكلام الرسمى كما قرات • ويدخل هذه المدرسة : فى سنة ١٣١٧هـ كما يظهر

انم سيدى احمد ولد الاستاذ دراسته اذذاك • وقد شارط حينا فى (ميرغت) وفى المدرسة (التازاروالتية) كما سمعت • فأراد والده أن يرشحه للتدريس فى مكانه بـ المعدر • كما فعله بصنوه فى (بونعمان) فلذلك اخلى له الموضع • فانتقل هو الى المدرسة (المزالية) فتلقته بكلتا يديها • فالقى فيها جرانه • وهو هو لم يفارق بث العلم • ولاخلف وراءه جماعة من الطلبة لايثالة • حتى تحلق حوله اخرى يتمشى بها فى المنهاج الذى يألف انينهجه دائما لتلاميذه • واخلاقه اليوم فى المشيب • هى أخلاقه يوم كان غصنه رطبا

أخلاقه ونتف من أخباره الاخرى

كان سيدى مسعود من الوجهة الدراسية على مابيناه اتم بيان • فانه لايعرف الفتور • ولايتسرب اليه ملل • ولايحوم حوله ضجر • حتى كان يضرب به المثل • واما من وجهة تاثيل الاملاك • فانه ءاخذ بذلك بالاثر : (اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا • واعمل لاخرتك كانك تموت غدا) وبالاثر الاخر : (ليس خيركم من ترك دنياه لاخرته •ولا آخرته لدنياه • بل من اخذ من هذه وهذه)

كان يعتنى من ذلك بما تنكف به همته عن التطلع الى ميادين النوازل كما يرى من كثيرين من معاصريه • كيف أداهم الاقلال حتى نزلوا فجالوا فى تلك الميادين من غير شمم علمى • واما من وجهة دينه وورعه فانه الرجل المخلص الذى يخفى من عمله ومن اخلاصه ومن ورعه ما امكن له الاخفاء • وقد رايت من احواله ما رايت • مع ان كثيرين يشيرون اليه بالخوارق • كما حدث اناس متثبتون انهم راوه فى (المعدر) مع انه فى (بونعمان) وبالعكس • وانه فارق (بونعمان) بعد العصر ثم كان قبل الطفل (١) فى (المعدر) وكان يانف

١) الطفل كفمر : ميل الشمس الى الاصفرار

من ذكر ذلك عنه ، حتى ان تلميذا من تلاميذه أدرك منه ذلك فلم يكتمه ، فأمره بالخروج من المدرسة ، ولو وقع ذلك لغيره ، لسرب الى من يذكره عنه مايحمله على ان يزيد فى الطين بلة ، ومجمل القول فى سيدى مسعود من هذه الناحية أنه ليس بمغتر ، وأنه يدرك أن ذلك الخرق للعادة لايزيده عند الله قلامة ظفر ، بل مثله يخاف أن يكون ذلك استدراجا وتلاعبا من الشيطان الذى يوحى الى أوليائه ، ويسرب اليهم الغيب ويخرق بهم العوائد ، ويطوى بهم المسافات ، ومن هنا قدرنا قدر سيدى مسعود الذى رأيناه لايلفت ذلك منه طرفا ، ولايشغل منه ولوطرف بال ، ولا أدل على ذلك من أنه لايتظاهر بصلاح ، بل يتظاهر بطمع كما رأيت ، مع القائه ظهريا كل بلهنيةعيش (١) ورفاهية مطعم أو ملبس ، فقد بات عنده يوما بعض أصحابه وهو الشيخ الالغى ، فمضى معه من مسجد (المعدر) بعد صلاة العشاء ، فجلس معه فى ظلمة ولم يتيسر القنديل ، فاتى اليه بخبزة وبزير زيت (٢) ولم تتيسر سكرجة (٣) فصارا يختلفان بأيديهما من منفتح الزير ، يغمس كل واحد منهما بالتناوب يده بالخبز فى الزيت من الزير ، حتى أكلا بلا تصنع ، ثم كان مع ذلك لايعتنى بالركوب فى مسيره ، بل كان كثيرا مايمشى راجلا ثم لايبالى ، وكانت كسوته وسطا ككسوة أهل طبقته من غير أن يعتنى بما يقتضيه منصبه كعالم مدرس كبير القدر ، شيخ جماعة كثيرة فى سوس ، أو كصالح رئيس فى طريقة معتقد ، بل كان يرمى كل ذلك وراءه ، لابخلا ولاكزازة ، بل انسياحا مع طبيعته الجبلية حتى أمور دنياه كان يزاولها كالعادة ، فقد كان عنده راع لغنمه ، ففقد منها واحدة ثم اخرى ثم اخرى ، والراعى ينكر ان يعلم الى أين مضت ، فداعاه الى رؤساء المعدر الذين يجلسون اذذاك عادة أمام المسجد ، فلم يسمعوا لدعواه أولا حتى كرر الدعوى ، فقالوا للراعى ماكان الاستاذ ليظلمك ويتهمك بزور ، ولابد أن تغرم الشياه الثلاث ، فقال لهم سيدى مسعود : يغرم الاولى بكذا والثانية بكذا والثالثة بكذا فاوت بينها فى الثمن ، فأدى الراعى ذلك مرغما ، ثم أقر بعد ذلك ان الاستاذ صدق فيما جعله ثمنا لكل واحدة ، فقد بعتها بأثمان متفاوتة وفق ماقال الاستاذ ، وتعجب من صدقه .

قد اختار الله له ، فاقترن بزوجة صالحة أنجبت له أولادا بررة ، وهى عائشة بنت صالح من آل اوبيجو البعقيليين ، وأمها تعزى بنت عبد العزيز

---

١) بلهنية عيش بضم الباء وفتح اللام وسكون الهاء ثم كسر النون اى رخاؤه
٢) الزير : اناء قائم ضيق الفم
٣) اسكرجة بضم السين المشددة وضم الكاف ، وضم الراء المشددة أيضا والجيم المفتوحة : هى الزلفة (بالتحريك)

الافرابوئية وناهيك بتعزى ذات المناقب المشهورة توفيت : ١٣٨٨ هـ فكانت عائشة خير قرينة لمثل سيدى مسعود . وهى صالحة ذات شأن . لها قصة مع شيخها سيدى سعيد المعدرى ـ وقد ذكر ذلك فى ترجمة سيدى سعيد فى القسم (الثالث) ـ ثم كانت أحوالها كلها غريبة عجيبة . حتى توفيت فى عصر زوجها . فكان الشيخ الالغى لقدرها عارفا . ولشأنها مكبرا . فاراد ان يخلد مقامها بين الناس . فوقف مرة فى مسجد (المعدر) وقد ازدحم بأهل المعدر . وكانوا كلهم معتقدين للسيدة عائشة . فندبهم الى اقامة مشهد عليها اعتناء بها . فلم يفترقوا حتى هيأوا كل ما احتاجوا اليه . ثم بعد أن ساروا فى ذلك ما شاء الله جاءهم عارض عاقهم عن الاتمام . الى أن عاد الشيخ . فندبهم فى فرصة اخرى فأتموها . فالشيخ هو الذى اعتنى باشادة الضريح على السيدة كما ترى . وهو ممن يخالف قرينه الشيخ التاموديزتى فى شأن تشييد الاضرحة وتجصيصها . وهو فى ذلك عارف مايصنع وان كان أصحاب الأمر من شيعة التاموديزتى . فرحم الله الجميع

فقد حكى سيدى أحمد بن مسعود أنه كان مرة مع الشيخ فى قبة تلك السيدة . فأخذ بيده حجرا أملس يحك به الجص على القبر . وهو يقول يقولون ان الجص يحول بين الانسان الميت وبين أن يسمع . غير أن الرجال لايحول مثل ذلك بينهم وبين أى شيء . كأن الشيخ يرد بذلك على التامودیزتى فرضى الله عن الجميع . فهذا هو سبب اقامة القبة على السيدة . لامايزعمه المورخ الرفاكى كما سنراه قريبا .

ومما وجد بخط سيدى مسعود :

«وفى الليلة الثامنة بعد صلاة العشاء . من شهر الله ذى القعدة الحرام عام ١٣٠٦هـ توفيت زوجى المرابطة عائشة بنت سيدى صالح بن عبد الله أوبيجو . من أعلى الاسفل البعقيلى . قدس الله روحها فى اعلى الجنة . واسكنها فى الفردوس . وأعظم الله اجرنا فى موتها . وبارك لنا فيما بقى بعدها . وحشرنا معها فى زمرة النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين . وتركت زوجها الكاتب وأولادها الثلاثة : محمدا وشقيقه أحمد . وشقيقتهما عائشة بنت مسعود لطف الله بها . امين

ثم ذكر بعد ذلك عن عائشة بنت الحاج محمد بن عبدالكريم الرسموكية الصالحة مايدل على ان لتلك المتوفاة مقام صدق . وشفاعة لمن دخل دارها . او اكل طعامها . أو زار قبرها . ثم ذكر أن أحمد بن أحمد المعدرى راى النبى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فقال له : صدق الفقيرة عائشة الرسموكية فى كل ما تنبئك عنه . واخبر أحمد المذكور أيضا أن سرها بعد موتها .

اعظم من سرها في حياتها انتهى

والمقصود ان يدرك القارىء مكانة هذه السيدة بين رجـالات الارواح وانى يدرك من يشتغل بالماديات مثل هذا بل بعده من السفاسف :

واذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالابصار

وهذه السيدة هي ام العلامتين محمد واحمد الاتيين · ابنـي الاستاذ سيدى مسعود · وليست هذه بالوحيدة عند الاستاذ · بل كانت له جرارية أخرى أم الاديبين الطاهر وابرهيم · وأشقائهما · وأخرى غيرهما · وكان سيدى مسعود لينا هينا يراعى خواطر أهله في المباحات · وكان حين تزوج الجرارية يسرب اليها النساء يلاعبنها · ويرقصن أمامها · اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم · حين يسرب الجوارى من بنات الانصار لعائشة وهي صبية صغيرة · وذلك مايدل على شفوف أخلاق الاستاذ · وعلى أنه ليس بمتجهم قاسى الطبع كما ينتظر من امثاله ·

كان رحمه الله من القناعة في مكانة سامية · أجلى مظاهرها قناعته بما تيسر من أملاكه ومن اجرة مشارطاته · وكان يدور على قبيلة (أيت برايبم) فيأخذ ما تيسر · ويذر غير ذلك من غير الحاح ولامعاودة · ولم يعهد منه أنه الزم احدهم أن يؤدى ماعليه من اجرة المشارطة · مع أنه أمضى هناك نحـو : ٣٥ سنة · كأنه يرى أن المشارطة مبنية على المكارمة · بخلاف مال الانسان الخاص · فان له أن يدافع عنه · (ومن قتل دون ماله فهو شهيد) كما كان أيضا أجلى مظاهر قناعته : زهده من مناصب القضاء · والفقهـاء حواليه يأخذون ما آت في كل نازلة من وراء ذلك · ولذلك سلم عرضه · وأمن من كل ماالايامن منه الفقهاء المحتوشون ·

جاء مرة مع ابنيه : محمد واحمد من (بونعمان) الى (المعدر) فوصلوا البسيط حوالى (تزنيت) فذكر له أحدهما وقد أقبل الليل ان هذا البسيط مخوف · فقال لهما : ناما ملء جفونكما · فانني ما خططت حرفا على أحـد فأخاف أن يفتك بي فاتك · وهناك محمد بن أحمد الايديكلي يقول : انماتركت فصل النوازل بين الناس لانام حيث اريد ـ أو كما قال ـ

سافر مع تلميذه الفقيه سيدى الحسين البولوقتي الى مـوسم سيدى أحمد بن موسى مرة · فجلسا للاكل · فلت الاستاذ سويقا فتناولاه بالخبز · فافلت الضحك من سيدى الحسين · تعجبا من مأكولهما · فقال له الاستاذ : اوليس هذا هو أولى من مآكل قاض متوسع · يعني لايخشى الله فيحتوش ويترفه

وحكى حاك أنه رأى مرة الاستاذ في قرية (عين ابرهيم بن صالـح)

وهو لابس قميص صوف وبردا خلقين ، حتى ان أهداب البرد قد تمزقت من أطرافه ، ورأسه حاسر بلاعمامة ، وهو أصلع الاشعرا قليلا فوق قفاه ، ومعه أتان يركبها ، قال هو كذلك ، مع ان هيبته عظيمة فى العيون

كان لايتكلف فى غير أموره ، حتى فى مباحثه ، ولذلك كان عجبا عند عارفيه اذ رأوا من ولده محمد ما رأوا ، فقالوا من أين هذه الشنشنة للولد مع أن الوالد لانعرف منه فيها ولو طرفا ، ولهذه الحالة تأثير فى غالب من أخذوا عنه ، فلم يمهروا فى فن المناظرة الا قليلين ، فانهم نبغوا من بين كثيرين من نجباء تلاميذهم وكان لايرى لنفسه مقاما ساميا فى الفهم ، ويقول: انما نحن مدفوعون الى هذا الميدان حين كان شاغرا من مثل الفقيه سيدى احمد أضارضور الاكرارى ، فانه هو الاولى لو تصدر للتعليم ولكن التوفيق من الله ، ثم لاأحب من القارىء ان يحمل ماقلته هنا وماقاله الاستاذ عن نفسه على القصور الكثير ، فكلا وألف كلا ، فان الاستاذ والكثيرين من تلاميذه قد نالوا منالا كبيرا ، وبينهم متفوقون الى الغاية ، وهذا مايقع من كل مدرس اياكان تفوقه ، ثم حسب الاستاذ تفوقا أن نبغ من تحت أبطه ابنه محمد ، فان الشبل لايلده الا الاسد (وطيب الزهر من طيب الاصول)

وفاة الاستاذ

غادرنا سيدى مسعودا فى مدرسة (سيدى مزال بن هارون) وقد صار يؤسس ايضا هناك من الذين يحلقون حوله لحلبة اخرى يجربها فى الميدان العلمى ، ولكن لم يبطىء ، فنشأ ماكان سببا لانقضاء أجله ، وذلك أنه كان يضطجع فوق أعواد ، فافلت منها ليلة فتأثر جنبه ، أو انكسرت ضلع من أضلاعه ، فسقط بذلك مريضا ، فتم الاجل ، وءان لتلك الشمس المشرقة فى سماء المعارف زمنا طويلا ان تميل بجانبها الى الغروب ، ثم يتلقفها الوجوب وذلك يوم الاثنين ٢٢ ــ ٦ ــ ١٣١٩ هـ وولادته فى نحو : ١٢٤٠هـ

رسائل منه وإليه

كتب الى الاستاذ الالغى محمد بن عبد الله

السلام والرحمة والبركة على الفقيه البركة ، الميمون السكون والحركة سيدى محمد بن عبدالله الالغى ، من ذرية الشيخ سيدى عبدالله بن سعيد ، وبعد : فلابأس ولله الحمد ، وقد تيسرت الحاجة ، فخذها من الحامل واعذرنا فى حقك وحق ماتقوم به للعلم الشريف ، فانه لايستحق اليوم الحق الاوفر الا أهل العلم ، وخصوصا أمثالكم القائمين بنشره ، نشر الله لكم

اليوم افضل الجزاء دنيا واخرى • آمين (مسعود بن محمد البريبيمى المعدرى)

وكتب الى الاستاذ على بن عبدالله يعزيه فى أخيه :

الى من هو الينا ومنا روحا وشبحا : سيدى على بن عبدالله الفقيه أخى الفقيه • فعظم الله أجرنا وأجركم فى صنوكم الذى لبى داعيه • بعدما أدى من الحق ماعليه • وأوصى أخى أن لايفارق منهجه • فنعم المنهج ماسلكه • فخيركم من تعلم القرآن وعلمه • والمقصود بالقرءان كما ذكره العلماء : كل مايفهم به القرءان من العلم وغيره • أنار الله البصيرة • وطيب السريرة • وأسلم على سيدى على بن أحمد • وأعزيه فى الاخ المذكور (مسعود بن محمد التمجاطى المعدرى)

وكتب الى سيدى محمد بن العربى الادوزى :

الى ابن شيخنا سيدى محمد بن العلامة الفهامة سيدى العربى • السلام على الفقيه الاجل المرتضى المدرس الفهامة

وبعد : فنحمد الله لك على هذه النعمة الجليلة التى هيأها الله لعباده فان المطر ينفع القلوب كما ينفع الارض • ثم القصد ان تنظر لى من عندك شيئا من العنبر ان تيسر • فاننى توقفت عليه لدواء • ازاح الله عنكم كل العلل • وأبعد عنكم فيما أنتم فى معاناته من التعليم الملل • نعم ادفعه للحامل ان كان راجعا • والا فانظر ثقة يوم السوق يوصله الى • حفظكم الله ووقاكم وأعاد علينا من بركتكم ءامين

مسعود البريبيمى لطف الله به •

وكتب الى الفقيه سيدى أحمد بن على التزنيتى

من مسعود بن محمد الطالب • به لقب • البراييمى ثم المعدرى • الى الاخ فى الله والاحب من أجله • الفقيه السيد أحمد بن على التزنيتى • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وعلى جميع من تعلق بكم

وبعد : فالمراد منكم الدعاء لنا بالخير • هذا فلاترد عقلك الشيطان من الانس من جهة ابنك محمد • وأما أنا فما عدمته عند القراءة ولا عند الصف ولاغيره • وأنبهه على جميع الطلبة • ومثل ذلك افعله بجميع الطلبة • وأدع لابنك بتوفيق الله وسنة نبيه الكريم • وأجمعنا معه فى الدعاء • لان دعاء الوالدين مستجاب والسلام على من اتبع الهدى

وكتب اليه سيدى محمد المدنى بن أحمد بن الحسين بن على الناصرى التانكرتى الافرانى مانصه :

(الفقيه العلامة ، الصديق سيدى مسعود البراييمى البونعمانى ، باهى الله به ونوه به ، وسلام عليه ولاباس ، وسلم على النجباء البررة بنبيك ، والبدور المشرقة طلبتك ، والله الله فى قرة عين المصطفى فى احياء السنن دفعا للمحن واسداء المنن ، وأجمع طلبتك لان يدعوا لى ولاولادى بما ادعو لكم به من العلم والعمل ، والاخلاص فى الطاعة من غير علل ، ومتى زرت الاخوان بـ (تيزنْـمى) فنحن من جملتهم ، فقد دعيت لحضرتنا ، ليزداد بذلك ودنا ، ونقر بملاقاتكم أعيننا ولاتقطع عنا الرسائل ، اذهى من أعظم الوسائل والسلام)

أوردنا هذه المكاتبات مع سذاجتها ، لانها لاتخلو من فوائد تبين ماذكرناه عن صاحبها ، لان للآثار نفسا من المؤثر ، كما لاتخلو من بعض افكاره نحـو العلم ومما يظهر منه اعتناؤه بتنبيه تلاميذه ، فلئن لم يكن الاديب يجد بهذه الرسائل نماذج عليا فى الترسل ، فان للمورخ نظرة اخرى غير نظرته ،

والكتاب ليس للادباء وحدهم ، وقد ذكرنا هذا مرارا ، فليعلم وليعذرنا الطالع الراقى الفكر ، الضارب فى الاداب العليا بسهم مصيب

الآخذون عنـه

ان الاخذين عن الاستاذ سيدى مسعود المواظب على التدريس من نحو سنة ١٢٧٥ هـ الى سنة : ١٣١٩ هـ اى زهاء ٤٥ سنة يكثرون جدا ، وحين كنا لانذكر الا من لهم نجابة عرفوا بها بعد الاخذ ، لابد أن لايتيسر لنا الاعشرات لم لابد أن يغيب عنا اخرون ممن هم على شرطنا ، ولكننا نأتى بمن اتصلت بنا اسماؤهم ، ثم نعذر فيما وراء ذلك :

١ ـ ابنه محمد المعدرى
٢ ـ ابنه احمد المعدرى
٣ ـ محمد بن على المعدرى
٤ ـ محمد بن مبارك ايحيصر المعدرى
٥ ـ ابرهيم كَزْ'ور المعدرى
٦ ـ ابرهيم اولْقاسام المعدرى
٧ ـ أحمد بن مبارك الدشائرى المعدرى
٨ ـ محمد بن على الدشائرى المعدرى
٩ ـ الحسين بن بولوقت التزنيتى
١٠ ـ أحمد بن سعيد التزنيتى
١١ ـ على بن ابرهيم التازاروالتى ثم التنانى
١٢ ـ جامع بن محمد التازاروالتى ثم البوزاكارنى

١٣ ـ على بن عثمان التازاروالتى
١٤ ـ أحمد الخياطى العينى التازاروالتى
١٥ ـ أبوبكر الايكيوازى الاقاوى
١٦ ـ عبد الله بن الحسين الاموكاديرى
١٧ ـ عبدالله بن محمد الاموكاديرى
١٨ ـ محمد بن عبد الرحمن الاكرارى
١٩ ـ ابرهيم بن محمد الاكرارى
٢٠ ـ أحمد بن عمر من زاوية (اكّلو)
٢١ ـ عثمان الاكرارى الاكّلوبى
٢٢ ـ عمر بن الحسن الدهوزى البراييمى ثم العوينى
٢٣ ـ الحسين من آل بيهى التيزنيتى
٢٤ ـ محمد بن على بن عبدالله المزوارى الرسموكى ثم التنانى
٢٥ ـ محمد بن عبدالله التافكاغتى الواعزونى التنانى
٢٦ ـ الطاهر السملالى
٢٧ ـ اليزيد البلوشى الساحلى
٢٨ ـ أحمد بن الحسين التاغوسى البراييمى
٢٩ ـ أحمد أوركوك من (اكادير زكاغن) البراييمى
٣٠ ـ أحمد بوسكنسو ٠ بلدى المذكور قبله
٣١ ـ محمد بن عبدالله البوشيلى الايكالفنى البراييمى
٣٢ ـ محمد بن عبدالله اللحيانى الايكالفنى البراييمى
٣٣ ـ الحسن بن محمد من (أكادير زكافن)
٣٤ ـ محمد بوعلال التابربقتى البراييمى
٣٥ ـ بلخير التيمجاضى البراييمى
٣٦ ـ مبارك بن همو التيمجاضى البراييمى
٣٧ ـ على بن بيهى اليعيشى البراييمى
٣٨ ـ بلخير التيكاكى البراييمى
٣٩ ـ الطاهر بن بوجمعة من (اكادير أوفلا) البراييمى
٤٠ ـ عبدالله العيساوى البووالوسى البراييمى
٤١ ـ أحمد بن القائد يحيا البراييمى
٤٢ ـ الحسن بن محمد البونعمانى العمرى
٤٣ ـ على بن محمد العمرى البونعمانى
٤٤ ـ أحمد بن محمد منهم
٤٥ ـ الحسن بن الحسين منهم
٤٦ ـ محمد البراييمى العمرى منهم ٠ ثم التنانى

٤٧ ـ حميد التيمجاضي البرابيمي
٤٨ ـ علي بن مسعود التيمجاضي البرابيمي
٤٩ ـ عبد الله السنطيل نزيل (بووالوس)
٥٠ ـ محمد بن ابرهيم الاخصاصي التاجري
٥١ ـ عدي المجاطي العلوي
٥٢ ـ محمد البونيتي
٥٣ ـ محمد بن ابرهيم الهرواشي الباعمراني
٥٤ ـ محمد بن اسمعيل الالوزالي البعمراني
٥٥ ـ عبد القادر الوادنوني
٥٦ ـ الحسن الركائبي
٥٧ ـ محمد بن أحمد الركائبي
٥٨ ـ أحمد السنطيل السكرادي
٥٩ ـ محمد الايدغي
٦٠ ـ ابن الحسن الوجاني الامزوغاري البعقيلي
٦١ ـ عبد الرحمن العوفي
٦٢ ـ محمد الرفاكي المؤرخ
٦٣ ـ محمد بن عبدالرحمن الجراري
٦٤ ـ محمد الماسكيني
٦٥ ـ أحمد الماسكيني
٦٦ ـ علي السباعي الكسيمي
٦٧ ـ الحسن الماسي الاغبالويي
٦٨ ـ محمد بن الحبيب التناني التيغانيميني
٦٩ ـ محمد بن الطيب الاغربيي التناني
٧٠ ـ المدني بن الطيب التازاروالتي
٧١ ـ الحسن التيغمبيي البعقيلي
٧٢ ـ ابرهيم الاكجكالي التازاروالتي
٧٣ ـ أحمد بن محمد الاعرابي الاكلميمي
٧٤ ـ محمد بن أحمد الاعرابي الاكلميمي
٧٥ ـ الطاهر بن أحمد بن ابرهيم السملالي الساحلي
٧٦ ـ محمد بن الحسين البيشواريني الساحلي
٧٧ ـ ابرهيم بن يدير الساحلي
٧٨ ـ عبدالله بن الطيب الاغرابويي الاكماري التاضكوكتي
٧٩ ـ محمد بن علي التازاروالتي ثم البيفضاوي
٨٠ ـ ابرهيم أخوه دفين اسفي

٨١ - عبد الله أخوهما
٨٢ - احمد أخوهم
٨٣ - الحسن تَدْباكَنْر الاكلويى
٨٤ - عبد القادر بن الحسين العبلاوى
٨٥ - الطاهر السباعى
٨٦ - الحسن تَسكَّايْنض البعقيلى
٨٧ - محمد أوعامُو القاضى التيزنيتى

هؤلاء من وقفنا على اسمائهم من الافواه • ثم ان منهم من له شهرة تامة فى ميادين العلوم • تدريسا أو تاليفا أو قضاء • ومنهم من تنكبه السعد فلم يشتهروا • وانما استقينا اسماءهم ممن عاصروهم ويشاهدونهم فى المدرسة ويدركون أنهم نجباء • وقد حثنا من يحدثنا على انلايعدوا لنا الا من يدخل تحت شرطنا • لكن لابد أن يعلم ان بين مداركهم تفاوتا كبيرا • وربمايدخل فيهم أناس قليلون يقصرون عن شرطنا • ونحن معذورون

وقد كتبنا ترجمة كل من كانوا على شرطنا اودخل فى نطاق من كانوا على شرطنا فى كتابناهذا • كما ذكرنا البعض الاخر فى كتاب : (منافواه الرجال) فيما كتبنا عن سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد • ولذلك لمنعرج عليهمهنا

قول تلميذه المؤرخ الرفاكي فيه

(ومنهم شيخنا سيدى مسعود الطالبى نسبا • المجاطى قبيلة • البرايبيمى شرطا المعدرى دارا ومدفنا • الناصرى طريقة • أخذ رحمه الله عن سيدى العربى الادوزى • وحرفته التدريس فى مدرسة بونعمان أزيد من خمسين عاما (رأيت الحقيقة فيما تقدم • فلا تغتر بهذا) كان رحمه الله كثير التورع عن مظان الشبهة راضيا بالدون من المعيشة • هاربا من الاحكام بين العامة دؤوبا على الانصبة لزوما لاخراج اللطف كل ليلة بين المغرب والعشاء • مع كبار طلبته • محرضا لهم على اتباع السنة • وصلاة الجماعة • والحزب • واعراب الوقف الاول منه •

ومن أعظم كراماته الاستقامة على الكتاب والسنة • مابدل ولاغير • ولابتر أقام رحمه الله على الجهاد طول عمره فى العلم والعمل • حتى نال من ذلك غية الامل • ومع ذلك يرى أنه غير أهل لتلك المرتبة • وأكثر حاله ينشد :

يظنون بى خيرا وما بى منخير ... ولكننى العبد الظلوم كماندرى
سترت عيوبى كلها عنعيونهم ... وألبستنى -يارب- ثوباعلىالستر
فلا تفضحن يوم القيامة أعيبى ... ولاتخزنى اللهم فىموقف الحشر

وكان لايرفع صوته في المجلس الا بقدر مايسمع جلساؤه في العلم . وكان لايسال احدا من مال الدنيا . ولايرد على احد ما اعطاه مما لاشبهة فيه كما هو سبيل السنة . وكان ينزل الناس منازلهم . ويكرم كريم القوم ويهين الاراذل . لاسيما أصحاب الخصومات . فانه يفر منهم ويطردهم . وكان رحمه الله تاركا لما لايعنيه . مقبلا على اصلاح شأنه . هاربا من أمور العامة الا مالابد منه . ومع ذلك كان حريصا على مصالح المسلمين . مهتما بارشادهم . وحيث أكل الحصن الاسفل - من أيت ابراييم - لقى (بدراريا) - اى جبليا - عمر قميصه بالشعير وجعله على ظهره . والشعير يتشتت في الطريق . فقال له انالشرع لميجوز ذلك . فقالله : (أعْرف أسْنْتخدمْ) اى بالعرف نتمشى

وكنت عنده عام : ١٢٩٨ هـ فقرات عليه ألفية ابن مالك. لم يفتنى في مجلسه الا نصاب يوم واحد . وابن عاشر بالادوزى . والسملالية للكسور وشيئا من الزكاة لخليل . وكن يحرضنى على الصلاة على النبى صلى اللهعليه وسلم مع الطلبة عشية الاربعاء والخميس . فقلت له لم اجىء الا لقراءةالعلم لا للصلاة على النبى . فأسعفنى رحمه الله . وكان يقول لى : (رزقك الله سر وولاية جدك سيدى ابرهيم بن محمد . وفقه سيدى أحمد بن محمد -فتحا- ابن محمد بن عبدالرحمن . وكان هينا لينا . يلزم الاذان بنفسه . الاأنه يؤخر الصلوات كلها جدا . وذلك دأبه ودأب أولاده الى الآن عام ١٣٥١ هـ وجل تدريسه في الفقه وعلم الحساب والالفية . ويقول : هذا بارود البلدة . والغير كالبيان والمنطق والاصول . لايسألك فيه أحد . ويقرىء خليلا بنصاب الشريف . فيكمله في عامين سائر عمره . لايتخلف عن ذلك . يذهب يوم الخميس لداره بـ (المعدر) فيبكر يوم السبت . أويروح يوم الجمعة لايتخلف فسبحان الذى جعل البركة في تدريسه . ومع ذلك يغلبه النوم وقت الاقراء ولايخطىء الجادة . بنى رحمه الله قبة لزوجته السفينية فى المعدر . وفى الحقيقة انه بناها لنفسه . فهو رحمه اللهيسر الحسو فى ارتغاء (١) لما رأى الناس لايعظمون الا ذوى القباب وأبناءهم . أداء لبعض حقه وحق من انتمى اليه . فدفن فيها . ويقول رحمه الله لمن اشتكى من زوجته بعدم الصلاة

(تَنَّدْ أَرْيَنُونْ غْدَا زْمَاسْ أَرْتَّانُونْ)

معنى ذلك ان التى لم تترب تحت يد امها بالصلاة لاتتربى عليها بعد ذلك . لاتسألون عند الخطبة عن الصلاة . انما تسألون عن خدمة الدنيا حطبا وطحنا ودق الهرجان . ولذلك بليتم . توفى رحمه الله عن سن عالية ليلة الاثنين بعد العشاءين . أواخر جمادى الثانية عام : ١٣١٩ هـ

---

١) يسر الحسو الخ كناية عن طلب الشىء فى تحيُّل وعدم ظهور .

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم الشيخ الكبير الفقيه الشهير سيدى مسعود بن محمد الطالبى المعدرى سكنى • المجاطى أصلا • السملالى قبيلة ونسبا • أخذ رحمه الله عن العلامة العربى الادوزى • واشتغل بالتدريس فى مدرسة (بنى نعمان) أزيد من خمسين عاما • كثير الورع عن مظان الشبهات • راضيا بالدون من المعاش دؤوبا على أنصبته • وكان يحرض طلبته على التـقـوى • واتباع السنة • والصلاة جماعة • وصوم الايام المرغب فى صومها • وتقليل الاكل والشراب والكلام • مداوما على اخراج اللطف الكبير بين العشاءين فى تلك المدرسة • مع دوام الاستقامة • وكان لايرفع صوته بمجلس الدرس الا بقدر اسماع الطلبة • قنوعا لايسأل الناس ولايرد عليهم فتوحاتهم تطييبا لانفسـهـم • وكان ينزل الناس على قدر منازلهم • مقبلا على مايعنيه حريصا على مصالح المسلمين • هينا لينا يلـزم الاذان بنفسه سفرا وحضرا • يدرس الشيخ خليلا على أنصبة الشريف • لايتخلف سائر عمره عن الدرس • ولايلهيه عنه زيد ولاعمرو • وقد نفع الله به كثيرا من خلقه • وتخرج على يده طلبة لايحصون عددا • توفى رحمه الله ليلة الاثنين مـن جمادى الثانية • عـام تسعة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بـ (المعدر) وبنيت عليه قبة صالحة • ولم أر له الا بيتين من الشعر كتبهما الى بعض تلامذته وهما

سلام كمثل المسك يعبـق عنبرا ... على حضرة الخل الشريف ابن احمد

امام له فضل من العلم والتـقـى ... وعنسقه أبهى من المسك والورد

هذا ماتيسر كتبه عن شيخ الجماعة سيدى مسعود المعدرى • رحمه الله ونحسب ان القارىء سيعلم مما تقدم من هو سيدى مسعود المعدرى متى جرى ذكره بعد اليوم

أولاده

محمد سياتى مع أولاده
أحمد سياتى مع أولاده
الطاهر
ابرهيم
عـــلى

٤ ـ الطاهر بن مسعود : ثالث أولاده العلماء • من أنـجـب الشباب البونعمانى • وقد لازم صنوه العلامة محمدا حتى شدا كثيرا • وأحسب ولادته فى نحو : ١٣١٠ هـ لاننى رأيته سنة ١٣٢٧هـ فى موسم (الغ) شابا فرهدا

تجاوز حد البلوغ بقليل • وكان له من لطف «ال أسرته حظ وافر • فلم يعرف كيف التكبر • وقد رأيته فى ذلك الموسم يسبح نهارا مع طلبة (بونعمان) القادمين فى ركاب الاستاذ محمد بن مسعود • فى البير المسماة (أنواومفار) وسط الحقول امام الزاوية • فكأن حب الرياضة المأثور عن أخيه العلامة محمد سرى فى شرايينه أيضا • وأخبرنى الفقير سيدى بلعيد الصوابى : أنه كان يباسطه كثيرا ان ورد الى (بونعمان) فوجدت بين مقيداته أبيات استحضرمنها الحاكى هذا الشطر :

(سدى بلعيد سفينة الطريق)

وهو شطر ساذج القى على عواهنه • من غير مراعاة القواعد • ووقفت له على بطاقة صغيرة بين أوراق • يستدعى بها أحد أقرانه الى الغداء • نصها :

(الوحى الوحى • فقد تهيأ الغداء • وصرخت الامعاء • فان تاخرت بعد قراءة البطاقة لحظة عين • تجد الزلفة لااثر ولاعين) والسلام الطاهر بن مسعود وهى لعمرى رسالة لطيفة • تدل على رقة طبع • وخفة روح • وتمكن فى الادب • ولفظة الزلفة ـمحركة الحروفـ التى ذكرها للقصعة عربية فصيحة وان كنت أحسب أنه لايذكرها على أنها عربية • وانما يذكرها تفكها • ولذلك لابد أن تكون له «اثار • غير أننا لم نتصل منها الان بغير هذه البطاقة التى تسربت من بين أوراق بعض الطلبة البعقيليين • الذين أخذوا من (بونعمان) توفى معتبطا سنة ١٣٢٩هـ ولم نستحضر اليوم ولا الشهر • توفى فى (بونعمان) ودفن فى ضريح سيدى عبدالرحمن بوتينرط •

٥ ــ ابرهيم بن مسعود • كان شقيق المذكور قبله • ولدتهما السنطيلية الجراوية • ويوثر عن والدهما أنه لما تزوجها قال : أرجو ان تلد عالمين

أخذ عن أخويه الاستاذ محمد والاستاذ أحمد • أو كان أخذه مقصورا على الثانى غير أننى كنت أراه فى المدرسة البونعمانية سنة ١٣٣٢ هـ شاديا متقدما فهما لقنا • قد تكون نجابته مستمدة من قراءة غير قليلة • ثم لم يتجاوز الحاء ابا العباس حتى تمكن وجال فى مجالات المتفوقين فى كل الفنون • ثم انتقل الى المدرسة (الادوزية) بعد : ١٣٣٦هـ فلازم الاستاذ المحفوظ الادوزى ملازمة الظل • مكبا على التفهم • مجاذبا أطراف الابحاث مع الاستاذ • حتى كان يعد أنجب نجيب فى المدرسة • وكان يتعالى الى كل علم • مزاولا لكل فن • بحاثة عن كل دقيقة • مقتبسا من أستاذه الامعان فى المباحثة المتناهية • خصوصا فى المنطق والبيان والاصول • فقد انتخل من بين أبحاث استاذه كل حواشى الكتب التى يدرسها لهم • وكان فى يد ابرهيم نسخ من كتب أخيه العلامة محمد • فكان يستحضرها فى أوقات البحث • فيرجع الاستاذ المحفوظ الى ماتطرربه

تلك الكتب من أفهام العلامة ابن مسعود
وانقل من خطه ماياتى :

قال كاتبه : الضعيف ابرهيم بن مسعود ، يمدح شيخه سيدى المحفوظ بن عبدالرحمن الادوزى ، مستدعيا منه اقراء جمع الجوامع :

الجد أفضل حلية الانسان ... وبه يكون تفاوت الاقران
وتحاز كل مكانة عن نيلها ... قصر الكماة وكل ذى سلطان
ماأعطى الانسان أفضل منه من ... بعد الفراغ وصحة الايمان
ذو الجد يدرك مشتهاه وغيره ... فيما يريد يصاب بالحرمان
فاركب جوادك دائما ان شئت أن ... ترقى سماء المجد والعرفان
واكشف قناعك فى الذى يبقى ولا ... تمنح زمامك للحقير الفانى
واشغل بضبط العلم نفسك واستدم ... فيه عناء القلب والجثمان
وخذ الدليل امام صوب تنتحى ... فالعاسفون أضل ملغربان (١)
فاذا التقيت بعارف فاستمسكن ... بذيوله واملكه بالاحسان
مثل الشريف المفرد العلم الذى ... يسلى بصحبته عن الاوطان
أستاذنا المحفوظ من بمديحه ... تشدو الحداة باينق الركبان
شمس الهداية يستضاء بنوره ... وبرأيه فى حادث الازمان
ويزيل أغطية العويص فيغتدى ... صبحا يسوق هداية الاذهان
لله دره من امام زاهد ... جمع العلوم وما له من ثان
يكفيك منقبة كمال العلم فى ... زمن تراكم جهله فتان
ياسيدا نطقت أقاويل الورى ... بكماله فى السر والاعلان
انى اريد قراءة من فضلكم ... (جمع الجوامع) فزت بالرضوان

ثم بعد ما جاد الشيخ بالمسؤول كتب الى مانصه :

أذكى مسك أم ملاح غوان ... أم وصل حب هجره افنانى
أم فاتن اللحظات من ريم النقا ... لما بدا لملاحظى أردانى
ان ردت ودا منه بت مطامعى ... والصب لاينقاد للسلوان
أو ردت منه ان يميل لوجهتى ... اعتاض منهامنبت الحوذان (٢)
أم خير غالية أتاك اريجها ... أم فوح ند أم غناء قيان
أم طبنى هاروت بابل فاغتدى ... قلبى به خبل دعا هذيانى
أم ذى قواف لايدانى فخرها ... فى الحسن نظم الدر والعقيان
نعم انها هى بيد أن كمالها ... بالكنه يقصر عنه كل بيان

١) من الغربان ، ومثل هذا لغة صحيحة
٢) الحوذان : نبات

لم لا ومعرفة الفنون بأسرهـا ... حصرت لمنشئها العظيم الشان
مافضل ابرهيم ناظمها سوى ... نور على نور من الرحمان
فهامـة دراكـة علامـة ... قناص شراد العلا ميـقـان
بذ اللدات على حداثة سنه ... علما فليس لما حواه مدان
جلى بميدان العلوم وفات فـي ... حوز المآثر جلـة الاعيان
لاغرو فالتبريز فـي أسلافـه ... أصل وما لهم به من ثان
لهم المعلى فى القداح شريـعـة ... وحقيـقـة فـي غـايـة الاتقان
ومريد حصر كمالهـم بمقالـه ... يحيا كرائده بحذق جنان
أولاهم المولى عنايته التـي ... دامت وحاطهم من الحدثـان
وأنالنا مـن حبه القدر الـذى ... ما كاد يخطر قط فى حسبان

فكذلك قضى ابرهيم حقبة غير قليلة فـي استتمام دراسته حتى كـان أصوليا منطقيا بيانيا • فقيها متمكناً • نوازلياً بأهرا • أديباً بارعاً • فلكثرة ممازجة محبته بقلب أستاذه • زوجه احدى كرائمه • ثم ودعه بكل تـجلـة واحترم • وكنت رأيت قصائد دارت بينهما غير ماتقدم • فآسف الان حين لم اتمكن من بعضها • لاحلى به جيد ترجمته • فان اراد الحظ ان يتمم عليـه نعمته • فسييسر لنا ما سنلحقه كتصديق لما وصفناه به

كان هادئا ساكن الطائر • ككل المسعوديين • غير أنـه ليس بمطرق الرأس • بل كان فى الميدان مهاجما مدافعا • كما كنت رأيته سنة ١٣٣٢ ﻫ ولا اراه الاباقيا كذلك • بل تزيده بيئة (أدوز) المتنافية لبيئة (بونعمان) من الشجاعة الادبية ماتزيده

استقبل الحياة بأمل فسيح • فالتفتت اليه كل العيون • راجية أن يرأب ماكان انشعب منذ وفاة أخيه محمد العلامة • غير ان الدهر خؤون • والحمام لامثاله بالمرصاد • فلم ينشب ان اعتبط أيضا • فانطفأت جذوته المشتعلة • وذلك في صفر : ١٣٤٠ ﻫ فارمض كل الافئدة بالاسى المندلع فى الاضـلاع عليه ومثله من تذوب الافئدة على الرزء به •

قولة إبن الحبيب فيه

قال بعد ذكره لاخويه سيدى محمد وسيدى احمد :

(ومنهم اخوهما سيدى ابرهيم بن مسعود • كانت لهذا السيد قريحة حادة • وهمة عالية فى العلوم • لولا اخترام المنية • همته تناطح النجوم • وكرمه يشامخ الغيوم • وكان يتبجج بطلب المعالى • قيل للربيع : أتعبت نفسك • فقال : راحتها أريد • وقدأجمع حكماء العرب والعجم : أنه لم يدرك نعيم بنعيم قط • وما يدرك النعيم الا بالبؤس • قال الصاحب :

وقائلة لم عرتك الهمو م ورأيك ممتثل فى الامم
فقلت دعينى على حالتى فان الهموم بقدر الهمم

قرأ على أخيه سيدى محمد ، وكذلك العلامة سيدى المحفوظ الادوزى توفى فى (المعدر) ودفن عند والده وصنوه الاستاذ محمد فى مشهدهما

٦ ـ علي بن مسعود

لازم أخاه أبا العباس كثيرا ، فكانت له معارف حسنة ، وكنت أراه فى المدرسة (البونعمانية) سنة ١٣٣٢ هـ وقد لـزم صنوه ابرهيم فى المتون الابتدائية ، ثم فرق بيننا الدهر ، ولم أعد أسمع به ، حتى ذكر لى أنه كان أيضا حينا فى المدرسة (الادوزية) ثم لما توفى ابرهيم صنوه خلفه على زوجه بنت الاستاذ المحفوظ

ثم اننى سألت عنه الاديب الحسن البونعمانى رجل ءال مسعود ، فذكر لى عنه أن له مشاركة وان له ذوقا حسنا فى الشعر ، يستحضر منه مقطعات فائقة ، كما أنه ذو أريحية أدبية ، غير أنه أعرض عن معلوماته ، وفى سنة ١٣٥٧ هـ الماضية نحو أوائل رجب بلغتناوفاته رحمه الله ، والحقيقة أننى لم أدرك كيف مداركه كما هى ، وهو أصغر أبناء سيدى مسعود

فهؤلاء الذكور الخمسة من أنجبهم الشيخ سيدى مسعود ، وكانت له بنات اخرى ، صاهر بثنتين منهن الاستاذ عبدالرحمن العوفى ، ثم توفيتا معا ، كما صاهر بأخريات ءاخرين .

ثم بعد أن استوفينا الكلام على هؤلاء من رجالات الاسرة المسعودية ، نرجع الى ذكر المقصود أولا بهذه الترجمة وهو العلامة محمد بن مسعود

محمد بن مسعود

هذا العلامة الكبير أفضل عالم سوسى خاض أمواج العلوم منذ أجيال ، وأكبر مكب على مختلف الفنون بفكر ثاقب ، وذهن نفاذ ، وقد واتاه سعد السعود حتى كان له من كل مجد ماكان به فذا فريدا من بين علماء سوس فى عهده ، فهو فقيه متمكن ، وأصولى بارع ، وبيانى ماهر ، وحيسوبى فائق ، ومؤرخ محصل ، وأديب متفنن ، وشاعر لسن ، ونقادة مقدام ، وعالم عامل ، وصوفى ورع ، ثم هو وراء ذلك كله ذو شخصية مؤثرة فى قلب كل من يمر ازاءها .

قد يحسب بعض القراء هذه الاوصاف التى وصفناه بها فى عداد ماكان يعهده من الوصافين الذين ينثرون الاوصاف ذات اليمين وذات الشمال ، من

غير أن يراعوا الحقائق • فدفعا لهذا الحسبان ناتى للقارىء بترجمته كما نعرفها له • حتى لايخرج القارىء منها الا مقتنعا بان هذه الاوصاف جعلت حذاء بيد من يعرف كيف يقول ويراعى لسان حال الحقائق التى تسمع بأصواتها كل احد • علما منه بأن التاريخ كفيل بكفكفة الاوصاف المهلهلة المجرورة الاذيال حتى ينصع الموصوف كما هو

سنة ولادته

حدثنى رجال من أقرانه كالحسن بن محمد العمرى البونعمانى • والشريف ابراهيم بن محمد التازاروالتى : أن الاستاذ ولد حوالى : ١٢٨٢هـ ولابد أن يكون والده سيدى مسعود قيد ذلك لولوعه بالقلم فى أمثال هذه المواقف • غير أننا لم نجد من يجلو لنا الخبر الصادق • وربما نجد ذلك فنلحقه • وولد فى (ليمجاض) بأيت برابيم • (ثم علمت أن المكان الذى قيد فيه والده ولادته قد عراه محو • أخبرنى بذلك أخوه شيخنا أبو العباس • ولعل المترجم نفسه هو الذى محاه تورعا منه)

تلقيه للقرآن

اخذ القرءان عن استاذ يسمى الحاج محمد السرسيفى دفين (المعدر) وكان فى المعدر ماشاء الله • وهو فقيه صوفى أخذ عن العربى الادوزى العلوم والقرءان عن والده محمد ـ فتحا ـ ندعدى • أمضى عمره فى تعليم كتاب الله الى ان توفى ١٣٠٩ هـ عن نحو ٦٠ سنة كما أخذه أيضا عن الاستاذ الحسن التافشنى البونعمانى • هكذا أخبرنى رفيق له ويأثره عنه • وقال ان الاخير اخذ عنه فى مدرسة زاوية (أكلو)

أساتذته في العلوم

لم يكن الاستاذ محمد بن مسعود بذلك الجامد القنوع فى باب التعليم ولابذلك المافون الذى يقول ان والدى عالم لا أتخطاه الى غيره • اما تعصبا لوالده واما لما يقوله أصحاب البركة ـ لاأصحاب العلوم ـ من أبناء بعض المدارس المتصوفة الذين يقولون ان علمنا بركة لاأخذ • بل كان نهما متطلعا سالكا كل مسلك • طارقا لكل باب قاطفا لكل ثمرة • شاما لكل زهرة فبذلك امكن له من المشاركة التامة • ومن الفكرة الناضجة ما لايوجد عند كثيرين فى سوس • ممن نشأوا فى مثل منبته • فقبعوا فى حجور ءابائهم فحرموا بركة المعاصرين لابائهم • واليك أساتذته

الاول ـ والده مسعود هو أول أساتذته ، وعليه تعويله ، وبدروسه ترقى فكره ، وتفتحت قريحته ، وتحت ابطه خاض كل الفنون ، وجنى من كل الافنان ، وجرى في كل ميدان ، فحاز الخصل (١) والاكفاء من لداته ينظرون وكان بمنزلة الحدقة من عين والده ، يلحفه حبا جما ، ويرى له مالعله تفرسه من مستقبله ، فكان يحافظ على راحته ، حتى اذا نام في مجلس الدرس ـ وكثيرا مايكون كذلك ـ ويصير جيرانه من الطلبة ينبهونه بغمزه ، ينهاهم الاستاذ ، ويقول لهم : دعوه ، فان مايقسم له لايفوته ، وكان رحمه الله نؤمة طبيعة جبل عليها طوال عمره

ويوثر أن الاستاذ أخبر بعض أهل سره : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مناما ، فأراه مايكون لولده هذا من مكانة ، فنحن وان لم نكن من المنامات في شيء غير أننا أيضا لسنا من الذين يردون ما للارواح ، خصوصا الارواح الصافية ، وتلك أحوال لايعقلها الا العالمون ، والرؤيا تسر ولاتغر كما قاله الامام مالك بن انس

فيمثل هذه الحكاية ندرك مكانة الاستاذ المترجم في قلب والده الذي هو أكبر أشياخه منة عليه في تعليمه وتربيته وترشيحه للمعالي ، ثم كانت هناك ناحية أخرى كونت المترجم تحت نظر والده في هذا الطور ، وهي اندفاعه وراء الالعاب والرياضة ، كالملاعبة بالكرة في ملعب هناك ازاء (المدرسة) مشهور ، والغالب في تلك المدرسة اذذاك أن تكون ملاعب الكرة ازاءها ، يرتاض بها الطلبة في أوقات العطل ، خصوصا عشايا الخميسات وهذا شيء شاركنا فيه في مدارس (ايغشان) و (بونعمان) و (تانكرت) ، وقد اشتهر حب الكرة عن المترجم ، ولاريب أن المرح مفتاح الفكر السليم ، ونواة للاريحية التي تنكشف عن الذوق الادبي العالي ، وهذا بعينه ماجرى لابن مسعود فكان لهذه الناحية في حياته العلمية الادبية تاثير كبير حتى السباحة يالفها الطلبةاذذاك ، ويالما سبحنا فيالمسابح في مدارس (ايغشان) و (بونعمان) و (تانكرت) فحيا الله تلك الايام الحلوة التي قضيناها في غفلة الدهر ، وفي غرة العمر ،

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكانهم احلام ،

اخذ عن والده العربية بفنونها : لغة ونحوا وتصريفا ، ولم نعلم له في هذه أستاذا سواه ، ثم استتم هو بنفسه بمدارسة كتب اللغة ، حتى أدرك منيته وقد رأيت له توقيفات على نسخة من القاموس ، تدل على أنه يتتبع الكتاب من أوله الى ءاخره دراسة خاصة ، واستحضاره للمفردات اللغوية مما يدل على ذلك التمكن الذي لم يدركه فيه أحد من السوسيين الذين

١) الخصل كفلس : مايحوزه السابق في حلبة الميدان

عاصروه • ماعدا الاستاذ أحمد الجشتيمى • والشاعر الافرانى • وءاخرين فى محيطهما كالالغيين • وأما الادب الذى له مسيس خاص بفنون العربية لكونه كنتيجة لها • فانه انما درسه وحده • فقد اندفع فيه اجابة لشهوته المتفتحة لالتهام كل فن من الفنون أياكان • ولكونه لم ياخذه دراسة يتراءى للناظر الحاذق أحيانا قليلة من بعض نواحى قوافيه نقصان ما • ولعل هذا النقصان ناشىء من عدم اهتمام كبير بالادب عصرا طويلا • اكثر مما هو ناشىء عن عدم أخذه عن أستاذ • أو لعل النقص جاء منهما معا • وقد نشرنا فى (الرحلة الاولى) من كتاب : (خلال جزولة) أوليات من أدبياته

كما أخذ عن والده الفقه بفروعه • فاستحضر فيه استحضارا غريبا • حتى كان فى محاوراته مع الاستاذ المحفوظ الادوزى • ومع الاستاذاحمد بن محمد الفقيه الماسى يطفح عليهما بالنصوص • وكذلك مع كثيرين من أقرانه بل وقفت على حكم فى نازلة عرضه عليه العلامة أبو فارس الذى يعد فى سن والده • فيرضى منه بمايمليه فهمه • وهذه مكانة لايزاحمه أحد فيها من بين معاصريه

الثاني : أحمد بن ابرهيم الاكرارى

هذا العلامة المنطقى الحيسوبى من أساتذة ابن مسعود • كان يختلف اليه مع رفيقه الفقيه سيدى ابرهيم كزور المعدرى • ياخذان عنه المنطق • ويستعيران منه كتبه • يذهبان اليه فى أيام العواشر • اما الى داره فى (أكرار) واما فى مدرسة (تازاروالت) • وقد كتب اليه ابن مسعود رسالةلطيفةمذكورة فى غير هذا المحل • وأحمد هذا من الاسرة الاكرارية ألتى ستراها قريبا بين يديك ان انتظرت قليلا

وقد وقفت على اجازة للمترجم ابن مسعود بخطه • ونصها :

(بعد البسملة • والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • يقول العبد الفقير الى سيده ومولاه • العالم بسره ونجواه : أحمد بن ابرهيم بن محمد التومانارى كاتب هذه الاجازة • لطف الله به فى الدارين :

اجاز لى سيدى وسندى وشيخى الامام • والقدوة الهمام • والدنا المذكور فى جميع مقرواته ومسموعاته • واجزت كما أجازنى لحامله الفقيه الانجب الذكى الالمعى المنتخب : سيدى محمد بنمسعود الطالبى السملالى فى جميع المقروءات والمسموعات وأذنتله أن يروى عنى كل ذلك • كما أخذته عن والدى رحمه الله • عن شيخه المجتهد حافظ المغرب سيدى الطيب بن كيران عن الشيخ جسوس عن التاودى عن أبى حفص الفاسى عن سيدى محمد

ميارةعن ابن عاشر • عن المنجور • عن القصار عن سيدى رضوان • عن سقين عن ابن غازى • عن القورى • عن أبى موسى الجانانى عن أبى عمران عن شيخه عبد العزيز القروى عن شيخه أبى الوليد راشد عن ابى موسى المومنانى • عن أبى محمد بن عتاب • عن أبيه أبى عبدالله • عن أبى عبدالله بن عائد • عن أبى محمد بن أبى زيد • عن أبى بكر اللباد • عن يحيا بن عمر عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر • عن النبى صلى الله عليه وسلم • وأجزت له أيضا أن يروى عنى ماذكر بسند ءاخر • وهو أن والدنا المذكور أخذ عن حافظ المغرب والمشرق سيدى محمد بن عبدالسلام التامكروتى عن شيخه سيدى يوسف الناصرى • عن سيدى حسين الشرجيلى • عن قطب العارفين • وغوث المهتدين سيدى احمد بن ناصر نفعنا الله ببركته ءامين • عن سيدى محمد المصمودى • عن السراج عن ابن هرون سيدى على عن عالم الدنيا والدين محمد بن أحمد بن غازى • عن القورى • عن أبى موسى الجانانى عن أبى عمران • عن شيخه عبدالعزيز القروى • عن شيخه أبى الوليد راشد عن ابى موسى المومنانى عن أبى محمد بن عتاب • عن أبيه أبى عبدالله • عن أبى عبدالله بن عائد عن ابى محمد ابن أبى زيد • عن ابى بكر اللباد • عن يحيا بن عمر عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر • عن النبى صلى الله عليه وسلم •

انتهت سلسلة الانوار نسأل الله تعالى ان ينفعنا بهم فى الدين ودار القرار غفر الله لنا ولهم ولجميع المومنين والمومنات • الاحياء منهم والاموات بجاه المستمد للكل • بأنوار الهداية فى الارض والسماوات : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • وعلى ءاله وأصحابه • على يد كاتبه فى السابع والعشرين من شعبان عام : ١٣١٤ هـ عبدربه : أحمد بن ابرهيم بن محمد التومانارى ثم الاكرارى • وفقه الله

الثالث : الحسن بن أحمد بن ابرهيم السملالى الساحلى

من أساتذته أيضا • انقطع اليه حقبة • ياخذ عنه المنطق • لان هذا اتقن هذا الفن فى الحواضر • اذ كان من المتخرجين من (فاس) وأحسبه أخذ عنه أيضا البيان • أو اخذه عمن ذكر قبله • وتجد الحسن هذا عند ذكرنا للاسرة السملالية الساحلية التى ينتمى اليها فيما تقدم من هذا (الفصل نفسه)

الرابع : محمد بن أحمد بن حسين الاكلولى المسكن • والمنشأ التيمكيدشتى الكرسيفى الاصل • من أساتذته أيضا • كان يختلف اليه فيأخذ عنه بعض المعقولات وغيرها •

(وتوجد ترجمته بين أهله الكرسيفيين فى هذا (الفصل نفسه)

كتب الاستاذ ابن مسعود تحت اجازة ابن ابرهيم المتقدمة قريبا . وقد ارخت بسنة : ١٣١٤ هـ :

(الحمد لله . وفى هذه المدة فى التاريخ المذكور أيضا اجازنى الفقيه النحوى الولى الصالح المتبرك به . أبو عبدالله سيدى محمد بن أحمد بن حسين التيمكيدشتى ثم الجلوى (الاكلويى) وتلفظ بالاجازة . وقال مامعناه : اجزتكم فى كل ما وافق ظاهر الشرع . وقد اجازه هو شيخ الشيوخ الامام العارف بالله سيدى احمد بن محمد التيمكيدشتى رضى الله عن الجميع . ونفعنا بهم امين . كما أخبرنى بذلك . قاله محمد بن مسعود الطالبى . لطف الله به)

الخامس عمر الدهوزي البرايمي نزيل (العوينة)

من أساتذة ابن مسعود أيضا : أخذ عنه علم الفرائض . وقد تقدم ما نعرفه عنه عند افتتاح كلامنا فى سيدى مسعود . لانه ابن عمه

السادس : إبراهيم بيرعمان - ذي الجمال -

التيغانمينى الساحلى . العلامة الكبير من أساتذة ابن مسعود أيضا . أخذ عنه الحساب والفرائض . وكان فيهما اماما . قال الرفاكى فى ترجمة هذا العلامة :

(ومنهم شيخنا أبو سالم سيدى ابرهيم أبوالجمال(١) بيرعمان بتيغانيمين كان آية فى علم الحساب . يقصده الطلبة من كل ناحية فى العواشر . فيتواضع لهم وله حسن الخلق . قرأ فى (أدوز) . وفيه ملا حقيبته . قرأت عليه السلم فقط فى رمضان عام : ١٣٠٣ هـ فى مسجد (لمست) توفى رحمه الله : ١٣٢٠هـ)

وزاد ابن الحبيب أنه ممن أخذوا عن الحبيب السكرادى . وأنه حسن الخط نساخ .

أقول : لم أستحضر الان من ترجمة هذا الاستاذ الكبير ما يقتضيه مقامه العالى الذى لوح اليه هذان المؤرخان

السابع : محمد بن العربي الادوزي

من أساتذة الاستاذ ابن مسعود الكبار . وقد وفد الى (ادوز) فأخذ عنه

١) ترجمة بيرعمان بذى الجمال أفضل من أبى الجمال . لان اللفظة تدل على أنه صاحب الجمال .

قليلا وستقف على اجازة ابن مسعود الاتية للعوفى • وهناك مراسلة ذكر ابن مسعود فيها من بين آثار الاستاذ الادوزى ذكرت فى ترجمته فى (القسم الثالث) المتقدم • وقد رثاه ابن مسعود رثاء حارا باكيا يوم توفى • وقد ذكرنا ذلك فى ترجمة الاستاذ • وقد قال ابن مسعود هذه القطعة حين فارق (أدوز):

لله أيام تقضت فى (أدوز) … فيها اللبيب بكل معجزة يفوز
ما شئت من أدب ومن علم ومن … فكر لكل فهوم أبحاث يحوز
ياجنة الدنيا الضرورة الجات … للبين عنك ولم يكن مما يجوز

وقال أيضا فى ذلك :

سقيا ورعيا لمنزل كان به … أزهار روض حباها القطر مدرار
تزهو وتبسم تحيى من محاسنها … قلبا عليه لكل الهم اصدار
أنهاره صافيات من سلاستها … تذكر ودا صفا ما به أكدار
وتذكر الحب دمع عاشق بعدت … به وقد جرعته الصاب أقدار
والزهر تسقط والرياح تكتب فى … غديره ماله تخجل اسطار
والقطر ينقط والاغصان مائلة … تعانقت كغوان هن أقمار
تحمل ورق حمام وهى قارئة … بسجعها ورقا حفته أنهار
تذكر الصب وهى صادحات ضحى … مرابعا هى للوصال اسرار
لكن تسلى بناد ذى ندى جمعت … له الهواطل آصال وابكار
ذى فتية جمعوا لطيب اخلاقهم … مكارما ما لها فى الناس انكار
أعيان فضل وعلات لدى نسب … وحسب أصلهم غر وأبرار(١)
من فرع عبد الاله نجل يعقوب من … دامت له بثناء الفضل أعطار
ولايزل رحله المحط للفضلا … عليه روح تحيات وأنوار

الثامن : الحاج ياسين الواسخيني

ذكر لى أنه ممن أجازوا الاستاذ ابن مسعود • وقد ذكرنا فى ترجمته أن تلميذه هذا خاطبه بقصيدة منها :

واذ كان قلب الذكر ياسين فالذى … تسمى به قلب الانام بذا القطر
فان وفاق الاسم فيه لطيفة … بها وافق السمى فى محكم الذكر

ولم أقف الى الان على تمام القصيدة كما لم اقف على اجازته له

التاسع ـ الحاج أحمد الجشتيمى التملى العلامة الجهبذ • من المجيزين للاستاذ ونص الاجازة :

١) أولاد علات بفتح العين وتشديد اللام من أبوهم واحد وامهاتهم شتى • وعكسه أولاد أخياف

سلام كريم فائق المسك فى النشر — على من غدا فى العصر منزينة القطر
اخينا ابى عبد الاله الفقيه نجـــ — ــل سيدنا مسعود الاوحدالصدر
وبعد ، فقدكانت سيادتك ابتغت — من العبد ما يبغى من العلما الكبر
اجزتكم فى العلم والعبد كان عن — منازل أهل العلم منخفض القـدر
ولكن نوى اسعافكم بجميل ظنـ — ــكم فأبى اسعافه سابق القدر
الى يومنا هذا فقال أجزتكم — بما كان مرويا عـن الوالد البر
وعن غيره من كل شيخ لنا رضا — اجازة اطلاق لرغباك فـى الخير
واوصيك يامولاى مع ذاك بالتقى — ارب الورى فى حالى السر والجهر
وفضل ثبات والتحرز من هـوى — لنفس يغيب العقل فىسورة الخمر
وان تتوقى شرط شىء مـن الدنا — على حكم أو فتوى ولو كنت ذافقر
فذاك مـن كتمان منزل ربنا (١) — ولايختفى الا عن الفاقد الحجر(٢)
وتبذل جهدا فى العظات لمن ترا — ه مال عن النهج القويم الى البور
وتدعو للعبد الضعيف برحـمـة — من الملك الاعـلى وبالغفر للـوزر
لسال اله العرش ابلاغنا مـعـا — منانا بخير الخلق مع ءالـه الطهر
صلاة وتسليم عليه وءالــه — وصحبه فى الناس كالانجم الزهر

قال هذا وكتبه العبد الجاني : أحمد بن عبد الرحمن التملى لطف الله به

ونص الابيات التى استجازه بها بعد نثر لم نقف عليه :

واذ فاتنا أخذ الدراية عنكم — ففى بسط ما ذكرته بعض غنيـة
وان لم اكن أهلا لذاك ففضلـكـم — يغطى على جهلى ويجزل منيتى
بقيتم لاهل العلم والناس كلهـم — كهوفا لها ينحون فى كل بـغـيـة

ومما خاطبه به المترجم أيضا فى رسالة :

سلام كمثل المسك شيب بتسنيم — على شيخنا التملى من فم جشمليم
سلام يغار الورد من نفحاته — يزف بـــه لدار خلد وتـنـعـيـم
سلام كماازدانت بصوب مرابع الـ — ـوصال يزورها المشوق بتعتيم(٣)
سلام به تحيا ربوع احبـة — ربيع الورى غيائهم اهل تفخيم

وقد وقفت على بطاقة كتبها المذكور الى ابن مسعود ، تبين ان الاتصال بينهما دائم نصها :

---

١) يعنى بالمنزل القراءة
٢) الحجر بالكسر : العقل
٣) يقصد وقت العتمة (بالتحريك) اى الظلام

حفظ الله سيادة اخينا فى الله الفقيه البركة سيدى محمد ابن الفقيه البركة سيدى مسعود الابراهيمى • وسلام الله ورحمته وبركته عليه • وعلى سائر من اعتزى اليه • وبعد : فاشركنا أخانا فى دعائك • نسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق لما يرضاه • واللطف فيما قضاه • هذا وان مانسب الى من الحكم على على لاشك فى أنه زور على • والعياذ بالله • فاشهد على بذلك • وما ذكرت من الاسانيد • متى تفرغت له ياتيك ان شاء الله • والاذكار اخترت لك مايتلى فى الصباح والمساء • ممافى (الحصن الحصين) وغيره • واذنت لك فيه فليكن من أورادك واعذرنى أخى • فاننى فى شغل شاغل • نسأل الله تعالى أن يكفينا واياكم هموم الدنيا والاخرة • ويحسن عاقبتنا وعاقبتكم • ويحشرنا معكم فى زمرة أهل حبه • امين وسلام عليكم من العبد الجانى : أحمد بن عبد الرحمن التملى لطف الله به • امين

أتيت بهذه البطاقة ليظهر للقارىء أن الاستاذ ابن مسعود لم يكتف بتلك الاجازة الجافة • وانه متعال الى مايتعالى اليه امثاله من الاسانيد • وسترى اثر ولوعه بذلك فى اجازته الاتية للفقيه العوفى

العاشر : عبد المعطى السباعى • العلامة الجهبذ • من المجيزين لابن مسعود وقد لاقاه فى موسم (تازاروالت) فاستجازه بهذه الابيات :

ان دهتك صواعق الجهل فالجأ	لامام هداتنا (عبد معطى)
واغترف من بحاره قطرات	يغن قطر نداه عن فيض معط
أستجيزكم ولست بأهل	ولادنى عبيده القرم يعطى (١)

فكتب له الاجازة • وسياتى نصها فى الاجازة الكبرى لابن مسعود التى كتبها للفقيه العوفى • وقد أدخلها هناك • فاخترنا أن يراها القارىء فى ضمن ذلك

وعبد المعطى هذا : علامة جليل القدر • أخذ عن كثيرين من بينهم الشريف الكثيرى • وقد استوعب ترجمته كما هى ولده صاحبنا الاستاذ محمد الصغير فى مولف خاص • فى جزء وسط (٢) وقد بنى المدرسة فى مواطن السباعيين يدرس فيها فكان من أكبر من تخرج به شيخنا عبدالله ولده • ولم استحضر الان سنة وفاته

(ويذكر مع ولده شيخنا عبدالله فى القسم الثالث)

ومن شعر عبد المعطى : ماخاطب به المترجم

١) القرم بفتح فسكون : السيد

٢) توجد نسخة منه فى الخزانة العامة بالرباط

قسما بالبدور من كل حبر برقاه من الجهالة يبرى
بل قسما بكل بحر خضم ١ راحه تنهمى بدر وتبر
بل بحلم الحليم من كل طود لاتحل اللاوا له كل صبر
لابن مسعود الفتى نال اسمى مكرمات أخبارها دون خبر

الحادى عشر : محمد الضوء السباعى العلامة الكبير . من الذين أجازوا الاستاذ وكان يسكن حينذاك فى أيت بعمران . ولانعلم عنه شيئا . الا أنه هرب أمام الحكومة فسكن فى أيت بوعمران ماشاء الله . ولهذكر هناك الى الان . وسترى فى اجازة ابن مسعود للعوفى الاتية بعض اجازته وبعض اساتذته

الثانى عشر : وقفنا على اجازة انسان يسمى محمد بن محمد الجزولى . اجازبها ابن مسعود . لم نعرفه الان . نص اجازته :

الحمد لله الذى رفع الذين أوتوا العلم درجات . وأذاقهم حلاوة التحقيق التى حصر فيها المحققون اللذات . وآتاهم من الحكمة خيرا كثيرا . فهم باذنه سابقون بالخيرات . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من أسند عنه العلماء والرواة . المويد بان أوتى السبع المثانى والقرآن العظيم والمعجزات وعلى آله الطيبين الذين طهرهم الله تطهيرا . وأصحابه المشمرين عن ساق الجد فى اتباع شريعته وتبليغ سنته تشميرا

وبعد فلما كان أحق ماصرف اليه اللبيب عنان الاعتناء . وآكد ما انفق فيه الاريب يواقيت الاوقات بالصدق والرغباء : التحلى بحقائق العلوم . واحراز قصب السبق فى ميادين دقائق الفهوم . وكان ممن أولع بالعلم واستطلاع بدوره واستكشاف أنواره . وأحكام أبوابه وفصوله . والتضلع بفروعه وأصوله . وافادة مكنون درره . والانفاق على الضعفاء امثال من جواهر بحوره . وأرواء الظماء من عيون عيونه واغناء المستضعفين من افنان رياض فنونه . علما منه بان العلم نعم المقتنى والمقتفى وانه الكنز الذى لاينفد بالانفاق . وليس وراءه مايصطفى . الفقيه الاجل العلامة الامثل . المتفنن المشارك مع حسن الاجادة . المعتكف على الافادة والاستفادة ابو عبدالله سيدى محمد ابن الفقيه البركة العلامة . الدراكة شيخ الجماعة سيدى مسعود الطالبى الملازم لمدرسة (بنى نعمان) من قبيلة أيت برابيم لبث العلم ونشره وازالة سهكة (٢) الجهل ببذل طيبه ونشره . حتى نال منه الحظ الاوفر . ونيل منه النصيب الاكبر . وكان الاعتناء بالاجازة من شان ذوى الهمم العلية لما فيها

---

١) كذا
٢) سهكة الجهل بضم السين وسكون الهاء : اى عاره وذله . والسهكة فى الأصل : تطلق على صدا الحديد ، وعلى الريح الكريهة من أى شىء .

من الاسناد الذى هو من خصائص هذه الامة المحمدية • فلم يزل أهل العلم والفضل يعتنون بها • ويرون طلبها من الخصال المرضية • ويتقربون الى الله بها • قال محمد بن حاتم : أكرم الله هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد • وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها • وكان الفقيه المذكور من خاصة أحبائنا وممن يوثرنا بصفاء المودة • وتكرر منه طلب الاجازة منى • وأنا والله أحق أن أجاز • وممن الزمهم القصور والتقصير الاعجاز • ولكن اجبته لذلك مساعدة لصلاح نيته وصفاء طويته • وعلما بأن لكل امرىء مانوى • وأن كل قلب يجازى بما حوى • فقلت مستعينا لسم الله الرحمن الرحيم سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم • قد أجزت الاخ فى الله الفقيه المذكور فى كل ماتصح له عنى روايته • أوتنسب الى درايته • من منقول ومعقول • وفروع وأصول • اجازة تامة شاملة مطلقة عامة بشرطها المعتبر • وقيدها المقرر • موصيا نفسى واياه بتقوى الله العظيم • كما أوصانا مولانا الحكيم بقوله : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) وطالبا منه أن لاينسانى من صالح دعواته • والله أسأل أن يصلح من جميعنا القول والعمل • وينيلنا والمسلمين غاية الامل • وعلى الله سبحانه الاعتماد واليه جل وعلا الاستناد • فهو يهدى السبيل • وحسبنا الله ونعم الوكيل وكتبه العبد الضعيف الذليل الحقير • المفتقر الى رحمة مولاه الغنى القدير : محمد بن محمد الجزولى المالكى التجانى • كان الله له ولجميع المسلمين • والحمد لله رب العالمين •

الثالث عشر : الحاج محمد البارغي البعمراني

الفقيه الصالح المشهور • كان يختلف الى الشيخ سيدى مسعود • ومشربهما واحد • فبذلك يتصل به ابنه المترجم • فيأخذ عنه فوائد كثيرة • يعده بها من جملة أشياخه • كما ذكره لى من كان يخالط المترجم • وسترى ذلك وبعض اجازاته له فى الاجازة العوفية

أخذ الحاج محمد عن الشيخ سيدى أحمد التيمكيدشتى وعن ولده سيدى الحسن وعن الادوزيين • وكان من الكارعين فى نطفة الشيخ • ومن المتقلدين بمعارفه وقد لازم حينا ولده سيدى الحسن • ثم أخذ بالرواية عن محمد الضوء السباعى الماضى • ثم كان من كبار المرشدين الائمة المقتدى بهم • الموقوف عند اشارتهم وكان جبلا راسخا فى أخلاقه • لاتهزه العواصف • ولايؤثر فيه مؤثر • وله مقام كبير عند البعمرانيين • وجلهم من أصحابه لانه متصدر لتلقين الناصرية وكان بعيدا كل البعد عن الدعوى • وعن التظاهر بمظاهر الخاصة من العلماء ورؤساء الطرق • وعادته أن يختلف الى الكبار فى عصره فيفيد ويستفيد

كابن شيخه سيدى الحسن التيمكيدشتى • وكالاستاذ ابن العربى الادوزى وكوالده سيدى العربى وكسيدى مسعود البونعمانى • وأحيانا يقدم الطائفة الناصرية الى جهة حاحة • يرشد الناس ويعظهم • ويهديهم الى سواء السبيل كما هى عادة العلماء الناصريين ومقدميهم منذ قرون • وكان يمر اذذاك بالاستاذ سيدى عبدالله الركراكى المزارى الكسيمى • فيأخذ عنه هذا معلومات كما ذكره له بعض تلاميذه • ثم حكى أنه رأى منه روحانيات وكشوفات • يكون مثله فى استقامته أحق بها وأهلها • من رؤية الرسول مناما • كما تواتر عنه ذلك • ولكنه لايغتر • فلا يبالى بذلك • وحكى لى بعضهم أنه وافقه مرة فى (سوق الخميس) بايت بوبكر فى أيت بعمران • فصلى بالناس الظهر ثم التفت اليهم يثنى على استكانتهم وراءه فى الصلاة • فلا حركة ولاتنحنح يريد بذلك أن يحثهم على لزوم ذلك • غير أنه لسكون طائره يعظ باللطف وكانت كسوته كسوة أهل السنة • كما كانت كل أحواله • وبالجملة أنه من افاضل وقته نسكا وتباعدا من الدعوى • وعلمه كما يظهر لى حسن • وانما انطراحه هو الذى لم يظهر بسببه له عمل بارز بين معاصريه • فلم يكن يتداخل فى النوازل والافتاء • ولا كان يشارط فيدرس • بل كل عمله فى الارشاد • وكان فى كل ربيع أول • يقدم طائفة تلك الجهة الى (تيمكيدشت) الى أن توفى ثم خلفه فى ذلك ولده الحاج محمد الى الان ١٣٥٧ هـ يمر دائما بالغ بوفده •

وولده هذا له أيضا طرف من المعارف • أخذها من (أدوز) فذكر عنه حال حسن • ورثه عن والده • وقد حج سنة ١٣٥٦هـ (ثم توفى بعد ذلك) واسرتهم علوية النسبة • كما ذكره ابن العربى الادوزى والباراغيون يوجدون فى أيت بعمران • وفى كدميوة فى حوز مراكش • ووجد بخط المذكور : أن الذين بالحوز من أحفاد محمد الباراغى العلامة دفين (تانكرت) بافران • ويعيش اواسط القرن التاسع بعد ٩٥٨ هـ

وقد وقفت على مقيدات نقلها الاستاذ ابن مسعود عن سيدى محمد أباراغ يظهر منها اعتناؤه الكثير بالمقيدات • من بينها مانقله عنه فى رسالة منه اليه:

(ومما اخبرك به ياسيدى : أن بعض اصحابنا من تلامذة الشيخ التيمكيدشتى اخبرنى أن بردا عظيما وقع فى جبال هشتوكة • وزنت قطعة منه فوجد فيها اربعة أرطال • بعد ماذاب منها ماشاء الله • وقد هدم كثيرا من الديار • وأفسد الفدادين • بحيث لايمكن الانتفاع بها الا بعد ثلاث سنين وقد قلع الاشجار من أصولها وأحدث أودية عظيمة جدا • فنسأله تعالى اللطف لنا ولجميع المسلمين •

واخبر أيضا ان ذلك البرد اختلط مع ريح عاصفة • واتفق أن رجلا

طلع لسطح داره • فرفعه وطرحه فى نحو ميل ميتا • ووجد رأسه • أو قال عنقه دخل فى صدره • نسأل الله السلامة والعافية • والسلام

قال الرفاكي فى الحاج محمد الباراغي

(ومنهم الفقيه الربانى • الواعظ الصمدانى • من له راية الارشاد • وخطابة فى كل ناد • أفنى عمره فى نصح العباد • بصميم الجد والاجتهاد • سيدى : محمد -فتحا- بن ابرهيم اباراغ البعمرانى بلدا • السملالى نسبا• الناصرى طريقة • قرأ فى (تيمكيدشت) وبان فيه سرهم • وقد لزم زيارتها فى كل عام عام • وكذلك ابنه سيدى محمد لازم زيارتها اكثر من اربعين عاما فهو مقدم الزائرين فى كل سنة • قال بعض المرابطين لسيدى الحسن بن أحمد : ان علم اباراغ كعسل فى جلد كلب • فقال سيدى الحسن : استغفرالله فعلمه عسل فى ماعون طيب أرج • وكفاه رحمه الله منقبة • اذ شهد له القطب والمنقبة التى لامنقبة فوقها كماقال الشعرانى هى الاستقامة • فهى ديدنه ووكره الى ان توفى ٢٢ - ٣ - ١٣٣٢ ﻫ وبنيت عليه قبة حافلة • وقد عين رحمه الله سملالة • - أى الشرفاء السملاليين - فى أيت بعمران • كما وجدته بخط سيدنا سيدى محمد بن العربى الادوزى • قال : منهم أهل (بوكرفا) من ذرية الشيخ سيدى ابرهيم بن عبدالله صاحب القبة ببوكرفا وذريته كانوا بـ (أيت يعزى) و (ادموساكنا) و (تيليوين) و «بيفورنا» الخ ماذكره

وابرهيم بن عبدالله المذكور لم نعرف الان تاريخه • وعليه مشهداؤاء مدرسة ويقام عليه موسم الى الان • والمشهور فى تلك الجهة : ابرهيم بن ابرهيم ذكره فى الطبقات والوفيات • قال عنه فى (الطبقات) :

(ابرهيم بن ابرهيم البعمرانى النازل بابى كرفة • كان رضى الله عنه رجلا صالحا خيرا • فاضلا دينا من أصحاب الشيخ الولى الكبير ابى محمد عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم الحاحى • وتوفى رحمه الله سنة خمس وثلاثين وألف) وقال فى (الوفيات)

(المرابط سيدى ابرهيم بن ابرهيم البعمرانى النازل بابى كرفة • من أصحاب سيدى عبدالله بن سعيد • بن عبد النعيم الداودى • اخبرنى ولده سيدى عبد الله فى كتابه الى أنه توفى ليلة الثلاثاء الموفى عشرين من ربيع الثانى عام خمسة وثلاثين وألف)

أتينا بالترجمتين ليرى القارىء كيف يترك صاحب (الطبقات) بعض فوائد مما ينقله عن (الوفيات) وعلى مشهد ابرهيم موسم سنوى كبير يقام الى الان • ولضريحه سمعة كبيرة •

اما ولده عبد الله بن ابرهيم المذكور ، فلم اقف له على ذكر ، ويذكر في الالسنة انه عالم صالح مذكور فى عصره ، وتكون وفاته فى اخريات الحادى عشر بعد اواسطه ، ولعل ذلك بعد : ١٠٧٤ هـ لاننا لم نر من صاحب الوفيات اعتناء بجمع الوفيات وبمكاتبات الجهات الا بعد ذلك ، والله اعلم ، ولابد ان يكون من تلك الاسرة الشريفة من أبناء ابرهيم بن عبدالله علماء ، ولكن لم استحضر منها الانشيئا ، وقد قيل لى ان الضحاكى القارىء المشهور منهم لم يثبت عندى ذلك حقيقة ، وقد ذكر الضحاكى فى ترجمة تلميذه : جامع اليعمرانى فى (هذا الفصل)

(ثم اننا وقفنا على عالم من بوكرفا ، يغلب على ظننا أنه من أولاد ابرهيم بن عبدالله ، يسمى : عبدالله ،

قال فيه الرفاكى :

(ومنهم حفيدنا المشارك السيد عبدالله بن ابرهيم بن محمد بن بكريم البوكرفاوى ، ربيته فتعلم منى وخدمنى فلم أر منه غشا ، فهو أمين حق أمين فلما قضى نهمته بعد مالازمنى ازيد من عشرين سنة ، ودعته مرضيا عنه ، وشارط فى مدرسة (بنى مسعود) بالاخصاص ، ثم انتقل الى مدرسة (أيت يعزى) بيوكرفا ، فاستقر بها الى ان توفى فى ١٣ ـ ٣ ـ ١٣٣٨ هـ رحمه الله والمزاد عندى ابن اسمه أحمد كتب الى قطعة هذا نصها :

أمولاى يا من علمه أنقذ الورى	من الجهل لازلت الهلال المنورا
هنيئا لك النجم الذى نجم سعده	بدا فغدا للدين طودا مقررا
فبارك فيه الله نجلا قد ارتوى	بمجد وفاز بالعلوم مظفرا
وبارك فى أخواله الشم أنهم	خيار الورى ومثله لن يدمرا
جياد المدى منى العفاة وأقطاب ال	ـمفاخر من عاداهم صار مدخرا(١)
على سيدى شمس المكارم والعلا	تحية عبد كان ملكا بلا شرا

وله غير ذلك

انتهى قول المؤرخ الذى نعلم منه ان هذا الانسان اديب كما ترى ، وبالبتنا وجدنا آثاره

هؤلاء الثلاثة عشر من الاساتذة هم الذين عرفناهم من مشيخة الاستاذ ابن مسعود ، ومثله فى همته ، لو كان فى الحواضر لكانت له مات من الاساتذة حيث تنفق أسواق المعارف ، ويتسع الميدان لذوى الهمم السباقة كهمة الاستاذ محمد بن مسعود ، لكنه فى البادية الضيقة يكاد يهمل ، وان ادرك ما لم يدركه أقرانه ، واعتنى بالرواية ، فى حين أن معاصريه نسيها غالبهم

١) كذا البيت فى الاصل

تصدره في المدرسة [البونعمانية]

في سنة : ١٣٠٩ هـ أقلع والده عن تلك المدرسة ، وألقى مراسيه في (سيدي مزال) ثم في (المعدر) تاركا الميدان لولده ، وقد غادر هناك من نجباء التلاميذ من يذر من أجلهم الاستاذ الجديد النوم الذي كان يتسلط دائما على جنبه مرغما ، ولايدفع الانسان الى السهر ، ولا الى الامعان في الاستعداد الا اللدات الذين لابد ان يكون بينهم من لايكون سؤاله أثناء الدرس الا تعنتا ، وهذا ماكان ، فان ابن مسعود لم يكد يتصدر هنالك حتى توجه بكل ما أوتيه لاستحضار الدرس ، فيطفح بالابحاث ، حتى أرغم لداته على ان يكونوا أمامه تلاميذ عن جدارة ، ثم لهم الفخر بذلك ، فوقع لابن مسعود مثل ماوقع لابن العربي الادوزي يوم خلف له والده مدرسة عامرة فيها مائتان ، فقد مثل كل واحد منهما دورا عجيبا ، وضربا معا من جدهما وادمانهما في ذلك الدور مثلا عاليا يوقظ الوسنان ، وينشط الكسلان وان كان مابينهما غيرسواء ، فابن العربي المولود سنة : ١٢٤٩ هـ يكون له سنة (١٢٨٦هـ) ثمان وثلاثون سنة ، قضى اكثر من عشرين منها بين يدي دراسة والده ، فلايكون يوم يتصدى لادارة الدراسة العامة في المدرسة الا قارحا منجذا (١) بخلاف ابن مسعود المولود نحو : ١٢٨٣ هـ فانه لايكون في مثل ذلك المقام سنة : ١٣٠٩ هـ غير ان السنين في مثل ابن مسعود لاينبغي ان تعد ، فانه يقطع في شهر ، مايقطعه غيره في سنة ، بهمته الدائمة في التقدم ، وقد اخبرني الاستاذ الحسن بن مبارك البعقيلي المعدري : أنه رأى في حاشية بعض كتب الاستاذ التي كان يأخذ بها طررا عجيبة من بنات فكره ، وأحسبه ذكر لي (المحل) قال وذلك مكتوب قبل : ١٣١١هـ فهذا مما يدل كل الدلالة على أنه يوم تقدم الى الميدان لم يكن الا متمكنا بارعا ماهرا ، لايوخذ على غرة ، وما ذكرنا ماذكرناه من مماحكة الاقران الا لان ذلك أمر معتاد أن يكون ولابد لمثله في مثل تلك البيئة التي انتقلت اليه فيها الادارة العامة في ساعة ، من يد أبيه الى يده ، فلابد أن يكون هناك نجباء لايرضخون لفهمه الا مرغمين ، ثم يتحولون بسرعة ثناء عظيما على الاستاذ الجديد ،

عصر دراسته الذهبي

لم يكن الاستاذ قط ملقيا وراءه ظهريا الدراسة كل الالقاء في كل اطوار حياته الاتية ، غير أن ذلك منقسم الى طورين متباينين ، الطور الاول من يوم

١) القارح : اى مكتملا قادرا ، وكثيرا مايستعمل في ذوات الحافر ، ومنجذ مجرب ناضج

لول ادارة الدراسة الى نحو ١٣١٦ﻫ والطور الثانى من ذلك العهد الى أن توفى سنة : ١٣٣٠ ﻫ فلكونه فى الطور الثانى ماخوذا بفكرة صوفية روحية غلابة كانت تتخلل دراسته السائرة بعض أيام تشغر من الدراسة بسياحات صوفية • يندفع اليها بلاشعور • وقد غلب بما استولى عليه من سكرة الخمرة الروحية • ثم لم يهدأ ويلزم الدراسة ثانيا بنظام الا بعد ان اتصل بشيخه الصوفى الاخير الذى كان يحثه على ذلك • وبهذا الطور الثانى يتجلى كماهو للقارئ بعد حين • وأما الطور الاول • فهوعهد متماسك الحلقات فى التدريس والافتاء والقضاء • وتحرير المسائل • وقد سادت فيه أمواج زاخرة حصلت كلها للعلم فقط • لم يتجاوزه الى غيره

حقا ان مابين : ١٣٠٩ ﻫ وبين : ١٣١٦ ﻫ هو العصر الذهبى من حياة ابن مسعود الدراسية • فقد امتدت أمامه جواء الافهام الفسيحة • وخامرته سورة المعارف التى أخذت عليه لبه • فظهر بمظهر عالم كبير • يزاحم معاصريه من العلماء باكتاف عريضة • دراسة وافتاء وقضاء • فبينما يوالى فى محفله بالمدرسة دروسا حافلة اوسع من عهد والده • بما اهتم به هو من كل الفنون فجعلها يومية لازمة كالبيان والاصول • والمنطق واللغة والادب • والحديث والتفسير • بينما هو يتابع ذلك كله لتلاميذه الكثيرين • اذابه يجاذب فى النوازل كبار العلماء • فيرد على ذاك ويؤيد هذا • ويؤلف ضد زيد • ويفتى تأييدا لعمرو • حتى ان عبارته اذذاك عبارة فقيه • اندفع بقوة فهمه • فيستحلى فى رده امثال هذه العبارات صدر رد له على بعض المفتين :

(أما بعد ، فقد قرأت ردك • الذى استفرغت فيه جهدك • فرأيتك ابعدت النجعة • وانأيت عن الاصل فرعه • كانك لم تكن من ترتيب المقدمات على ذكر • ولم يجر ذلك قط منك على فكر • حتى شرقت وقد غربت القضية وأتهمت بادلتك وقد انجدت المسالة الى الناحية النجدية (١) الخ)

محاذبته الاستاذ المحفوظ الادوزي

كان الاستاذ المحفوظ مشارطا فى مدرسة (سيدى بوعبدلى) وهى قريبة من المدرسة (البونعمانية) بنحو فرسخ • وكان من لدات ابن مسعود سنا وعلما • وفهما وذكاء • وتطلعا الى الاخذ بنواصى المعارف • فالتقى ليث بليث ــ وللالتقاء بشر باسده الذى ساوره تلك المساورة التى سجلها فى قصيدته الرائية فقد تجاورا هناك فى ميعة شبابهما وفى فجر حياتهما العلمية • وقد وقع الاقبال الكبير على كليهما • فلم ينشبا ان جريا معا فى ميدان النوازل •

١) أتهم قصد تهامة • وأنجد توجه الى نجد • وهما اقليمان من جزيرة العرب

فتخلصا الى مجاذبة النصوص فى النوازل التى يعتورانهما • فيطفح كل واحد منهماعلى قرنه بسيل من الادلة • حتى اشتهر مابينهما خصوصا فى مسألة فقهية (لم أستحضر موضوعها) فقد تجاذبا فيها بالايدى • وتراشقا فيها بالادلة • حتى أكثرا جدا • فصادف سيدى مسعود الاستاذ ابن العربى فقال له ماهذه المجاذبة بين ابنى وبين سيدى المحفوظ • فقال له ابن العربى : دع الشابين يتلازان ماطاب لهما ذلك • ويظهر كل واحد منهما مقدار ذكائه • وحدة تعلقه • والا فالمسألة منصوصة لاتحتاج الى كل هذا • ونأسف نحن حين لم نقع على موضوع هذه المجاذبة • ولاعلى ماكتباه معا فى ذلك • ولعل الباحثين يقعون على ذلك • فيفضلون به على التاريخ • انكانت هذه المجاذبة حقا كما يجرى على السنة المفتين الذين يعتمدون على الحجج والبراهين (ثم علمت أنها عند الادوزيين)

مجاذبته للاستاذ أحمد بن محمد الفقيه الالياسي الماسي

ليس بعجيب أن يبرز ابن مسعود الى الاستاذ المحفوظ الذى كان لدته سنا • واقتصارا على المآخذ فى سوس • بل العجيب أنه برز الى مقام يكون فيه أهلالان يسأله علامة ماسة الذى اخذ من الحمراء • عن مسألة اخرى • بل مسائل منبينها الرهن المشهور فى البيوعات • وقد وقفت على نفس السؤال وماكتبه الاستاذ جوابا • وقد أدرجنا ذلك فى (المجموعة الفقهية) وذلك من أنفس ما رأيناه للاستاذ فى الفقهيات • الممزوج بغيرها استطرادا • وهذا هو الذى سماه (سلوة الاسى فى جواب الماسى) (وقد ترجمنا هذا الاستاذ واسرته فى القسم الخامس)

ابن مسعود قاض كبير

فى هذا الطور العلمى الذهبى فى حياة ابن مسعود العلمية جال فى مجالات فسيحة فى القضاء بين الناس بطريقة التحكيم • وكان يأخذ ماكان معتادا أن يأخذه أمثاله • فكانت منزلة والده قبله وسمعته مما أمال اليه كثيرين • علما منهم بانه مظنة عدم العسف فى قضاياهم • وانه لايقع فيما يقع فيه أقرانه • لان تربية والده تمنعه من ذلك • وكان والده نفسه يرضاه لهذا المركز • علما بأنه لايقول الا الحق • فلئن كان هو لم ينزل الى هذا الميدان فلم يكن بجاهل أنه ميدان شريف ان سلكت فيه الطريقة المثلى • ولايمكن لكل العلماء أن يتفصوا منه والا لضاع الشرع • وفسدت الامور • وتولاها الجهال وكل مندرس أول شرح التاودى على (التحفة) لايخفى عنه ذلك • وانما الناس يتفاوتون بالاستعداد النفسى لهذا الميدان • فحين كانت نفسية سيدى مسعود

لايمكن معها الجرى حول هذا • فانه غير مانع ولده بعد أن عرف نزاهته ان ينزل اليه • وأن يجارى فيه العلماء • وهاك بطاقة تدل على رضا سيدى مسعود لولده بمزاولة فض النوازل

(من مسعود بن محمد لطف الله به • وبالمكتوب اليه ابنى محمد ملازم مدرسة (بونعمان) فى الوقت أصلحه الله وأعانه على طاعته وحفظه • وبارك فيه • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وعلى جميع من تعلق بكم

وبعد : فالدعاءلنا بالخير • وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم واتباع الحق • وملازمة الصلوات الخمس فى الصف فى أوقاتها • أعاننا الله واياكم على طاعته • هذا فحامل الحروف الطالب سيدى مسعود بن على الاكراعى (العل) أعلم انى رفعت نازلته مع خصمه احمد بن محمد التزنيتى الى يدك لتفصلها ان شاء الله بالحق • والزم الصلح بينهم والمشاورة والتأنى والتثبت حتى يظهر لك الحق • وفى الحديث : من تأنى أصاب أو كاد • ومن تعجل اخطا أوكاد • وفى الحديث : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة • جعلنا الله واياكم من أهل الجنة • بالنبى وآله والبخارى ورجاله • واقرأ السلام منى على جميع الطلبة • وابنى أحمد • وقل له أن يوصلنى اختكم ونودعها لله لتقرأ ان شاء الله فى أدوز)

لاريب أنك لاتستنتم الرسالة حتى تعرف النفسية التى يحب سيدى مسعود ان ينزل بها ولده الى ميدان فض النوازل • وذلك كاف فى النزاهة التى نعرفها من الاسرة المسعودية • ثم تدرك وراء ذلك اهتمام سيدى مسعود حتى بتعليم بناته • فانه سخا بها فيرسلها الى (أدوز) فى دار الاستاذ محمد ابن العربى الذى اعتنى كذلك ببناته يعلمهن • وكانت اذذاك والدة مولف هذا الكتاب تتعلم وقد ذكرنا ذلك فى ترجمتها فى (القسم الثانى)

ثم أن منصب القضاء لم يزل ابن مسعود يجول فيه حتى كان منه ما ستراه

يعتني بالمطالعة والتأليف

فى هذا الطور العلمى الذهبى فى حياة ابن مسعود أكب أيضا على التهام الكتب على اختلاف فنونها • والقلم بين اصبعيه • فاذذاك طالع (ازهارالرياض) واختصره • واذذاك أيضا طالع (رحلة العينى) واختصرها • كما أنه فى هذا الطور على ماأحسب ألف مولفات • كحاشية (أيسر المسالك) ونظم رسالة الدردير • واتمام نظم الكرسيفى لمختصر (المدخل) وغير ذلك • وكانت الخزانة الادوزية • وخزانة الحاج الحسين الافرانى • مفتوحتين أمامه • كما

كانت كل الخزائن القريبة منه • كالخزانة السملالية التى لم تنهب فى الساحل بعد • وكانت قيمة • وكالخزانة الاكرارية تحت يد أستاذه أحمد بن ابرهيم الذى لم يكن يضن بها عنه • كما كان يضن بها عن ءاخرين • وقد وقفنا فى رسالة من ابن مسعود اليه • تدل على اعارته له مايريد من الكتب • وكذلك فى هذا الطور صدرت عنه مولفات ادبية •

إعصار روحي في أفق حياته

وقفت على مراسلة بين المترجم ووالده نصها :

(من محمد بن مسعود الطالبى • ثم البراييمى • كان الله له ءامين الى الشيخ الوالد • أطال الله بقاءه فى سلامة وافية • دينا ودنيا واخرى • وسلام عليه وتوابعه • وأسأل سيدى صالح الدعاء • ثم ان المولى مباركا ورد علينا صبيحة يوم الخميس الرابع عشر فى رمضان • وذكر أنه قصد الى الشيخ فى تبن للبهائم تفد عندهم فى (تيمجاض) فأرسلت الى الشيخ على يده قالبامن السكر • وقدرة فخار فيها من السمن والعسل نحو ٣ قبضات (١) هدية للشيخ • رضى الله تعلى عنه • وكافاه وأدى عنا حقوقه وحقوق أهل الحقوق أجمعين • بجاه النبى صلى الله عليه وسلم • وأرسلت على يده لسيدنا أيضا جزءين من متن البخارى • لم نجد هنا فى التابوت من النصف الاول فى البخارى الا ذينك الجزءين • والا جزءا من نسخة المدرسة هو ألاول • وما منعنا من ارسال ذلك جملة فيما مضى الا فقد صاحب بهيمة يوصل الجميع • واما طلبة المدرسة فلاأظنهم يقدرون على توصيل الجميع على أيديهم بدون دواب • أو لاتطيب أنفسهم بتحمل التعب فى ذلك • وفى ذلك كله مالايخفى عن سيدنا فليعذرنا سيدى فى تاخير الارسال فنحن أهل الكسل والضعف والزلات القلبية والجسمانية • ثم أشكو الى الله تعلى ثم اليكم ماأجده فى قلبى من القسوة والتكاسل عن الطاعات وعن المسارعة اليها • وكثرة الخواطر الدنيوية • فبينما أنا أقول : لاباس عندى • اذا الطبع يجذبنى الى الكسل • وكثرة غفلة القلب وخوضه فيما لاينفع • ولعل ذلك هو سبب التكاسل عن الطاعة • فليبعث لى سيدنا برسالة يبين فيها دواء لهذا • ثم أتضرع الى الله • ثم اليكم فى أن تذكرنا بصالح الدعاء • لعل الله تعلى يدفع عنا شر ذلك • ويلزمنا الصراط الاسقم – كذا أخذا من العبارة الاحمدية المنتقدة عند النبهانى وغيره بمخالفتها للعربية الفصحى كما خالوه • وان كانت لفظة الاسقم صحيحة بالمعنى الشلحى الذى معناه المستقيم – وأما خبر البلدة فليسأل سيدى المولى

١) مقصوده بالقبضات مقدار اناء يكال به اذذاك يسمى (تاولتيمت) فاطلق على كل واحد قبضة • وهو دون (ليترو)

مباركا المذكور عنه (يعنى بالبلدة تمجاض) وأمانا فما سألت قط عن ذلك ٠ فان كان هذا عيبا ٠ فانا لااكتمه عن الشيخ من نفسى ٠ وسبب ذلـك أنـى وجدت بعض راحة القلب وسلامته من كراهة الجيران عندهم فى ذلك ٠ حتى الله او امكننى ان أنهى الطلبة الواردين على كسيدى ٠٠٠٠٠ (١) وغيره ان يتحدثوا بين يدى بمثل ذلك لنهيتهم ٠ ومااخترت سكنى حـوالى المدرسة الا للعزلة عن الضيوف وعدم التحدث معهم ٠ اذ لاياتون بخير ٠ ولكن قضاء الله خير ان شاء الله تعلى ٠ ونسأله تعـلى ان يتولانا فى كـل حـال ٠ ويلطف بنا فى طلب المآل آمين والسلام ٠ فى ١٤ رمضان المعظم سنة١٣١٦هـ (عن عجل ٠ محمد أمنه الله)

الجواب

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أفضل ما حييتنا به أيها الابن محمد حفظكم الله ورزقكم رشده وهداه ٠ وأعلى مقاماتكم فوق المقامات بالنبى وآله والشيخ البخارى ورجاله ٠ وأوصيكم ونفسى بما أوصى به الله فى كتابه بقول الله تعلى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم (الايـة) ونعلمك بأنـه وصلنى ماذكرته بمقلوبه (لانه كتب الجواب على ظهر الرسالة) عن السمن والسكر ٠ تقبل الله منكم ٠ وجعل سعيكم سعيا مشكورا مقبولا ٠ بالنبىوآله لخذ بيد الحامل ثلاثة اجـزاء مـن القسطلانـى ٠ وجزءين من نسخة سيدى البخارى للمدرسة ٠ وجزءا من التسولى للسيد الحسن (٢) الاعرابى ٠ تركه هنا الابن احمد ٠ وأما ماذكرته من غفلة القلب ٠ فعليك بكتاب (التنوير فى اسقاط التدبير) لابن عطاء الله فقد رأيـت عند الفقيه سيدى عبد الرحمـن العوفى جزءا صغيرا من نسخته ٠ وقال ٠ وجدتها فى أوراق أخوالى سى مسعود الذى يقرأ هناك ٠ واشكر الله الذى رزقك وألهمك رشده وتقواه ٠ قال الله: (لئن شكرتم لازيدنكم) الاية ٠٠ واشكر الله على رؤيـة الطلبة والفقراء ٠ وتاليف القلوب على محبة الله ٠ وأما ماذكرته مـن الاضياف ٠ فالسنـة أن تتكلم معهم بمايليق ٠ قال تعلى : (ياأيها الذين ءامنوا عليكمأنفسكم ٠ لايضركم من ضل اذا اهتديتم) وسلم الامرلله ٠ ومن كلام زروق :

(سلم لسلمى وسر حيـث سارت) الخ

ولابد ان شاء الله أن تاتى بنفسك أو أخوك أحمد ببنتى عائشة الىدارنا هنا قبل العيد أو بعده ٠ ولا تستهزىء ــ أى لاتتاخر ــ ولو عليك الف عذر (والسلام)

---

١) قطع من الرسالة

٢) هذا هو سيدى الحسن الركاتى المترجم فى هذا الفصل

من هذه المراسلة نعلم الوقت الذى تتبدل فيه أحوال الفقيه العلامة المدرس المستفرغ جهوده فى الابحاث والنوازل • ومجاذبة أقرانه الى أوصاف أخرى سيكون بها الناسك المتبتل الورع المتقشف الصوفى الملح على نفسه بكل مايامر به الصوفية ليستوى على المكانة العليا فى التصوف • فان ابن مسعود هو ذلك الذى لايقنع فى مقامات التصوف الا بالمقام الاعلى الذى يتذبذب دونه كل مقام •

ملاقاته بماء العينين

بالعيس عج ياشاكى العينين — للشيخ قطب الوقت ما العينين
واخلع فديتك ثوبغفلة مامضى — ترد العلوم الزهر من عينين
عين الشريعة والحقيقة ويك هل — تخفى شموس ضحى لذى عينين؟
يارب عبدك قد الم ببابه — مستشفعا فى رفع كل الحين
ومقدما عطر الثناء هدية — بدلا عن الفانى الحقير العين

بهذه القطعة تقدم الاستاذ ابن مسعود الى الشيخ ماء العينين • وهو نازل مع أصحابه الكثيرين بين الفاف الزياتين بين يدى المدرسة (البونعمانية) فى احدى ممراته الى الحمراء حين كان الوزير أحمد بن موسى يفرش له وجنتيه تواضعا • فما بالك بمن دونه • فنال الشيخ منزلة سامية كان دائما فيها منذ كان مثل امام المولى عبد الرحمن فابنه محمد • فحفيده الحسن•فابن حفيده اليوم عبدالعزيز • وكانت مولفات الشيخ مطبوعة مشهورة • وفيهاعلم جم • وكلام صوفى عظيم القدر وأسرار منشورة • فهذا ماحدا الاستاذ ابن مسعود حتى طلب الانخراط فى طريقته • وأن يجعله امامه فى التصوف • وكان ابن مسعود اكثر من مطالعة كتب الفن • فعلم أن التصوف الاصطلاحى الذى يكون محوره هو التربية لايكون ماخوذا الا عن شيخ حى من الاشياخ المربين بالتربية الاصطلاحية المشهورة عند القوم • فعزم على ان يضع نفسه أمام هذا الشيخ • لانه مظنة هذه المرتبة العليا التى يقر الصوفيون انفسهم أنها لاتكون الا للنادر منهم •

واظب الاستاذ على مالقنه اياه الشيخ ماء العينين ماشاء الله • ولكن قسوة قلبه التى يأمل أن تزول • وتلك النفحة الربانية التى يذكر انهاتحصل للمريد أمام شيخه • فتطير بأجنحتها الى الفناء فى الله حتى تتخلص عبوديته وتتماع شخصيته • لم ير ابن مسعود لهذه الملاقاة فى دفع تلك القساوة • ولا فى جلب هذه النفحة اثرا • وقديما يعلم ابن مسعود حكاية الذى يتطلب الشيخ المربى • ويقول : والله لاأجعل شيخى الا لمن تحيط بى همته • وتزج بى فى عين المقصود • فكان يتردد على مشايخ عصره • ولايجد مايتطلبه حتى

اتصل بالشيخ احمد بن موسى . فاذا به يقع على طلبته . كما ان ابن مسعود كان يعرف أيضا قولة الشرقي التادلي :

(اَللَّه مَنْكُولْ سِدِي بن سِدِي ـغِرْ لتْحَلْ كَنْنُودِي)

قال انسان كان اذذاك ممن يمازح الاستاذ ابن مسعود حاكيا : لم أر من بركة الشيخ ماء العينين الا خفة شهوة الطعام . والكفاية بأقل مايكون من الطعام . قال فكان هذا هو السبب حتى فترت همته من جهة الشيخ ماءالعينين فصار يجيل ثانيا عينه في الافق .

مع الحاج بلخير البُوشْتِي

أثناء هذه اللهفة التي تركها ورد ماء العينين في قلب الاستاذ ابن مسعود . صادف أن التقى بالحاج بلخير البوشتي البعقيلي . وهو من المقدمين في الطريقة الناصرية . ولكن أحواله الظاهرة . مقتبسة من أحوال الطريقة الدرقاوية تقشفا . وعقد مجالس للذكر في كل وقت . وكانت له حال غريبة الوقر في الانسان بادىء ذي بدء . ولسان قوال جوال في جواء المذاكرات العليا . ويحكى عنه في ذلك غرائب . فقد كان أميا لايقرأ ولايكتب . غيرأنه اذا شرع في تفسير حديث أو آية بلسان الصوفية ياتي بأذواق مستحلاة في الافهام . فبهذا خلب الاستاذ ابن مسعود في أول يوم . فوجد من الاستاذ قبولا وانقيادا وشهوة ملحة . فيها لهف شديد الى تلك الشربة . فناوله كأسا مشمولة مترعة من الاحوال البادهة . والاقوال المعسولة . فقال الاستاذهذه ضالتي التي أنشدها . لانه لم يالف قط مثل ذلك لامن أبيه الذي كان لازم طريقته الناصرية ماشاء الله الهادئة الساكنة . كما لم يرح رائحة ذلك من الشيخ ماء العينين الجبل الراسخ . فانزج بذلك ابن مسعود فيما انزج فيه كما يقع للنحلة ان أبصرت خابية عسل . فلم يكن الحاج بلخير ذا سياسية في أمره . يستعين بها على ملاك ما انتدب اليه . فكان ينقطع احيانا الى المدرسة (البونعمانية) . وحينا يقدم الاستاذ ككل من اقتدى به وهم كثيرون انخرطوا في طريقته . وقاموا بين يديه صفوفا كما يقف المريدون المخلصون امام الاشياخ الكاملين .

يحكي الذين كانوا بين هؤلاء اذذاك : أنهم في أثناء مجالس الذكر . تعتريهم جميعا أحوال قاهرة . فبمجرد مايحدق الشيخ في أحدهم لايحس بنفسه حتى يقفز كالديك ان أصابته نواة خذف . ومرة جاء الحاج بلخير الى المدرسة . فاعتكف فيها فيخدمه الاستاذ خدمة العبد . وفي أوقات المذاكرة يتلو الاستاذ من الكتاب . فياتي الشيخ من تفسير مايتلوه بالعجب مع أنه امي وكان في احواله كلها متقشفا غاية التقشف . ضاربا على وتر مخالفة النفس

والهوى فى كل شيء تاليا عبارات الاشياخ الصوفيين فى كل حديث يحفظ منها كثيرا • وكان عابدا متجهدا متجهما وقورا •

أدى هذا الحال الجديد بالاستاذ حتى تضاءلت دراسته • وبردت همته العلمية • وقد أعرض عن كل أحد الا ماكان من الحاج بلخير • فكان والده وأصحابه من العلماء الكبار ينهونه لينكف عن تلك الحالة • ويراجع ما كان منه مألوفا من التفانى فى دراسة العلم • ولكنهم فى الحقيقة يظلمون الانسان • لان الداعى الذى تكون من استعداده للتصوف لايدعه مستريحا • حتى يقع على ماينقع غلته • ومعروف عند الصوفية من شروطهم عدم الاصاخة لاى انسان يلحاهم عما هم فيه • بل يستحلون اللوم فى ذلك • الم يقل ابن الفارض :

أعد ذكر من أهوى ولو بملام   فان أحاديث الحبيب مدامى

وأخيرا تشدد سيدى مسعود فى معذلة ولده • فلم يجد هذا بدا من مفارقة المدرسة • فنزل بأولاده فى دارهم بـ (تيمجاض) ثم أقبل مع شيخه ومن تبعهما من الطلبة سائحين فى الجبال من اداواتيت • فجاء سيدى مسعود الى المدرسة • يلقى فيها الدروس • ولعل ذلك فى سنة ١٣١٨ هـ ثم لم يطل الزمان • فمرض سيدى مسعود • فتوفى وقد استقر ابن مسعود ثانيا بالمدرسة • فاذذاك اجتمع علماء من تلاميذ سيدى مسعود وغيرهم ازاء قبة (سيدى بوعبدلى) وقد قام موسمه • وهم الحاج محمد الباراغى البوعمرانى وسيدى محمد بوعلال • وسيدى عمر الدهوزى • وسيدى بلخير التوياكى وسيدى بلخير التيمجاضى • وسيدى الحسين البولوقتى التزنيتى • وسيدى محمد أبو النية • فتذاكروا فيما بينهم • وتداولوا هذه المصيبة التى وقع فيها الاستاذ حين يتلاعب به أمى يتقدم الى الصلاة أمامه – ولم يكن للحاج بلخير اكبار فى القلوب – وقد أداه الى ترك الدراسة فى غالب أوقاته • فأجمعوا على أن يصارحوا الاستاذ اللوم كلهم عن لسان واحد • قال الحاكى فكان ذلك مما حمل الاستاذ على أن يستفيق استفاقة ما • ثم تتابعت أمور من الحاج بلخير كشفت عن بعض الخبايا منها أنه يشير الى أنه المهدى المنتظر • وقد يقول لاحد أصحابه : انك اذن ستكون قائد القبيلة الفلانية • قال الحاكى فقال الاستاذ أهذا هو الذى نتطلبه من هذا الرجل ؟ ثم انه شاهد منه أيضا مايدل على أنه يلامس من ينتقض بلمسه الوضوء • بل رأى منه مايدل على التأثر بالملامسة • فعرف منه أنه يتهاون فى طهارة الحدث • فلم يجد بدا من قطع حباله عنه • وكان ذلك سنة : ١٣٢٠هـ بعدما صاحبه نحو ثلاث سنوات أو أكثر بقليل • ثم لم يكد يعلن أنه نفض من الحاج بلخير يده • حتى انفض كل الناس حول الحاج بلخير • وما كانوا متبعين فى الحقيقة الا الاستاذ •

ان الحاج بلخير يقول عارفوه • ليس له شيخ صوفى تربى على يده • وانما كانت له مجاهدات نشأت له بها هذه الاحوال • ولو كان سالما من مثل تلك الدعاوى الاخرى لقبل فى صفوف مشايخ عصره • فان منهم من لايفوقونه الا بمعرفة مايأتون وما يذرون • أى كانوا صوفية بالسيأسة • اكثر منهم صوفية بالاستنهاض الى الله • غير أنه افتضح بما يدعيه من أنه المهدى المنتظر • وهى دعوى يفتضح صاحبها بسرعة • ثم انه ـ وهو مما يستدعى العجب ـ ممن أجمع الصوفية والعلماء من كل نواحى سوس بأنه ليس هناك وقد قال الاستاذ ابن العربى الادوزى : ان من قتل الحاج بلخير أضمن له الجنة فقال له انسان : أولست أنت ياسيدى طامعا فى الجنة • فلماذا لاتقتله بيدك ليصح لك ضمانها • وهو الذى سعى به القائد النفلوسى حتى اعتقله • وقد ذهب اليه مرة الشيخ الالغى • فمر به فى داره عن قصد • فقال له أخرج الينا الوضوء • فتوضأ الشيخ ثم ركب بعدما تأبى من الدخول • فقال للحاج بلخير بالله عليك ماذا أعددت للناس الذين قمت تدعوهم اليك • كشيخ يعرف الناس بربهم • فقال له : وماذا أعددت لهم أنت ؟ غير أننى واياك ندعوالناس معا الى جهنم • فبادره الشيخ انا نعوذ بالله من جهنم • فلتكن كذلك أنت وحدك • ثم بادر الحاج بلخير • فاخذ بركاب السريجة على البغلة • وبخرطوم اللجام • فصار يرى ذلك للشيخ • ويقول له أهكذا يكون الصوفية الزهاد؟ فلم يرد الشيخ المطاولة معه • فتركه وهمز بغلته • ولم يكن الشيخ يلاج أحدا

هكذا أو مثل هذا يحكى الحاضر ماجرى بينهما • والحق الذى نقوله نحن : ان الرجل ليس هناك من أجل مايتفق عليه كل من كان له تابعا • الا أن أحواله البادهة تخلب الناس بسرعة فيتبعونه • ثم لايلبثون أن ينفضوا ثانيا من حوليه • فبعضهم يحكى أنه كان يأمرهم باكل الخبز بالقطران مخالفة للنفس وقد شككت فى هذا استبعادا • حتى صححه لى من له اطلاع • وبعضهم يحكى انه لايزداد قلبه بمصاحبته معه الا قساوة ومجمل حاله أنه مجتهد من : ١٣١٠ هـ الى أن توفى نحو : ١٣٥١ هـ فلا يفتر عن تلقين الاوراد • غير أنه لايتم له شئ • وقد تتكون له طائفة منهم • يسيح بها فسرعان ماينفضون • حتى لايكون حوله أحد • وكان يسيح فى (مجاط) وفى (ولتيتة) وفى (ازاغار) وفى (حاحة) • وفى كل هذه له أتباع • يكثرون ثم يقلون • وها هو ذا اليوم قد توفى • فأين ذكره • وأين أعماله • وأين واحد من عارفيه أوأتباعه يشهد لــه

سقنا هذا كله لنعرف بمن اغتر ابن مسعود ثم ان ذلك كله يظهر من سوء بخت الحاج بلخير والا فقد علمنا كذابين انتشر لهم صيت كبير • وأتباع وزوايا وكرامات • فاذن لايلوم الا حظه فقط • ولايعرف عنه القارىء الا أن

الحظ لم يساعده • ولايبنين عدم صدقه على عدم تاثيره • فان ذلك غير مصيب بدليل مانراه من ءاثار الكذابين •

أقول قولي هذا حاكيا لاغير • وأما أنا فلم أصاحبه • لاحكم له أو عليه فانه رجل من المسلمين • رحمه الله ورحمنا جميعا • فلست ممن يولعون بالحط من الناس • حتى ينال مني الحاج بلخير رحمه الله قسطه • وقد لقيته مرة في (حاحة) وقد رجعت من (الغ) الى (الحمراء) في احدى زياراتي للوالدة ومعه أناس غالبهم شبان ولهم سبح كالدرقاوين • وهو على بغل ببرذعةووجهه متجهم على هيأة العباد • ولباسه غليظ • وعليه قميص صوف • والرجل هو على كل حال عابد متقشف •

هذا هو الحاج بلخير الذي خلده اتصاله بالاستاذ ابن مسعود • ثم تخلص من حبالته بحسن نيته • وما مثل ابن مسعود من يخيب • فانه يقري الضيف ويحمل الكل • ويعين على نوائب الزمان (وسيرى القارىء في ترجمة الحاج بلخير في (القسم الخامس) أزيد مما هنا)

مع الشيخ الالغي

كان ابن مسعود بلاريب يعرف الدرقاويين من صغره • فان أمه منهم ومن محبيهم • ودارهم في (المعدر) جارتهم جدارا بجدار • ولاأحسب أن تباعده عن أهل هذه الطريقة حتى لايظن طلبته في أيديهم الا ناشىء عن هذه المقاربة فان في بعض ظواهر هذه الطريقة مالايقبله العلماء • ولايمكن أن يحنوا أمامها هامهم • فيقولون ان الظواهر عناوين البواطن • فيكون ذلك أدعى الى ابتعادهم منها ومن أهلها • خصوصا ممن كانوا نشأوا تحت ظلال الطريقة الناصرية السهلة • المستوى ظاهرها وباطنها • فلاترى فيها أمتا • ولاتحس من أحوالها التي تنبني عليها مايشار اليه كبدعة • ينبغي أن لاتقبل • ولذلك لانستبعد من ابن مسعود الناشىء تحت ظلالها أعراضه عنها وعن أصحابها• رغم أنه يتصل بهم في الطرقات • ومن بينهم من له به اتصال شخصي • فقد حدثني محدث أن الاستاذ كان يلاقي مرات الشيخ الحسن التاموديزتي منها مرة في بسيط (بوسنصار) فمشيا راجلين ماشاء الله • فكان مما جرى حديثهما حوله شيخ التربية • فقال ابن مسعود كيف يوجد ؟ وكيف يعرف فقال له التاموديزتي المقالة الشرقية

(أَلْلَّه مَنْكْوِلْ سِدِي بن سِدِي ‌غْرْ لْتْحَلْ كَيْودِي)

اى والله لااقول سيدى ابن‌سيدى الا لمن حل قيودى •

ثم وقفت على بطاقة صغيرة بخط الشيخ التاموديزتي كتبها الى الاستاذ

المترجم وقد مر به في المدرسة ، نصها :

(من الحسن بن مبارك التاموديزتي • كان الله له • الى الاخ سيدي محمد ابن مسعود من (بونعمان) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وأعانك فيما أنت فيه •

وبعد : فقد مررنا بكم وأرسلنا الاخ سيدي أحمد بن ابرهيم من (الكريمة) واوصيناه ان وجدكم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايقيمكم عنه • ولم ندخل نحن لئلا تررونا فتشتغلوا عنه • فاعذرونا واعذروه حين أقامكم واستعذر اليكم • انه ان لم يفعل مررنا ولم نركم • لماذكرنا لكم من تمويل ذلك الفقير الاينترى علينا • ولايحسن تخلفنا عنه • ونوصي أخانا ان لاينسانا بصالح الدعاء • والسلام)

ليس المقصود من ذكر البطاقة الا ان نعلم كيف يتصل ابن مسعود بمثل الشيخ التاموديزتي الدرقاوي • ويجد القاريء ان شاء الله في ترجمته في (القسم الخامس) مقالة صغيرة كتبها الاستاذ ابن مسعود فيه حين توفي •

افلت الاستاذ ابن مسعود من يد الحاج بلخير ولم يكد • ولانشك في أنه يعتريه خجل حيث اغتر حتى وقع في يدمثله • بعد ما خالف كل أودائه • وأامر ببر والده في أخريات أيامه • ولايدري الا الله مقدار مايعتريه من الاسف • ولو لم يكن صادقا في تطلبه لما عند الصوفية حق الصدق • ولو لم يكن ذا عطش شديد الى شربة مما عندهم • لكفت هذه الصدمة في نفضيده من كل من يتظاهرون بالتصوف • فيصبح فقيها قحا • ولكن الانسان مسوق الى ماقدر له •

شاع بين الفقراء من أصحاب الشيخ الالغي : أن الشيخ قال : نحن الذين طلبنا سيدي محمد بن مسعود من الله • لاننا رأيناه شديد الرغبة في ان يتحلى بحلية العارفين • ولكنه لم يهتد الى الباب • فان كان ما قالوه كان حقا مقول الشيخ • فانها دعوة سرعان ماوقع استجابتها في الحين • وانما توقفت في ذلك لانني لم أسمع المقالة من ثقة • وانما أسمعها متداولة • والله أعلم •

زال ما كان ربما حال بين ابن مسعود وبين الدرقاويين من الاحوال الظاهرة • وقد رأيناه أنس بأغرب منها عند الحاج بلخير • مع مايراه من بين احوال الصوفية من كتبهم من قديم • فخطر له بعد أن أفلت من يد الحاج بلخير • أن يضع يده أخيرا في يد الشيخ الالغي • فربما يجد من عنده ما يعوزه من عند والده ومن عند ماء العينين • ومن عند الحاج بلخير • ففاوض في ذلك جار دارهم الفقير سيدي محمد ابن الشيخ سيدي سعيد • فقال له : ان

قدم الشيخ سيدى الحاج على ثانيا الى (المعدر) فاننى أحب ملاقاته . وقد كان سبقه أخوه الاستاذ شيخنا سيدى احمد ابن مسعود . فاخذ عن الشيخ . فكان ذلك مما حداه الى أن يتلوه .

قال لى ثقة : بينما نحن فى قرية (اكادير ايزدار) فى (أيت برابيم) مع الاستاذ اذا بهيللة فقير درقاوى . فاطللنا فرأينا الشيخ مع سيدى محمد بن سعيد . وذلك أنه بمجرد ماذكر هذا للشيخ أن الاستاذ يحب ملاقاته . قال له نحن نذهب اليه الان . على عادة الشيخ دائما فى الاسراع الى كل خير بحزم عرف به . قال الحاكى : فخرج الاستاذ والشيخ من القرية بعدما غادرناها راجلين متساندين يتذكران حتى وصلا (العوينة) فكان ذلك اليوم أول عهده بالطريقة الالغية . ثم أعلن ذلك الى كل أصحابه وتلاميذه . فدخلوا فيها أفواجا أفواجا . حتى كادت هذه الطريقة على يده تغمر كل الناس فى (أزاغار) وهو من هو عند الناس . فبه يقتدون . وكل من اتخذه اماما . فانهم يتخذونه اماما . بل أعلى من امام .

رسوخه فى الطريقة الالغية

كانت سنة : ١٣٢١ هـ أولى سنواته فى الطريقة الالغية . وقد وجد أمامه من المتجردين الراسخين فى التصوف . المتصفين بأحوال كان الاستاذ يطالع اخبارها فى (الرسالة القشيرية) وفى (الاحياء) (وعوارف المعارف) و (المباحث الاصلية) و (الحكم العطائية) و (الرائية الشريشية) . وكتب الشعرانى فبهره ما رأى . فلم يلبث أن أخذ الكاس فشربها الى ثمالتها . ثم فغر فاه مدهوشا بأعلى صوته يدعو الناس الى شرابه فجعل هجيراه التغنى بمحاسن الطريقة الالغية . مع أن المعهود من الصوفى الكتمان لسره :

سقونى وقالوا لاتغن ولو سقوا　　　جبال ثبير ما سقونى لغنت

كان للشيخ الالغى سياسة عجيبة فى تربية مريديه . أعجب بها المفكرون من مريديه أنفسهم . ومن العلماء الاجنبيين عنه الذين يحملون ذلك منه على المهارة لاغير . وقد قال ابن مسعود : عجبا للشيخ . فانه يداخل الانسان بادىء ذى بدء من باب حاله الذى يألفه ويعرفه . ثم لايزال به وهو يجذبه جذبا خفيفا لايشعر به شيئا فشيئا حتى يزجه فيما يريده به من بحر التصوف . ومثل هذا تراه فيما ذكره المؤرخ الرفاكى فى ترجمته للشيخ الالغى (كما مر فى ترجمته فى (القسم الاول) فعلى هذه الوتيرة سار الشيخ بالاستاذ ابن مسعود . فبينما يرفع مقامه دائما كعالم كبير منعلماء الاسلام . اذا به يرشفه رشفات صوفية تمازجه شيئا فشيئا حتى كان صوفيا ماهرا كبير القدر . من اجلاء مااصطلح الصوفية أنيسموهم العارفين وأول

ما استفاده الاستاذ من مصاحبة الشيخ الالغى : أنه يجد عنده باللسان العلمى المطبوع أذواقا صوفية عالية بهرته • ثم لم يزل يرى منه الجديد فى كل وقت فيستمر فى التفانى فى أتباعه • حتى كان من أرقى مريديه ذوقا • ومن أعلامهم شانا • ومن ازخرهم علم تصوف غير مصنوع بيد • ولامستمد من المطالعات • وهذا كله تجده فى القصائد التى كان يمدحه بها منذ : ١٣٢١هـ الى ان توفى شيخه ١٣٢٨ هـ وقد ذكرنا كل تلك الاقوال فى ترجمة الشيخ كما ذكرنا بعض ذلك فى جزء خاص• سميناه : (الترياق المداوى) وقد طبع•

كذلك استحال ذلك الاستاذ الذى يعرفه الناس فقيها بحاثا مدرسا مفتيا قاضيا مرموقا • الى صوفى بجبة صوفية رقيقة لطيفة • عليه سبحة كذلك لطيفة وبذلك يتصدر فى مجلس درسه التى نشطت فيه الدراسة منذ استقر حاله • واطمأنت نفسه بما وجده من طلبته عند الشيخ الالغى • فلم يكن يتصل باحد من الفقهاء الذين لايعرفونه ولا يعرفهم فى حالته الجديدة(١). وقد انتفع الاستاذ بالشيخ الالغى من أجل طيران سمعته • فان الشيخ لكثرة سياحاته طارت سمعته فى كل جهة من الجنوب • فلم يكد الاستاذ يتصل به حتى طار له معه ذكر طيب • له ارج يفغم كل أنف • كما أن الشيخ أيضا لم يحفل من قلوب اخرين باكبار لشخصيته كشيخ كبير مرب حتى كان الاستاذ فى عداد أتباعه • وقد قال صحراوى فى (درعة) ينتمى للعلم • نحن لانعرف الشيخ سيدى الحاج على • لكننا نعرف سيدى محمد بن مسعود • فلم يكن ليحنى هامته الا لامام كبير من العارفين الافذاذ •

اول ماصنعه الاستاذ بعد أن خالطت أذواق الطريقة الصوفية قلبه • ومازجته بشاشتها • أن صفى نفسه من كل التبعات المحققة أو المظنونة او المتوهمة • فأقبل على رد كل ما كان توصل به من الناس • حين يفض لهم نوازلهم • تورعا منه • كما يصنعه أهل الورع • وقد سبقه الى ذلك الشيخ التاموديزتى • فقد صنع ذلك حين بايع شيخه سعيدا المعدرى على التوبة • وقد رايت من بين اجازة الحاج احمد الجشتيمى هذا البيت :

وان تتوقى شرط شىء من الدنا   على الحكم أو فتوى ولو كنت ذا فقر

فطريقة هؤلاء الورعين سلك الاستاذ • حتى عزم على اعتاق كل عبيده • كما ستيرى ذلك فيما سنورده من رسائل شيخه اليه

ثم بعد ذلك كان يخرق (العادة) فى الاسواق• وقد صنع ذلك مرة باذن شيخه فى موسم (تازاروالت) فصادف الحاج الحسين الافرانى وجها لوجه فى بعض أزقة السوق بين الحوانيت • والاستاذ يمد يده ويقول الامن صدقة • فقال له الحاج الحسين منكتا • ان السؤال وطلب الدنيا من أسهل الاشياء عند

١) ورد عليه الفقيه اكيك – البرعد – فقال لخادمه ودعه بلطف • وقل له اننا الآن على حالة أخرى • وذلك بعد ما كان يزوره كما يذكر فى ترجمته.

النفس . والاصعب هو العطاء . ومقصود الصوفية بهذا دواء الكبر في الانسان وهم الذين يقولون : لايذوق طريقتنا الا من له نفس كنست بها المزابل . ولهذا لايأمر المشايخ بذلك الا من يعلمون منه أنه متكبر . هذا ما يقصدونه نذكره ثم لا علينا وراء ذلك ونحن كمؤرخين نحكي الواقع فقط وما يقال .

حقا استحال الاستاذ الى ورع غريب مدعم باخلاص يسره . ولذلك لا يطلع عليه منه الا من يداخلونه . وكان من أستر الناس لحاله . فلايكاد يظهر منه لاجنبي شيء . وكان امام شيخه الالغي مأموما له أتم الاقتداء . فلم يكن يخطو خطوة الا باذنه في كل شيء . حتى في البناء بداره . أو بيع حبوب . أو اعتاق رقبة . ولاباس أن نورد الرسائل التي كتبها اليه شيخه جوابا عن سؤاله أحيانا . وأحيانا يكتب اليه استنهاضا . وهي التي أمكن أن تبقى لنا . وأما كل ما يكتبه الاستاذ الى شيخه من الرسائل . فلم نقف منها على شيء ولو واحدة . والغالب أن ذلك كله أتت عليه النار . بين ملء أكياس من الرسائل . احرقت اثر موته بيد احدى نسائه . بحجة حفظها من أن نطأها نحن الصبية اذذاك وفيها أسماء الله . فضاع غالب ماكان يرسل الى الشيخ من علماء وقته . ومن كبار تلاميذه . فلذلك لم يبق الا شعر الاستاذ يدل على ماكان يعتقده في شيخه . والا رسائل شيخه اليه . فقد حفظت حتى اتصلنا بها .

بعض رسائل شيخه إليه

الاولى :

(عليكم أفضل مامنكم علينا من السلام والرحمة والبركة . أيها الاخ الصالح . والخل الناصح أبو عبدالله ابن مسعود . الذى هو بكل خير عند الله ان شاء الله موعود . يعم جميع احوالكم المرضية . وتفوح بنفحاته ساحاتكم الوردية . وتتروح روحانيتكم بريحانته العنبرية . وتفوح بشذا نشر أرواحها المسكية . ولترحل همة الفقير عن الحقير . فكل ماسوى الله حقير . وقد قال الامام الششترى :

ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى في غير ذاتك مطلب فلاصورة تجلى ولا طرفة تجنى

وفائدة العقل أن يعقلك . ويمنعك عن الضلال عن مولاك . انظر الى سيدنا ابرهيم . فهو الذى منعه عن الضلال . فصار يرقيه من الادنى الى الاعلى : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى . فلما أفل قال لاأحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى . فلما أفل قال لئن لم يهدنى

ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر . فلما افلت قال ياقومي اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا . وما أنا من المشركين) وكذلك الفقير العاقل . يعقله عقله عن الوقوف مع علمه الذي لابد منه . لان العمل لابد له من العلم . فهو بمثابة الكوكب . وكذلك لايقف مع عمله ولايتكل عليه . لان المقصود الاخلاص لوجه الله . وليس العمل لغرض حتى تعتمد عليه . وكذلك لايقف مع الاخلاص الذي يظن أنه أكبر العبادات . لانه مادام يرى الاخلاص . فقد رأى لعلمه خلاصة . لانه خير أعماله . فقد جعلها عدة . وقد تعلق بها قلبه . فلما أفلت وصارت هباء بكونها يعدها دون الله تعلى ارتحل عنها . وقال لجميع من تعلق بذلك من الاحباب : ياقوم اني بريء من جميع من اسمه تعلقت به قلوبكم . اني وجهت وجهي الذي هوقلبي وروحي وظاهري وحركاتي وسكناتي للذي فطر السموات (الارواح) والارض (الاشباح) . وما انا من المشركين الشرك الخفي . الذي هو منهي عنه عندكم ياقوم . وهذا على سبيل الاشارة في الاية . على المعنى الذي تحتاج اليه أنت الان . وفيها مآرب اخرى التي لاتنقضي ولكل مقام مقال . والسلام .

واذا كنت تنسخ الكتاب الذي ذكرته . فمل للجهة اليسرى . متكئا على شيء لئلا يفمرك ظهرك اذا كنت قاعدا مستويا . فان ذلك يعينك . وقد رأيت سيدي أحمد بن ابرهيم السملالي رحمه الله كثير الكتابة . وكان يتكىء ابدا عند الكتابة ولا يمل . وقد ظهر ذلك . فالله يداويك ظاهرا وباطنا . والمقصود من كتابته تفهم معناه . حتى كأنك قرأته . وعمروا أوقاتكم بذكر الله كما أمر . ولاتأل جهدا في جانب الله . فالله يقويكم عليه . وقل لاهلك المداوم على خدمة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي هي في وردالرجال تجعل فيه : عبدك ورسولك النبي الامي . ولابد ان شاء الله . فلاتخرج من لسانها سرا وجهرا . الا وقت الكلام الذي احتاجت اليه غاية . من غير عدد كل وقت لم تتم فيه . وقد وصيتها قبل على خدمة الاسم — يعني الله بالمد — والان وصيتها على خدمة هذه الصلاة النبوية . لعل الله أن يفتح عليها فيها ان شاء الله . فهي عون لك في الدين كما كانت والدتك عونا لوالدك . ولاغرو فالتم اصل السادات . فالله يقيكم جميعا والسلام . من خديم أهل الله : علي بن أحمد الالغي أمنه الله امين .

الثانية :

وهي بخط سيدي سعيد التناني وقد سبقت المتقدمة كما ستراه

الاخ الصفي . والحب الوفي . التقي النقي . ذو الفهم الظريف .

والنسب الشريف • والحسب المنيف • العلى المرتبة • الصفى المنقبة • أبو عبد الله سيدى محمد بن مسعود البونعمانى تدريسا • السملالى ثم المعدرى • السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد : فلا باس ولله الحمد على كل حال وقد اشتقنا اليكم غاية الاشتياق • ونرتاح بذكركم غاية الارتياح • فالله يجعل للقاء سبيلا • ولحسن الاتصال بكم سببا جميلا • ءامين • ولتعلم ياسيدى أن الشيخ رضى الله عنه لا باس عنده • وقد قرأ عليكم سلام الله • وأكدنى على الكتب الى حضرتكم منذ افترقنا معه فى ابتداء شهر الله صفر وأكدنى عليك متى أردت بنيانا ما أن تعلمه بذلك • وظهر لى أن مقصوده الامداد بالفقراء • ثم نسيت ذلك • وماتنبهت الا هذه الساعة • وان شرح الفرغانى على التائية الكبرى لابن الفارض • قد أكد الشيخ على أن تكتبه بيدك لامعك غيرك • فالله يمدكم حسا ومعنى • ويزج بكم فى بحر حبه • ويلهمكم رشدكم ويعيذكم من شر نفوسكم ءامين الخ••)

ثم ذكر ماليس بمقصودنا الان • الى أن قال أخيرا : (كان الله لناولكم وأيدنا وأيدكم تأييد من سلك فملك • ومن ملك فسلك • وجمع بيننا وبينه وحال بيننا وبين غيره • حتى لانرى فى جميع المظاهر الاحس جماله ءامين فى السادس والعشرين من صفر عام : ١٣٢٤ هـ كتب اليكم أخوكم ومحبكم على الدوام سعيد بن محمد التنانى) انتهى بتقديم وتاخير قليل • لاجل ماحذفناه

الثالثة :

الاخ الناصح • والحب الصالح • قرة عيننا • ومنبع عيننا • لان المدد الربانى كما كان يجىء من فوق يجىء من يمين ومن شمال • وكلتا يديه يمين ولذلك قال أهل الفن الذين ذاقوا ذلك الشراب : المريد الصادق • يصل مقاما بعد تحققه بشيخه • يستمد فيه من جميع الكائنات • فيصير الكون كله شيخه • يستمد منه ويسير الى ربه • لان وحدة الشيخ هى التى سرت له فى جميع الاكوان • وذلك هو السر الذى يختص بالاشياخ • فكل من تحقق بوحدة شيخ • لابد أن يتحقق بوحدة الكائنات • فحينئذ تنجلى له الوحدة الحقيقية التى تاتى بها ••••• (١) فيفهم حينئذ معنى : كنت كنزا لم أعرف • فأحببت أن أعرف • فخلقت الخلق لاعرف • فخلق الخلائق دليل المعرفة لاهل الدليل والبرهان • ودليل لاهل الشهود والعيان (كلا نمد ، هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك • وما كان عطاء ربك محظورا) وهكذا حال الكامل صح له أن يقول لكل عين منبع عينى • سواء الفوقى والتحتى • ولذلك لايفهم كلامهم الا من تعربد بخمرة كرمهم • واذا كان ذلك كذلك • فأحرى من رفع

---

١) كلمة مقطوعة فى الطرف

همته عن الاكوان • وطلب ذلك الشراب • فكيف لايكون منبع عينك • لانه كان قبل طلبه • واحرى بعد طلبه • ولذلك تجد الاشياخ يشتاقون الى المريدين • أكثر من اشتياق المريدين الى الاشياخ • لان الوالدين في مقام الارواح • كالوالدين في مقام الاشباح • الاصل يشتاق الى الفرع • أكثر من اشتياق الفرع الى الاصل • وكذلك الله تبارك وتعلى فيما بينه وبين خلقه وذلك هو وصف الله • ولذلك يظهر ذلك في العارفين بالله الذين اتصفوا بوصفه في قوله(١) (كنته) أكثر من ظهوره في غيرهم. ولذلك وجب الادب معهم. واتباعهم في أمرهم ونهيهم • اكثر من غيرهم • لان الوالدين للارواح يأمرون الاولاد بما هو الاصلح لهم في الدين والدنيا والاخرة • ولذلك قال الله عز وجل : (ما آتاكم الرسول فخذوه • ومانهاكم عنه فانتهوا) ولايتصور الغش في جانبهم طبعا وشرعا • لان الطبع يحكم عليه الروح ان ظهر وصفه • وهو الحقيقة • والشرع هو الشريعة التي هي أصل الحقيقة وطريقتها • فهو نور على نور • يهدى الله لنوره من يشاء • وهذا المعنى سار في جميع الاشياء • حتى الاشجار لابد أن يجرى ويسرى الماء الذى شربه من أصله الى فرعه • ولايمكن منه الغش • وكذلك انتفاع الاصول بالفروع جار في كل شيء حتى الاشجار • لاتقطع الشجرة من ساقها لاجل فرعها المطلوب بل تحفظ وتعظم والسقى • وذلك هو بركة الفرع عليها • وذلك عين المدد • وكذلك الوالدة فكم من بركات عليها من أجل أولادها • وكم من أمداد تأتيها • حتى اللبن لايكون الا في الوالدة • وأما التي لم تلد فلايمكن أن يكون فيها • فبقدر الاستعداد الذى هو الإحتياج الكامل • يكون الاستمداد الكامل • سواء أهل الحس وأهل المعنى حتى في العلوم الظاهرية والباطنية • فبقدر تعلق المحتاجين اليك تجرى عليك • فهم حينئذ منبع عينك بلا ولا • فالله يكثر العدد • ويكثر المدد • بجاه النبي وءاله • والبخارى ورجاله • ءامين • وذلك الاخ الصالح • الفقيه البركة • ميمون السكون والحركة • سيدى محمد بن مسعود السملالي المعدرى • سلام الله ورحمته وبركاته •

وبعد : فهذه مذاكرة اشتياق • تقوم مقام التلاق • والسلام • في أول يوم في رمضان • عام : ١٣٢٧ ه عبد ربه : خديم السادات على بن أحمد الالغى أمنه الله ءامين

الرابعة :

وعليكم أفضل مما عندكم علينا من السلام والتحية والاكرام أيها الحبيب وياقرة عيني • وبعد : فما ذكرت من صلاح الامانة • فذلك أليق ان شاءالله

١) يعني في الحديث القدسي : لا يـزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه • فاذا أحببته كنته •

وأما ذكر الجهر فى السوق الكبير ٠ فهو الذى يقع فيه الانفاق الكثير ٠ وأما مذاكرة ذلك الرجل ٠ فالمقصود معرفتك اياه ٠ وقد عرفته والحمد لله كما قلت ٠ وقد عرفنا منك أنك لاتقول الا حقا ٠ وأما الالتفات الذى يضر المريد فقد تحققنا منك أنك برىء منه ٠ ولذلك وجدنا أنفسنا نحب ماتحبه أنت ٠ ونكره ماتكره أنت ٠ والله مطلع على ذلك ٠ ولولا امتزاج الارواح التى تنصدر عن معاصرة الاشباح ٠ لم تكن المحبة واحدة فينا

أخلاى أنتم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل

وانما أخبرتك بخبر الداخل ٠ لانك من أهل الداخل فينا ٠ ولاتظن أبدا غير ذلك ٠ والله مطلع على ما هنا لك والسلام ٠

الخامسة :

الاخ الناصح ٠ ذو السر الواضح ٠ الذى نسبته منا كنسبة الروح من الجسد لما فيه من المحبة الذاتية التى تقع بها الوراثة بين أهل نسب الارواح أهل الفرض بالفرض ٠ وأهل التعصيب بالتعصيب ٠ أو بكليهما ٠ السيد النبيه ٠ الاغر النزيه : محمد ابن الفقيه الصالح ولى الله تعلى سيدى مسعود السملالى سلام الله ورحمته وبركاته ٠

وبعد : فقد وجهت سيدى بلعيدا ليقف على النطفية ٠ الى ان تكمل عن قرب وقد أخبرنى أن السائح الذى عند ٠٠٠٠٠ (١) كان يتحرك ٠ ويتصيد عندكم ٠ واياكم واياكم والقرب منه ٠ فهو من أهل تلك الحرفة ٠ لادنيا ولا أخرى ٠ ولاتطمع ان تجذبه لجانب الله ٠ فقد كان من المغرقين ٠ وأمثاله كثيرون ٠ والفقير يترك أهل الاخلاص ٠ فضلا عن أهل الاخواض ٠ مشتغلا بنفسه ٠ منفقا لفلسه فيما هو الواجب عليه ٠ ممن تلزمه نفقته ٠ ولايظهر السخاء ٠ بل يظهر السؤال ليهربوا منه ٠ ولاينسب له الامساك ولاالاعطاء وقد قال مولانا العربى : الفقير لا يغشمه عالم بعلمه ٠ ولا عامل بعمله ٠ ولا عابد بعبادته ٠ ولاينظر الا الى الاخلاص ٠ وكل من وجدته لايقدر ان يكون مع أهل الاخلاص فليس منهم ٠ وقد رأيته مرة ٠٠٠ (٢) فبمجرد ملاقاته معى عرفته وتركته ٠ وقس على مثل هذا المعنى ٠ والسلام ٠

السادسة :

وعليكم السلام أيها الاخ الاصفى ٠ والولد الاوفى ٠ الذى ظهرت عليه

١) مضروب عليه
٢) مضروب عليه أيضا

سيمى العارفين وبهجة الواصلين • وكان منا بمنزلة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه • من سيد الاولين والاخرين • سيدى محمد بن مسعود • سلام الله ورحمته وبركته •

وبعد : فلا باس ولله الحمد • ونوصيكم باليقين فى جانب سيدنا وربنا الذى خلقنا لعبادته بالظواهر والبواطن • فى الحركات والسكنات • لتؤدوا جميع الاعانات • واياكم والغفلات • فانها أعظم الافات • واستحضر عظمة الله عز وجل فى كل شىء شىء فهى الذكر الاكبر • فمن حصل على هذا الكنز العظيم • فقد قضيت له جميع المآرب • فى جميع المشارق والمغارب هذا الذى وجب الى أن ياتى أمر الله • والسلام من خديم أهل الله : على بن احمد الالغى الحصنى أمنه الله ءامين

السابعة :

الاخ الناصح • والولد الصالح • قرة عيننا فى وصلنا وبيننا • الفقيه البركة ميمون السكون والحركة • الذى تعلقت همته بأعلى الامانى • فمص لذى معارف الرحمن • بفضل الله الذى يوتيه من يشاء • سيدى محمد بن مسعود السملالى طينا • المعدرى وطنا • الذى فى حضرة الاله قطنا • سلام الله ورحمته وبركاته •

وبعد ، فلا باس ولله الحمد وله الشكر على لقاء هذا الشهر المبارك الذى هو خير الزمان فاغتنموه • فاذا طاب الزمان والمكان والاخوان للفقير فقد شرب بخير الاوانى • (أنا عند ظن عبدى بى • فليظن بى ماشاء) ففى طيه • لا يفهمه الا من كان فى حيه • والسلام على جميع الاخوان • على بن أحمد خديم أهل الله • رابع رمضان : ١٣٢٣ هـ (وهو أقدم من السابقات)

الثامنة :

وعليكم أفضل السلام أيها الاخ فى الاخ حقيقة • سيدى محمد بن مسعود السملالى • وبعد : فما أحسن تلك المذاكرة التى تذاكرتها • فهكذا حال أهل الصفا • وعليها فقد أمرناك أن تامر للفقراء بما أراك الله تعلى فى كل شىء شىء • فنطلب من الله أن يسددك فى كل شىء • وياتى بك على الصواب فى كل شىء • فهو حسبنا ونعم الوكيل • والتريث فى الامور أحسن • كما اشرت لذلك فيما هنالك • فالله يعينكم على الخيرات • والسلام على جميع الاحباب من خديم أهل الله : على بن أحمد الالغى • أمنه الله ءامين

التاسعة :

وعليكم السلام والرحمة والبركة أيها الاخ الصالح • والحب الناصح سيدى محمد بن مسعود السملالى • وبعد : فقد قرأت كتابك • وفهمت خطابك • وهاك جوابك • فأما ماذكرت من الكسل فدواؤه على الحقيقة المعاونة التى هى المقصود فى الصحبة • ولذلك قال تعلى : (واصبر نفسك مع الذين الاية) (وتعاونوا) الاية • ولذلك شرطت الجماعة فى الصلاة • وكذلك ذكر الاجتماع • وقد شوهد عدم الكسل فى الاجتماع عند أهل البدايات • وعند أهل النهايات • وحتى قرب الدواء • فهو الذى تصير اليه الاطباء • والفترة ان اعترت الفقير الصادق • فلابد أن يرجع عنها لصدقه • لان الفترة والوقفة تعتريانه • وأما الجوع فهو أصل الطريق • وأما ما استشرت فيهمن العبيد • فمن لميتحقق رقه بتحقق جنسه فى السودان المعلومين للحرب من غير ذمة ولا شبهة • فالسلامة فى تركه • لان المشاهد اتيان العبيد المسلمين من بلدهم بسبب القتال • كحال أهل هذه البلاد فى الفتن بينهم• وهو بعض أسباب تركنا لكسبهم (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر) انتهى المقصود من الرسالة (الى ان قال) والسلام من خديم أهل الله : على بن أحمد امنه الله ءامين •

العاشرة :

وعلى قرة عيننا ومنبع عيننا • سيدى محمد بن مسعود • أفضل مامنه علينا من السلام والتحية والاكرام • وبعد : فقد انتعشت الارواح • بنشر ما أتى منك من الارواح • ولطالما انتظرنا الصبا • التى تجىء بالصفاء • وكونوا على ما أنتم عليه من اليقين فى جانب الله تعلى فى كل شىء شىء • فى العبادة والعادة • وما ذكرت من بيع الزرع فأخره ان شاء الله • والبناء لابد من وجود الماء فى الضفيرة • وقد سألت عنها • فقيل لى : انه قليل فيها • واتركه حتى هو ان شاء الله • الى أن يامر الله • والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى أمنه الله ءامين •

الحادية عشر :

السلام والرحمة والبركة • على الاخ الصالح • والحب الناصح • الفقيه البركة ميمون السكون والحركة • كاشف الغمة • عن جميع الامة • الذى صح فيه أن يقال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

لما له من وراثة الصديقية : سيدى محمد بن مسعود ٠ السملالى

وبعد : فلا باس ولله الحمد ٠ وقد وصل الكتاب المنبيء عن أخبارالولد محمد ٠ فالله يجعلك ابن عطاء الله رضى الله عنه وكرمه ٠ ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ٠ ولاشك انك حزت مقامه وأزيد من ذلك ٠ ان شاء الله (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء) (فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتاخرين ماعسر على كثير من المتقدمين) (١) فالله يزيدكم الرغبة فى الخيرات امين آمين آمين ٠ ومسألة البناء ان ظهر لكم ان تستريحوا منه فى هذا العام ٠ فذلك هو الادب ٠ فقد تجلى الله بالقبض فى الظاهر ٠ وقد تحقق البسط فى الباطن عند أهل الباطن ٠ وان لم يظهر لكم فأنتم أدرى بشعاب ذلك الامر ٠ والسلام من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى ٠

* * *

لعل هذه الرسائل كافية فى معرفة تربية الشيخ لابن مسعود ٠ فانه بينما يحترمه احتراما زائدا ٠ اذا به يرقيه بالمذاكرات ٠ ويقدمه الى الامام وينهاه ويأمره بملاطفة زائدة ٠ كما يظهر أيضا منها ماذكره منتمام تسليم الاستاذ كل أموره بين يديه ٠ حتى جعل نفسه كما يقول الجيلانى فىالمريد الصادق مع شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

فحقيقة كان كل ذلك ٠ وكان أدب الاستاذ مع شيخه عظيما فى الحضور والغيبة ٠ مستمدا ذلك مما وجده عند كل تلاميذ الشيخ ٠ لانهم جميعاتربوا تحت يده على نسق مافى الرائية الشريشية ٠ حتى نالوا من الاداب الظاهرة والباطنة معه غرائب وعجائب ٠ كما يستمد ذلك أيضا مما طالعه من كتب الفن التى تجعل ذلك الادب فىرأس قائمة شروط المريد ٠ فلم يكن يخطر خطرة حتى يستاذنه ٠ ولايتلبس بمجاهدة الا عن اذنه ٠ والشيخ يامره بالتدريج ٠ كما رأيت فى تلك العبارة ٠ ومثل هذه الملاطفة قليلة من الشيخ حتى ان الشيخ نفسه قال لسيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى : ان سيدى محمد بن مسعود ٠ وسيدى ابرهيم ابن صالح انما رافقناهما بملاطفة زائدة ٠ واشار براحته كمن يحمل اناء منزجاج ٠ ولعمرى انهذا يظهر من رسائله اليهما ٠ ففيهما نفس لانجده فى غيرهما ٠ لان الشيخ يقل منه أن يثنى على مريد من مريديه ٠ لا فى رسالة ولا فى وجهه ٠ بلذلكمنه معدوم ٠ الا فى هذين ٠ وما ذلك الا لكونه يعرف من نفسيتهما أنهما لايصلحان الا بذلك ٠ فكان ذلك حقيقة النصح التام لهما ٠ فنجحا ٠ وكان

١) عبارة من التسهيل الذى يحفظه الشيخ كله او بعضه

منهما ما كان • وهذا يصدق ماقال كل عارفي الشيخ : انه يربي كل واحد بما يليق به • وبما يمكن به نجاحه • وذلك مقام لايهتدى اليه الا من وفق لسياسة كبيرة • تستمد من السياسة النبوية التي يسودها هذا اللون العجيب الذى يعجز عن مثله السياسيون الدهاة • وان أدركوا من المهارة • وقد ذكرنا ذلك مسوفى في ترجمة الشيخ كما تقدم • وفي (الترياق المداوى) وفي كتاب (من أفواه الرجال) كما ذكر ذلك المؤلفون في أخباره كابن مسعود والطاهر السماهرى • والتادلى ومبارك المجاطى

حث الشيخ للاستاذ على الدراسة

كان من عادة الشيخ ان يهتبل دائما بالعلم وأهله • وان يكون من أكبر المعاونين لمن يتوجهون تلك الوجهة • فذلك من ابرز خصاله • ولذلك كان يحرص على أن يرجع الى المدرسة (البونعمانية) اجتهادها • فكان لايشغل الاستاذ بالسياحات معه • مع أنه قلما يسامح كل من برز من مريديه من السياحة • لانه يراها محكا للمريد • وميدانا فارغا للفقير لينال فيه ما ينال • وكل مايصنعه الشيخ مع الاستاذ : أن يكون معه أياما قلائل في (أزاغار) ثم يودعه الى مدرسته • ثم لايحب منه حتى ان يسيح على قبيلة أيت براييم الا في العواشر • ويكون معه الطلبة • فلا تنقطع الدراسة • مع اتخاذه معاونين ينوبون عنه • ان دعته ضرورة الى مغادرة المدرسة • ثم كان الشيخ يسرب اليه كل من يريد منه أن يتعلم • كما كان ينصح الطلبة متى حل بالمدرسة •

حكى لي حاك منهم أن الشيخ مرة اقبل من (أيت جرار) بطائفة المتجردين مع من انضاف اليه من الاخرين • ويكونون نحو : ١٥٠ فخرج الاستاذ مع الطلبة وفقراء (أيت براييم) ويكونون في جمع حافل يناهز مائتين • فلاقوا الشيخ في : (ايخف ايغير" نبونعمان) قال : فثار الغبار الى عنان السماء وذكر الفقراء ذكرهم المنظم المرتل الذى يرسلونه بأعلى أصواتهم • ويطلقونه برنة واحدة • فكان مشهدا مؤثرا جرت فيه الدموع • ورفرفت فيه القلوب ونفحت فيه النفحات • يحكى ذلك بجمل مؤثرة مصوغة أحسن الصوغ مثل هذه • ثم في العشى بعد اختتام حزب المساء القرآني • افتتح أيضا حزب الغداة حتى تم فسأل الشيخ عن سبب ذلك • فقيل له : حرصا على أن يقرأه الجميع • لان بعض الطلبة ينام صباحا • فمال على الطلبة بلوم لاذع • ثم أمر الاستاذ أن لاتبقى بعد اليوم هذه العادة • وأية فائدة للعلم ان لم يصحبه عمل • ثم صار يحث الطلبة على العلم • وعلى التفنن فيه • قال الحاكى فكانت موعظة استنهضت الهمم • وكان لها اثر باق بعده

واخبرني مخبر ءاخر عن الشيخ أنه قال لـه : ان سيدى محمد بن مسعود أرسلت اليه ولدى محمدا ليدرس معه · فاذا به يقصر به على بعض الفنون · فقلت له خوضوا كل فـن · فالعمر قصير · والوقـت ضيـق · والواجب اليوم ان يوخذ من كل فن بسرعة · فلا يمكن أن توجد سعة تنتظم فيها الدراسة كما كان ذلك فى العهد الماضى يقصد الشيخ بذلك بيئته ـ وبهذا كله يعلم ان الاستاذ ابن مسعود استرجع نشاطه الدراسى بعض النشاط· وستقرى فيما ننشره من بعض رسائله · ما يتعلق بذلك ·

مكانة ابن مسعود بين الفقراء

كان الاستاذ لمقامه الكبير فى (ازاغار) قد اقتدى به كثيرون من العلماء أصحاب والده · فانخرطوا مثله فى الطريقة (الالغية) ثم لما ظهر مقامـه · وانطلقت راحه · أذن له الشيخ ان يزاول أمر كلالفقراء فى ازاغار · وهم كثيرون جدا · فكان يرد معهم الى الغ فى ركب كبير فى أوقات من السنة ·

فقد اخبرنى مخبر أنه جاء مرة مع طائفة من العلماء فـى صبارة (١) برد الى (الغ) زائرين · فحين قربوا من الزاوية أمرهم الاستاذ أن يميطوا عنهم الاردية والعمائم وأن يتزيوا بزى الفقراء · وأن ذلـك هو الادب مـع الشيخ · فنالهم برد الغ القارص فذهب واحد منهم جرىء ـ وهـو سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى ـ فذكر ذلك للشيخ فاستنكره · فامرهم أن يلبسوا ما كانوا يلبسونه ·

وأما فى الموسم فانه يقدم جيشا جرارا فيه مئات ومئات من الازاغاريين ومن اليهم · فيقول فقراء الاطراف الذين يأتون من (الحوز) ومن (درعة) ومن (رأس الوادى) ومن أنحاء سوس : هذه طائفة سيدى محمد بن مسعود · فعلا له بين الفقراء شأن كبير · وكان الشيخ نفسه لما بلغه فى فؤاده من المحبة العالية الراسية الراسخة يذكره لمـن لعلهم لايسمعون به مـن أهل الحضر كالمراكشيين فيريهم قصائده · ويطلعهم على كلامه · ولا أدل على ذلك من هذه الرسالة التى كتبها سيدى سعيد التنانى الى الاستاذ · نصها :

(الاخ الصفى · والاحب الوفى · ذو المئاثر السنية · والاخلاق البهية الفقيه الاغر · الشريف سيدى محمد بن المرحوم بالله سيدى مسعود الطالبى السملالى أصلا · المعدرى وطنا · السلام عليكم ورحمة الله وبركاته · وعلى من بكم واليكم · فالله يعم الجميع برحمته · ويشملهم بنعمته ءامين ·

---

١) صبارة بفتحتين فراء مفتوحة مشددة : شدة البرد ويقابلها : حمارة القيظ أى شدة الحر · فى مثل ذلك الضبط ·

وبعد : فلا باس ولله الحمد • وقد عافاني الله مما أصابني من مرض الحمى • والحمد لله • وأنا ان شاء الله على نية اللحوق بالفقراء بالقبيلة • وعليه أوصاني الشيخ رضي الله عنه يوم خروجه لمعدر الشرك – يعني المعدر اذاء تامانارت المعد للحرث – وهذه بشارة لك ولمن أحبك • وهي أن الشيخ رضي الله عنه كتب بيده الشريفة في جواب الرباطي أن سلسلة أشياخ طريقتنا نظمها الفقيه سيدي محمد بن مسعود السملالي المعدري • ويعرفه بك • حتى قال : وبلده بلد شيخنا سيدي سعيد المعدري • وداره مع داره متلاصقة • وأسراره مع أسراره متلاحقة • كثر الله مثلكم في الاسلام ءامين اه ماكتب • فخذها بشارة وأي بشارة • وأفرح بها غاية • فالله يؤيدك بروح قدسه في جميع الحركات والسكنات • والفعلات والمقالات ءامين • وقصدنا بهذا ادخال السرور عليكم • عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : (أحب الاعمال الى الله تعلى بعد الفرائض : ادخال السرور على المسلم) رواه الطبراني في معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما • وسلم منا على الشريف سيدي ابرهيم التازاروالتي • وعلى جميع الفقراء خاصة وعامة • ببركة الشيخ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ءامين •

ونوصيكم يا أحباءنا بجمع الهمم الى الله تعلى • والتعلق بذكره في كل أحيانكم وأحرى مثل هذا الشهر المعظم رمضان • وطهروا بيوت ربكم من كل مالايلائم مولاها • ولايطهرها الا هو أي بسبب ذكره • اذ هو المفتاح الاعظم للدخول على الله وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم • ففي ذكره ذكر حبيبه حقيقة ولافرق الا عند الجهلة فالله يفتح علينا وعليكم جميع الخيرات • ويزج بنا وبكم في كل الحضرات • بمنه وكرمه ءامين • وفي الثاني من رمضان عام : ١٣٢٣ هـ سعيد بن محمد التناني كان الله لنا ولكم في كل الامور • ووقانا بفضله من كل الشرور • بجاهه صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله)

بل هناك رسالة للشيخ نفسه في الموضوع • كتبها اليه من مراكش يقول فيها :

(ولقد كنت معنا والله حاضرا في جميع المجالس في حضرة مراكش مع الاخوان بالسر والجهر • بذكرك وذكر قصائدك • وقد نسخها الاخوان الخ)

أقول : قد رأيت مجموعة قصائده في مراكش عند الحاج العربي برادة الفاسي من أصحاب الشيخ • ولاشك أنه من الذين انتسخوها اذذاك • وكما كان الشيخ يعلي شأن الاستاذ في خارج سوس • كان يقدم قصائده لادباء الغ • فيسردونها في ناديهم الادبي عند الاستاذ الاديب : علي بن عبدالله •

---

١) سيدي محمد بن علي التادلي المترجم في هذا الفصل

وهذا يدل على مقدار رفعة الشأن للاستاذ عند شيخه • وانه مغتبط بـه • وبمثله يحق الاغتباط •

ولما كان للاستاذ من الكرم الفياض • كان لالسنة كل من يمر به من الفقراء على اختلاف طبقاتهم من سيبه نصيب • فتكونت بعلم الاستاذ وورعه وشفوفه ورفعة شأنه وبراعته فى كل علم • ومهارته فى التصوف • وكثرة بذله لكل صادر ووارد • محبة أية محبة فى أفئدة كل الفقراء • حتى لاتجد أى فقيرالا راضيا عنه • مع أن فيهم من أهل المجاهدات والصوفية الكبار • من كانوا سبقوه أشواطا لو لم يفقهم بمجموع ما تقدم •

آثــار قلمه في هذا الطور في التصوف

لم يكن قط قلم الاستاذ هادئا فى جميع اطواره • وذلك عهد علمى وفى به كل الوفاء • حتى انه فى عهد اتصاله بالحاج بلخير كان يؤلـف تاريخـا عاما للسوسيين وغيرهم من المغاربة • وذلك فى سنة : ١٣١٨ هـ فان كان ذلك منه • وهو مع ذلك السيد الامى • فكيف به وهو مـع شيخه الالغـى العالم بل المهتبل بالمعارف على اختلاف أنواعها • ولذلك رأيت منه تئاليف اخرى • كنظمه فى المشيخة للطريقة الالغية • ثم شرحه الكبير الذى توسع فيه الاستاذ كل التوسع • وكذلك (هز الراية الجعفرية) فى ترجمة شيخه والتصدير والتعجيز للبردة • وشرحها الكبيروالصغير ومثلها ل (بانتسعاد) وقد وقفت فى ءاخر فى مبيضة التصدير والتعجيز للبردة على ماياتى بخط الاستاذ :

(يقول كاتبه الضعيف كان الله له آمين : ان من أجل ما أسدى الله تعلى الى • وأنعم به على : هذا التصدير والتعجيز لبردة الامام البوصيرى رحمه الله التى فى معناها بالمحل الذى لايجهل من شفوف القدر والتمييز لما اشتملت عليه مـن النمط العالى مـن البلاغة والتطريز • فما هـى فـى القصائد الا كالكبريت الاحمر • أو عقود الدر والجوهر • وقد اشتهر مالها من الامداد والتنوير • وفك المعضلات وحل كل عسير • وقد جرى على فيما مضى من بعض الشدائد ما أرجو من فضل الله أن يكون للذنوب أعظم تكفير • وهوأن غالب عيالى مرضوا • فألهمنى الله تعلى بعد أيام أن عمـدت الى معاناة أبياتهـا • وتكليف مجاراتها • على الوجه المذكور تطفلا على ذلك الجناب العظيم • الذى خدمته سبب لنيل أعلى المنى والسؤال • فظهرت مبادىء الفرج بعد الشروع والحمد لله • ففتح الله تعلى من ذلك فى أولها بأبيات • فوقف عليها من غير قصد منى من يجب امتثال اشارته • فأكد على فى كمالها • فلم يكن بد من طاعته • وهو شيخنا الامام العارف بالله • الدال على الله • القطب الربانى

والغوث الذاتي الصمداني • سراج الهمة • ونبراس كل مدلهمة • قدوة السالكين • وامام العارفين • البرزخ الجامع بين البحرين ••••(١) والمرآة الكبرى • والمجلى الاتم الاسنى للناظرين : مولانا أبو الحسن • سيدى الحاج على بن أحمد الجعفرى • ثم الالغى رضى الله عنه ونفعنا بمحبته • وجعلنامن المتحققين بطاعته وخدمته • والاتحاد به ظاهرا وباطنا • سرا واعلانا •امين فكان من بركة نظره • ويمن لحظه وهمته : أن وفقنى الله على عجزى وضعفى لما أشار به الى • ويسر الله تعلى ذلك على وجه أرجو ان يكون عنوانا للقبول والاتصال بحضرة الممدوح به صلى الله عليه وسلم • ونيل كل مامول • وماهى بأول نفحة من نفحات الشيخ رضى الله عنه وامداداته • فانه والله الكيمياء والاكسير • والترياق الجابر لكل كسير • وماأحقه بقول القائل :

المسلمون بخير مابقيت لهم   وليس بعدك خير حين تفتقد

وماذا يقول القائل فيمن النظرة فيه خمرة)

هذا ماوجد • انقله من خط الاستاذ من ورقات مشتتة • وقد تلف ما وراء الورقة • ولكن يكفينا الموجود • لندرك أن لتنشيط الشيخ للاستاذيدا فيما يبدىء فيه ويعيد • فكان الفترة التى مرت بالاستاذ • قد أخلفها الله له بشيخه الالغى • حين التقى به فاقبل على التدريس وعلى التأليف • وقد وقفت على بطاقة صغيرة أرسلها الشيخ الى الاستاذ بعد ما أرسل اليه نسخة من التصدير والتعجيز هذه ، نصها :

(حضرة الاخ الصالح • والحب الناصح • الفقيه البركة • سيدى محمد ابن مسعود • سلام ورحمته وبركاته • وبعد : فلا باس ولله الحمد وقد تركت شيئا من البردة فى قوله :

(قل للمحاول شأوى فى مدائحه) الخ

وقبله وبعده ، وأحببنا أن تكملها • والحامل أعطه لمن يقرئه بالعربية ممن عرفها • فهو غريب • وأهل الزيارة رجعوا فى ثلاثة أيام • كما تذاكرنا بسلامة وعافية • والحمد لله • والسلام • من خديم أهل الله : على بن أحمد الالغى أمنه الله آمين)

فترة من الاستاذ

عجبا ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم • ولايكاد يسلم منه أحد ويد المرأة متى التقت مع يده • حيكت غرائب • تفرق بين أحبةمتلاحمين

١) كلمة لم أهتد اليها •

بالوسواس •

كان للاستاذ ما رأيت من التفانى فى اكبار شيخه • كما كان للشيخ ما رأيته ايضا فى الاغتباط بالاستاذ • فكان الامتحان الذى يندد به الصوفية دائما من الاشياخ الى المريدين تسرب فى سنة : ١٣٢٦ هـ فكاد به الاستاذ يقطع ما بينه وبين شيخه • وحين لم يكن عادة الشيخ أن يمتحن مريديه • ولم يكن من طبقة اولئك الاشياخ • جاءت الاقدار رغم أنفه بما جاءت به من غريبة لايزال غالب الناس الى اليوم يجهلونها فـى حياة الاستاذ تحـت يد شيخه الالغى •

وملخص ما وقع : أن زوج الاستاذ كانت تلقت الورد من الشيخ • وظهرت منها محبة أكيدة • فأرسلت سيدى بلعيدا الصوابى تطلب من الشيخ أن يأمر زوجها ليزيرها الزاوية • فتم ذلك فحلت بالزاوية • فوجدت أمامها فى دار الشيخ ضرات فاتصلت باحداهن • ولها بها رحم • فأسرت اليها الضرة أن زوجها الاستاذ ربما عزم على الاقتران ببنت الشيخ من (فلانة) للضرة الاخرى فقام ذلك الزائرة وأقعدها فزورت فى نفسها مازورت • فحملت كل المودة التى فى قلب زوجها للشيخ على التقرب اليه ليقترن ببنته • وقد رأت هى البنت بارعة • فاشتعلت الغيرة • فحيكت الدسيسة • فلم تكد تلتقى بزوجها يوم رجعت حتى قامت فى وجهه تلعن (الغ) وماليه • فحين استفصلها أشارت بأنها كادت تكون هناك فريسة الشهوات • وتقولت قـولا عظيما • وافكا وزورا تنهد بها السماوات والارض • وقد كان من أبرز اخلاق الاستاذ التى يعرفها منه كل أحد : أنه سلس القياد • لايكاد يكذب أحـدا فيصدق أول قائل • فتشخص أمامه شبه ما يحكى أنه لمح بعض مقدماته من الحاج بلخير فثار ثائره سرا • ولم يظاهره لاحد • فانكفأ الى المدرسة ساكتا مطرقا • وقد دخل ما سمعه فى قلبه • لانه فى دائرة الامكان • والعصمة ليست لاحد • والاستاذ أعرف الناس بأن الشيطان يجرى من ابـن ءادم مجرى الـدم • فعرف ذلك من الاستاذ بعض مخالصيه • ممن يعرف من الاستاذ أنه لايتشبث كثيرا لسلامة طويته • فأرسل هذا البعض الى الشيخ يستحثه فى المجىء عاجلا فاحس الشيخ بشىء جديد فى الافق • فأسرع ببغلته الى (بونعمان) فـى يوم واحد فدخل على الاستاذ وهو فى بيته فى المدرسة فلاقاه ملاقاة باردة • ثـم استفصل الشيخ ذلك الانسان الذى أرسل اليه • فأفضى اليه بكل شىء • فقال له الشيخ : ان هذا كله من غيرة الضرات لا غير • والامر لله • ثم بين له كيف يحاك ذلك حتى كان له تأثير • ثم بات هناك الشيخ بالمذاكرة مع كل الطلبة • وقد اجتمعوا مع الاستاذ فى محل كبير بالمدرسة • فغلب عليه حال قوى • فالهب الجو بمذاكرة عالية مشتعلة الى ان تنفس الصبح • لـم

يذوقوا كلهم مناما . والاستاذ ازاءه مطرق . فاذذاك قال الشيخ المقالة الصوفية المشهورة (يسهل على الشيخ أن يوصل الف مريد عامي في ساعة ولايسهل عليه أن يوصل مريدا عالما في ألف سنة)

ثم بعد الشروق ساق الشيخ الاستاذ مرغما الى (أكلو) وهناك المتجردون سائحين . فركبا معا . قال الحاكي : فذهب ذلك الادب من الاستاذ . فصار يخاطب الشيخ وجها لوجه . كأن لم يكن بمن نعرفه أمس باطراقه أمامه ولم يزالا في مذاكرة . والشيخ يساهله ويراوده من بعيد . من غير أن يذكر له الموضوع أصلا . كأنه لم يعلم بوقوع شيء حادث . فباتوا في (أكلو) وفي الصباح قام هناك مجلس وعظي عظيم ذرفت فيه كل العيون . ووجلت منه كل القلوب . حتى زفرت شوقا الى عوالمها . وفي وسط ذلك قام انسان كبير السن . من أهل اكلو فقال : ان هؤلاء القوم من يجالسهم لاينتفع بنفسه في الدنيا بعد . قال سيدي أبوبكر بن عمر : أشهد أن كل من هناك بلغ به الحال مابلغ من التأثر وسيلان الدموع . الا ماكان من الاستاذ وحده . فانه جامد كصخرة صماء ازاء الشيخ . كأنه مسلسل هناك رغم أنفه . والا فقد كان بوده أن يخرج . ثم ودع الشيخ الفقراء والاستاذ . وأمره أن يلزم الفقراء قليلا وقصده أن ينفعه ذلك لعله يتراجع . ولكنه ماكاد الشيخ يذهب حتى ذهب هو أيضا لحال سبيله . ولم يزل مصمما على ما صمم عليه . وقد وقفت للشيخ على كلمة أرسلها الى الاستاذ اثر هذا الاجتماع بـ (اكلو) يذكره أيضا بمثل مايذكره الفقراء الحاضرون وسترى ذلك في رسالة ستاتي قريبا

ذهب الاستاذ الى المدرسة . والشيخ الى الزاوية بالغ . ويعلم الله ما يتحمل في قلبه من الشكوك واضطراب القلب . ثم بعد حقبة غير كثيرة . والاستاذ منكمش عن الفقراء . والفقراء يتشككون في انكماشه ولايدرون السبب . لان أخبار هذه الحادثة كلها سرية .

نزل الشيخ مع الفقراء كلهم المتجردين . فجاء البرابيميون أيضا . ولم يبق من (أزاغار) كله الا الاستاذ . فاندفع اليه أحد مخالصيه يعاتبه . وهو سيدي ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتي ألذي رزقه الله الثبات يوم ذاك ـ وهو الذي كان أرسل الى الشيخ ـ يقول له : أتعلم أنك ستفضح نفسك . فقد مثلت هذا الدور مع الشيخ ماء العينين . ثم الحاج بلخير . أتحسب أن هذا الشيخ الذي أجمع على كونه فذا جميع الناس . تجد من يتبعك على الاعراض عنه . فلا والله لانوافقك ولا تجد أحدا يوافقك . فالشمس لا تستتر بالذيول والاوهام . وبالتقولات المأفوكة . قال فلم أزل به ـ وقد استعنت بآخرين ـ حتى سقناه الى (تزنيت) حيث الشيخ مرغماوهو

الرق . فلا قاه الشيخ على عادته باكبار زائد . واجـلال عظيم . ثـم دارت المجالس فى ذلك النهار . فحصلت نفحات ظهر سرها ـ كما صرح الحاكـى عنها ـ فشاهد الاستاذ ماشاهد فى مجلس الذكر . من الحضرة النبوية عياناً فانهد سوره بالكلية . فترامى من جديد فى حجر الشيخ . وهو فى غايـة الخجل . وقد تذكر ماكان يمتحن به من يدعون الصدق التام من المريدين . قال الحاكى . فقال لى : اليوم فزت ورب الكعبة ثم أرسل الى سبحته ومرقعته فراجع زيه . فاقبل المطلعون على القضية . وهم أناس قليلون جدا . يهنئونه بالرجوع . وكانوا قبل يرون أن ذلك امتحان من الله لانه كان يدعـى فى محبة الشيخ مقاما عظيما يرى أنه انفرد به وحده من بين أمثاله . ثم انزج ثانيا فى الطريقة فعزم على الانقطاع الى الشيخ متجردا . وقد تكدرت عليه داره . وكل ما يزاوله . بعدما عاين قرينته كادت تجرفـه بوساوسها . فصاحب الشيخ فى السياحة الى (حاحة) بعدما خلف من يدرس مزروعاته ثم أتى ال المدرسة الى الشيخ فرده . وهو يكره أشد الكراهة مفارقة الفقراء فأمره الشيخ بمراجعة التدريس . فعزم على هجران زوجه . غير أن اخرين ألزموه ان يسامحها لوجه الله . وأن يعذرها لمكان الغيرة . قال الاستاذ فلم أكد أدخل عليها وأصالحها . حتى صارت تحلـف بأحرج الايمان أنها انمـا كذبت وافكت . ثم قصت القصة على وجهها . يقول الاستاذ : فعرانى العجب من ذلك الفم الذى يكذب نفسه بنفسه . بكل التأكيدات والايمان . ثـم اسدل الستار على القضية التى يقل من يعرفها الا المطلعين. ويريدون بذلك أن لايسقط الاستاذ من عيون الفقراء . ولو يعلم الناس كلهم ما فى الحكاية من الحقيقة لعدوها منقبة للاستاذ الذى يتثبت . لانه لايصاحب المعصومين وكأنى أرى أن ذلك يجد الاستاذ من بركته مايجد . كما يرى ذلك من ينظر من بعيد وانصف كمنقبة كبرى للاستاذ . فقد توقف حين عراه الشك . ولما زال الشك راجع . وليس الا بشرا . يتأثر بما يتأثر به البشر . نعم يواخذ حين لم يتثبت .

وقد وقفت على رسائل كتبها اليه الشيخ فى هذا الطور كما يظهر . اوردها لنرى أن الشيخ ازاء الاستاذ . لم يزل كما كان . وانـه يراوده باللطف حتى رجع به الى المثلى . ثم لم يواخذه بمثل مايواخذ به الانسان أصحابه لو تقولوا عليه مثل ذلك التقول . فهذه أيضا منقبة كبرى للشيخ . تبين مقدار نصحه ورأفته بمريديه لئلا يزلقوا :

أولى الرسائل

(حضرة الوداد ، العريقة العروق فى الفؤاد ، حتى لـو اجتمـع أهـل

البسيطة بقوتهم فى كل وصف من الاوصاف لايقدرون على قلعها بكل ما امكن، ولا يحركون فيها مـا سكن ، هكـذا تكون صفات الموالى (لاتبديل لكلمة الله) (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة) وقد كان شرع القوم ان لاتتبدل المحبة بتبديل الصفات ولايمكن للشيخ ان يتبدل المريد عنده • ولو عمل ما عمل • ولذلك قالوا لايظن المريد انه ينقص عند شيخه بنقص ظهر منه • فان ذلك سوء أدب منه • بل يتحقق منه انه يقبله ويحبه • على أى حال كان • لان المريد لايدعى لنفسه الا الضعف والنقصان أبدا فى كل شىء • فكل ماظهر منه من الضعف لايبعده عن شيخه بل يقربه منه أبدا على التحقيق • (تحقق بوصفك يمدك بوصفه) وقدسالنا عنكم • وقخبرنا بانكم تجتمعون على ذكر الله بالدولة لكل خميس فى كل مكان وفرحنا بتعمير الاوقات بخير الاقوات • وهو ذكر الله تعلى • فالله يفرحكم برضاه الاكبر • بتوسلنا اليه بجميع أنبيائه وأوليائه واتقيائه واصفيائه • وأشكروا الله واحمدوا الله على ذلك (كنتـم خير أمـة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وسر الاجتماع يوثر فى الاسماع • وقد بقى سر اجتماعنا فى سيدى وكاك ثلاثة ايام فى ذاتى • وكن على ما أنت عليه من صميم الوداد • فقد كنت تعدل عندى جميع من كان فـى الفؤاد • والسلام • ٢٩ من ذى القعدة)

ثانيتهـا

وهى مصرحة بالقضية ولكن فى جلباب الكناية• وقد قطع منها الاستاذ كلمات • ونص ما وجد منها • وما بيـن القوسين هو مـن المقطوع • وقـد اهتدينا اليه

(الاخ الناصح والحب الصالح • سلام الله ورحمته وبركاتـه • وبعد • فلاباس ولله الحمد • وقد قال الله تبارك وتعلى : (والذين جاهدوا فينالنهديهم سبلنا) وقد جاهدنا فى حماية جناب الله بكل ما أمكن أن يكون سبب الكيود العظيمة حتى هدانا الله تبارك وتعلى سببها (كذا) وهو الذى لاأكبر فوقه عند اهله • وقد آتانا الله تبارك وتعلى من عالم الغيب الذى يصفى عالم الشهادة وهو خوف (الضرة) فهو سبب المضرة • وكيفية أتيان الله به : أننى بيـن اليقظة والمنام • وأنا على الوضوء قبل صلاة الصبح ليلة الاثنين الثانى ••• فخرجت عليك فى مكانك • فوجدتك مريضا غايةمنزفا • فامرضك• فجعلت راسك فوق ركبتى وأمسح وجهك • فقلـت لى أردت أن أمشى معـك لبلدك للتزوج من عندك • فقلت لك : الى أن تصح ان شاءالله • فذلك سهل وقريب فافقت • واجتمع فى قلبى فى الحين • أن خوف ذلكهو سبب ماهنالك • لان من رأى مايخافه اقرب اليه من حبل الوريد • بسبب تيسره فى كل جهة •

حالا ومقالا • ورأى محبة كاملة لكل جهة • وخدمة كاملة لكل جانب • ورأى اخوانا وزمانا ومكانا وعاين بعينه مايخافه • أفينتظر ـ لعله أفلاينتظر ـ وقوعه وكماله وهو قريب • لاورب الكعبة ان لم يكن كامل العقل • لان نقصان عقله هو الذى ياتيه بالناقصات لا بالكمالات • ويوسوسه • وأحرى ان استعان بجنسه وقبيله من أهل النقصان • بل لو لم يخطر ذلك بباله حتى اخبر جنسه بما رأى ممن يصلح (••••) يقول له : ذلك واقع بلا شك ولا ريب • وهذا الامر ان قيل لغير من يخافه يصدقه • لما رأى من بيننا من كمال القابلية فى كل جهة • وهانحن ربنا مطلع علينا بأن ذلك لم يخطر بيننا أصلا والعاقل يعذر أهل نقصان العقل • ان فعل مخوفه ما فعل • لان الانسان طبع على ذلك • وقد وقع لحواء ماوقع • وما رأت الا صورتها فى المرءاة • وأحرى من رأى صورة (الفرة واقفة) حقيقة عنده فى زعمه • مادام الجانبان فى الحياة يخافه • ويختار الفراق القاطع لتلك المادة •••••)

فبهذه الرسالة عرفنا أن الشيخ بين الحقيقة للاستاذ • وقد دافع كما ترى عن المتسببة فى ذلك • وجعل ذلك من طبعها • وقد تجلى فى الرسالة الطابع الصوفى الحليم • الذى يفك العقدة بلطف • مع أن المقام يستدعى الاستفزاز وثورة العواطف • وذلك عجيب من الشيخ • كيف حل العقدة من غير أن يحمل ذنبها للمتسببة • ثم لم يزل بمريده حتى رجع الى ماكان عليه انلم يرجع الى أزيد •

وقد ألبس الاستاذ كل الفقراء ـ وهم زهاء مائة ـ قمصان الكتان شكرا لله الذى وفقه الى الرجوع • وقد تاب توبة نصوحا • فكان بعد هذاالحين كأنه ألبس أردية الانوار • وقد استحال كله صفاء • فعلا له ماعلا • ويقولون: ان الفتح الكبير وقع له فى هذه الحقبة • بين هذه الفترة وموت شيخه •

ناتى هنا باصطلاحات الصوفية • لاننا الان نترجمهم • والا فلسنا الا فى مرتبة المورخين الذين يقولون الحقائق كماهى من غير غلاف ولامجمجية وفى (أفواه الرجال) تفاصيل اكثر من هذا

ومما يتعلق بما بين الشيخ الالغى والمترجم : أن المترجم أرسل اليه مؤلف (تحفة الرسول) وهو منظوم شرحه • فوافق اتمامه ان زوج الشيخ بنته لابن أخته سيدى موسى • فقال المترجم فى اخر ذلك النظم :

وبعد تسويدى لذا النظم أتى — املاك شيخنا ابن اخته الفتى
السيد النجيب موسى بابنته — لذا بعثته برسم تحفته

فاجابه الشيخ بقوله :

اتحفتنا بتحفة الرسول اتحفك الله بكل سول
أيا ابن مسعود جزيت خيرا فيما كتبت ووقيت ضيرا

الاستاذ يبني مدرسة (المعدر) ناويا النقلة اليها

هنالك ازاء مشهد سيدى مسعود مدرسة استدار سورها الخارجي . أسسها الاستاذ ونوى أن يعمرها بنفسه . وقد شاور شيخه في ذلك فوافقه فارسل اليه سيدى موسى ابن الطيب ابن اخته ليرشحه للاستنابة في المدرسة (البونعمانية) وقد ذكرنا في ترجمة هذا . رسالة للشيخ تدل على ذلك . ولكن المدرسة لم يتيسر تمامها فلم يقدر للاستاذ مراده بها . وقد مر مايدل على ذلك في ترجمة سيدى موسى بن الطيب من رسالة الشيخ اليه .

الاستاذ بعد وفاة شيخه الالغي

رجعت المياه الى مجاريها بين الاستاذ وشيخه في سنة ١٣٢٧هـ ثم كان موسم كبير عظيم في (الغ) حضره الاستاذ فيمن حضره . ويقدم من الازاغاريين جما غفيرا . يسد سواده الافق . وقد شاهدناهم طائفة يوم الموسم ونحن صغار . فكانت من الطوائف الكبار . ولعلها أكبر من كل طائفة . وكانت عادة الشيخ أن يأمر من حضروا من العلماء . ليجيبوا عن الرسائل التي ترد اليه من المريدين الذين يتخلفون عن الموسم . فيكون سيدى سعيد التناني هو رئيس الكتابة . لانه الكاتب الرسمي للشيخ . فيكون الاستاذ ابن مسعود وامثاله يجيبون عن الرسائل . وقد اتصلنا برسائل عديدة من بنات قلم الاستاذ عن شيخه . ثم كانت سنة : ١٣٢٨ هـ فساح الشيخ سياحة كبرى الى مراكش . ولم يكن ينسى تلميذه الاستاذ من رسائله . وقد رأينا بعضها ولم يكد يرجع الشيخ حتى سقط مريضا . وقد كان ولده محمد دفعه للاستاذ يربيه ويعلمه . ثم كتب الشيخ وصيته المشهورة . فأرسلها الى الاستاذ . فبادر هذا الى الغ . فعاد شيخه . فرجع وهو يظن أن الشيخ يتعافى . وقد كان قبل ذلك بمجرد وصول الوصية اليه أمر ولد الشيخ أن يذهب الى والده ليمرضه . لانه كبير أولاده . وقد دفع له كتانا . فقال له سرا : ان قضى على الشيخ فكفنوه في هذا . فانه من أحل الحلال . فكان ذلك من أكفان الشيخ ثم بلغه خبر الوفاة . فطلع الى (الغ) في وفد . فعزوا فيه . ثم لما وصل الموسم اجتمع الفقراء كلهم . وأجمعوا على تقديم ولد الشيخ . كما في الوصية وذلك سنة : ١٣٢٩ هـ ثم رفرفت رأية شهرة غريبة للاستاذ فعزم على ان يؤدى للناس ماعليه من الارشاد . فرفع علم ذلك . رغم مناواة كبار الفقراء له في قلوبهم غيرة منهم أن يظهر اثر شيخهم من يشار له . خصوصا حين لم

ينتدب الى ذلك مثل سيدى سعيد التنانى • وسيدى أحمد الفقيه الركنى وامثالهما الذين صحبوا الشيخ منأول يوم • وكانوا فى نظر غالب الفقراء اثبت قدما من الاستاذ ابن مسعود • متناسين أن للتضلع فى العلوم مدخلا كبيرا فى ذلك • على أنهم يقولون دائما : ذلك فضل الله يوتيه من يشاء •

خرج الاستاذ الى الميدان فصار يربى المريدين • ويلقنهم ويستتبعهم فاصطدم وقلوب الفقراء أخوته من الشيخ • قالوا فبسبب ذلك لم يتم أمره فانه لم ينشب ان سقط مريضا فى أول سنة ١٣٣٠ هـ قبل أن ينتشر امره فى غير ازاغار مع أنه قائم بالجد • وقد استخلف على المدرسة من يدرس • والحقيقة أنه منذ توفى شيخه • فترت الدراسة • وألهته الطريقة عن اداء حق المدرسةالتى شارط فيها • ولعله يرى أنفى النائب عنه كفاية • وانذالك يسلم به من أن يوخذ بجريرة المدرسة • والرجل من الورع فى مكانة • وينبغى أن تحمل أفعاله أحسن المحامل •

ومن ءاثار الاستاذ فى هذا الطور : هذه الرسالة التى كتبها الى بعض أصحابه : (أخونا فى الله تعلى : الشريف الاصيل • الحسيب النسيب • سيدى ومولاى (بياض بالاصل) كان الله لنا ولكم • وسلام عليكم ورحمته تعلى وبركاته • تعم أحوالكم • وقد وصلنى كتابك تذكر فيه السياحة • الى بلد (كسيمة) فاستخر الله تعلى بدعاء الاستخارة المعروف فى حديث البخارى • فان لمتحفظه الان • فقل بعد صلاة ركعتين : (استخير الله) مائة مرة • فما انشرح له الصدر فافعله • فدم عليه فى جميع أمورك • والاولى والافضل والاكد والاحسن والاجمل : هو دعاء السنة الذى فى البخارى • فاكتبه فى قرطاس • واجعله فى جيبك • واقرأه بعد صلاة ركعتين فى كل امر تتردد فىفعله من المباحات دون المحرمات والمكروهات • وأما الواجبات • فالخير فى فعلها • وكذا المندوبات التى لم تعرض فيها شبهة الترجيم بين آحادها • وأما الورد فقد أذنا لك فى تلقينه وجمع الناس على الذكر والمذاكرة • والقصد بذلك وجه الله تعلى • وعلامته ان لاتطلب منهم الدنيا • وما كان رزقك فسياتيك بلا شك فى ذلك • ولابد ولابد من ترك الغيبة وكثرة المزاح والقيل والقال • والخوض فى أخبار الدنيا وغير ذلك ممايشتت القلب • ولابد من اجتناب من يفرك حاله • ويكفيك من لقنتهم الذكر • بل يكفيك الله • ولا بد من تعظيم جميع أهل النسبة خصوصا فقراء الشيخ الالغى رضى الله عنه • خصوصا أهل بيته • خصوصا خليفته • رضوان الله عنه وعنهم أجمعين • فلاتذكر احدا منهم الا بخير • بل أحسن اليهم متى لقيتهم وعظمهم جدا لله • واعتزل عن مجالسة غالبهم • لئلا تقع معهم فيما هو شأن النفوس • اذ لاتقدر على الادب معهم فى كلوقت • وذلك ظاهر لايخفى • ولا تغفل عن بعث شىء من الاحسان

متى أمكنك الى خليفة الشيخ ونسوته الاخر ولو يسيرا • كبلغة او صابون اوشمع • فاخدم باب الله بما امكنك منذلك • واسأل عماعرض من أحكام الدين أهل العلم المشهورين بالعلم والاتقان • وقليل ماهم وحرض من لقنتهم الذكر على الجهر بـ : لااله الا الله • وذكره بالقلب باستحضار وحدانية الله كل حين • ومن زال عن قلبه شهود الاغيار • وغلب عليه ذكر الوحدانية • فلقنه ذكر الاسم المفرد (الله) بكيفيته المعروفة • من أشباع المد • وحصر النفس فى المد الى غاية الطاقة • والوقف على الهاء بالسكون • وتشخيص الحروف المرسومة فى قلب الذكر كل وقت • واستحضار عظمة الله تعلى وهيبته حينئذ • واستشعار تجليها فى كلشيء • فبذلك ان شاء الله يرجى انفتاح الباب • وكشف الحجاب • ومشاهدة رب الارباب • بعد تصحيح التوبة عن الحرام • وسفاسف الاخلاق • وعلمهم من الصمت والوقار والحياء • ولزوم الرحمة لعباد الله • والسخاء وغيرذلك من جميل الاخلاق • والزم ذلك فى نفسك • واذكر الموت والاخرة والقبر والنار • ويوم الحساب • أعاننا الله واياك وادع معنا • والسلام •

الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى

خرج من المدرسة (البونعمانية) فى نحو خمسة عشر من الفقراء المنقطعين اليه • فقال لمن استنابه : اننا سنسيح الى (الحمراء) ان شاء الله وأوصى الطلبة • فساح الى (الساحل) ثم عراه مرض فى داره بـ (المعدر) حتى أصاب تمييزه خلل • فخرج ليلا من غير أن يعقل متوجها الى : (انوتعدو) فقصبة (أوعثروس) • وقد تلاحق به أصحابه منزعجين • وفى الصباح جاء اخوه سيدى أحمد وأبو زيد العوفى فرجعا به • فلم يلبث أن لفظ نفسه فى الخميس : ١٨ من ربيع الاول ١٣٣٠ هـ فانطوت تلك الحياة المتموجة بالافكار والابحاث والتصوف • كأن لم تغن بالامس فدفن فى مشهد والده ووالدته فى قبتهما بـ (المعدر) فأجرى المصاب به آماقا • وأرمض الاسى برزئه قلوبا • فكان يومه أحد الايام المشهودة فى (ازاغار) بكاء وزفرات وحزنا عظيما •

بعض نظرات على حياة الاستاذ

الان وقد أتينا بكل مانعلمه منحياة الاستاذ • ينبغى لنا ان نلقى عليها نظرات سريعة قبل أن نلقى على حياته نظرة وداع •

ان أول مايلفت نظر القارىء لما سطرناه فى حياة الاستاذ : انه غيررجل عادى • وأنه غريب الاطوار • فليس بالفقيه الصرف • ولا بالصوفى المتماوت بلكان آخذا من أوصاف الفقهاء والصوفية أطرافا • فهناك أحيانا نقد نافذ

يستثير كوامن المسائل • فترى مايمر به غيره مسلما يقتليه هو بانظاره • فهذه الناحية • وان لم يقرأ القارىء مايدل عليها فيما تقدم • لاننا نستثقل أن ناتي بالمسائل العلمية الجافة • فى كتاب مثل هذا • فان المطلع على حياته ليظهر له ذلك جليا • وان أجال بصره فى طرر كتبه • فانه يعجب حق العجب من هذه الثورة التى تستولى على الاستاذ ازاء كل ما سلمه غيره •

هذا ماتراه فى جهة • وفى جهة أخرى ترى استسلاما صوفيا طويلا تظن معه أنه متغلغل فى أعماق قلبه • ولكن سرعان ما يهزه هاز • ممايتراءى له منه مخالفة الصراط المستقيم • حتى تراه منتفضا انتفاضة العصفور بلله القطر • وبهذا يفسر مايصدر منه ازاء أشياخه الصوفيين • فلولا أنه لاقى من حضرةالشيخ الالغى حبالة انتشب فيها • فلايمكن أن يتملص منها بسرعة لما كان نصيبه منه الا ماكان نصيبه من الشيخ ماء العينين وغيره • ثم له مع هذين الوصفين أدب بارع فى ألفاظه ودقة معانيه • فلو صاحبته الاريحية التى هى ملاك الادب • لما كان يناضله أديب اخر • ولكنه كذلك خلق • ولا تبديل لخلق الله •

وهاك رسالة كتبها الى الفقيه سيدى عمر الدهوزى فيها ما يتصف به الاستاذ الصوفى ، نصها :

(شيخنا الفقيه الاعز الارضى • النزيه البر المرتضى • مولانا أبو حفص سيدى عمر بن الحسين الطالبى ، بـ (العوينة) امام جامع (تزنيت) المحروسة كان الله لنا ولكم • وسلام على سيادتكم العلية بالله • ورحمته تعلى وبركاته وقد منعنا الوقت وعوارض الاحوال ، مما يقتضى الاتصال والانفصال من الورود عليكم بعدما انفصلت عنكم فى ذلك اليوم • وقضاء الله خير ان شاء الله وقد فهمت من حال سيدى أن غرضه من مذاكرتنا أن يتبين ويستكشف حال هذا العبد ، وما تحصل له من صحبة الفقراء • وهل تم لديه ما يغتبط باكتسابه ؟ فليعلم سيدنا أن الضعيف لا يستر عنك من حاله شيئا ، مما يحتاج اليه • ويعول فى ذلك عليه لأنه راجع الى التوحيد الخاص ، وهو شهود وحدة الوجود التى هى مشرب الصوفية المعبر عنهم فى العرف بالاولياء ، وغيرهم من أهل التعبدات • ومجرد الكرامات ؛ يسمى بالعرف بالصالحين • فيعلم سيدنا أن لهذا الضعيف من فضل الله من ذلك ذوقا بحيث وصل فيه الى مقام المشاهدة ، وهو انه يتجلى الحق لعبده فى كل شيء • شيء . فيشاهده بنور بصيرة القلب • فتارة يشاهده هو الظاهر فى الاكوان. وتارة يشاهده هو الباطن فيها ، بحيث يرى نفسه فضلا عن غيره : ان ظاهره خلق • وباطنه حق • كما قلنا فى بعض المقطعات :

أرى ظاهرى عبـدا تسربل خشية — وشوقـا واطراقـا بوصف عبودة
وحيث لمحت باطنى لا اشك انـ — ـه عين حـق فاكشفوا لى حـيرتى

وهذه الحيرة هى المشار اليها بقول بعضهم :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا — وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وتارة يرد التجلى على هذا العبد ببعض الاسماء الالهية ، وبعض الصفات العلية • كالكلام ، فيجـد فى باطنه ذوقـا : أن الموجودات بأسرها كلمات الحق • وهـذا ذوق لم أر من ذكره الا صاحب (الانسان الكامل) • وتارة يرد التجلى لهذا العبد الضعيف ، بالنور النبوى • فيشاهـده علما لكـل موجود • بحيث يدرك بباطنه ذوقا : أن نوره صلى الله عليه وسلم ظهر اليه فى كل شىء ، وانه عين كل شىء • ولعل ما ذكرناه هو حاصل ما عندنا من ذلك من فضل اللـــه • ومـا وراءه من المعانى والاحوال ، كالشوق والحب والتوكل ، ونبذ الاكوان وراء ظهريـا • فهو أمر يختلف وروده باختـلاف الاحوال والاسباب والتوجيهات • فادع الله تعالى سيدى لاخيكم • ومجل سيادتكم بالتأييد والحفظ الالهى • والاخذ باليد ظاهرا وباطنا • فى الدنيا والآخرة • ولا باس بقطع هذه • أو قطع أسمى ونحوه منها حذرا من افشاء ما يجب كتمه • كان اللـه لنا ولكم فى الدارين آمـين • ونؤكد سيدنا فى الاكثار من قراءة (دلائل الخيرات) والاسم المفرد : (اللّـه) ولو ألفـا منه بكرة وعشيا • وذلك أقل شىء منه • وان أمكن سرده (٤٠٠٠) فى كل يوم فحسن • ولا تنسونا سيدى فى الدعاء والسلام •

محمد بن مسعود كان الله له آمين

والابيات التى منها البيتان المتقدمان هذه تمامها :

أرى ظاهـرى عبدا تسربل خشية — وشوقـا واطراقـا بوسم عبـودة
وحيث لمحت باطنى لا أشـك أنـ — ـه عين حق فاكشفوا لى حـيرتى
فهل ثم أمر يجمع المتقابليـ — ـن أو غير ذا مما انطوى فى القضية
وهـل سره أن التجلى وارد — بمقـدار الاستعداد والقابليـة
فان كان ذا فلم تخصص بالبطـو — ن طورا وتارة يعم بلمحـة
اروم اطراح غـيره فى توجهـى — اليه فالفى الغير عينا بنظرة
الا فقهوا الفقـير فى حالـه ففـى — تفقهه فى حالـه نفـى غرة

* * *

وشاهد كمال الناس وانس نقائصا — لهم بمحاسن بهم قد تجلت
فهم لـك مـرآة ووصفك تجتـلى — بكل فغب عن ذكـر حال القطيعة
فذاك من الجفا يغبر طلعة الصـ — ـفاء قـذى فى شرب صفو المحبة
ومن ثم حسن الظن بالله والعبا — د كان على المأثور من خـير خصلة

وهذا الذى قررته فى هذه الابيات : هو ما فهمته من قولهم فى المذاكرة :

(لا يشهد النقص الا الناقص) ثم رأيته للامام الشعرانى فى أول الميزان فراجعه • وقد سمعت بعض الاخوان من الفقراء يقرر فيه ما ذكرنا.

انتهت الرسالة ، وهاك أيضا مقالة له نقلت من قلمه :

(مما فتح الله به على كاتبه الضعيف :

اذا استمد القلب من أنوار مجالس ذكر الله • فانه يحب البقاء فيها • ولايملها لانها رياض مقتطعة من الجنة التى لايسأم من نعيمها أهلها • بل ربما لايحس بشىء من الموذية والاسقام • اذا غلب عليه وصف الروح التى لاتعرض لها أعراض الالام • (ان لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى • وانك لاتظما فيها ولا تضحى) فمن أهمه أمر بطنه وظهره • فلك لعدم استيلاء المعانى على سره • ولو غلبت عليه • ما أبقت له مهما يلتفت اليه (وجودك ذنب لايقاس به ذنب)

ذلك هو الذى يتراءى من حياة الاستاذ • فجاءت أمثال هذا الكلام منه توضحه • وتفسره تفسيرا مقبولا • فانما هو التقلقل الذى يسود نفوس الطامحين • فان الطامح لايزال يتعالى الى رتبة بعد رتبة حتى يستولى عليها ثم يتناساها فيدوسها تحت أقدامه متطلبا لاخرى أعلى منها • ولايزال كذلك فى كل عمره • فويل لكل طموح سادت عليه هذه الخليقة • فان أول ماتناله منه الشدة الفادحة جسمه • الذى لايزال فى نصب مستمر • ثم لايبالى به ربه أبد الابدين • وقاتل الله ابن الحسين اذ قال :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

طمح ابن مسعود أن يكون من النجباء بين تلاميذ والده • فكان له ماأراد ثم طمح أن يكون أنجب نجيب • فى أقرانه بسوس • فأكثر من الاساتذة واتصل بكل من أمكن له • فأخذ علوما • واتصل باجازات • فكان له ماأراد ثم طمح الى أن يكون أستاذا مدرسا كبيرا • وعلامة قاضيا • ومفتيا بارعا • فكان له ماأراد • ثم لما ملك فى ذلك كله الناصية • وبهر بمعقوله ومنقوله وبرع فى فتواه وتاليفه • زهد فى ذلك أيضا • فطمح الى أن ينال الشهرة الروحية • فاقبل ينشدها عند أربابها من الصوفية • فأفنى فى ذلك ماله وجاهه • وكل أدوات علمه التى اشتهر بها • كالافتاء والقضاء والاكباب على التدريس • وألح فى الطلب • حتى وجد طلبته عند شيخه الالغى أخيرا • بعدما كاد يخيب • ولكن حظه لايزال آخذا بيده • ثم لم يكفه أن يستأثر بما حصل عليه • فطمح الى أن يكون له مارآه من مجد كبير حول شيخه • فى رتبة المشيخة فاندفع اليها • وكان أحق بها وأهلها • ومثله من يزين تلك المرتبة • ويحفظ ناموسها • غير أن أجله خانه أخيرا • فانقطع حبل حياته • وهو فى أعين

اتباعه فريد وقته ، وامام عصره ، لايرون معه ثانيا .

كذلك مضت حياة ابن مسعود المتقلقلة ، وهى كلها حياة مفعمة بما تفعم به حياة كل رجل فذ مخلص لما يعمله ، ولولا أنه رجل عظيم ، قائم بجلائل الاعمال ، لما وجدنا من ورائه سمعة خالدة ، وآثارا وفرة ، وأفكارا حية ، وتآليف تنادى أنها صدرت عن بحر علم خضم .

سمعت الشيخ سيدى ابرهيم بن صالح يقول ، كنا نسمع منقديم : ان علماء سوس أربعة اثنان مسنان ، واثنان شابان ، فأما المسنان : فالحاج أحمد الجشتيمى ، وابن العربى الادوزى ، وأما الشابان ، فابن مسعود والمحفوظ الادوزى

وقال فيه شيخه الالغى : لو انقطع العلم فى سوس ، ودرست أطلاله لقدر سيدى محمد بن مسعود أن يحييه وحده ، وهى مقالة جديرة بالقبول ويصدقها الواقع .

ان فى اثناء تاريخ الاستاذ الذى كان يجمعه مناقشات مع اليفرنى فيما يورده فى (الصفوة) كما كانت له هناك مناقشات مع ءاخرين ، زيادة على ما يذكر عنه فى كل طرر كتبه المفعمة بمناقشاته للمؤلفين والشارحين والمحشين ولايستعظم احدا أمام الحق ، كما رأيت له مثل ذلك فيما كتبه حول كتاب (ازهار الرياض) الذى اختصره

ومحصل القول فى ابن مسعود : أنه داهية علم ، فلو قدر له أن يمضى كل حياته فى الميدان العلمى خاصة ، وأن لايشتغل بغير المعارف ، لكان له شان آخر غير مانرى له ، ولهذا نفسه لم يتخرج به من يساوون منزلته فى المعارف

بعض آثار أدبية وغيرها بقلم الاستاذ

لعل ماذكرناه فى تراجم غير هذه كترجمة شيخه الالغى وشيخه ابن العربى الادوزى من أدبيات الاستاذ المنتخلة مايكفينا عن الاشتغال بذلك ثانيا ، وكذلك تقدم شىء ءاخر فيما قاله فى غيرهما من بين التراجم ، وذلك لب ماقاله ، ولم نتصل بكثير من أدبياته الاخرى ، لندرك منها مدارك اخرى غير ماعندنا ، ولذلك سنكتفى بعرض أدبيات قليلة وقفنا عليها ، لم تدخل قبل اليوم فى مؤلف ، ثم نكتفى بذلك فى موضوع الادبيات .

من ذلك قوله :

للجهل آفة وللعلم رتبة ... وللغى أهل والضلال فنون
ومن يدعى لفرط حمق ونخوة ... شفوفا على الورى فذاك جنون

وقال يخاطب من اسمه على من تلاميذه :

وماحسن منك التوانى أباحسن ... فانت بريعانالشباب علىوسن
هجرت مجالس العلوم تكاسلا ... وذلك من أمثالكم ليس بالحسن
أقمت على طـول الليالى وهل ترى
من الماء فى طول المقام سوى الاسن ؟

وقـــال :

كم جاهل يسعى لامر هلاكـه ... ويحسبه المرقاة للفضل والمجد
وما علم المغرور أن الامور فى ... عواقبها المرآة للشؤم والسعد
فلا تامنن الدهر ان كان باسما ... اليك فان السم فىذلك الشهد
وحاذر صداقة الحقود فليسفى ... مداراته يوما سبيل الى القصد
وهبك رأيت الخير منـــه وقلما ... يحاول غير الشرفى الصدروالورد

وقال :

سالم ـ فديتـك ـ مـن هجر ... لابد يغلـب من صبر
لابـد يـغـلـب عاشـق ... ان الجـفـا أدهى أمر

وقال :

لام العذار بعارضيـــك موتر ... كـالقوس ، والجفنان كالسهمين
عجبا على ضعف الفتور تسابقا ... للروح كالبرقيــن مكتنفيـن

وقال :

عجبا أرتجى الدنـو فلما ... أن دنا صار غايـة فـى البعاد
صار أقرب منهمن كان فى الغيـ ... ـب ، وذا قربشخصه فىازدياد

وقال :

وما الخل الوفى بذا الـزمـان ... سوى مثل السراب لدى العيان
يريك وميض سن فى ابتسام ... لعمرك انه سيف يمانـى
يقلبه وحيـث يرى انخداعـا ... اليه دهاك من غير التوانى

وكتب الى بعض تلاميذه ، وقد تخلف عن درس (جمع الجوامع) ولاأعرف المخاطب الان ـ ولعله الحسن الاكرارى الموقت ـ

أيا حسنا من لميكن حسنابهاشه ... تغال ببحث أنديات جـوامـع
تفوتك أبحاث حسان تطرزت ... بالقائها دروس (جمع الجوامع)
تضيع آنـاء النهار وليله ... بغيبـة مغتاب ونـوك مجامـع

الا ساء مابه اشتغلت وساء ما يفسمك من تلك المغانى المجامع
أيجمل منك ان تكون ابن عالم ومن ذهنك الثقوب أجمع جامع
وترغب عن مسائل العلم والمبا حث الغر عن منضود درالمسامع
وقدجد في العلوم اقرانك الالى لهوا عن هوى زيدوعمرو وجامع

وقال في مجلس :

لله مجلس أنس راق منظره جليسه حسن أحمد مختار
بمنزل أرج طابت مسرته والشرب فيه كرام العرق أخيار

ووجدت بخط بعض الطلبة الالغيين هذه القطعة نسبها اليه • ناقلا عن خط ابي بكر الايكوازى من تلامذة سيدى مسعود • وذكر أنها من مبادئه • وهلهلتها وبعض مافيها يدل على ذلك دلالة واضحة •

المجد مثل زهرة الورد لابد من جهد لذى مجد
فالمجد لايدركه غير من عاني فنون الكد والجهد
كالزهر ليس يجتنيه سوى من مس بالشوك من الورد
كل له الى العلا نظرة ينظمها مقلد العقد
لكنه شتان ما بين من يصدر عنها صافي الورد
وبين من تكسرت دونه مرقاته فخر للخد
هيهات أن يمجد غير الذى بارز بالهندى ذا حد
مغامرا مستبسلا بطلا عزمته منه كما السرد
حتى ينال كل ما يبتغى رغم الانوف من ذرى المجد
من لم يكن في عمره عالما ممجدا مقبل الايدى
فانه أولى به أن يرى بين صفائح ثرى اللحد

فهذه القطعة ترينا مدى طموح الاستاذ ابن مسعود في صغره • ولولاالتفريط لكان كل مايقول مجموعا لايفلت منه شيء • فيعين الباحث اليوم

على أن هذا القدر يكفينا من أدبياته • نقول ذلك لاننا لانجد غيره • فاتخذنا ذلك عذرا •

اما آثاره الاخرى • فمنها رسالة له كتبها الى تلاميذه في المدرسة (البونعمانية) يوم غادرهم في المرة الاخيرة الى سياحته التى نواها • ثم عاقه فيها اجله وهي وصية حسنة فيها نظرات • استقر عليها أخيرا نحو مايراه نافعا من كيفية الدراسة • نصها :

اخواننا طلبة المدرسة (البونعمانية) كان الله لنا ولهم • وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته •

هذا ونؤكد عليكم فى لزوم صلاة الجماعة خلف الامام · وحضورقراءة الحزب الراتب ، والمجلس ـ يعني مجلس الذكر المعتاد اذذاك كل عشية هناك ـ بحضور قلب تام فى الصلاة وغيرها من الاذكار · والاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه · كما فى الحديث · وحضور الدروس · خصوصا البخارى المحاذى به قراءة المختصر · ودرس المختصر · والمجموع للامير · والحكم · ولايعبدالله الا بالعلم · وأى خير عدمه من قرأ فروع باب من أبواب المذهب · وأتبعه بباب من أبواب البخارى المشتمل على الكلام المنور · فيستفيد فقه الابواب · ومدارك المسائل من نصوص كلام النبى صلى الله عليه وسلم · وآثار أصحابه وتابعيهم باحسان · واذا ساعد التوفيق · وراجع المتعلم ماانجر اليه الكلام فى الاستنباط من قواعد الاصول فى أبوابها · وتدرج بذلك الى استحضارها فى محالها من الفروع · كانت النعمة أكبر · ومن صعب عليه بعض الابواب من (جمع الجوامع) و (التسهيل) أو (التلخيص) فلا باس أن يقرأه وحده على أخينا سيدى ابرهيم البعقيلي (١) ويطالع بقية مااحتاج اليه من الكتاب بنفسه · ودرس المسائل فى اللوح أرسخ لها فى الذهن · وأنت ياسيدى أحمد بن محمد التنانى · لاتغفل عما أمرناكم به من الخروج مع من أراد الخير لنفسه ليلة الخميس · وليلة الجمعة · للذكر فى مساجد القرى · خصوصا فى (انتر) ومذاكرة الناس والنساء فى التوحيد وأبواب الطهارة والصلاة · والمحتاج اليه فى باب الحيض والنفاس · ولاتحتاجون الى ذلك فى ليلة رواح الفقراء الى المدرسة · بل اذكروا معهم · وليتذاكر معهم سيدى ابرهيم البودرارى بين العشاءين فى الرسائل ـ يعني رسائل مولاى العربى ـ والحكم · فذلك كله نفع لكم · وزيادة فى الظاهر والباطن · والخير كله فى الاتباع والادب · وأنت ياسيدى فلان ـ يحيا العبلاوى ـ وفلان ـ سعيد التزنيتى ـ وفلان ـ محمد بن يدير الساحلى (٢) ـ وقد اتلفتم جزءا من اعماركم بلافائدة · كما يمنعكم من حضور الالواح ـ يعني الانصبة ـ تنفعون أنفسكم والمسلمين ان قدر لكم تحصيل · وفى الحديث : الدنيا ملعونة ملعون من فيها الا ذكر الله وما والاه · وعالما ومتعلما · فأى فائدة فيمن كانت أوقاته ملعونة بنص النبى صلى الله عليه وسلم · واجتهدوا فى كتابة المجموع ـ ودرسه فى اللوح كله · ومن حصله كتابة ودرسا وتحصيلا · لم يحتج الا الى تصفة قلبه بصحبة الذاكرين · أعاننا الله واياكم · ويلطف بنا آمين)

---

١) هو المسمى البودرارى · أى الجبلى ·

٢) هذا البيان من بعض الحاضرين اذذاك · وقد كانوا سموا فى الاصل فحذف الاسماء من نقل لنا الرسالة ·

ان اجالة التامل فى هذه الرسالة • ثم مقابلة ما فيها من كيفية تفهم المسائل مع ماساد اذذاك على عنصر المدرسين • من علماء البوادى والحواضر معا • وما كانوا يرونه المثل الاعلى فى دراسة الفقه • ليدل على أن الاستاذ ابن مسعود قد فاز وحده من بينهم بفكرة عالية • فكم أستاذ من (القرويين) ومن (ابن يوسف) يجهل اذذاك ان أخذ الفقه من الكلام النبوى المنور أفضل ومن ذايجول فى ذهنه منهم أن يمرن تلاميذه على تنزيل الفروع على مآخذها بقواعد أصولية • اللهم ان ذلك غير معروف كثيرا اذذاك • بل لم يطرق ذهن أحدهم • الا أن كانت فكرة فردية لم يخرج صاحبها العمل بها الى الوجـود ولا أراد تعميمها •

ثم ان اعتبرنا مع ذلك أن يهتم الاستاذ بتنوير قلوب تلاميذه بالاستقامة والرقائق • وقصد منفعة الناس كلهم عامة وخاصة • وتقرى القرى لتعليم النساء فضلا عن الرجال • مايحتاج اليه كل مسلم ومسلمة من التوحيد ومبادىء علوم الديانة • والوعظ العام • ان اعتبر كل ذلك مع ماتقدم • يوجد أن ابن مسعود قد فريد بين علماء ذلك العصر • وبين صوفيته • فقد أخذ عن شيخه الالغى الاهتمام بتعليم الناس كلهم فى القرى • فاضافه الى الاهتمام بترقية شؤون الدراسة المتلاميذ فى اختيار أقرب الطرق • فبهذه الظاهرة الـتـى استولت على الاستاذ ابن مسعود • فكانت لحياته ختام مسك • نعلم كيـف عقليته العلمية والصوفية • وكيف نوى أن يجعل كل حياته نفعا للامة • فكان له أجر نيته • وانما لكل امرىء ما نوى •

ومن آثاره رسالة اخرى كتبها أيضا الى تلاميذه • ينهاهم عن الاسترسال فميا يعتاده أمثالهم من الطلبة فى نزهتهم • نصها :

(أصحابنا الكرام • مصابيح الظلام • بعد التحية والسلام • فنسألكم صالح الدعاء • باخلاص النية والاهتمام • جمعنا الله واياكم بدار السلام • ورزقنا حسن الختام • وأعيذكم بالله أن تكونوا من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا • فاحسنوا الطويات وتعلقوا باخلاص النيات • ولا تقابلوا نعم الله بكفرها بعدم عرفان قدرها • بل اشكروها بالوقوف عند امر السنة ونهيها • فاجتنبوا لذلـك ما عـوده الشيطان فى مثل تلك المسالك • واستمعوا نصيحة ناصـح مرشد • فخير الامور فعل المقتصد :

ياصحابا وجوههم بسنا العلـ	ـم بها يهتدى بليل غسيم (١)
نزهة المتمين للعلم شعر	ونشيد يزرى بلطف النسيم
وحوار من المعارف يلهي	عن جمال الفتى الوضيء الوسيم
وسواها ضرب من النوك والتعـ	شير شين لقدر علم جسيم(٢)
فتحلوا بحليـة الفضل والهجـ	ـر اهجروا فالبذاءشر قسيم(٣)
فعليكم تحية تزدرى بالـــز	هر فى الروض أو بثغر بسيم

اذا تمهد هذا فعزيمة عليكم أن لاتتركنوا الى سفاسف الاخلاق • فان ذلكشين بكم على الاطلاق • وما عدا ماذكرناه فانما هو توغل فى المآثم • لايليق بمتعلم ولا عالم • وانما هو وصف الحمير • من أدمان النهيق والتعشير (٤) كما قلنا فى بعض المقطعات قبل هذا مما فات :

لعمرك مـا التنـزه غير لـهـو	يجر الى المكاره والمعاصى
سيجزى اللاعبون بزجر قـول	بما اجترحوا فيوخذ بالنواصى

هدانا الله واياكم الى سبيل الرشاد • ونبا بنا عن اللجاج والعناد • بمـنـه وكرمه ومن لجأ منكم الى شيء من ذلك فانه معتوب عليه • ومـن تردى فـى المهاوى فقد شان نفسه • وشان من تعلق به • ونسى رمسه • فمن وقف على امتثال ماذكرناه فالله تعلى ياخذ بيده فى الدارين آمين • ومن أبى ولج فـى الغواية • ولم ينفك عن العماية • وكلنا أمره الى البارى ونعم الوكيل• فلايخفى عليه حقير ولا جليل • والله تعلى يوفقنا أجمعين • الى سلوك سبيل رضوانه العميم بالنبى وآله • عليه وعليهم افضل الصلاة والتسليم • ءامين • وكـتـب تنبيها وارشادا بتاريـخ أواسط شعبان سنة : ١٣١٢ هـ محمد بـن مسعود الطالبى • كان الله له وليا • وبه حفيا)

اقول : ان هذه الرسالة كان فى مبدأ تولى الاستاذ لامر المدرسة

ومن آثاره أيضا هذه الرسالة التـى كتبها الى سيدى ابرهيم گـزور الساحلى :

---

١) غسيم : مظلم

٢) عشر الحمير تعشيرا : نهق عشرا

٣) الكلام الهجر بضم فسكون : القبيح

٤) يعنى تاحزابت : وهى التغنى بالقرءان ذلك التغنى القبيح المستنكر الذى يقاومه علماء سوس دائما

(أخونا فى الله تعلى الاعز الفقيه النزيه الارضى محب أهل الله أبو اسحاق سيدى ابرهيم بن محمد المعدرى السطحى • كان الله لنا ولكم• وسلام عليكم وتوابعه • ونسألكم صالح الدعاء •

هذا وحامله طلب منى أن أكتب اليك والى من ثمة من اخواننا الفقراء اعلاما لهم بأن العيد انما هو يوم الاربعاء • وأنه لايكفى فى ثبوته يوم الثلاثاء ماكتب به الفقيه سيدى الحاج الحسين • فترددت فى الكتب • ثم ظهر لى أن أعلمك فان رأيت أن تعلمهم ليعيدوا الاضحية قبل فواتها • فافعل • والا فأنت أعلم بحال الناس • سلمنا الله واياكم من كل فتنة آمين • وبيان كونما كتب به الفقيه المذكور غيركاف فى الثبوت أنه ذكر أنه بلغه خبر اليقين • أو الخبر اليقين أن شهود التواتر شهدوا عند قضاة ثلاثة (جسيمة) بذلك ولم يذكر هو أن من أخبره بذلك عدل • وكون الخبر يقينا • أى يفيد اليقين لايستلزم ذلك لاحتمال أنه اخبار من يثق هوبه • وان كان فى الشرع غير عدل • وقد تقرر أن الاحكام الشرعية لاتثبت بلفظ فيه اجمال وابهام واحتمال وهذا كله واضح • وهذه فائدة نصب من يتعقب الاحكام • لئلا تبنى على التساهل • والله أعلم)

ومن آثاره الكبرى : اجازته للفقيه أبى زيد العوفى • وهى ذاتفوائد جمة نصها :

(ان أحسن الحديث مما تنوفس فيه فى القديم والحديث : ذكر الله تعلى الذى من استند الله علا ووصل • ومن انقطع عنه نزل وانفصل • أحمده حمد معترف بالائه مستزيد لنعمائه • وأصلى وأسلم على سيدنا محمد قطب دائرة الوجود • وعروس مملكة السيادة والجود • وعلى اله وأصحابه أئمة الاهتداء • القاصمين بنشر العلم ظهور أهل الاهواء والاعتداء •

هذا وان الاخ فى الله والاحب من أجله صاحبنا الفقيه الانجب أبازيد عبدالرحمن بن محمد العوفى الانصارى • اجتهد حتى حصل على طرف صالح من العلوم المتداولة • فطلب منا الاجازة على سنة سلف الامة وخلفها • وكأنه ظننى فى تلك المعركة من رجالها المقاتلة • ولم يعلم أنى لست الا من النظارة الذين لادفاع لهم فضلا عن شن الغارة • ولعمرى ان العارف بالحال المعذور (كذا ولعله : غير معذور) اذا ادعى أن هذا كاللعب والغرور • لولا مايجمعمن الامل ماتفرق • منقولهصلى الله عليه وسلم : (ردوا السائل ولوبظلفمحرق) لاسيما من كان بين أشباه الناس • فى بادية لاترى عينك فيها الا النسناس والمستحق - لاسم الفاضل منهم مثنى أو مفرد • والمتحلون بالفضائل فيها كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود • ولماكان لحسن ظنهأجبته • وبمرغوبه

اسعفته ، تشبها بالكرام ، متمثلا بقول بعض الاعلام :

أجزتك لا انى لما رمتـه أهـل — ولكن ما تبغيه محتمل سهـل
فكيف أرانى أهل ذاك وقداتى — على المواتان البطالة والجـهـل
وما العلم الاالبحر طاب مذاقه — ومالى عل فى الورود ولا نهل
فأسأل ربى العفـو عنا فانـه — لمايرتجيه الخلق من فضلهاهل

ومتمثلا بقولنا مع تغيير يسير فى نحو هـذا الغرض ، خطابـا لبعض أصحابنا فى أمر عرض

أجزنا وللبيب فى القصدأسعفنا — وما كان ذا تطاولا لا ولا منـا
أثابكم ربى بخلد جنانـه — بفردوسه الاعلى وجازاكم عنا
وجمعنا والاهل والصحب فى جوا
ر صفوة خلق الله فى المقصد الاسنى
عليه صلاة الله مارنحـت صبا — جوانح صب ما له عيشة تهنا

فأقول : أجزت الصاحب المذكور ، جعل الله لنا وله ذلك من العمل المقبول والسعى المشكور ، اجازة عامة مطلقة ، بكل مايصح لى وعنى روايته ، ثـم ان صحبة الراوية عن مثلى من كل مقروء ومروى ومصحح ومؤلـف (كـذا العبارة فيما نقل منه وان كان اطلاق اسم التأليف عليه مجازا) لاأريد منـه جزاء ولاشكورا ، الا المحبة فى الله ، وأن لايغفل عنـى داء طالحـا موفورا ، بالشرط المعتبر ، عند أئمة الاثر ، كأن يتقى الله فى سره ونجواه ، وأن يقتفى سنة النبى الاواه ، صلى الله تعلى عليه وعلى ءاله وسلم ، وأن يلتزم لاادرى فيما لايدرى ، فقد أدبنا الله تعلى بخطاب من لايتطرق اليه اتباع الخطأ والوهم بقوله : (ولاتقف ماليس لك به علم) وذلك بعدما تذاكرنا معه فى جملة من التآليف المتداولة ، كالخلاصة للامام ابن مالك ، ومختصر الشيخ خليل ، وغيره من مؤلفات المذهب فى الفروع والقواعد ، كالمنهج المنتخب ، الى قواعد المذهب ، للامام الزقاق ، وغير ذلك ، وذاكرنا معه جل تلخيص المفتاح فى فن البيان ، ورسالة الشيخ الدردير فيه ، والسمرقندية فيه أيضا ، ونحو المصنف فى الاصول من متن ابن السبكى فى الاصول ، مع شرحـه للمحلى وبعض الحواشى عليه ، وشراحه ، وشرح الامام السنوسى على مختصره فـى المنطق ، وبعض شروح متن الاخضرى فى المنطق ، وغير ذلك مـن الفنون ، كالحديث والسير ، ومعظم الفية المصطلح للعراقى ، بتقرير صغير للمؤلف عليها ، وشرح شيخ الاسلام زكرياء فى بعض المواضع ، وغير ذلك ، والله يتقبل منا ومنه ، ويخلص الاعمال بمنه ءامين ، وقد اجزته فى ذلك كله بحق ما أخذت عن شيوخ عدة ، أسمى من أمكن منهم من المشتهرين ، ولم تكـن

للعبد الضعيف رحلة يتسع فيها له المجال ، فى الاخذ عن أكابر الرجال ، ولكن نشير الى بعض ما تحصل لنا من ذلك على سبيل الاختصار ، فنقول :

أخذت عن جماعة أحقهم بالتقديم ، وأولاهم بمزيد التعظيم ، الفقيه الناصح ، التقى الصالح ، شيخنا الوالد أبو الفرج مسعود بن محمد الطالبى السملالى ، أطال الله بقاءه ، وأدام فى معالى المجد والسؤدد ارتقاءه ، وهو أخذ عن جماعة أجلهم من طريق الدراية ، شيخ الاسلام الامام العلامة المشارك النحوى المتواضع الصالح الربانى ، أبو المعالى العربى بن ابراهيم الادوزى شارح الخلاصة وغيرها ، وهو عن جماعة أجلهم من طريق الدراية شيخ الشيوخ ومن له فى قدم العرفان الثبات والرسوخ ، سيدنا ومولانا أبو العباس الميمونى التيمكيدشتى ، أفاض الله علينا من مدده النورانى ، وسره الحقانى وهو عن جماعة منهم من ذكر سنده فى فهرسة العلامة المحدث الصوفى ابى الحسن على بن سليمان الدمناتى رحمه الله ، نص كلامه :

(وممن اجازنى اجازة عامة بما تداولته الائمة منظوما ومنثورا ، ولغة واصولا وحديثا وتفسيرا ، وغيره ، فروعا ونحوا وبيانا وغيره ، ومنطقاوغيره الامام الجلى الدراية ، الولى الراوية ، الذى نفع الله به البلاد السوسية أبو العباس سيدى أحمدالسوسى الاقصوى (كذا) (يعنى نسبته الى الاقصى)الايكنانى نسب لكانسان واد بسوس التيمكيدشتى رضى الله تعلى عنا كل موحد ، وبأسانيده أيضا اتصل الى فهارس كثيرة كالعياشية ، والهلالية الجامعة لكل الفنون المتداولة ، ولنقتصر على سند له بالبخارى ، فانه رضى الله عنا كل موحد يرويه عاليا عن الهمام سيدى محمد بن يحيا السوسى الاوجى ، بفتحتين بشد جيم ، عن راوية سوس الاقصى وخاتمة محققيه الشيخ سيدى محمد الحضيكى ، عن الشيخين العلامتين ، أبوى العباس : سيدى أحمد الصوابى وأحمد العباسى ، عن الشيخين الصالحين أبوى العباس سيدى أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعى ، واحمد الهشتوكى ، عن امام دار الهجرة سيدى ابرهيم ابن حسين الكردى الكورانى ، عن الشيخ المعمر عبدالله الاموازى ، عن محمد ابن أحمد النهروانى ، عن والده ، عن ابى الفتوح الشاوسى عن المعمر بابا يوسف الهروى باليانع ، زيادة المشهور سيمد سال أى المعمر : ثلاثمائة سنة ، عن محمد بن شاد بخت الفارسى الفرغانى ، عن الشيخ احد الابدال بسمرقند ، أبى لقمان يحيا بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلانى المعمر ثلاثا وأربعين سنة ومائة ، عن محمد بن يوسف الفربرى عن مؤلفه ، فهؤلاء خمسة عشر ، فتكون الوسائط بثلاثياته ثمانية عشر ، فقد علا على الاول بعشر درجات قال العالم محدث سوس الحافظ سيدى الشيخ عبدالرحمن التاغارغارتى ، عن سوق سنده بعشرين واسطة معجبا به : لايعلم أعلى منه

بالمغرب والمشرق حسبما وصله • مع ان شيخي المذكور وشيخه بعده بلدياه قال : وسبب علوه • ان عمدة رجال بسنده عمروا أزيد من مائة وأربعين سنة • قلت وقد سمعت أن بابا يوسف عمر ثلاثمائة وأن الفلاني قال : قال شيخ مشايخنا الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي في (نزهة رياض الاجازة) صح أن قطب الدين النهرواني روى الصحيح عن أبي الفتوح بلا واسطة ابيه وان طريقة أبي الفتوح لم تبلغ ابن حجر ولا السيوطي لانهما مصريان • وهو من رجال الثمانمائة بـ (أفرقوه) (مدينة بخراسان العجم) وكان موصوفا بالصلاح • وأن أبا الفتوح المذكور قد سمع صحيح البخاري عن محمد بن محمد بن شاذبخت الفرغاني بلا واسطة بابا يوسف الهروي • وهذه الطريقة لم تصل الحرمين الا باشياخ‌أشياخ مشايخنا • كالشيخ المعمر عبدالله بن سعيد الاموازي نزيل المدينة المنورة • فيسقط اثنان من خمسة عشر • فتكون بيني وبين المؤلف اثنا عشر • والوسائط به بثلاثياته ستة عشر • فعلا على ثاني الشيخ التاودي باثني عشر • وهو مع أولهما كفرسي رهان • وعلى سند التاغارغارتي بأربع فهذا أعلى ماعندنا بالمغرب • فاسا • وسوسا • فماوالاهما مع أن كل رجل بسنده من بدئه بختمه أمة واحدة • رضي الله كنا كل موحد

تنبيه :

سبق ان الحضيكي يروى عن العالمين : أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر • وأحمد الهشتوكي قال باجازتهما عامة باسانيدهما • فابن ناصر عن أبي سالم العياشي • والهشتوكي عن الشيخ ميارة الفاسي • كرواية ابي سالم عنه • عن الشيخ عبد الواحد ابن عاشر • عن سقين • عن ابن غازي • ويروى أيضا بالاجازة العامة الحضيكي عن خاتمة المحققين ابي العباس احمد ابن عبد العزيز الهلالي • وأسانيده في كل الفنون معلومة لكل من ذكر • رضي الله تعلى عنا كل موحد

وسياتي للشيخ ابي العباس التيمكيدشتي سند آخر هو أشهر من هذا • ولعل ذلك لكونه من طريق الدراية •

وأخذت أيضا بطريق الاجازة العامة عن العلامة فارس ميدان التحقيق وحامل لـواء التفنن والتدقيـق • من أحيا ببنات فكره الوقاد • الرسـم الدارس من غرر المباحث التي طارت بها عنقاء مغرب في غالب المدارس • بعدما كانت منها مناهل سوس ببدورها الاهلة آهلة • ولبان الافاضـل بـه بحلى الفضائل والفواضل حالية غير عاطلة •

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكـة سامر

وناهيك بمن صار امة وحده • فضيلة ليس لها من جاحد • وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد : ابى عبدالله محمد بن العربى اليعقوبى ثم الادوزى جازاه الله بافضل مابه من احيا الدين عن نشر العلم والقيام بـه جوزى • وقد اخذ عن جماعة اجلهم من طريق الدراية والده الشيخ الاعظم • وقد ذكر انه اخذ بالاجازة عن شيوخ ءاخرين • لم أسأله عن تعيينهماستحياء ونذكر نص اجازته تيمنا بشريف لفظه • قال :

(الحمد لله وحدة • وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه اجزنا بحول الله وقوته الفقيه الذكى سيدى محمد بـن مسعود بـن محمد الابرايمى السملالى • بما اجازنى به أشياخى رحمهم الله • وأذنا له فـى نشر كل فن علمه الله تعلى من تفسير وحديث وفقه • وغير ذلك من الاصول والفروع بشرط تحرى الصواب • والتثبت لدى البحث والجواب • واتخاذ جنة لاادرى لدى الاشتباه • ورعاية أقدار المتعلمين ارشادا ونصحا • والصبر معهم وان لم يرد لامارة الانصاح صبحا • طلبا لرضى اللـه تعلى • مع ذلـك الرعيل • الكريم القبيل • وأوصيه بتقوى الله الكريـم والملجـأ اليه فـى الصغير والعظيم • والاستمداد من سيد الاولين والاخرين • عليـه افضـل الصلاة والسلام • والتادب مع ذلك الجناب المكين • والدعاء للاشياخ • كهف الربانية والارتساخ • فانهم آباؤنا الكرماء • رضوان الله تـعـلى عليهم • واساله صالح الدعاء •)

فى اول ربيع الثانى سنة : ١٣١١ هـ محمد بن العربى الادوزى لطف الله به آمين اهـ من خط بلفظه •

وممن اجازنى كذلك : العالم العامل • والصوفى الكامل • شيخـنـا الفقيه الربانى أبو عبدالله محمد ـبفتح الميمـ بن ابرهيم اباراغ (بفتح همزة فتح موحدة • فراء مفتوحة ءاخره غين معجمة ساكنة) البعمرانى • انا لنا الله واياه فى الدارين كل الامانى • وهو أخذ عن جماعة اجلهم من ذكره فى اجازته لى وقد كتبت بين يديه من خطه مانصه :

(فائدة : ومن رحلة شيخ أشياخ شيوخنا ابى العباس سيدى احمدبن محمد بن ناصر رضى الله عنهما مانصه : وممن التقينا معه بالمدينة خطيب الحرم اسماعيل • قرأت عليه حديث : انما الاعمال بالنيات • فأجازنـى • ونص اجازته :

أحمد الله سبحانه • ونسأله ان يصلى ويسلم على نبيه • وأشرف خلقه مولانا محمد وءاله وصحبه وأتباعه وأحبابه • أخذت قراءة القرآن والحديث عن العارف بالله تعلى الشيخ على الشمولى عن الشيخ الحلبى صاحب السيرة

عن القاضي شمهروش عن النبي صلى الله عليه وسلم • وقد أجزت الشيخ العارف بالله تعلى الشيخ سيدى أحمد بن محمد بن ناصر أن يروى بهذاالسند الشريف • العالي المنيف • حديث سيد المرسلين • وحبيب رب العالمين • ككتاب البخاري وغيره من الكتب • وقد قرأ على حديث : انما الاعمال بالنيات نفع الله تعلى به المسلمين • وجعلني واياه في بركة سيد المرسلين ءامين)

وقد كتبت بعده مانصه :

(قال الفقيه سيدى محمد أباراغ المذكور : وبيني وبين الشيخ ابن ناصر رضى الله عنه في بعض الاسانيد ثلاث وسائط : شيخنا الاكبر أبو العباس التيمكيدشتي • وشيخه سيدى محمد بن الحسن الطويلي التوغزيفتي وشيخه سيدى مسعود المرزكوني • رضى الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين)

وقد أجازني سيدى محمد أباراغ المذكور بسائر مروياته عن مشايخه بالسند المذكور • وجميع مقرواته • وجميع ماتيسر لنا قراءته واقراؤه • من العلوم الشرعية والالات وغيرها • فالله تعلى يحسن النية • وينفعنا بذلك وينفع بنا في الدارين ءامين •

وما ذكره من الوسائط بينه وبين ابن ناصر • مثله في سند شيخنا الوالد بزيادة شيخ الجماعة سيدى العربي الادوزي المقدم ذكره • وقد حضر الشيخ الوالد أيضا بعض دروس الامام أبي العباس التيمكيدشتي • واظنه قال : في صحيح البخاري نحو شهر • ويذكر أنه لملمات الامام أبو العباس التيمكيدشتي تأسف اذ لم يتلمذ له • فرآه في المنام قائلا له : أنت من أولادى أوقال من تلاميذى ولله الحمد على ذلك

وقد كتب الفقيه سيدى محمد أباراغ عقب ماذكرنا مانصه :

(صح مني الاذن المذكور • كما ذكر العلامة البركة سيدى محمد بن مسعود • فالله يتوجه ويحميه ويعاونه • محمد بن ابرهيم بن محمد بن سعيد أباراغ أمن الله الجميع بمنه • ولطف بجميع المومنين ءامين • وقد أجازني شيخنا وحمانا القطب الرباني أبو علي سيدنا الحسن ابن شيخنا الكبير • المربي الشهير القطب ابي العباس سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتي بجمع ما أخذت عنه وعن غيره من أشياخي نفعنا الله بالجميع • بخط يده المباركة • وختم الاجازة بقوله • وقد رضينا عنه رضاء تاما الى لقاء الله • والكمال على الله • والسلام)

الحسن بن أحمد الميموني بتيمكيدشت امنه الله • أتمه محمد أباراغ أمنه الله به آمين • اه من خطه ببعض تصرف •

وقيدت أيضا فى مسودالى مانصه :

(الحمد لله . حدثنى شيخى الفقيه السيد التونسى بن بيه الدكالى العونى نسبة للعونات . بلد معروف بدكالة . رضى الله عنه ونفعنا به وباشياخه بواسطة احد عن سيدى محمد بن عبد الرحمن الفاسى رضى اللهعنه عن السيد شمهروش الجنى رضى الله عنه . صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان هذه الصلاة سبع مرات فدية . ولفظها :

(اللهم صل على سيدنا محمد النبى الكامل . وعلىءاله واصحابه . صلاة كاملة لانهاية لها . كما لانهاية لكمالك وعد كماله) وقال لى رضى الله عنه هذا حقنا من الرواية عنه صلى الله عليه وسلم . وقد اذنت للحب فى الله الاود من أجله الفقيه السيد محمد أباراغ . فى استعمالها . كما أذن لى فى ذلك فالله يوفقنا لصالح القول والعمل . ويلهمنا اتباع السلف الصالح . ويجازيهم عنا أفضل الجزاء . كتبه خديم أهل الله المستور على خسيس اعماله بفضل الله العفو اللطيف المفضال : محمد الضوء بن محمد الضوء السباعى . عفا اللهعنه وعن اخوانه فى الله . والمومنين جميعا بمنه وكرمه آمين . أه من خطه نفعنا الله به

وقد اذن لى والحمد لله راويه عنه الفقيه الربانى سيدى محمد أباراغ المذكور فى روايتها . والاذن لمن رغب من أهل الخيرات يرويها عنا . رغبةفى الخير وتبركا بالسند المذكور الذى لم تر أعلى منه فى هذا الزمان . فلله الحمد)

وكتب بعده مانصه :

(صح منى الاذن المذكور للعلامة النجيب . الاعز الحبيب ابى عبد الله سيدى محمد ابن العالم العلامة . الصالح المستغرق أوقاته فى خدمة سيده ومولاه سيدى مسعود الطالبى . اذنا تاما نفعنا الله والمسلمين بذلك . كتبه فى : ١٣ ربيع النبوى عام ١٣١٠ هـ محمد أباراغ أمنه الله)

قلت : وقد أجازنى أيضا الفقيه الصوفى الخاشع الاورع : سيدى محمد الضوء السباعى المذكور . فى ١٥ صفر عام ١٣١١ هـ وذكر لى ان من أشياخه سيدى التونسى بن بيه الدكالى العونى . وأن شيخه المذكور اخذ عن العلامة سيدى الطيب بن كيران الفاسى . وسيدى حمدون بن الحاج . والزروالى من طبقتهما .

وبعض اجازته : (اجزت الفقيه اللبيب . الظريف الاديب سيدى محمد فيما أجازه أبوه العلامة البركة الفقيه الورع . العالم الزاهد . بركة وقته . ومدرس ما اندرس من علوم الدين . حبنا وبركتنا سيدى مسعود بن محمد

وفقنا الله واياهم ومن شاكلهم من مدرسي علوم الشريعة المحمدية الخ ..)

ومن استجزته فأجازني : الشريف الحسيب العالم الفاضل الحاج الابر أبو عبدالله المعطى بن أحمد الشريف السباعي . تقبل الله منا ومنه كل المساعي . لقيته بموسم القطب سيدي أحمد بن موسى نفعنا الله به . فكتبت بين يدي استدعاءي مامن جملته مانصه :

ان دهتك صواعق الجهل فالجأ لامام هداتنا ابن معط
واغترف من بحاره قطرات يغن قطر نداه عن فيض معط
أستجيزكم ولست بأهل ولادني عبيده القرم يعطي

فلما قرأه فرح ودعا لي بالخير . ولله الحمد . وهذا نص اجازته :

(الحمد لله رافع أقدار العلماء ذوي علو السند . والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من حمد ويحمد . وءاله وصحبه ومن منهم استمد .

هذا وانه التمس بحكمحسن الظن : الفتى الفاضل الذكي . النبيهالفقيه الزكي . أبو عبدالله سيدي محمد بنمسعود الشريف الحسني . أن أجيزه فيما لدي من البضاعة المزجاة . من مروياتي في الظاهر من تفسير وحديث وفقه ونحو ومن الطريقة الشاذلية الناصرية . فاسعفته وان لم أكن أهلا لماظن فاقول :

(قد أجزت الاخ فيه في جميع ماذكر . اجازة عامة مطلقة . بشرطها المعروف الملحوظ . وعليه بتقوى الله تعلى . وان يقصد بذلك وجه الله تعلى وأن يجعل الموت نصب عينيه . وأعين من أشياخي سندا ينتهي الى الشيخ التاودي فقد أخذت رواية لماذكر عن الشيخ أبي سالم سيدي أبي سدوة اليحياوي . عن الشيخ أبي العباس أحمد كنكور . عن الشيخ أبي أحمد ابن الشيخ محمد التاودي . عن الشيخ الكامل الشيخ محمد التاودي بن سودة . وأجيزه في جميع أحزاب القطب الشاذلي كلها : الكبير والوسط والصغير . في سفينة النجاة ووظيفة الشيخ أحمد زروق . وفي الصلاة المشيشية . وفي حافظة أبي زكرياء يحيا النووي . الى غير ذلك منجميع مابلغني أشياخي الكرام . وأسأله ان لاينساني من صالح دعواته . في جميع أوقاته . وأسال الله تعلى أن يوفق المذكور لما يحبه ويرضاه . وأن يعينه على خدمة العلم الشريف . وأوءكده أن يصرف همته في ذلك مخلصا . جعلنا الله جميعا من المخلصين . بجاه سيدي الاولين والاخرين . وكتب أواسط صفر الخير . عام ١٣١١ هـ أفقر الورى عبده عبد المعطى بن احمد الشريف . أصلح الله حاله وجمل مآله آمين) . اهـ من خطه

وقد كتب الاجازة على عجلة وتاهب للرحيل للسفر • وقد لقنني الذكر على الطريقة الشاذلية الناصرية • واستفدت منه بعض المسائل العلمية • فالله يجازيه عنا • وقوله : عن الشيخ ابى احمد بنالشيخ محمد التاودى • كذا بخطه هو سهو • والصواب عن اشيخ ابى العباس أحمد الخ • وقوله أبو سدرة (١) • أخبرني بعض من له خبرة ببعض أحوال الشيخ المذكور • أن سبب تلقيبه بذلك أنه كان يجلس تحت سدرة ببلده حين مجيئه من فاس وقت افتائه للناس • فلقبه العامة بابى السدرة • والله أعلم •

هذا ماتيسر فى الحال • مع شغل البال • ولنا من الاسانيد ما نتصل به من كبار شيوخ سوس بغير من تقدم • ولم يتيسر سوقه الان • وأما ماجرت العادة بسوقه من المسلسلات • كالحديث المسلسل بالاولية وغيره • فلم يتفق لنا أخذ شيء من ذلك على الخصوص الا المصافحة • فقد صافحنا الشيخ الوالد بسند يتصل بغيره • لم استحضره الان • وقد قال العلامة ابو الحسن على الدمناتي فى فهرسته • بعد سوق سند له بقراءة الفاتحة • بمد مالك من طريق القاضي شمهروش الجني • رضى الله عنه ما نصه :

(وأرويه بأعلى سند فى الدنيا بالاجازة العامة عن ابى العباس السوسى القدوة شيخنا الشيخ : أحمد التيمكيدشتي • عن الاوجى • عن الحضيكي • عن الصوابى • عن أبى العباس بن ناصر • عن شمهروش • فهذه ستوسائط وأخبرني من أثق به : أنه حضر بفاس يوما نادى فيه الشيخ التاودى محشى البخارى : أنه مات الشيخ شمهروش بهذا اليوم • فأخرجوا لنصلى عليه • فخرجوا لمكان هناك فتقدم اماما • فصلوا من غير أن يروا غيره شيئا • وكان مخبرى أحد من صلى معهم بلا رؤية شيء • وأخبرني من رأى رسائله الى السيد الحسين الشرحبيلي أحد تلاميذ ابن ناصر • فلا محالة اذن ان الشيخ التاودى لايغفل الاسناد عنه • فتكون الوسائط بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة • اذ عمدتى الفهامة الشيخ أحمد الدكالى الفرجى • أخذ عن السيد أحمد بن التاودى • عن والده عن شمهروش • عنه صلى الله عليهوسلم سماعا للكل • وياله سندا عاليا • فلاشك أنه تمكن الرواية به لسائر كتب الاسلام • اذ شمهروش المذكور لايعجز أن يروى عن أئمة الاسلام وهو مسلم كما هو دأب اهل الجن بقراءتهم على الانس • فانهم يقرأون على الانس وقل من يراهم منهم • فلعله لذلك لم يكن مشهورا • اه

ولايخلو من تساهل من اقتصر على الرواية بما ذكره اخرا • وانماالذى يصلح لذلك على العموم ما قدمناه من سند شمهروش فى اجازة أبى عبد الله

---

١) هذا علامة من هوارة بسوس • كان رفيق الحاجمبارك بن المصلوت الكبير

أباراغ • والله الموفق والمعين • والهادى الى سواء الصراط المستقيم •

ولنختم هذا المجموع الذى هو لايسمن ولايغنى من جوع • ولكن فيه الدخول لمن تسامت همته الى الدخول • بانشاد ما أنشده الشيخ ابرهيم الميمونى للعلامة العياشى عند توديعه • وهو :

وحيث اتجهتم صادفتكم عناية ويرعاكم الرحمن فى كل مشهد

وما أنشده عند التوديع أيضا شيخه القاضى الامام الاعدل سيدى محمد ابن سودة الفاسى وهو :

كلاك الله حيث قصدت وجها وحاطك فى المبيت وفى المقيل

ولايخفى عن اللبيب استخراج سند ما أراد وصل السند به من الكتب العلمية فى الفقه وغيره • مما قدمنا ذكره • من فهارس الائمة التى تتصل أسانيدنا بهم • والحمد لله الذى هدانا لهذا • وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله • كتبه (١) عن عجل شديد • وضيق بال • ومزاحمة أشغال • بتاريخ أواخر ذى الحجة الحرام من شهور عام ١٣١٢ هـ الضعيف الحقير محمد بن مسعود السملالى الطالبى • كان الله له وليا وبه حفيا • بالنبى وآله والبخارى ورجاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اثيرا • والحمد لله رب العالمين)

ومن آثاره أيضا ما نصه :

وعليكم السلام ورحمته تعلى وبركاته • أمـا بعد : أما ما ذكرته من العجز عن الامامة • فقد تكلمنا عليه فى الرسالة التى مع هذه بما حاصله : ان المرء فقيه نفسه بعد الفقه • فان علمت من نفسك عدم تـوفر شروط الامامة فيه فانت أبصر • وأما مانقلته عن التنائى • فلا باس عليك منه نعم عليك اعتقاد أنك لم تكن فى رتبة الكمال أبدا • هذا مع وجوب الشكر عليك لما تحصل عندك من الكمال • لتجمع بين الشكر والخوف • والحذر من رؤية الاعمال • والعجب والاعجاب بها • وأما اعتقاد بطلان صلاتك وصلاة من صلى بك • أو الشك فى ذلك • مع تحصيلك فى الظاهر للفرائض • فمن بـاب الوسوسة • حفظنا الله تعلى واياكم من كل شر امين • وأما التنبيه فيمـا يتعلق بالعلم والقراءة فى فنونه • فلا بأس بحمد الله بقرائك • فاشكر الله تعلى وأعرف قدر نعمة الله تعلى عليك فى دينك وعلمك وحالك • فكم طالب جد وما أدرك عشر ما ادركتٍ فى قليل • وكم ممـن أدركه لم يوفـق للعمل

---

١) ليعلم فى التاريخ ان ءال مسعود تعودوا كتابة هذه الجملة فـى مختتم رسائلهم ومحرراتهم : (كتبه عن عجل شديد)

ببعضه وانظر مبحث الشكر من الاحياء للغزالي • وأوائل رسائل ابن عباد • وغير ذلك • والشكر هو الصراط المستقيم • الذى قعد عليه اللعين • ليصد عنه العباد • كما اشير اليه فى قوله تعلى (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) ذكره ابن عباد فى الرسائل • وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه ءامين)

ومن آثاره الادبية هذه الرسالة الى شيخه أحمد بن ابرهيم الاكراري:

(مقام الاستاذ الذى له من الكبد الافلاذ • والى علمه الفياض المعاذ صاحب الفكر المنطقى الذى لايفوته قنص • والمتطلع الى ماغيره عنه نكص : سيدى أحمد بن ابرهيم • فعليك أفضل تحية • واليك ما فاضت به السجية :

ما المجد الا مجد من فاق الورى ... حتى تهادى فوقهم وتبخترا
أعلته همته الثريا صاعدا ... وسواه من أقرانه فوق الثرى
فتهدلت من فوقهم أغصانـــه ... يرعون منه غصن علم مثمرا
ماذاك غيرك ياأبا العباس مـن ... انداربحث كانليثا فى الشرى١
من لم يرد منماء علمك لميزل ... عنه الصداء وان تحسى ابحرا
ما أنت الا مزنة هطلت فمـن ... هطلت عليه بالمباحـث اثمرا
أبقاك من أرقاك مـجـدا عاليا ... أطللت منه كالهلال ان أبـدا
وعليك خير تحية فواحـة ... تنسيك حين تشممنها العنبرا

أما بعد : فقد أخبرت أنك وارد البلد • فواصل الرحم • فبادرت بهذه التحية • لعلها تجدك فى تلك الناحية • فتاخذ الكتاب المستعار • وجـازى الله المعير بالخير ونفع المعار • وان كان عندك شرح لايساغوجى • فارسله مع الحامل • وعند العواشر المقبلة يكون منى ومن صاحبى (٢) وصل معك شامل وادع لنا ياسيدى بالمغفرة والتوفيق • وسلوك أقوم طريق

وكتب لبعض أترابه الذين ينازعهم فى ميادين الشرعيات ـ وقد تقدم بعضه ـ

أما بعد : فقد قرأت ردك الذى استفرغت فيه جهدك • فرأيتك أبعدت النجعة (٣) وأنأيت عن الاصل فرعه • فانك لم تكن من ترتيب المقدمات على ذكر • ولم يجر ذلك قط منك على فكر • حتى شرقت وقد غربت القضية • وأتهمت بادلتك وقد أنجدت المسألة فى الناحية النجدية :

---

١) الشرى بالفتح : محل معروف بالاسود عند العرب

٢) سمعت أنه كان ياخذ عنه مع الفقيه ابرهيم كزور المعدرى ثمالساحلى وربما كان هو المقصود هنا •

٣) الانتجاع : طلب الكلا ومواقع المطر • وابعاد النجعة كناية عن الغلو فى طلب الشيء حتى يفوته •

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان (١)

وكتب فى أثناء جواب فى نحو ذلك :

لقد أمعنت البصر فيما كتبت • وجمعته من الادلة ورتبت • فظهر لى انك أعرضت عن المحز (٢) وتنكبت السهل الافيح الى الامعز (٣) وانك انما اتيت فى كل ما ذكرت بجهام (٤) من السحب • تقممتها (٥) مما لديك من الكتب فلم تضع الهناء مواضع النقب (٦) فذهب العمل هباء منثورا • ومن سلك الخبار فلا بد أن يكون عثورا (٧)

وكتب الى من يستدعيه من طلبة المدرسة من أترابه • وذلك فى مبادلة

كتبت اليك والطجين مهيأ وخبز الحوارى حوله يتلالا
وقدفائت النعمى وطاب وريفها فياسعد من فى فيئها يتفيا(٨)

وكتب فى ذلك الطور الى رفيق له :

ياشقيقا للروح فى خلقه ما يخجل الزهر فىرياض الشقيق
اكنس البيت وافرش الفرش لازلـ ـت حفيا برا بكل صديق

وقال بديهة لجليسه :

اسقنى ماء قراحا زادك الله صلاحا
وسقى قلبك من صر ف شراب الحب راحا

وقال أيضا بديهة لمن يباحثه وسط هجير :

---

١) البيتان لعمر بن ابى ربيعة حين تزوج سهيل بن عبدالرحمن محبوبته الثريا •
٢) المحز المقطع • حز الشيء قطعه
٣) الامعز : المكان الصلب الذى فيه احجار •
٤) الجهام بالفتح من السحب : مالامطر فيه
٥) القمامة بالضم كناسة المحل : أىما كنسته فيه • يعنى انه انما جمع أدلة خالية من المقصود • وما الطف لفظة (تقممت) هنا
٦) الهناء (بالكسر) القطران • والنقب : مانقب من جلد البعير بالدبر •
٧) الخبار بالفتح : مالان من الارض واسترخى • وأصل ذلك من المثل من تجنب الخبار أمن العثار
٨) الفيىء : الظل عشية • والتفيوء الاستظلال به • وربما قصد التورية باسم اللحم فى لسان الشلحة تفكها • لان تيفيى هو اللحم

الوقت وقت استراحة فخذ لنفسك راحة
فالفكر فيه كلال فنم تنله نجاحه

ومن ءاثاره هذه المقامة :

أخبر الحارث بن همام قال : خرجت في بعض الاسفار في صحبة فتية من الاخيار • كأن وجوههم الاسفار (١) تتبلج من بشاشتهم سواطع الانوار وتتعطر من أخلاقهم ارجاء تلك القفار • مافيهم الا صادق ود • حافظ عهد • كريم عرق حليف اخاء وصدق • لابس تقى ومبرة • جالب لكل طرفة ومسرة (٢) كاف في المهمات • ثقة في الملمات (٣) يزين جليسه ويأتيه • ويبره ولايلاغيه (٤) ان صمت فطود وقار وسكون • وان تكلم فمفيض ءاداب وفنون :

من صحاب ينسى الغريببلقيا هم عزيز الاوطان والاوطار
بحوار الذ من رشفة الرا ح ووصل الخرائد الابكار

فجلنا في بعض الايام في ميدان الشعر • وتبارينا في المساهمة بقداح الفكر (٥) في مطارحات تنبىء عن صفاء الطويات • وخلوص السرائر والنيات فجرى بنا الحديث الذى هو شجون (٦) الى استمطار أنواء (٧) القرائح • بأنواع مداعبات تسلي المحزون • وتنهى عن محاسن ليلى توبة المجنون (٨) وتثير من الصبابة مالايخل بأدب • ولايقدح في ديانة ولايفضى الى عطب • واندفع كل منا يعمل جهده • ويبرز من لباب ماعنده (٩) في معرض غزل

---

١) اسفار الصبح انتشار ضوئه
٢) الطرفة من كل شيء : مايستحن ويفرح به لندوره • كالفاكهة في أول ابانها
٣) الملمات : الحوادث النازلة بالانسان
٤) من اللغو اى الكلام الذى لافائدة فيه
٥) المساهمة : هو مايسميه عامة العرب عندنا اليوم بضرب العود • وكان العرب يعمد كل واحد منهم الى قدح بكسر فسكون (سهم بلاريش) من كنانته فيلقيه • ثم ان استخرج احدها يعرف لمن هو • وجمع القدح قداح بالكسر
٦) الشجون : الطرق في الشعاب ج شجن بالفتح فالسكون • يقولون : الحديث شجون او ذو شجون أى فنون •
٧) الانواء : ج نوء : النجوم يكون المطر معها ان أراد الله
٨) توبة بن الحمير من العشاق المشهورين • ومحبوبته هي ليلى الاخيلية المشهورة بالشعر
٩) لباب الشيء ولبه بضم اللام فيها والخالص منه الصافي

رقيق • يسبك ابريزه في كل معنى رشيق • فقال احد الحاضرين : ليجز كل واحد منكم ما القيه الساعة • فقلنا سمعا وطاعة • فانشد البيت الاول • فاجازه من يليه • وهكذا الى تمام الدور • والانتهاء الى الصدر • وهذا ما تحصل من ذلك الانشاد • البديع المستجاد :

الاول :

سلبتك جالبة الحتوف | بسنا كبارقة السيوف

الثاني :

ما كنت تحسب في الهوى | خطبا (١) تدور به الصروف

الثالث :

يقتاد منك على الرزا | نة قلب محترز انوف (٢)

الرابع

ويذل عزة باذخ | متمنع شكس عيوف (٣)

الخامس :

حتى غدا بك في الحبا | لة جوءذر ثاني العطوف (٤)

السادس :

لاأنت انت طحا بلبـ | ـك في الجوى داء مخوف (٥)

السابع :

فاحتل على رد الحيا | ة بمزهر داني القطوف (٦)

الثامن :

يفتر عن برد به | للصب تبترد الرضوف (٧)

(ثم وقف الدور من الرفقاء • لحادث عن من الزمن • وكيف تفلتهم صروف الحوادث وهي لم يفلت منها من ومن • ومن قدر له في الازل ان يكون

١) خطب الدهر : حادثه

٢) الانوف : صاحب الانفة اى الكبرياء

٣) الباذخ : العالي • والشكس : الصلب الارادة • الصعب الخلق • والعيوف الذي يترفع بعظمة عما لايريده

٤) الحبالة : شبكة الصياد • والجؤذر : ولد البقر الوحشي والعطوف جمع عطف بمعنى الجانب

٥) طحا بقلبه الشيء : ذهب • والجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق

٦) القطوف ج قطف بالكسر : عنقود العنب ساعة يقطف • أو مصدر لقطف يقطف

٧) الرضوف ج رضف كعمرو : الحجارة المحماة

قصيرا . فلن يجد من ذلك ملتحدا . وان يرى له نصيرا) (١)

ومن ءاثاره : التصدير والتعجيز لبانت سعاد . مطلعها :

(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) مؤجج بأوار الحب مخبـول (٢)
طاحت به من صبابات طـوائحها متيم اثرها لم يفد مكبـول (٣)

ومنها :

(هيفاء مقبلة عجـزاء مدبرة) في حضنها البرء للمفؤود مبذول٤
مربوعة القد لم تشن ملاحتها (لايشتكـى قصر منها ولا طـول)
(تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت) في رشفه للظما ري وتعسيل (٥)
يئيل منه عليل الهجر منتعشا (كانـه منهل بالراح معلـول ٦)

ومنها :

(أكرم بها خلة لو انها صدقـت) في ودها لم يكن في الهجر تسويل٧
ما ضرها لوسخت بوعدها ووفت (موعودها او لو ان النصح مقبول)
(لكنها خلة قد سيط من دمهـا) طبع الصدود فما يفيد تاميل (٨)

---

١) ملتحدا : اى مهربا وماًلا . ثم ينبغى ان يعلم ان مانقلناه عن خط هذا الاديب ينتهى عند قوله : يفتر عن برد به ٠٠٠ الخ البيت . فلم يتمم المقامة ولذلك فان ماتمت به وهو : ثم وقف الدور الخ هو من قلم المولف .

٢) تبله : ذهب بعقله . وأوار النار بضم الهمزة حرها . وخبله الحزن : جننه .

٣) طاح : هلك أو أشرف على الهلاك . والمتيم : المشغوف بالحب والمكبول: من قيد بالكبل

٤) الهيفاء : الرقيقة الخاصرة . والعجزاء الكبيرة العجيزة . والحضن : ما بين الابط الى الكشح . أو الصدر والعضدان وما بينهما . والمقصود ان فى معانقتها برء من كان مفؤودا أى سقيم الفؤاد بالجوى . والبذل : العـطـاب كان بعض الظرفاء السوسيين يقول : ان التزوج بمن هذه صفتها هو الزواج السنى . لان رسول الله أقر هذا الوصف والسنة أقواله وافعاله وتقريراته

٥) العوارض ج عارض : السن الذى فى عرض الفم . وذو ظلـم وصف للثغر . وعسلت الشراب جعلت فيه عسلا . والظلم بفتح فسكون : البريق

٦) يئيل يرجع ويبرد . وأنهلت انسانا : سقيته نهلا وهو الشراب اولا وعللته : سقيته عللا وهو الشراب ثانيا

٧) الخلة بالضم : المودة . وسولك فلان كذا : زينه لك

٨) ساطه بكذا : مزجه به . والتاميل : الرجاء

لكل غيداء غنج لايزايله (فجع وولعواخلاف وتبديل) (١)
(فما تدوم على حال تكـون بها) جنت من الحسن والمجنون مشغول
في كـل يوم تراهـا في تلـونها (كما تلون في الوانها الـغـول)
(فلا تمسك بالعهد الذى عقـدت) وكل عقد لذات الخدر محلول(٢)
كيف الوثوق بعهد لابقاء لـــــه (الا كما يمسك الماء الغرابيـل)
(فلا يغرنك ما منت وما وعدت) أحبل كل اسيل الخد موصول ؟
فانـما ذاك أحـلام مضللـة (ان الامانى والاحلام تضليل)(٣)

الى ان قال يذكر الناقة :

(تسعى الوشاة جنابيها وقولهم) شماتة ومريغ البغى مخذول (٤)
قد أرجفوا بى وقالوا لى جميعهـم (انك يا ابن أبى سلمى لمقتـول)
(وقال كل خـليـل كنـت ءامله) اليك عنى فما لـدى تاميل
مالى بابواء مطلول الرسـول يـد (لا الهينك انى عنكمشغول) (٥)
(فقلت خلوا سبيلي لا أبالـكـم) لعل للعسر يسرا فيه تعجيل
لايدفع الجزع المحتـوم مـن قدر (فكل ما قدر الرحمن مفـعـول)

الى أن قال :

(أنبئت أن رسول الله اوعدنى) وحلمه للزاخر الامواج مسدول(٦)
فلا يكدره جرم ولا جنـف (فالعفو عندرسول الله مامول ٧)
(فقد أتيت رسول الله معتـذرا) مما نمت بهت عدا مرازيـل (٨)

---

١) الغيداء : المتثنية لينا · والغنج بالضم : تمنع المحبوب على محبه واظهار الكبرياء له · وفجع الانسان اذا فقد مايكرم عليه · وولع فلان بفلان : استخف به وذهب بعقله

٢) وقد ما قيل : (وكل نقى اخد ليس له عهد)

٣) ارايت مقدرة الاديب ابنمسعود كيف التحم على يده القديم والحديث التحاما لاتميز معه

٤) المريغ للشيء : مريده وطالبه ·

٥) طل دم فلان · لم يوخذ بثاره · والمقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دم ابن أبى سلمى (٦) سدل الذيل : مده · والجملة حالية

٧) الجرم بالضم : الذنب · والجنف محركا : الميل

٨) البهت بضمتين : جمع بهوت كصبور : المباهت · والبهت أن يلصق بالانسان زورا ما لم يفعله تمويها وكذبا · ونمى الخبر افشاه · والمرازيل ج مرذول أى الحسيس من الناس

وعندى العذر وضاحا يسددنى (والعذر عند رسول الله مقبول)
(مهلا هداك الذى أعطاك نافلةالقر آن) ما معها لمصقع قيل (١)
فيها من الحق نور تستنير به الا حلاك (فيها مواعيظ وتفصيل)(٢)
(لاتاخذنى بأقوال الوشاة ولم تكن لتاخذنى والصفح مبذول
حاشا أرى منك ما قالوا وانى لم (أذنب وان كثرت فى الاقاويل)
(لقد أقوم مقاما لو يقوم به ثبت عراه من الهيبات تهويل (٣)
أمثل مرتعدا مستسلما وأنا (أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل)
(لظل يرعد الا ان يكون له من رأفة المصطفى أنس وتسهيل
وأفيت عن رغب لكى يوفر لى (من الرسول باذن الله تنويل٤)
(اننى وضعت يمينى لا أنازعه فى يد من بره فوز وتوسيل
ضاقت بنفسى رحاب فانطرحت بها (فى كف ذى نقم من قيله القيل)
(لذاك أهيب عندى اذ أكلمه والقلب بالرعب والهيبات مخبول
وقد أحاطت بألبابى هواجسها (وقيل انك منسوب ومسؤول)٥
(منخادر من ليوث الاسد مسكنه فيه الكماة رعاديد أبابيل (٦)
والرعب منه اذا صكت زوائره (ببطن شمر غيل دونه غيل) (٧)

الى ءاخرها

وغالبها محكم النسج • ملتحم السدى باللحمة • حتى لايتفطن لذلك الا من كان يحفظ الاصل قبل • وه فى البردة مثل ذلك • وكذلك الهمزية • غير أن هذا لم يتم • ولم نرد أن نطول بذكر نماذج منها

---

١) المصقع بكسر الميم : البليغ
٢) الاحلاك : الظلم جمع حلك
٣) الثبت : الرجل ذو الثبات • الرابط الجاش • والمقصود بذلك مقام النبى صلى الله عليه وسلم •
٤) التنويل العطاء •
٥) هواجس النفس : مايختلج فيها
٦) الخادر : الكائن فى الخدر • والمقصود به هنا غيل الاسد • والكماة ج كمى : الشجاع • والرعاديد ج رعديد بكسر فسكون : الجبان • والابابيل ج ابول بكسر الهمزة وفتح الباء المشددة : الجماعات وقيل لامفرد له
٧) الرعب : الفزع • والزئير صوت الاسد • وزوائره : أصواته • والصك: الضرب بشدة • والمقصود هنا : طروق أصوات الاسد المسامع • فكأنها تضربها بشدة • وشمر بفتح الميم المشددة كالماضى • محل فى بلاد العرب • والغيل محل الاسد • والرعب مبتدأ • وخبره : غيل بعده غيل

فوائد من مقيداته

اتصلت بكناشة من كنانيشه ، فظفرت منها بفوائد جمة ، يقيدها هناك ، مما يقع عليه أثناء مطالعاته لمختلف الكتب ، أو مما يقع عليه من افواه الرجال ، وقد رأيت هناك مقيدات نقلها عن عبد العزيز الرسموكي من شرحه على الخزرجية ، ومما أعجبني منها مايتعلق بلفظة (غاية) ونص ماقيده في ذلك :

الغاية لغة : النهاية ، وهل أصل الفها واو او ياء خلاف ، وهل وزنها فعلة ككية بفتح فسكون ، قلبت الياء الفا كراهية التضعيف ، هو للفراء قال في التسهيل : وهو أسهل الوجوه ، أو وزنها فاعلة ، أصلها غايية ، حذفت عين الكلمة استثقالا ، المكسورة اولاهما ، وهو للكسائي ، أو فعلة محركة ، فعكسوا القياس ، فاعلوا العين بقلبها الفا ، وصححوا اللام ، وهو للخليل ، أو فعلة بضم العين ، أو فعلة بكسرها ، فاعلت العين وصححوا اللام ، كالذي قبلهما ، أو أصله غياة كحياة ونواة فقلبت لامه الى موضع عينه أقوال ستة نقلها أبوحيان في شرح التسهيل ، ومثلها في ذلك ءاية ونحوهما

وهناك أمثال هذه الفوائد المختلفة في الفنون ، خصوصا الصوفية والطبية والفقهية ، ولكوننا في كتاب أدبي كان الاولى بنا الفوائد الادبية مما هناك مماقيده من منشدات الرجال ، فمن ذلك ما نصه :

(حكى بعض أصحابنا من أهل القطر المسمى بالقبلة (بالقاف المعقودة) أن امرأة من قبيلة من قبائل ذلك القطر ، نزل عليها ضيف ، فلم تعبأ به ، ولم تحتفل به بالاكرام ، وكان شاعرا مجيدا ولم تعرفه ، ثم ان بعض جيرانها عرفها اياه فاعتذرت اليه غاية ، فقامت باكرامه أشد قيام ، فلما رأى ذلك وأنها خافت من شر هجوه انشد :

نزيلك فامني أبـدا اذاه ... نزيلـك غير مرهـوب الصيال
ضعيف لايخاف البطش منـه ... عفيـف لايسب عـلى النـوال
قراه اذا ألم بارض قوم ... مفاكهة اللبيب من الرجال

وحكى لنا أيضا ان بعض العلماء من ذلك القطر ، وهو عبد الله بالنصب بن سيدي محمود من قبيلة اداو الحاج ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة هنالك ، نزل على ناس مختفيا لم يعرفوه ، فاضافوه بالمذق ، فلما أصبح الصباح كتب على ورقة هذين البيتين :

قراكم الضيف وهنا يا أبـا الحسن ... بالمذق في الودق فعل ليس بالحسن
وليست السنـة الغراء تامركـم ... بجعل ماء الاضا للضيف في اللبن

وحكى أيضا أن حرثانيا ورد على الفقيه الاديب العالم سيدى محمد ابن الشيخ الكبير المشهور سيديا بن الهيبة • التندغى (نسبة الى تندغ : قبيلة مشهورة من زوايا القبلة) وذلك الحرثانى حداد ويسمى (نحن) يزعم انه شريف فبعد حين ظهر لهم من حاله واخلاقه كذبه • فروود الاديب المذكور على أن يهجوه ويعطى بعيرا • أو أى حاجة أخرى يريدها • فقبل ذلك فهجاه بهذه الابيات :

ما هز عطفى كمى يوم هيجاء — بين الاوانى كذى النونين والحاء
فرد يقوم مقام الجمع وهو لذا — يدعى بمضمر جمع بين اسماء
تخال لقمته العظمى براحته — كراكر الابل او جماجم الشاء
يسطو باسلحة للاكل أربعة — يد وفم وبلعوم وأمعاء
ما بين طلعتها فيها وغيبتها — فى فيه الا كلمح الطرف من راء
فتنهوى مثل دلو خان ماتحها — أشطانها فترامت بين ارجاء
فبان ان الذى يحويه من شرف — قد صح لكنه بالهاء لا الفاء

ولهذا الشاعر من قصيدة مطلعها :

أيا معشر الاخوان دعوة نادب — الى الحق ، والمعروف ليس بكاذب

وقوله :

وما أفسد الالواح والهم والتقى — كبيض التراقى مشرقات المشانب
مراض العيون النجل حو شفاهها — رقاق الثنايا حالكات الذوائب

ومنها :

ولاتنتجوا البغضاء بالمزح بينكم — بل استنتجوا بالدين ود الاغارب

وأنشدنا المذكور ويظنه لبعض الصحراويين :

ماكنت مذ كنت الاطوع خلانى — ليست مضاغنة الاخوان من شانى
يجنى الحبيب فاستحلى جنايته — لكى يدل على حسنى واحسانى
يجنى على وأحنو دائما أبدا — لاشىء أحسن من حان على جان

حكى بعض أصحابنا من أهل (تندغ) من زوايا القبلة أن امرأة • نزل عليها ضيف • وله نعلان من النعال التى يستقبحها أهل ذلك القطر فطحنت نعليه • وصبت على ماخرج من طحنها ماء سكرودهنا • فقدمت له ذلك فأكله وهى أخذت النعلين بلا شعور منه • فلما سألهما عنهما بعد الاكل قالت له : ماهما الافم (تعنى فم • وهم يقلبون الثاء فاء) فلما اكثر عليها جاءته بنعلين حسنتين فاعطتهما اياه • وقالت له : ان نعليك تغديت بهما • فانشد سيدى

محمد ابن الشيخ سيديا ابن الهيبة فى ذلك يقول :

ضيـف مرأة شوت نعليـه فهياتهما قرى لديـه
واذ تغدى الضيف قالت لما سألها انهـمـا لفمـا

ولنكتف بهذا القدر . فان هذا وحده كاف فى الاريحية الادبية التى تستولى علىابن مسعود حتى يهتبل بأمثال هذه النوادر .

الآخذون عنه :

١ـ أحمد بن مسعود أخوه
٢ ـ الطاهر بن مسعود أخوه
٣ ـ ابرهيم بن مسعود أخوه
٤ ـ محمد بن محمد المعدرى الغريق
٥ ـ الحسين ندعباد المعدرى
٦ ـ أحمد بن فارس الخنبوى المعدرى
٧ ـ محمد بن أحمد أوعامو القاضى التزنيتى
٨ ـ أبوبكر معاونه التزنيتى
٩ ـ موسى بن ابرهيم الاغرابويى التزنيتى
١٠ ـ الحسن بن عثمان المعتبط شابا الاغرابويى التزنيتى
١١ ـ الطيب الطحانى التزنيتى
١٢ ـ سعيد المزى التزنيتى
١٣ ـ الحسن بن عبد الرحمن الاكرارى
١٤ ـ محمد بن عبد الرحمن أخوه
١٥ ـ الطاهر السماهرى البعمرانى نزيل اكلو
١٦ ـ الطاهـر الساحلى
١٧ ـ أحمد بن محمد ابن عمه
١٨ ـ محمد بن محمد أخو هذا
١٩ ـ محمد بن عبد الله الايكالفنى الابراييمى
٢٠ ـ أحمد بن الحسين الاوتفوسى الابراييمى
٢١ ـ أحمد بن صالح من قصبة البودراريين بأيت براييم
٢٢ ـ الحسن بن محمد العمرى البونعمانى
٢٣ ـ أحمد بن على ابن عمه
٢٤ ـ بلخير التيمجاضى البراييمى
٢٥ ـ المدنى بن محمد بن الحسين التيمجاضى

٢٦ ـ محمد بن علي التّبرباقتي
٢٧ ـ أحمد بن عبد الرحمن من آيت سيدى داود
٢٨ ـ أحمد أبو الوقت التزنيتي ثم الزعيرى
٢٩ ـ عبد الرحمن العوفى البعقيلي
٣٠ ـ ابرهيم بن أحمد البودرارى التيواركانى البعقيلي
٣١ ـ علي بن الطاهر الرسموكي
٣٢ ـ الطاهر الانزيبي الرسموكي
٣٣ ـ محمد بن حسين الجرارى ثم العتابي
٣٤ ـ الطيب البعقيلي
٣٥ ـ الحسين بنابرهيم بنصالح الجرارى التالعينتي
٣٦ ـ محمد بن السائح الجرارى التالعينتي
٣٧ ـ عبد السلام الجرارى
٣٨ ـ علي بن أحمد بن الحسين البراييمي
٣٩ ـ المدني التيمجاضي
٤٠ ـ محمد ابن الشيخ الالغي الدرقاوى
٤١ ـ الطاهر البعريري الهوارى
٤٢ ـ محمد بن عبد الرحمن السكتاني
٤٣ ـ محمد بن محمد الحضيكي الاديب
٤٤ ـ محمد بن عبدالله الزيكي ثم السويرى
٤٥ ـ محمد بن الحسين الزيكي
٤٦ ـ الحسن الزيكي
٤٧ ـ أحمد بن محمد التناني
٤٨ ـ أحمد بن مبارك التناني
٤٩ ـ محمد بن عبدالله التيشكجيبي التناني
٥٠ ـ أحمد بن محمد بلديه
٥١ ـ عبد القادر الوادنوني
٥٢ ـ الحسن الركيبي
٥٣ ـ محمد الوالي بن البهالي الركيبي نزيل مراكش
٥٤ ـ جامع بن محمد التازاروالتي ثم البوزاكارني
٥٥ ـ ابرهيم الاوزالي
٥٦ ـ موسى بن الطيب الالغي قليلا
٥٧ ـ عبد الوهاب بن الطاهر الرسموكي
٥٨ ـ الطيب بن محمد المشهور بأمْرْنُوىْ الاكرضي الاغيرْملولني
٥٩ ـ الحسن بن الفقيه الذى خاطبه بالعينية المتقدمة

٦٠ ـ عبد الله بن محمد الايموگاديرى التامانارتى
٦١ ـ حميد التيمجاضى
٦٢ ـ على بن مسعود التيمجاضى
٦٣ ـ بلقاسم الرخاوى فقيه أباينو
٦٤ ـ أحمد العوينى
٦٥ ـ سيدى الطيب البودرارى البعقيلى

هؤلاء من عرفناهم أو ذكرهم لهم من يعلن أنه واقف عند شرطنا فى أمثالهم من التفوق • أو التوسط فى المعلومات • وهؤلاء لايقلون كثيرا عمن أخذوا عن الاستاذ • خصوصا من أعراب الصحراء الذين يدركون عنده وعند أبيه عشرات • فلابد أن يكون فيهم من يكونون وفق شرطنا • ولكننا نعتذر بجهلهم الان • وهو عذر واضح مقبول • وقد أخذ عنه بعض من اخذوا عن والده • فكررنا ذكرهم • وغالب هؤلاء ذكرناهم فى أحد أجزاء : من (أفواه الرجال) مما كتبناه عن رجالات ازاغار

مؤلفاته :

١ ـ نظم رسالة الدردير
٢ ـ شرح بعضه
٣ ـ نظم رجال البخارى • لم يتم
٤ ـ نظم رسالة العضد
٥ ـ حاشية لايسر المسالك على الالفية • لعلها لم تتم
٦ ـ رسالة فى أما بعد
٧ ـ منظومة فى العروض
٨ ـ شرحها • لم يتم
٩ ـ شرح صغير على لامية العجم
١٠ ـ مثله على (بانت سعاد) لعله لم يتم
١١ ـ التصدير والتعجيز لها
١٢ ـ تعليقه عليه
١٣ ـ مختصر ازهار الرياض • لعله تم ـ ثم ضاع ـ
١٤ ـ مختصر رحلة العينى الاگرارى • لم يتم
١٥ ـ نظم الفروق للقرافى لم يتم
١٦ ـ مولف فى الحساب
١٧ ـ شرح على رسالة ابن زيدون الهزلية
١٨ ـ التصدير والتعجيز • للبردة

١٩ ـ شرحها
٢٠ ـ شرح آخر صغير عليها
٢١ ـ التصدير والتعجيز لقصيدة : سكن الفواد
٢٢ ـ اتمام نظم مختصر المدخل لعمر الكرسيفى
٢٣ ـ مؤلف فى الشيخ سعيد المعدرى • أدخلناه فى ترجمة هذا الشيخ فى (الفصل الاول) من (القسم الثالث)
٢٤ ـ اتحاف أهل الوداد • بما للطريقة الالغية من أسنى الاسناد
٢٥ ـ شرحه • وسماه (المنهل الصافى) لم يتم
٢٦ ـ هز الراية الجعفرية • فى ترجمة شيخه الالغى وادخلناها فى كتاب (الترياق المداوى)
٢٧ ـ مجموعة أمداح فى شيخه المذكور • ذكرنا غالبها فى ترجمة الشيخ فى (القسم الاول)
٢٨ ـ شرح سنية ابن بادس • لم يتم
٢٩ ـ تعليقه على بنانى على السلم • يجمع منها طرره عليه • لم تتم
٣٠ ـ شرح على نظم الفصيح • لابن المرحل • لم يكمل
٣١ ـ نظم العشماوية • لم يتم
٣٢ ـ تعليقات على المحلى وحواشيه • فى طرر نسخته • لم تجمع
٣٣ ـ سلوة الاسى • فى مسألة فقهية
٣٤ ـ مولف فى الفقه بالشلحة • كأنه مترجم أقرب المسالك
٣٥ ـ مولف فى الاذان واقامة الصلاة
٣٦ ـ كناش كالفهرس • ذكر فيه من أخذ عنهم رواية ودراية
٣٧ ـ السوانح فى أفكار صوفية
٣٨ ـ الاوابد من الافواه • يقيد فيها مايعجبه من الاحاديث فى كناش على حدة
٣٩ ـ ديوان شعر • يذكر ولم نره
٤٠ ـ فتاو كثيرة • متفرقة • وفيها ماهو مولف على حدة
٤١ ـ اجازة العوفى • هى التى ذكرناها آنفا
٤٢ ـ تاريخ عام للمغرب • رجالاته • كتب فى حرف العين كثيرا منه
٤٣ ـ الاسعاذ والهداية • منظوم فقهى • لم يتم
٤٤ ـ نظم تحفة الرسول

هذه قائمة مولفات الاستاذ التى ذكرها له المطلعون • وقد تكلمنا عليها فى مكان آخر • فى غير هذا الكتاب • وهذه الكثرة من التآليف بنت نشاطه المستمر فى الكتابة • ولعل هناك مؤلفات اخرى لم نعرفها • ولم أعلم لسوسى قبله مثل هذه الكثرة من التآليف مع تفننها الا أن غالبها لم يتم

قولة الرفاكي فيه :

قال بعد ذكره لوالده :

(ومنهم ولده • الذى تعلق به خلده • وكثر فى مرضاته جلده • حتى زها به بلد غيره وبلده • وهو الفاضل النجيب • الاديب الاريب • يافع مذكور وهمام مشهور • أبو عبدالله سيدى محمد بن مسعود الدرقاوى طريقة • بعد الناصرية المطروقة • ترك بها التدريس • وتسمى لاجلها الدردبيس • -كتب عليه المولف بخطه اى الشيخ- فخرج هائما • وفى البلاد حائما • فلحقه الهاذم • وللين غصنه قاصم • فصاح به أجله • تصحبه خشيته من الله ووجله • وحين هتف به الحال • يقول لسميره من الرجال : ان اقراء الفقه ضلال • وبلوغ المنى به من المحال • فهجر ذويه • وعادى من يناوله ويناويه • كسر سلمه الذى منه ارتقى • وبه صفا معقوده المنتقى • بدا للعلم منه قمر • وأينع لمجالسه منه ثمر • فغبر فى وجهه • واختار الجولان على منهجه • وقدرمى بالوسواس • واختل منه نظام القسطاس تجرد • وعلى العلماء انتقد • وكان سيدى محمد اكيك يقول (محمد بن مسعود يهلك عن قريب) فقلت له : قال ينتقد على جميع الشراح • والمنتقد لايسلم سلم تسلم فكان الامر كما قال • ومع ذلك فقد أخذ المدرسة وتركها ويجول • فاذا كان وقت الشرط خرج اليه بنفسه وفقرائه • فينزل على الناس بالكلف • حتى يجمع الشرط ثم يجول • والناس انما شارطوه على تعليم العلم • ولم يشارطوه على أن يلقن الاوراد • فضيع ما استرعى • فعاش فى الحرام • وقد عاب فى (لطائف المنن) على شيخ يدور بجماعته وقال له : ان جميع أعمالك كل يوم لاتفى بثمن الطعام الذى تأكله بالمحاباة يوم القيامة (انتهى بلفظه)

هبه ترك بعض الطلبة يعلم فى مكانه • وقد نصوا فى باب الوكالة من (خليل) أن فاعل ذلك أكل حراما • اذ الناس لم يشارطوه على ان يترك لهم نائبا • فقد أخطأ رحمه الله فى هذه المسألة • وله رحمه الله نظم رائق • ونفس شائق • قال فى الامام ابن ناصر • وقتما كان لورده ناصر • ولم يكن بالاعراض عنه حاسر :

ملاذى اذا ما خاننى كل ناصر	وغوثى أبو عبد الاله ابن ناصر
امام الهدى قطب السيادة والتقى	وجامع أشتات العلا والمفاخر
وناصر دين الله والسنة التى	هى العروة الوثقى ومفخر فاخر

وقال فى الولى الكبير ذى البركة الشهير • سيدى ابرهيم بن يحيا المدفون بـ (امسكين) وهو فى أول القرن السادس مانصه :

أبا سالم (أبا السحاب) وسيلتي | الى الله انت في خطوب جليلة
أتانا عن الثقاة أن ضريحكم | يغاث به أهل الكروب العظيمة
كذلك يستسقى الغمام به فلا | يخيب مسايل النفوس الكريمة
وأبرئت الزمنى وحل عقالها | ببابك فورا بعد اعواز حيلة
ومهدى الموحدين كان يسالكم | دعاءكم وحاله فوق شهرة
وهذا ضعيف عاجز عن وصوله | لبابكم بغير كد وكلفة
لذاك أناب حسن قصد ونية | تبلغه من فضلكم كل منية
من اللطف والتوفيق واليسر دائما | هنيئا حلالا طيبا دون شبهة
وعلما كثيرا نافعا متقبلا | وصالح أعمال وخالص توبة
وحفظا من المكروه في كل حالة | وشر أذى الحساد من كل أمة
وخاتمة حسنى ازف باثرها | لروح وريحان بأفضل جنة
وتادية الحقوق عنى عاجلا | وفي ءاجل فالله أوسع رحمة
كذا والداى مع شيوخي أقاربي | صحابي كذا جميع أهل مودتي
وان كنت لاأستطيع أهدي تحية | فهاك فتيت المسك مني بمدحتي
وباب رسول الله بابك والذي | ألم به ينال أعظم رغبة
فمن بحره اغترفت أنت وكل من | تشرف من سر الاله بغرفة
عليه وءاله الكرام وصحبه | صلاة بها الصبا تهب بنفحة

وكتب الى في جواب أبيات مانصه :

بعثت لى حصة خطت على مهل | خط ابن مقلة فرع المجد والكرم
براحة هي للاعداء صاعقة | أما العفاة فتنسيهم يدى هرم

ثم حاول مثل ذلك أيضا فقال :

جـزاك الله أفضل ما يجازى | به مولى يقوم بحق عبد
ولازالت لك الالطاف تهدى | لطائف تزدرى بنسيم نجد

أخذ الامهات عن أبيه • وأخذ البيان والمعاني عن خالي احمد بن ابرهيم الاكراري • وأخذ المنطق عن سيدى الحسن بن أحمد السملالي • قرأ عليه مختصر السنوسي • ثم أكب على الاقراء حتى مهر • وانسجم علمه فهمر • فليته دام على التعليم • اذ هو لمثله الصراط المستقيم • ولكن كل ميسر لما خلق له • فلا بد من أن يحتمله (الانسان على نفسه بصيرة) والمرء فقيه نفسه فيما لها دبره • توفي رحمه الله في ليلة (١٧ ـ ٣ ـ ١٣٣٠ هـ) فدفن بقبة أبيه وأمه • فهو جوهرة اولاد سيدى مسعود رحم الله الجميع)

وقد تقدم انه توفي في ١٨ لافي ١٧ كما قيده أهله من شهر ربيع الاول • فينبغي أن يتنبه الى بعض وفيات من تاريخ الرفاكي • فانها غير

مضبوطة وهو معذور ، لانه لايطيل البحث في مثل ذلك

وأما ماذكره عن الاستاذ ، فقد انتقده من جهتين : احداهما : كثرة مباحثاته مع مولفي الكتب في أفهامهم ، فهى لعمرى أجل محاسن الاستاذ وذلك من مفاخره :

اذا محاسني التى أدل بها كانت مساوى ، فقل كيف اعتذر

وأما قولة اكيك فيه ، فمن باب (رمتني بدائها وانسلت) وحال اكيك في جناب كل أحد متواتر مشهور ، فلم يسلم منه الا اثنان : سيدى محمد ابن على اليعقوبى الايلالني شارح المنهج شيخه ، وسيدى الحاج الحسين الافراني ، وأما غيرهما فلم يكن يسميهم الا بالفاظ ساقطة ، حتى اشياخه منهم ، فلذلك لايبالى بما يقول ، وقولة المعاصر ان لم ينصف لاتعتبر ، فرحمة الله على المترجم وعلى اكيك وعلى الجميع

وثانيهما : ماكان يصنعه بالمدرسة اذيسيح وينيب عنه في التدريس فقد قدمنا أن ذلك من الاستاذ قليل ، وأن مايصنعه ينبغى أن يحمل محامل حسنة ، لان مثله في ورعه ، لايتخطى كل مايعرف منه تخطى الحق ، والعصمة لله ، على أنه يجب أن يعرف أن الابرايميين فوضوا لـه ولابيه قبله فـى المدرسة ، وقدقال القائد يحيا لابيه : انا شارطناك على عمرك ، ثم جرى الحال كذلك مع ولده الاستاذ وحيث فوضوا له تفويضا ، فان انابته عنه مـن يراه صالحا ليس فيها شيء أصلا لمن تامل أما كون اللائق بالاستاذ أن يجعل عمره كله في الدراسة ، فهى منية كل أحد ، غير ان المرء فقيه نفسه ، وكل ميسر لما خلق له (كما قال الرفاكى نفسه) وكفى ذلك عذرا للاستاذ ، وبكل ودنا لو تفرغ ابن مسعود للمعارف ، ليكون منه مايكون ، وهذه كلمةقلتها لاردا على الرفاكى الشيخ الوقور غير أنها لابد مقولة لاحقيتها ، وقد رايت ان الاستاذ ما فتر في الدراسة الا حين لاقى الحاج بلخير ، فلما صاحب الشيخ الالغى صار حلس المدرسة باذنه

قولة علي بن الحبيب فيه

(ومنهم ولده الفقيه العالم النزيه ، شيخ السنة ، ومحيى الديانة ، أبو عبد الله سيدى محمد بن مسعود ، كان هذا السيد من أكابر المشايخ ، واشهرهم علما وعملا ، له في المعاملات الشأن الـذى لايدرك ، مع شدة الشكيمة في الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وقوة الـزهد والورع ، بدا منه للعلم قمر ، وأينع لغصنه منه ثمر ، وعلى كل حال من مدحه بشيء فكانما قال للاسد ما اشد شجاعتك ، وللبحر المحيط ما أوسع ساحتك ، طويل الباع ، عذب الورد ، بحر كرم ، رقيق الحواشي ، يحمر وجهه خجلا

نشأ في حجر الفضل والنسب • وسبق في روض الادب • في زمن رقى فيه الجهل • وعلا صهوة العز فيه كل فدم نذل • نجم اذا اقتديت به في طرق المعالي اهتديت • وان علوت بظهر فتواه استويت • ولا أقول نهر • فهو بحر يخرج منه اللؤلؤ والمرجان • بدر طالع من أفق كمال والده فسما على (الكيوان ١) وله شعر ماصدحت به الحمائم • ولاتحملت بنشره الكمائم • منه قوله في الشيخ ابن ناصر • وقتما لورده ناصر (الخ ماتقدم)

الى أن قال :

(أخذ على أبيه • وأخذ البيان والمعاني على العلامة سيدي أحمد بن ابرهيم الاكراري • وكذلك قرأ المنطق على سيدي الحسن بن أحمد السملالي وله مؤلفات عديدة • منها تأليف مستقل في المنطق • ونظم رسالة الدردير في البيان • وشرحها • ونظم فروق القوافي • ومولف في الفقه • وله تعليقات على (الخزرجية) وله مبحث في (أمابعد) وله تخميس (بردة) المديح وشرحها • وله التصدير والتعجيز ل (بانتسعاد) وشرحها • وله (المنهل الصافي) في التاريخ • وله شرح على (رسالة ابن زيدون) وله شرح على (لامية العجم) ومن أراد أن يستوعب ما لصاحب الترجمة من التآليف والقصائد والمباحث • فعليه بـ : (طوالع السعود في مناقب ءال مسعود) (٢) لابن أخيه الفاضل الشاعر المورخ أبي علي سيدي الحسن بن احمد بن مسعود • وكذلك له نظم على اختصار (المدخل) لسيدي عمر الكرسيفي •

توفي رحمه الله ليلة السابع عشر من ربيع النبوي • عام ثلاثين وثلاثمائة وألف فدفن بقبة أبيه وأمه •)

قولة بعضهم في الاستاذ من قديم

من كتاب كان يجمع من حدود : ١٣٤٠ هـ تراجم لبعض أدباء وعلماء سوس • زاعما جامعه أنه يسجع فيه على نمط (قلائد العقيان) للفتح ابن خاقان ولكن الله اختار له • فلم يتمش صاحبه فيه كثيرا • وقد كان للاستاذ ابن مسعود ممن جرت فيه قولة • ومحافظة على الآثار السوسية كيفما كانت وحرصا على أن يقيد التاريخ بذلك فقط ـ لا انه مما يتغالى فيه ـ نريد أن نسطر ذلك هنا •

---

١) كذا بخطه • ادخل عليه ال

٢) كان جمع له مواده • ثم تنازل لكتاب (المعسول) عن كل ذلك • ولذلك يعود الفضل كله في الذي توسعنا به في هذه التراجم للاديب البونعماني حفظه الله

(انسان عين المجادة • وعين انسان السيادة • أصل التحقيق والتدقيق المولف بين التصور والتصديق • المزفوفة الى منصاته • الفواضل والفضائل المرفرفة على هاماته • دميثات الاخلاق والشمائل • ما اشتهى غاية الا وصلها ولا جملة الا فصلها • ولاذروة الا فرعها • ولاشقة الاذرعها • ولاصهوة الا امتطاها • ولاطلبة الا أعطاها (١) • حتى حسرت دون نوره العيون • وحارت فى غور بحره فى الفنون : جائلات الظنون • بهر النواظر والعقول حسنا واحسانا • وخلب الالباب تحقيقا واتقانا • كأن كل العلوم فى مدرك يده • نال ذلك بهمة مبادرة مغتنمة لاتترك مامول يومها لغده • نبغ قبل ان يطر شاربه • وطابت قبل أن يحتلم للوراد مشاربه • كأنه ايضا يتعاطى التعلم فى نوم كان فى أول شبيبته ملازمه ليل نهار • لانه مع شهرته بذلك لم يكد يتصدر للتدريس صغيرا حتى اتى بما يحكم على كل عارفيه على تلك الحال بالانبهار • جامع اداب المنافثة • وفارس هيجاء المباحثة • فسل عنه اقرانه وكل منزاحم معه ميدانه • يخبروك بعين اليقين • ويملاوا حجرك منانبائه فى ذلك بما ينسى لديك كل عقود الجواهر وكنوز الذهب والرقين (٢) ضبط كل العلوم تدريسا • وأزاح فى فجاج صورها العويصة تخليطا او تدليسا • ان درس النحو فسيبويه او خليل • أو الفقه • فابن الحاجب او خليل • أو البيان • فالقزوينى أو السعد • أو اللغة • فالجوهرى أو المجد • وأما الادب والتاريخ والتصوف والتفسير والحديث فانه ابن بجدتها • ومنذا الذى يكون فى أقرانه أبا عذرتها ان لم يكن هو أبا عذرتها • قد وفى رحمه الله للعلوم حقوقها • ونفق باجتهاده سوقها • الى ضبط متقن بيديه فى تدريسه وفى طرر كتبه • يرتفع به الاخذون عنه كما يرتفع به كتاب طرز به • أبدى ذلك قدر فكره وأعلن • وأشاد له به من المجد الخالد التاريخ مالم يشده لمن ومن • خرج طبقات كثيرة • ملات كل تلك النواحى علوما • كما ألف عشرات من المولفات النفيسة التى انتخل لها منطوقا ومفهوما • وكل ما مسته يده من المولفات بالاجادة يعلم • وطرازه بحسن فهمه منمنم • وهذا اشتهر به كله فى صقعه شهرة (قفانبك) بأمرء القيس • لايمكن ان تجد من ينفيه عنه بلا ولابليس • ذلك كله مع دين متين • ودر ورع ثمين • وخوف من مراقبة ربه عز وجل • ودمع عند مناجاته منهل • وحب لمولاه خلب قلبه وفل فى معارك الطمع غربه • دهم عليه ذلك على غرة • بعد ان كان فى جبين القضاء وكل ماعرف به أبلج غرة • وقد كان قبل معروفا بانه متعال الى ان يستبد بنوازل كل تلك الجهات • مستنكف أن يزاحمه من أقرانه من لهم

---

١) اعطاها : أمالها

٢) الرقين جمع رقة بكسر ففتح : الفضة

مثله اهتمام بتلك الجهة من الاعلام الدهاة • فكان معهم فـي نقض وابرام • ودفاع وهجام • فكم حكم حرر وأبرم • وحكم لغيره نقض منه المبرم • وذلك كله لماله من الاطلاع الواسع • الذى لايوجد بين أقرانه من هو له عن تلـك المرتبة العليا مدافع • وبينما هو من ذلك فى سكرة • معملا فى ذلك وحده فكره • اذا بداعى الفلاح يدعوه لعلو الهمة • ويأمر بالهام ربانى أن يغادر تلك الحالة المدلهمة • فدب اليه استيحاش من الناس اولا • حتى يهم ان يقطع الضيافة لكل أحد على كرمه متأولا • فلم يلبث ان اندمج فى حالته الجديدة • بخطوات واسعة غير متأنية ولا وئيدة • فنسى الاخوان والاولاد • وملا أوقاته بكثرة التهجد والصيام وموالاة الاوراد • فانشرح باطنه حين تبلج لـه عين المراد • فعادت أوقاته كلها عين المواسم والاعياد • خامره حب مولاه • فطرح كل ماسواه :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

أعرض بنشوة ذلك الشراب • عن جميع المسرات واللذات والاحباب •

تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا وخل سبيل الناسكين وان جلوا

تناول تلك الكاس • وانتظم فى زمرة اولئك الناس • بعدما كان تائها فى غلوات الغفلة • معرضا عن تلك القبلة • يجرى الى احراز الشهرة ويسعى ويحوط سرح جاهه ويرعى • شيمة الذين ضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الأنه طالما تعرض بفتاويه للرشا • فيعرض عنها للحديث الوارد فيمن ارتشى • وقد ذهب فى ميادين الافتاء والقضاء كيـف شاء ، يغالـب الاقران بدقة أنظاره • ويشدههم بحدة ابصاره • حتى صار قطبا فى ذلـك المقام • ومورداً فيه للخاص والعام • مستضاء به فى المدلهمات العلـمـيـة استضاءة السارين بالبدر التام • فانجلى له سيف هنّده (١) وجلاه السّن والصقال فاجتلى من مناه مـا يجرى فـى مضماره بين تقريب وارقال (٢) ، فاكتسب الجاه والمال• واشتمل على ألباب معاصريه أى اشتمال • حتى أراده الله لحضرته واصطفاه لخدمتـه • واجتباه بمنته • وتفضـل عليـه برحمتـه • فتـدارك ذماءه (٣) وأصحى سماءه • وكشف غطاءه • ولين وطاءه • وأمـاط باليقظة وسنه • وأناط بالسعادة رسنه • فاستيقظ من ذلك الكرى • وفصم تلـك العرا• وبان عن تلك القرى • وقطع من شهرته القرا (٤) • فزال حجابه •

---

١) هنّد السيف : شحذه • وجلاه : صقله •
٢) التقريب والارقال : نوعان من الجرى •
٣) الذماء بالفتح : بقية الروح •
٤) القرى بالفتح أيضا : الظهر •

وابيض غرابه ٠ فتمنى أن يكون فى بحور العارفين من الغارفين ٠ واشتهى أن ينخرط فى سلك العارفين ٠ فهبت عليه تترى من ذلك الحمى نفحات ٠ وتوالت عليه شطحات ٠ فلما توالت عليه هواتف الحق ٠ وملك عليه عواطفه تحرى الحق ٠ واستنشق حينا بعد حين ريا أهل ذلك الحمى ٠ وغازلته فترات عيون من هناك من الدمى٠ اشتاق الى دليل خِرّيت (١) يدله٠وساق ينهله ويعله ٠ ويفتح له بمصاحبته الباب٠ ويقيم له الصلاة المطلوبة فى ذلك المحراب ٠ وقد كان عرف من كلام أرباب ذلك الفن ٠ أنه لابد من شيخ حى عليه بالوصول الى ماموله يمتن ٠ يمده بصارم يشهره فى وجوه القواطع ويسله ٠ ويدفع المريد بساعد قوى فى لحظة يوصله ٠ فعزم انه اذا وجده يجعل فى يده زمامه ٠ ويلازم حجره ومقامه ٠ ويستدر بخدمته غمامه ٠ ويصيره أمامه ٠ ويتخذه فى صلاة العارفين امامه ٠ ليستنير بنوره ٠ ويعتصم بسوره٠ فاشتد أوامه الى طلبته ٠ وعطش كثيرا الى أن يهدى بلقياه من غلته ٠ فتمادى شغفه ٠ وطال عليه باعوازه لهفه ٠ فالقاه القدر بالشيخ ماء العينين ٠ الذى كان تلقاه بكلتا اليدين ٠ فتلقن منه ورده ٠ ولازم حينا صدوره من مائه وورده ٠ لكنه قال : انه لم يتيسر له منه المراد ٠ وان كان رضى الله عنه صاحب نظرات مشهورة وامداد ٠ فاقبل يدير عينيه ثانيا فى الجو تطلبا لشيخ اخر ٠ فجاور على تلك النية عند مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى الذى يفخر فى عهده كلمن فاخر ٠ فلمارجع من مجاورته الى بلده ٠ وتوسط بين عشيرته وولده ٠ أتاه القدر الذى ياتى بالشر وبالخير ٠ برجل يقال له الحاج أبو الخير ٠ ممن يتعاطى طريقة الشيخ ابن ناصر ٠ وممن يجلو على زعمه مرايا البصائر ٠ فظن صاحب الترجمة أن الدعاء مستجاب ٠ وأن غيم عوص منيته منجاب ٠ فانكب على قدميه بكليته ٠ وأهدى اليه درتى قلبه ومهجته ٠ فلازم حضرته ٠ ملازمة الكاس للحبب ٠ والثغر للشنب ٠ واختص به اختصاص الهام بالعمائم ٠ وامتاز به بين معاصريه امتياز الازهار بالكمائم ٠ فقام وقعد فى خدمته ٠ واحرم وطاف عند كعبته ٠ وذاق بوقوفه عند اشارته صابا وشهدا ٠ ولاقى دون قضاء امنياته سهرا وسهدا ٠ ساح معه فى قنن الجبال ٠ وقاسى معه الصعاب العراض الطوال ٠ وق دل عليه كل أصحابه وأصحاب أبيه ٠ فأخضع له رقبة كل وضيع ونبيه ٠ ثم بدا له أن الفتى يهذى وليس بفعال ٠ والمرض العضال تدل عليه النحافة وكثرة السعال ٠ والبهرج ربما لايخفى حتى عند الاوعال٠ فاقلع عن مرساه ٠ وتلا خضره : (هذا فراق بينى وبينك) لموساه ٠ فلما

---

١) الخريت بكسر الخاء والراء المشددة : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى اخرات المفاوز ٠ وهى مضايقها وطرقها الخفية ٠

لم ينقع له الاول ولا الثانى غلته ، ولاداوى كل منهما علته ، ولا فجر دمّله ، ولا اناله ما أمله ، كاد يقنط من الوصول ، ومن الدنو الى من داره صول ، لولا أن الله أطلع له بفضله ما أطلع ، واسطع له من (الـغ) مـا اسطـع ، فاشرقت عليه شمس السول ، وأدنت الى يده صلة الموصول فوافاه الشيخ سيدى الحاج على الالغى بما يبغى ، وسره العلوى ، بما ينوى ، ووجهه الابهى بما يشهى ، ومحياه المتلألئ الاسرة ، الفائض المسرة ، بما كان يتطلبه مرة بعد مرة ، فشاهد المرهم الشافى ، وأتاه فى داره ما كان قبل يقطع فـى تطلبه الفيافى :

وليس الذى يطّلب الوبل رائدا كمن جاءه فى داره رائـد الوبل

فوضع يده فى يده ، وأدغم مفرده فى عدده ، فأقبل على درره يحـلى بها لباته ، وعلى كاساته المشعشعة يفرغها فى لهواته ، فصرخ بين الناس على رؤوس الاشهاد ، اننى قد بلغت كل مناى من وصل سعـاد ، فشرع يبـث دعواه فى كل قبائل (أزاغار) حتى أنجد ذكره هناك وغار، فمالت الى الشيخ الالغى من تلك الناحية بسببه الاعناق ، وتدفقت الى بحره سيول الرفاق ، فكان يفد عليه فى ركب كبير من الفقهاء والفقراء ويسوقون اليه مايسوقون من شهرة يدعو بلسان حالها الى الغ كل الناس الجفلى لا النقرى (١) فتجرد اذ ذاك المترجم بين يدى شيخه التجرد المصطلح عليه بين القوم ، وكـان محسوبا عنده من المتجردين وان كان لايزال يلازم دراسة العلم ، فرد كل تبعة ، ونادى على ذلك فى الاسواق لئلا يبقى من ذلك شيئا أو يدعه ، ثم عزم على اعتاق عبيده لو اذن له شيخه المذكور ، لكنه أفسح له فى أن يأخذ منهم بالرق من له أصل فى الرقية مشهور ، ولم يزل تحت تربية شيخه سنوات ، الى أن حان وقت شيخه فمات ، فبقى هو على ذلك السنن ، مؤديا فيه الفرض والسنن ، عازما على أن يقوم بارشاد العباد ، فى كل البلاد ، غير أن حينه أدركه فى قرب ، فقضى رضى الله عنه النحب ، فى عام الثلاثين بعد الثلاثمائة والف ، فغادر الناس حيارى وقد ذهب منه خـير الخلف ولـم يبق بعده الا الخلف (٢) .

هذه سيرة حياته رضى الله عنه مجملة ، ولا يمكن لنا أن نأتى بها هنا مفصلة .

وأما أدبه فانه أدب فياض ، له لسان نضناض (٣) وبلاغة كانها جنى

---

١) دعا الناس الجفلى أى دعاهم دعوة عامـة ، وعكسه الدعـوة النقرى .
٢) الخلف الثانى مسكن اللام ، الطالح الذى يخلف الصالح .
٣) لسان نضناض أى كثير الحركة وهذا عبارة عن كثرة القول .

النحل . وذو جزالة كما ينتظر من شعر كل فحل . وسنورد منه المقارئ ما يلج أذنه فيجده أطيب من غناء معبد والموصلي (١) ويترنم من أوثاره ما يجرد برد النسيان على زرياب الذى ماععه فى الاندلس أو بغداد متعال فضلا عن على . شعره له ألوان . صنوان وغير صنوان . منه شعر الفقهاء والبلغاء والفقراء الصوفية. ومنه شعر الارجاز التى تؤلف فيها متون العلوم النثرية وأما نثره فان له أحيانا سنا رونق نفيس . كما لاحظت فى الكأس الخندريس وقد يسجع كالحمام المطوق على الاغصان . فيسحر الالباب فى المفوهين فضلا عن الاقران . وله شعر صوفى . له روح عليا . قاله فى أشياخه الذين يذوقون من مثله روائح الاخرى لا الدنيا . ولنذكر كل ما عندنا الآن من أقواله . ولندر للندامى من القراء ماكان روقه من جرياله (٢) الخ .....

ذلك ما كان قيل منذ زمن بعيد فى الاستاذ المترجم رحمه الله. ولايخفى ما فى غالب هذه الكلمات من التكلف . ولكن أتى بذلك ـ كما قيل أولا ـ للتاريخ . لا لكونه ذا فائدة أدبية .

* * *

الى هنا انتهى بنا الكلام على ما تيسر لنا ايراده فى ترجمة الاستاذ ابن مسعود . وهناك أمور أخرى يجدها القارئ فيما كتبناه حوله فى كتاب : (من أفواه الرجال) . وفى مقالة طنانة لابن أخيه الاستاذ الشاعر العبقرى الحسن البونعمانى . فانها وان كانت مستقانا فى كثير مما أوردناه . غيرأنها لا تزال محتوية على حقائق . زيادة على لطف العبارة الذى انفرد به الاديب البونعمانى دوننا . وقد نشرت فى أواسط جمادى الثانية ١٣٥٧ هـ فى جريدة (السعادة) ولم نات بها . خوفا من التطويل الممل . وفى بعض كتب آل ماء العينين ذكر للاستاذ من بين من أخذوا عن ذلك الشيخ الامام الجليل رضى الله عنه . رايته مطبوعا منذ عشرين سنة وأظنه من مؤلفات الشيخ احمد الشمس .

الثامن ـ أحمد بن محمد بن مسعود

ابن من قبله . ولد يوم السبت : ١٤ ـ ٣ ـ ١٣١٥ هـ من خديجة بنت الطاهر بن صالح البجويى . تزوجها الاستاذ : ١٣٠٦ هـ .

أخذ القرءان فى (المعدر) عن استاذ هيأه له والده . ثم لازم عمه الاستاذ احمد بن مسعود بعدما خلف صنوه فى المدرسة (البونعمانية) ملازمة تامة

١) معبد والموصلى مغنيان على عهد الدولة الاموية ثم العباسية
٢) الجريال بالكسر : من أسماء الخمر .

وقد أخذ اذ ذاك المبادىء عن الاستاذ احمد من «ال (بولوقت) التزنيتي نزيل (زعير) وبه تدرج في المتون الاولى تحت نظر عمه • ثم لما شدا انخرط فى مجالس عمه • وقد كنت معه اذ ذاك قرينين سنة : ١٣٣٢ ﻫ • فكنت واياه في مستوى واحد سنا وفهما وعقلية • فكنا نتجارى ونقفز • ونشتغل بحذف الحصا في غير أوقات الدراسة • كما نتلاعب بالكرة • فكانت أخلاقه الدمثة كأنما أستمدت من لطف خلقته اللطيفة • فكان كلامه لينا • وشمائله طيبة • ومعاملاته سمحة • وكان ثاقب الذهن حتى كأنه صائد للافهام من الجو • منقبا عن تحقيقات العلماء • ليكون منها على بال • مع ديانة نشأ فيها • ورصانة يخطر في حلتها • ثم لما تفرقنا • وقد توجهت الى (تانكرت) جرت بيننا مراسلة أدبية ضاعت آثارها • واستحضر أنه ارسل الى يوما ما قطعة أدبية • فأجبته بأخرى ميمية في الطويل نسوقها تلذذا بالذكريات لا أنها من البليغات • وهي من بواكر قلمي :

اليك أبا العباس بالحبر أرقم | لاعلمكم بما من الشوق أكتم
ألا يا أبا لعباس اني مغرم | برؤية وجهك الشريف متيم
هو السيد المفضال والماجد الذي | له في فنون العلم طرا تقدم
ولا غرو فهو سيد طاب أصله | ومن طاب أصلا فهو دوما مقدم
به نزدهي على الزمان الذي مضى | ونستطلع الانوار والليل مظلم
تفردتم يا آل مسعود بالعلا | فلو قيل من خير الورى , قيل أنتم
فلو انني اسطيع شوقا اليكم | لأدرجت في أوساط ما كنت أرقم

تلك هي القطعة مختصرة • يعرف منها كيف كان شبيبة سوس المبتدئون يتشاعرون ويتطفلون على القوافي • ثم كان يرد دائما الى زاوية (الغ) مع عمه • في ركب الفقراء في الموسم الالغي فكان لطفه هو هو • وكان سخيا بما يملك • حسن المخالقة • لايجبه أحدا بسوء • كان الشبيبة التي تمزج دائما بالغرارة لم تطف به قط • ثم لما شدا في الفنون • وكان يتسلق الى القمة • كان عمه يرشحه للتدرب في التدريس خصوصا في صفوف المبتدئين • ولم ينشب أن تمكن حتى كان يستخلفه في الدروس العليا كما ظهر منه أيضا ذوق سليم في التصوف • فحسن سمته • وأعجب به أصحاب والده • فيرون منه خليفة والده • وكان اذا جال في المذاكرة بين الصوفية يستنهض القلوب • ومثل ذلك غريب في مثل سنه • وله مقطعات يحدو فيها صنع والده الذي كان مولعا بنظم القواعد • وضبط الكلمات • وحصر أقوال في المسألة • كما كانت له أيضا مقطعات أدبية وصوفية • نستحضر منها الان قوله :

اذا كبر الانسان يكبر عقلـه وانت كبير الجسم والعقل يصغر
وقد شان من يبغي سمو مقامه تماديه في الصبا وجسمه يكبر

وقولـــه :

يا سيدا نارت بطلعته عـــني اظلامها سوس فعـادت تزدهي
أياك أن تنسى العبيد من الدعا لينال عنـد الهـــه ما يشتهي

وقوله ومن خطه نقلت :

اذا مجلس الاتاى لم يمض بالذكر ومـدح النبي من نظيم ومن نثر
ولا ذكرت فيـه الصلاة على النبي ولا سردت فيه حكاية ذي سر
فان اللعين فيه لاشك حاضر بأهل الندى فاذكرن تنج من خسر

ولو وقفنا على ما نستمد منه مقيداته ، لربمـا وجدنا مـا يستحليـه القارىء من أقواله ، ولكن نكتفي بما تيسر .

وقد كانت له همة والده في التقييد ، فقد وقفت له على ما يدل على انه شرع في مولف في الشيخ سيدي أحمد بن موسى ، وفي اخر في الشيخ الالغي ، كما وقفت له على أراجيز لم تحضر عندي الآن .

كان يصاحب كثيرا الفقيه سيدي عبد القادر الوادنونـي ملازم (البونعمانية) فنفعه كثيرا لان هذا كنيف (١) مـلىء علما ، كـمـا قال عمر في ابن مسعود ، وله معه أخبار ، وربما سمعت أن بينهما أدبيات لم ارها ، وله رسائل صوفية ، بعضها الى عمه المذكور ، رايتها ، لكنهـا لم تحضر عندي الآن ، تتضمن أنه متعلق بالروحانيات ويجيبه عمه بما ينشطه في ذلك الميدان .

اقترن أحمد حوالي : ١٣٣٩ هـ بكريمة العلامة سيدي مبارك البعقيلي فكاد يبرز الى الميدان لو لم يسقط مريضا ، قبل أن يكفي نهمته العلمية وقد كان ناويا للرحلة وراء العلم الى الحواضر وانما منعه أنه لا يقدر على مفارقته لعمه ، فألح عليه مرضه في (بونعمان) حتى قضى عليه بعدما ظهرت عليه أحوال صوفية روحية تنبىء عنه بالخير ، وذلك في ٣ - ١٢ - ١٣٤١هـ ودفن في مقبرة (بونعمان) بمشهد (سيدي علي بن مسعود) .

وقد وقفت على رسالة عزى بها فيه أخونا سيدي محمد ، كتبها الى

١) تصغير كنف ، وهو خرج الراعي ، ومن اللطائف أن بعض البلـداء يقرأه بالتذكير فيتمحل لتفسيره ، نعوذ بالله من البلادة ومن الجهل الكثيف

عمه الاستاذ أحمد حفظه الله . نصها :

(حضرة أخينا في الله . حبيبنا من أجله . قرة عيننا وثمرة فؤادنا الفقيه الناسك، صاحب الاخلاق المحمودة، ولي الله سيدي أحمد بن مسعود المعدري . رعاكم الله وحفظكم . ومن سوء المكاره وقاكم . وسلام تام على سيادتكم . ورحمة الله وبركاته . وعلى جميع من لاذ بكم . زج الله الكل في حضرته آمين .

وبعد : فلا بأس ولله الحمد . فالله يعظم أجركم في انتقال الفتى المرضى عنه . سيدي أحمد بن محمد من دار الفناء . الى دار البقاء . كمانسأل الله أن يرحمه ويرضى عنه . ويلحقه بالمقربين الابرار . وقد عمنا ما عمكم فيه ولنا ولكم أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ونسأل الله تعلى أن يحفظ ساحتكم من كل سوء وأن لا يريكم في أشبالكم واخوانكم الا ما يسركم (الى أن قال) : ونسألكم الدعاء في كل وقت . ودمتم بخير وعلى المحبة والسلام . 19 محرم الحرام 1342 هـ

وكتب بعض أهله حوله ما ياتي :

(ففي اليوم : 23 ـ 12 ـ يوم الثلاثاء 1341 هـ توفي نجل عمنا الفاضل الخير الذكر الاريحي . المشغوف بتحصيل العلوم والمعارف . الفقيه الاديب سيدي أحمد ابن الشيخ سيدي محمد بن مسعود البونعماني . كان رحمه الله ممن يأخذ العلم بجد واجتهاد . مع حسن السيرة مع الناس أجمعين وله أخلاق عجيبة تأخذ بمجامع القلوب . لايمكن أن يقع لك به التعارف أو الاجتماع الا وتكون معجبا بأحواله . مات رحمه الله والناس متأسفون عليه لما له في قلوبهم من المحبة . ووطيد الامل لمستقبله لو كان حيا . وله أشعار وكان رحمه الله يكثر في المطالعة جدا . ويذاكر جميع الناس . لاسيما النجباء . وكان يدرس وينوب عن الشيخ كثيرا وقت سفره. وقد أخذ العلم عن عمه الشيخ . وأفاده كثيرا تلميذ المسعوديين الفقيه الاديب الشاعر سيدي عبد القادر الوادنوني . ثم ذكر بعض ما ذكرناه من الابيات)

ذلك هو سيدي أحمد بن محمد بن مسعود أكبر أولاده .

التاسع : سيدي مسعود ولده الآخر

لاباس به أيضا في الفنون . أخذ أخذا ما عن عمه أبي العباس .وكان لين العريكة لمن لاينه . وهو الذي خلف صنوه عن قرينته . فاستحوذ على جميع ما لوالده . فخزانته غالبها تحت يده . وهو نبيه لبق . فيه من أوصاف أهله كثير وقد خالطته حتى عرفت قدر مداركه . ولا يتجاوز في

مداركه الوسطى • وقد كان اليوم استاذا فى احدى المدارس الحديثة • ثم صار عدلا حفظه الله • ولا يزال حيا الآن ١٣٨٠ هـ

وللاستاذ بنات • اقترن باحداهن الاستاذ سيدى عيسى بن المحفوظ الادوزى التحقت بربها صيف : ١٣٢٦ هـ •

العاشر : محمد بن مسعود ابن من قبلـه

ولد نجيب يسمى محمدا • كان يأخذ عن الاديب اليزيدى ما شاء الله فى المدرسة (الجشتيمية) ثم عن الاستاذ داود الرسموكى فى(تيبيوت) • ثم لازمنا ما شاء الله فى (الرميلة) بمراكش• ثم انخرط فى(كلية ابن يوسف) فنال منها الشهادة الثانوية • وقد كان من نجباء الابناء • طلعة • فهما • لقنا • الا أن الدهر المولع باقتطاف الازهار • أتى عليه فى شبيبته •فتوفى بمرض لازمه قليلا من أجل برد أصابه فى موسم (الغ) وذلك بعد سنة سبعين وثلاثمائة وألف • فبكاه كل من عرف نجابته رحمه الله • وقد كان يقرض فى أبيات بدائية • فمن ذلك ما خاطبنى به بعدما شدا فى الادب :

هنيئـا لمولانا الامـام مقـامـه	فقـد وطئت أكنافه وسنامـه
فأنت امام الجيل دمت فمفخر	عظيم بجيل أنت أنت امامـــه
فما أنت الا المـخ بين فقـاره	وغـيرك أعصاب لـه وعظامـه
الا ادع لنا أن نستتم دروسنا	عليك من الله الكـريـم سلامه

وقد كنت أجبته • ولكن لم يحضر عندى الجواب •

حياكم الله آل الاستاذ الكبير • وأعلن مجدكم دنيا واخرى•وقد فعل• فقد تعارفت معكم • وأعجبت بوالدكم • فلم أود معشار حقه للعلم والتاريخ وان كتبت عنه وعن أولاده ما كتبت • وما لايزال مفلتا منى هو أكثر وأكثر ولكن يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق •

احمد بن مسعود المعدرى

نحـــو : ١٢٨٥ هـ = ١٢٦٣ هـ

نسبـــه :

أحمد بن مسعود بن محمد (الى آخر النسب المتقدم)

ثانى اثنين من أولاد سيدى مسعود ، وان كان الآن فى العدد هـــو الحادى عشر وقد رأيت فى ترجمة أخيه الاستاذ الكبير سيدى محمد وفـــى ترجمة والده سيدى مسعود ما رأيت ، مما يـدل عـلى أن هـذه الشجرة المسعودية الزكية الطيبة كثيرة الثمار وريفة الظلال ، فمن يتخلـل تراجم أهلها يكون كمن يتخلل روضا أريضا تتدفق أنهـاره ، وتعبق خمائلـه ، وتتهادى حوره وولدانه ، ومـا بعد العيان من بيان ، فانك بعد أن قـرأت تراجم الاستاذ سيدى محمد ووالد الاسرة سيدى مسعود ، ستجد هـــذا

وأتاه الحظ من نواح شتى فى حياته ، فقد علا شأنه ، وشمخ مجده، وتلقى رايات أسرته فى العلوم والتصوف بهمة عظيمة ، وعزيمة قويـة ، فسار بها الى الامام ، بما له من يد حسنة فى الفنـون ، وذوق عـال فـى التصوف ، ومقام كبير فى الارشاد ، ولسان قوال فى الوعظ ، وربما يكون النفع به أعظم وأجل باعتبارات من صنوه المتقدم ، لاستقرار حاله ، وثبات قدمه ، ومن ثبت نبت ، فلم يعتره من التقلقل الذى ذكرناه عن صنوه ما يتنقل به من مقام الى مقام بسرعة ، قبل أن يؤدى فيه ما ينتظر ممن كان فى ذلك المقام ،

ان شيخنا الشيخ الاكبر سيدى أحمد بن مسعود كان له فى عهده فى (أزاغار) شأن عظيم وسمعة كبيرة طنانة ، فقد زخر تلاميذه بالمعارف فى كل سبيل ، وملا مريدوه ثنايا كل طريق ، مع هروبه هروبا كثيرا من كل مظهر أياكان ، حتى مظهر العلم ، ومظهر التصوف ، ولكن يابى المسك الا أن يفوح فيشم ، وزهر الورد البليل الان يسرى بنفحاته النسيم العليل فيتضوع به الجو ، فكلما تغلغل فى الاطراق ، وأمعن فى الفرار من الناس ، تـزايـدت القلوب تعطشا اليه ، والعيون تشوقا الى طلعته ، والذى يكثر فى أحوالـه العلمية والصوفية والشخصية التأمل ، يرى أن له من بين الميادين ميدانا انفرد به عن والده وعن صنوه محمد ، والازهار شتى ألوانا ، وان كانـت تسقى بماء واحد ،

مآخذه

اما القرءان فقد أخذه عمن أخذ صنوه محمد • وهو الحاج محمد بن محمد السرسيفي المذكور في ترجمة صنوه • وأما المعارف • فلم نعرف انه تجاوز والده وصنوه • وأكثر أخذه عن والده • وكان يظهر منه أنه دون اخيه في السباحة بين الفنون بادىء ذي بدء • غير أنه بكثرة ممارسته ابان تدريسه تقدم فيها كثيرا • حتى انه ليتقن بعض الفنون اتقانا يلفت الانظار

في المدرسة (التازاروالتية)

هذه أول ميدان لتدريسه • فقد طلبه الرئيس سيدي محمد بن الحسين التازاروالتي من سيدي مسعود • ليسرد حديث البخاري في رمضان بتلك المدرسة • وذلك اثر انتقال سيدي مسعود من (بونعمان) الى (المعدر) حكى لي حاك عن الاستاذ أنه كان اذذاك غير متمرن على الحديث بعد • ولم يكن التفت اليه قط قبل ذلك • فكان ذلك هو السبب حتى كان منه جانب لهذا الفن • يحكي الاخ أحمد ذلك عن الاستاذ سمعه منه ثم انه عاني هناك دراسة فنون اخرى • ولعله لم يمكث هناك الا شهورا • وقد تقدم في ترجمة والده أن مشارطته فيهذه المدرسة كانت سنة ١٣١٦ هـ

في المدرسة (الميرغيتية)

هذه المدرسة تشرفت أيضا بالاستاذ • وأحسب أن ذلك كان حوالي : ١٣١٧ هـ فقد دفعها اليه والده ليتدرب في علم الاجتماع • ولايعرف الانسان هذا العلم حق المعرفة الا بالمخالطة • وليتدرب أيضا في التدريس • ولاافتح للقلوب • ولاأكثر تفجيرا للقرائح من مذاكرة الطلبة في الدروس • وأبوه نفسه قد رأى أنه ماترقت مداركه الا من ذلك • أفلا يدفع كل اولاده اليه متى ءانس من أي واحد منهم نجابة • ثم انه لميعد هناك سنة فيما ذكر لي • ثم راجع صنوه في (بونعمان) نحو سنة ١٣١٨ هـ

في المدرسة (المعدرية)

رأى القارىء ما رأى من ترجمة سيدي مسعود • من أنه اعتاد أن يمهد لاولاده ميدانا من ميادين الشرف • ثم يخلي لهمالحلبة يقدمهم اليها • ومامیدان الشرف في نظره الا ميدان التدريس • وخوض المعارف وحده هو الذي يصمد به طالب الشرف الحقيقي الى طلبته فيوافقها كاليد للفم ــ كما يقوله زهير في معلقته ــ

تكونت المدرسة (المعدرية) بجهود سيدى مسعود • فظهرت فيها طبقات من الطلبة نحو الثلاثين فيما ذكر لى • فغادرهم سيدى مسعود بين يدى ولده ثم قال له دونك والسعى الحثيث • فهذا كل كنزى ان كان احنى الاباء يفتحون كنوزهم التى يباهون بجمعها مدة الاعمار الى ابرالابناء

تصدر الاستاذ هناك • فأبدأ وأعاد فى الدراسة • سالكا سبيل والده وقد اختار نهجه فى الاكباب على الفقه وما اليه دون نهج صنوه فى (بونعمان) الذى يعتنى فيه أيضا بغير الفقه وما اليه لان الفقه (معمل) لبارود البلد الذى يحتاج اليه فى الدفاع والهجوم • كما هو وفق عبارة سيدى مسعود المأثورة عنه • فالنحو وقليل من اللغة والفقه والفرائض والحساب والقاء نظرات سريعة على ماسوى ذلك من الفنون • هى التى يقبل عليها كل التلاميذ أياكانوا • ويجعلونها مدى أخذهم لعلهم يعيشون وراءها • وأماماكان الاستاذ محمد بن مسعود يخوض بحوره المتدفقة • ويتوقل قممه الشماء • فلم يكن يقبل عليه من التلاميذ رغم اجتهاد أمثال محمد بن مسعود الا القليلون • والغالب متأثر ببيئة سوس • ولايطالب البدوى الابما تقتضيه بداوته • وتظهر به بسرعة مكانته ثم يعد ماوراء ذلك من الفضول • حتى ان دفعه اليه أستاذه • فانه لايزاوله بشهوة متفتحة ولا بنشاط مستمر • وهذه الحقيقة الظاهرة الناصعة هى السبب الحق فى عدم نجابة كثيرين من تلاميذ سيدى محمد بن مسعود فى كل مايزاوله أهم الا قليلا • لان همته التى بين جنبيه قلما يجول مثلها بين جنوبهم • وللقابلية تاثير فى النبوغ دائما • وكان هذا هو الذى دفع بصنوه سيدى أحمد المترجم حتى لايعلم منه فى الفنون الاخرى التى أخذها بلاريب عن أخيه مجالات واسعة • كما يوثر عن أخيه حين كان لايتعاطى ذلك الا مع نجباء قليلين • ويظهر هذا الذى قلناه فى تعيير من يعتنون بمثل الادب من جاهلى الادب • فكم لمز الانغيون بكونهم لايعرفون الا ألفاظ اللغة • وكم لمز سيدى الطاهر الافرانى بانه نظام • وقيل مثل ذلك فى سيدى الحاج احمد الجشتيمى • بل كثيرا مايلمز أصحاب القراءات السبع أصحاب العلوم بأنهم أصحاب الاصفار • كأنهم يقصدون تعييرهم بمعرفة علم الحساب •

يتصل بالشيخ كالالغي

كانت الطريقة الناصرية هى الطريقة الوحيدة المشهورة فى الجنوب • وفيها ظواهر وبواطن تايدت كلها بالسنة • فلم يكن لكل مايتخذ منها كشرط فى الطريقة ظاهرة بدعية • ذلك مع اهتمامها بالعلم اهتماما كبيرا • ولذلك تجد كل القائمين بالعلوم فى سوس منذ قرنين : من الثانى عشر

والثالث عشر من أساطينها • ثم خطرت الدرقاوية • فكانت أولا تلاقي بكل انكار • لما لبعض ظواهرها من غير ماذكرناها عن سابقتها • فاجتهد سيدى سعيد المعدرى حتى أمكن له أن ينخرط فيها بسببه : علماء ذكرناهم فى ترجمته • ثم لم يكن ذلك لافتا للانظار كثيرا • لان الشيخ سيدى سعيد أمي ولكن حين برز الشيخ الالغى العالم الذى يقدر قـدر العلماء • كما يـقـدر العلماء قدره • وقد ظهر بمظهر ءاخر أوضح من سابقه • فكان ينشرالتوحيد وما يحتاج اليه من العلوم فى الناس بكل وسيلة • بالتآليف • والـوعظ والتعليم فى القرى قرية قرية فيجعل للعامة من كل من يلاقيهم غالب أوقاته فى التعليم • فحين بدا ذلك على يده من الطريقة الدرقاوية • تبدل موقف المنصفين ازاءها • لانهم يعلمون ان غالب الناصريين المتأخرين لم يكن فيهم هذا الاهتبال بتعليم العلماء التوحيد لكل العامة باية حيلة فى المساجد وفى الاسواق • وفى المجالس الخاصة الا نادرا • وجل ماكانوا يعملونـه : بـث الأذكار والوعظ • وأما العلوم فللتلاميذ فى المدارس فقط • فلذلـك صار العلماء ينخرطون فى هذه الطريقة الجديدة متأثرين بشخصية رئيسها الالغى تأثرا كبيرا • ثم لايكاد أحدهم يخالط مايجال من الاذواق فى تلك الطريقة حتى يحس بأن ذلك غير معتاد مثله فى غيرها • فيظن أن ماكان يذكر فى كتب القوم • لايوجد حقيقة فى اليوم الا فى هذه الطريقة الجديدة وبأيدى أهلها • فينزجون بانفسهم معلنين لاصحابهم حقيقة ماوقعوا عليه •

أتيت بهذه النظرة التاريخية • ليدرك القارىء مافى هذا الوقت الذى يشرك فيه أمثال المترجم سيدى احمد بن مسعود طريقة والده • فيعانق غيرها وقد كان الشيخ الالغى يرد كثيرا على (المعدر) لان هنالك زاوية شيخه سيدى سعيد • ولم يكن يغب زيارتها • ويتصدر بمجالس وعظه فى مسجد (المعدر) حيث المترجم • فكثر بذلك اتصاله بالاستاذ المترجم • وقد اعتاد الشيخ ان يعلو منبر مسجد (المعدر) ليعظ الناس • والمسجد حافل بعد صلاة الجمعة • فيرى الاستاذ مايبهره • ولم يزل ذلك متكررا حتى اندفع • فكان هوالسابق للطريقة (الالغية) قبل صنوه سيدى محمد • وكان اخذه عن الشيخ سنة ١ ١٣٢٠ هـ أو فى أواخر التى قبلها •

لازم الاستاذ المترجم شيخه الالغى ملازمة ادب • يزوره احيانا فاحيانا مثل صنوه • وهما فى خدمة الشيخ كفرسى رهان فى خدمة الشيخ والادب معه واعانته فيما انتدب اليه من ارشاد الناس • فينتهجان نهجه • ويحطبان فى حبله • ويدلان عليه كل من ءانسا منه اصاخة لمقالتهما • فكان لهما كل الناس تبعا فى (أزاغار) وقد بنى كل واحد منهما زاوية فى داره • وينفـق من صميم ماله على الفقراء • وعهدى بسيدى سعيد التنانى يوازن بينهما يوما

في بعض مجالسه • بكل الاريحية التى يرسل فيها أحاديثه على عواهنه كلما طاب وقتـه • فقال : ان الفرق بين الاستاذين : ان سيدى محمدا يبذل بـلا حساب وكل سخاء بادىء بدء • ولكنه بعد حين لايسلم من وخز فى نفسه • وان كان يتغلب دائما على امثال هذه الخواطر اخيرا • بخـلاف سيدى أحمد فانه يلاقى مثل ذلك قبل أن يبذل • ثم يرتاح ارتياحا كبيرا بعد ذلك • ولا يطوف به أى ندم بعد الانفاق • ولاأحصى ماسمعته يفضل سيدى أحمد على صنوه فى السهولة وطيب النفس بالكرم وبصفاء السريرة • حتى انه لينطق أمـام سيدى أحمد بكل مايريده من مباسطاته على عادته • ثم لايقع ذلك من جليسه الا موقعا حسنا • بخـلاف سيدى محمد • فانه مرهـف الاحساس سريع النظرة • يتسرع الى الاشمئزاز بأدنى شيء

حكى سيدى سعيد أنه كان مرة فى (مراكش) فوجد هناك شيخا عليه اقبال كبير قال : فسألت أحد من رأيتهم يحترمونه ويجلونه الى الغاية : ماهو مقام سيدنا الشيخ ؟ فقال : انه لذو مقام عظيم • وذو سر عظيم • وذوحال عظيم • لانه ذو خوان عظيم • قال سيدى سعيد • فكنت مرة مع سيدى محمد وسيدى أحمد ابنـى مسعود وسيدى احمد الفقيه الركنى • وأمثالهم مـن أكابر العلماء المشار اليهم بين الفقراء بالتقدم ونحن جالسون فى بيت نجيب عن رسائل الى الشيخ فى أحد مواسم ألغ • فتجارينا فى مباسطة • فقلت لهم: ألم تعلموا أننى أتيتكم هذه المرة بقانون المشيخة العظمى فى الطريقة • ثـم حكيت لهم حكاية الشيخ المراكشى • ثم أردفت ذلك بقولى : أما أنت ياسيدى محمد بن مسعود فشيخ منذ اليوم • لمالك من مطامير الـزرع • وأما أنـت ياسيدى أحمد فينقصك خصب عام ءاخر فقط • فاذا بك شيخ عظيم • وأما سعيد ـيعنى نفسهـ الفقير المدقع فيكفيه أن يلتقط من فتات موائدكم • فأين منه المشيخة ؟ قال اننى احكى ذلك بمداعبة • فاذا بسيدى محمد ينقبض • وقد ساءه ماسمع ظنا منه أننى قصدت بذلك النقصان لمكانته • وانه ليس بذى حال أصلا • بخلاف سيدى أحمد فانه فهم القصة على وجهها • ولم يخرجها عن جوها • فبمثل هذا يفضل سيدى سعيد دائما الاستاذ المترجم على صنوه من ناحية سعة الصدر • وطيب النفس بعد البذل •

لكن ان كان ذلك نظرة سيدى سعيد الخاصة • فان الناس ليرون دائما المترجم وراء صنوه • لمكان السـن والمكانة العلمية والسمعة اذذاك • وأمـا شيخهما فانه ينزلهما معا من نفسه ومن معاملته لهما فى مقاميهما • فقد كان يعنى بكليهما ويكاتبهما معا • غير ان ماكان من خلق سيدى محمد الذى أشرنا اليه هو الذى حمل الشيخ حتى اعتنى به كـل اعتناء ليجبر حاله • فكثرت بذلك الرسائل اليه • كما دعا الى ذلك أيضا كونه رئيسا لاسرتهم اذذاك •

والاستاذ المترجم مرؤوس

وقد وقفت على رسالة صغيرة كتبها الشيخ الى المترجم وهى بيضة الديك عندنا منه اليه نصها :

(الحبيب الاريب • الاديب النسيب • الولد الصالح • والاخ الناصح الفقيه البركة • ميمون السكون والحركة • الذى علت همته الاكوان • طالبة للشهود والعيان • وكان معنا كذات واحدة فى مقام المحبة الذاتية الصرفة • سيدى أحمد بن مسعود المعدرى السملالى • سلام الله ورحمته وبركاته • وبعد : فلاباس ولله الحمد • ونوصيكم باليقين فى جانب الله تعلى فى كل حال من الاحوال الى أن ياتيكم اليقين • وسلم منا على جميع الاحباب • ووكدهم على هذا المعنى والسلام •

من خديم أهل الله على بن أحمد الالغى أمنه الله آمين)

وحين حصلت تلك الفترة لصنوه • توقف المترجم فيمن كانوا توقفوا ينتظرون فيئة الاستاذ • ثم كان أول من تنبه لماكان • فأعان اخرين فى رد صنوه • حتى انقشعت الغشاوة عن بصره • فاستحق بذلك شكرا جزيلا من كل المطلعين اذذاك على حل تلك المعضلة •

ولما مر للاستاذ فى المجاهدات الكثيرة علا شأنه • وظهرت عليه لوائح مايسميه الصوفية بالفتح • فى عهد شيخه • فبذلك استحق ان يكون من بين الماذونين فى وصية شيخه اذنا صريحا فى ارشاد الناس وتربية الفقراء • فى حين أن صنوه سيدى محمدا انما قال له الشيخ : كن رجلا رجلا • وهى عبارة موجهة لاتفهم بادىء ذى بدء •

ويؤول الفقراء ماقيل لهما بما ظهر بعد ذلك من قصر عمر سيدى محمد وبطول عمر المترجم حتى ظهر منه ماظهر • وقد كان الشيخ ربما اوعز اليه بفعل شىء لايوعز بمثله الى أخيه سيدى محمد •

توفى الشيخ الالغى • ثم الاستاذ محمد بن مسعود • فانفتح للمترجم بابان كبيران على مصراعيهما • أحدهما باب الدراسة الكبرى فى مرتبة صنوه وفى مقامه • وثانيهما باب الارشاد وتلقين الورد للمريدين • فصح له كلا المقامين • وهو يرجو وراء ذلك من الله مظهرا

في المدرسة (البونعمانية)

أقبر عميد المدرسة أوائل : ١٣٣٠ ﻫ وقد قام بالمدرسة الفقيه سيدى ابرهيم البودرارى الذى استنابه الاستاذ يوم خرج من المدرسة • فقام

الابراييميون وقعدوا لشغور مدرستهم من ءال مسعود وهم الذين كانوا نباريسها أكثر من نصف قرن • فوفد منهم وفد كبير الى المترجم وهو فى المدرسة (المعدرية) ثابت القدم • وهو عند المعدريين بمنزلة الجلدة بين العين والانف • فلم يزل الابراييميون به حتى فازوا به • فأهدوه ثانيا الى مدرستهم (البونعمانية) فالقى فيها العصا بعد أربعة أشهر من وفاة الاستاذ • فاستقر استقرارا مكينا • وفى المدرسة اذذاك تلاميذ الاستاذ الراحل • بينهم ثلة لها نجابة كبرى • بما كانت رضعته من الاستاذ الذى بكته بعد وفاته بدموع حارة • وكانوا يخالون ان صنوه القادم اليهم لايطيق اجالة القـداح مثله • اذ بهم امام عبقرى ءاخر • لايقصر فريه فى غالب الفنون عن فرى سلفه فتمشى فى كل الفنون تمشيا محمودا • حتى البيان والاصول فقد أعطاهما حقهما • لكن لبعض أفراد قليلين • فعهدى بهيدرس لابنه (التلخيص) وأمثاله من الفنون فى العلوم العليا

ألقى هناك الاستاذ جرانه • فاستقل بكل ماكان معهودا من سلفه أن يقوم به من تدريس وضيافة وارشاد • فيصدر الطلبة والفقراء عنه راضين (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك • وماكان عطاء ربك محظورا)

كنت أنا والحمد لله ممن رابطوا اذذاك فى (بونعمان) بعدما أخذت المبادىء فى المدرسة (الايغشانية) فناخذ عنه النحو فى (الالفية) واللغة فى (المقامات) والفقه فى (الرسالة) اذ نحن فى الصفوف الثانوية على حين أن من فوقنا يزاولون الدروس العليا • وكان الاستاذ أخلاق انفرد بها • من صمت طويل وايجاز فى الدرس • ومزاولة لكل تلميذ بما يليق به • فكان يأمرنى أنا بمطالعة شرح للامية العجم صغير • فأبيت عن أمره فى بويت فى مدخل (أحشوش) ـمسكن الاستاذ ـ فيراقبنى لاثابر على ذلك • فكانه كوشف بأننى خلقت للادب • قبل أن أخلق لاى شىء ءاخر • وكان كثيرا مايتخولنا بالموعظة ويحثنا على الاجتهاد • وهو يعانى منا شبابا مرحا • وطفولة مشبوبة • وخفة ونشاطا • كالغزلة المقمرة • وقد يتكلم معنا فلايشعر احدنا حتى يفلت زمام نفسه من يده • فيتفجر ضحكا • ثم لايشعر الاستاذ أيضا حتى ينجر مرغما الى الضحك • لانه كما كان سريع الدمعة • كان سريع الضحكة • لايكاد يمسك ضحكه ان هبت عليه منه زوبعة • وكان كثيرا مايتولى الاذان بنفسه خصوصا الصبح والعشاء • وكان مرة يعاتب الاخ أحمد • وابن أخيه احمد بن محمد • ومعهما والده محمد • فقال للاحمدين : انما العيب كل العيب فيكما ان تأخرتما عن مقامات والديكما الشيخين الكبيرين • وأما هذا ـمشيرا الى ابنه محمدـ فانما هو ابن المؤذن للعشاء أحيانا •

كان اذذاك كثيرا مايوجد فى بعض قباب مقبرة (بونعمان) نـائما •

خصوصا فى الانهر الحارة بعد انقضاء الدروس . وقد ورث عن والده محبة الزيارة للاضرحة . وأن ياوى اليها بمناسبة وبلا مناسبة . فاذا كان فى (المعدر) فكثيرا ماتجده فى ضريح سيدى عبدالله بن سعيد المعدرى ـ صاحب القبة المجهول التاريخ ـ وكان يحب العزلة جدا . وأن يمشى وحده . اشتهر بكل ذلك . ومن أنس بربه وراقبه ءانسه الله واستوحش من الخلق .

مكثت عنده أقل من سنة أو اكثر منها ـ لااضبط ـ تسربت الى من بركته نسمات اشكر الله عليها . وكان حفظه الله رفيقا شفيقا . متفجرا بالحنان على كل من يأوى اليه . صوفيا كبيرا . عالما جيدا . ذا فهم ثاقب . وان كان من لايعاشره من العلماء لايعرف فى هذه الناحية قدره . لانه سلم لهم فى نوازلهم وفى فتاويهم . وقلما يدركون منزلة الرجل الا فى ذلك حتى الادب فقد رأينا له آثارا فيه . منها قطعة توجد فى ترجمة سيدى احمد الفقيه الركنى . وأما تصدره للفقراء . وما تتلقاه منه قلوبهم فذلك بعيد عن الفقهاء

ثم ان يعجب الانسان من ترجمة الاستاذ التى ذكرناها . فان ماسيراه أعجب . فقد عض بالنواجذ على ان يبتعد عن غير الميدانين اللذين يشغلهما : ميدان التدريس . وميدان الارشاد . فقد تموج من حين ظهوره فى (بونعمان) سوس بحركات مختلفة متلونة . انفجت (١) كل ذى كن . واستخرجت كل من يألف العزلة من عزلته الا ماكان منه . ومن قليلين ممن كانوا على شاكلته

فى وسط : ١٣٣٠ هـ كان ماكان من أمر الهيبة فى (تزنيت) فلم يبق أستاذ ولا صالح . ولا ذو مركز الا وانتظم فى الماثلين بين يديه . بنيات ومقاصد . الا ماكان من أمثال المترجم القليلين فانهم قد انتبذوا من بعيد . يطلبون من الله صلاح الاحوال . فقد جمع طلبة المدرسة (البونعمانية) ما اشتروا به كيس سكر ليقدموا به الى الهيبة . فوقف أمامهم فقال لهم : ان كان قصدكم أن تتجندوا فى الجند مع الامير فلستم بالطلبة فانتم اذن من الجند وان كان قصدكم ان يعطيكم الهيبة شيئا تقيمون بـه حفلة . فاقيموها بهذا الذى جمعتموه اليوم . فكان ذلك مما ثبط هممهم . فنجوا مما وقع فيه سواهم ثم تتابعت (٢) الزوابع . فكان (ازاغار) بين جزرومد . بين الجبليين والحكومة وأمثال أوعابو والحاج عابد يخبون ويضعون . كل فى الوجهة التى تطيب له فكان الاستاذ المترجم فى كل ذلك ملازما لظله ودرسه . مواظبا على أداء خمسه معينا بالدعاء متملصا من اتباع مالم يعرفه ولم يألفه . فسلم عرضه وماله ودينه . فقد انقطع عن الجبليين وأمرهم . فلا يتوجه بوجهه لتلك الجهة الا

---

١) انفج فلان الارنب : اذا استثاره من كنه

٢) التتايع بالياء فى الشر . وبالباء فى الخير .

ان زار زاوية شيخه • وعن (تزنيت) وفيها ابن دحان • ثم الحاج عبد الرحمن الحاحي • ثم الكتنافي ثم الرحماني الاخير • ثم رجالات الحماية • فلم يكن يرى فيها قط اختيارا للسلامة من كل جهة • ولنفضه اليد من كل ماينتفع به مثله لومثل هنالك • فكان يمر الى (المعدر) تحت سورها ذاهبا وءائبا • وهو غير ملتفت • وذلك وان كانت المصلحة الشخصية تدعو اليه • لكن الداعي الاكبر هو ماجبل عليه من الانقباض عن كل أحد • فلم يكن يلتقي الامع تلاميذه ومريديه • وقد انتفع به في هذه الفترة ماءات من الازاغاريين • تنبهت به قلوبهم من الغفلات • وثبتت به أقدامهم في الطاعة لله أحسن ثبات • حتى نال عند أصحابه مقاما ليس فوقه مقام • وهو في كل ذلك لادعوى تونس منه • ولامطمع يقاد ببرته (١) الى موقف صغار • وموطن ظنة • وقد كان أصحابه يدعونه بالشيخ • ولكنه لم يغتر بذلك •

كانت املاك له في (تالعينت) وصل ثمنها نحو : ٦٠٠٠ ريال حسنية وذلك عند مثله اذذاك مال عظيم • لايجتمع الا بالاقتصاد سنين كثيرة متتابعة وحين كان لهذا العدد قدر عظيم كان احب مال اليه • ثم ترامى عليه فيها من لايخاف الله من الرؤساء هناك • فاحتال عليه حتى توصل برسومه • ثم لم يؤد اليه ماكان دفعه في تلك الاملاك • من الثمن • فصبر واحتسب وفهم عن الله • ولم يكن ليغصب منه لوطرق باب الحكومة • ولكنه يتبع الناقة زمامها خوف ان يجول حوله مار بما يكدر عليه نطفة قلبه • وقرارة نفسه • ونقاوة عرضه •

وكما أنه يظهر بهذا المظهر العالي بين العامة • تراه بين الخاصة منفقا أحيانا نفقة من لايخاف فقرا • فقد اجتمع مرة اخوانه من الفقراء يتذاكرون حول اشادة مشهد لشيخهم الالغي • فقام بمائة ريال حسنية موكاة في خرقة فصبها بينهم ومثل هذه العطية في سوس بمنزلة عشرين الفا في غير سوس • لمكان سوس من الاقلال الملح

كان دائما يحضر في الموسم الالغي الانادرا لعذر قوي • حتى كان هو القيوم عليه في وقت من الاوقات • ناوش نفوس كثيرين من الفقراء ماناوشها من بعض أمور آنسوها أمامهم في الزاوية فاقبل هو غير مدبر • وهو يقول قول أبي بكر : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات • ومن كان يعبدالله فان الله حي لايموت •

---

١) البرة بضم الباء وفتح الراء : الحلقة توضع في انف البعير لينقاد بها

ذلك ما أمضى به الاستاذ كل الفترة الطويلة التى امتدت من سنة ١٣٣٠هـ الى سنة ١٣٥٢ هـ اكباب على الدروس ، وارشاد للناس ، فكما تخرج به كثيرون من الطلبة ، تهذب به كثيرون من المريدين ، فهو استاذ الطلبة وشيخ للمريدين فى حين واحد .

ثم بعد هذه السنة : (٥٢) حين احتلت الجبال ، وظهر من ثورة الواهزلى ماظهر ، وقد بدأ للحكومة أن تلاحظ ملاحظة خاصة جميع الطرق الصوفية ورجالاتها وأعمالهم ، وما هى نية كل واحد ، بدأ له الافق مكفهرا ، والضباب منسدل الاذيال ، لانه لايعرف من شأن هذا العصر مالعله يزيل كل مايتوهمه عن قلبه ، فأعرض بالكلية عن كل شىء ، حتى لايلتقى بالفقراء الذين يشتاقون اليه كثيرا ، الاقليلا جدا ، فمن ذهب الى المدرسة لايجده ، لانه يالف أن يملص منها بمجرد مايتم الدروس ، فيتسرب الى أناس من مريديه ، فيتشرفون به ، حتى ان موسم (المولد) المعدى قد قطعه ، مع أنه عادة مسعودية مضت عليها عقود من السنين .

ثم انه انقطع أيضا عن (الغ) سنتى : ١٣٥٦ هـ وفى التى بعدها ، ثم صار بعدذلك يحضر ، كل ذلك امعانا فى الانزواء والعزلة ، ونفض اليد عما قد يشغله عما هوفيه من راحة اطمئنان مع ربه ، وقد أصابته الفة عزلته التى تربى بها حتى أنه ليصعب عليه أن يخرج عنها ولو بمقدار ، وفى بعض الاحيان لايمكن ان يجد منه زائر مثل العلامة ابن زيدان الذى قصده للزيارة ماينتظره منه ، وهو جد معذور ، لان الحال يغنى عن السؤال

عوى الذيب فاستانست للذيب اذ عوى وصوت انسان فكدت اطير

وقد حاول ولده النابغة الحسن أن يكشف عنه بعض ذلك بزحزحة بعض سجوف أمام عينيه ، فلاقاه مع بعض رجالات الحماية فى (تزنيت) لسبب خاص ثم جاءت الاقدار بما ثنى ذلك فى السنة نفسها ، حين أرسل اليه فى أثناء رمضان هذه السنة ١٣٥٧ هـ فسئل أسئلة قريبة عن الطريقة ، وربما يجدى ذلك فيحاول الخروج من عزلته ، فالعصر عصر محاككة ، لاعزلة :

الخير فى العـزلـة لكنه لابـد للناس مـن الناس

غير أن امثاله من مشايخ الصوفية الصادقين الكبار ، لايستغرب ذلك من طباعهم لان وجهتهم الروحية هى وحدها مظهرهم الوحيد ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه .

ثم هذا الحال الذى غلب على الاستاذ بين‌غير أصحابه الاخصاء • يغاير تمام المغايرة • حاله فى مجالسه الخاصة • فما شئت من مباسطة فى وقار وحكايات واطف واريحية • فسبحان من جعل لمثل الاستاذ المترجم أحوالا مختلفة • بحسب اختلاف الجليسين •

واخيرا نقول : ان الاستاذ لعله فريد فى حاله الصوفى العجيب المؤثر فله عند مريديه خوارق • وعنه نفثات معسولة • من الاذواق الصوفية • ثم انه لايخلو من نفسات أدبية • واستحضار أبيات نادرة مستملحة • يستشهد بها فى رسائله • كما كانت له مودة راسخة • واكبار واجلال فى كل من مر حوله • وذاق رشفة من شرابه •

الآخذون عنه :

١ ـ محمد ولده
٢ ـ الحسن ولده
٣ ـ البشير ولده
٤ ـ ابرهيم أخوه
٥ ـ على أخوه الاخر
٦ ـ مسعود بن أخيه
٧ ـ أحمد ابن أخيه
٨ ـ المدنى المعدرى • وهو عدل بلده الان
٩ ـ المحفوظ أخوه
١٠ ـ ابوبكر التزنيتى نائب القاضى (ويذكر قريبا)
١١ ـ ابرهيم بن حسين بن بوجمعة بن محمد بن ابرهيم النجارى‌التيفرميتى أصلا • الساحلى منشأ ومسكنا • والذى نزل هناك جده محمد بن ابرهيم سنة : ١٣٠٧ ﻫ وقد ذكر فى هذا الفصل
١٢ ـ أحمد بن‌الحسين البعمرانى ابن الكود • (ذكر فى هذا الفصل)
١٣ ـ أحمد بن عبدالرحمن العوفى (يذكر مع والده فى هذا الفصل)
١٤ ـ الحسن بن عابد الوانكضائى الساحلى فقيه كان يشارط فى مدرسة سيدى بوزيد
١٥ ـ أحمد بن محمد ـفتحاـ من أدوار (اكرامن) عدل ببلده
١٦ ـ محمد بن أحمد الملقب الدشور البرايبمى كان كاتبا عند رئيس القبيلة
١٧ ـ احمد بن‌الحسين فى (أكرور) ازاء المدرسة من اد ابن الحاج • هو عدل ببلده
١٨ ـ عمر بن ابرهيم من (افردا) يشارط الان فى المساجد ويلازم الخمول

١٩ ــ علي (نضامن) التياكي يعلم القرءان الان في المساجد
٢٠ ــ ابرهيم الاوساري البرايبيمي النجيب الى الغاية • توفي نحو : ١٣٥٦هـ
٢١ ــ يوسف بن الطاهر السماهري (يذكر مع أبيه قريبا)
٢٢ ــ علي الهرواشي • فقيه نجيب • اعتبط نحو : ١٣٥٢ هـ
٢٣ ــ أحمد بن محمد التناني (يذكر في هذا الفصل)
٢٤ ــ أحمد الايديعيشي • فقيه لاباس به وفقير صوفي • يشارط في (اكلميم) الى الان (١٣٨٠هـ) ثم كان في مدرسة بيعمرانة
٢٥ ــ أبوبكر التيمجاضي • كان يشارط في (ايغبولا) توفي نحو : ١٣٥٢ هـ
٢٦ ــ محمد بن السائح الجراري • (ذكر في هذا الفصل)
٢٧ ــ الحسين بن ابرهيم التالعينتي الجراري الاديب (ذكر في هذا الفصل)
٢٨ ــ عبد القادر الوادنوني (ذكر في هذا الفصل)
٢٩ ــ محمد بن عبدالله الزيكي (يذكر في هذا الفصل)
٣٠ ــ محمد بن حسين الجراري ثم العتابي • فقيه حسن • تولى العدالة في أيت عتاب • (لايزال حيا : ١٣٨٠هـ)
٣١ ــ محمد المختار الالغي : مولف الكتاب
٣٢ ــ ابرهيم الاوزالي فقيه حسن يذكر بكل خير ولعله توفي اليوم ١٣٧٩هـ
٣٣ ــ الحسن الساحلي دفين زمور • ومن أهل سيدي أبي الفضائل الاغرابوئي كان رفيقي في مراكش وفي فاس وفي الرباط الى ان توفي ١٣٤٧ هـ وكان يخدم المترجم ماشاء الله
٣٤ ــ محمد بن ابرهيم كزور (يذكر مع والده قريبا)
٣٥ ــ أحمد بن سعيد السهمي الساحلي المشهور بالناظم • لايزال حيا ١٣٨٠هـ ينفع العباد
٣٦ ــ محمد بن علي بشورين الساحلي (ذكر مع أهله في هذا القسم)
٣٧ ــ ادريس بن الحسن السملالي الساحلي (من أسرة أحمد السملالي المذكورة في هذا الفصل)
٣٨ ــ أحمد بن ابرهيم بن محمد • منأسرة أحمد السملالي الساحلي أيضا •
٣٩ ــ أحمد الديري الابرايبيمي

٤ ــ محمد بن سالم الاخصاصي

هو محمد بن سالم بن الحسن بن محمد ــ فتحا ــ ابن الطالب علي منقرية (ايكاروشن) من فخذ أيت علي بالاخصاص • واسم أسرته : اد الحسن وفيها ومن الحواشي علماء

فمنهم الفقيه : ابرهيم بن الحسن • ويلتقي مع هؤلاء في جدهم الطالب

علي • فقيه مشهور • وتوجد آثار قلمه • وكان حيا الى أوائل القرن الرابع عشر •

ومنهم عبدالله بن الحسن بن محمد ـفتحاـ بن الطالب علي • فقيه حسن مذكور • وقد جرى في الميدان السياسي في عهد القائد بوهيا • فقد كان احد الشيوخ تحت يده • ثم لما انقلبت الكفة بالقائد • كان من أضداده يوم خربت داره وقد توفي نحو : ١٣٣٠ هـ

ومنهم علي بن الحسن بن محمد ـفتحاـ بن الطالب علي • فقيه أخذ عن الاستاذ مسعود المعدري • ثم صار يشارط ويعلم كتاب الله • وقد اكتسب من استاذه الخشوع • وحب تلاوة القرءان • وقد انتقل الى (الشياظمة) فسكن في زاوية سيدي حمو بن حميدة في (أيت باعزي) وكان نزوله هناك نحو : ١٣٢٨ هـ فهناك نشأ اولاده الذين منهم البشير التاجر المشهور في السويرة أخيرا الى ان توفي رحمه الله في اوائل ١٣٧٨ هـ وقد كان له ولد يسمى محمدا كان يأخذعنا ماشاء الله • ثم توفي بعد نجابة نحو : ١٣٧٤ هـ وولد ءاخر يسمى عمر • هو عميد الاسرة بعد والده وءاخرون لايزالون يتتبعون في الثانوي في مدارس مختلفة •

أما علي بن الحسن • فقد طال به العمر حتى أصيب بضيقة شديدة لازم بها الارض • فلا يشتغل الا بتلاوة القرءان • وقد حدثني من حضر عنده يوما يستدعي ولده البشير ليفتح له في كلمة من القرءان توقف فيها • وقد توفي ١٣٤٧ هـ

ومنهم : سالم بن الحسن اخوهما • فقيه حسن • أخذعن الشريف الكثيري وقد رأيت رسالة صغيرة بخط الشريف هاك نصها :

(السلام والرحمة والبركة على الشيخ ابرهيم • والشيخ أحمد ابني محمد الديلمي وبعد : فليكن الحامل الفقير الحسن بن محمد ـفتحاـ بن علي الاخصاصي في أمان الله ورسوله في بلادكم (هشتوكة) و (ماسة) ولايوخذ بذنب غيره • قال تعلى (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ان ولده السيد سالما يقرأ هنا في المدرسة • وياتي اليه والده بالزاد والعون على قراءة العلم • فزيدوا على الخير زادكم الله • والسلام من سعيد بن أحمد الكثيري • في مدرسة ذوى محمد لطف الله به)

وتحت ذلك :

(قد زدنا على ماذكره سيدي سعيد أعلاه والسلام • ابرهيم)

فابرهيم هذا هو القائد ابرهيم الديلمي المشهور • الذي لم يتوف الا في سنة ١٣٠٨ هـ

ثم ان سالما امتد به العمر فى الافتاء وفض النوازل • وقد حدث من رأى آثار يده في ذلك : أن فقهه حسن • ولم يكن بذى هلع فى هـذا الميدان • ولا لهفيه شهرة متسعة • وقد كان حينا مشارطا فى مدرسة (تاكانت) وفي مساجد أخرى • ولد نحو : ١٢٤٨ هـ وتوفى عـن خمس وتسعيـن سنة : ١٣٤٢ هـ في يوم الخميس مفتتح صفر • وكان ممتعا بصحته وبحواسه طوال عمره • حتى انه هو الذى أقام الاتاى لاهله ليلة وفاته • وقد كانامام المسجد فخرج ليصلى • فاذا به تداعى • فمالت به زوجه الى بيت • ثم استدعى اولاده فودعهم • ثم صلى عليه الفقيه أحمد بن ابرهيم أبو الكيد • وجميع رجـالات القبيلة في حفل رهيب • وقد كان كريما معلوما بالضيافة • ثم اداه ذلك حتى رهن بعض أملاكه لكرمه • وكان يوثر أحيانا • فقد حكى ثقة أنه كان يعلم في مسجد فى سنة جدباء أنه خالى الوفاض • فطبخ خبزة كبيرة على نية أن يذهب بها الاستاذ ليتعشى بها أولاده • فلما مدها له نادى مسكينا متكففا • فأعطاه نصف الخبزة • ثم استدعى ءاخرين فأكلوا الباقى • ثم ذهـب بهذا الحاكى • فقد رءاه متاثرا • فأراه حفنة من الشعير • فقال له : هذا عشاءأولادى ان كان فيه رزقهم • ومنهم محمد بن سالم : هذا هو الذى أسسنا عليه ذكر رجالات الاسرة • وقد رزقه الله مكانة لاتزال تزداد • وله أخ يسمى الحسن ابن سالم • كان يجرى فى ميدان السياسة • فأمضى فى رياسة (أيت علي) تحت القائد المدنى • ثم دام على ذلك فى عهد الاحتلال الى أن تكدر الماسنة ١٩٤٥ م فقدم استقالته • ولايزال الى الان سنة : ١٩٥٩ م حيا

ولد محمد بـنسالم أواخر سنة ١٣٣٠ هـ فاخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم بن الحسن الميرغيتى المتوفى نحو : ١٣٥٥ هـ أخذ عنه ختمتين • ثم نقله أهله الى الرباط : ١٣٤٥ هـ فختم أخرى على الاستاذ : عبدالسلام الاكلاوى • في مكتب مسجد زنقة (أقاصا) بالرباط • ثم عن الاستاذ الحاج ادريس برادة وفي مسجد النخلة فى زنقة (بوقرون) وهناك أتقن حفظ القرءان • واذذاك كان يحضر بين العشاءين دروس الشيخ أبى شعيب الدكالى فى المساجد • فنفعه ذلك • ثم رجع الىسوس فالتحق بالمدرسة (البونعمانية) عند المترجم الشيخ سيدى أحمد بـنمسعود • والسبب الذى جره الى (بونعمان) هـو شيوع السمعة الحسنة عنها • حتى فضلها أهله على (فاس) وذلك سنة ١٣٥٠هـ

قال : فتلقانى الاستاذ بالقبول • فكأنه توسم فى أمانة • فجعلنى فى بيت كان يحول بينه وبين سكنى ءاخرين • لانه تحـت مخـزن من مخازن المدرسة • فلازمت المدرسة الى سنة : ١٣٥٧ هـ فهناك أخذت كل معلوماتى العربية المتداولة • وكان الاستاذ فيما يتراءى لى • يعاملنى معاملة خاصة فكان يحمل كل كلامى على الصدق • حتى انه ان كان يتوقف فى الاوقات •

يأمر من يسألني عنها • ثم خرجت من المدرسة • على نية ان استتم بفاس • فنزلتها بالفعل شهرين • الا أن الاعانة لم تتيسر لى • فرجعت فدخلت مركزا تجاريا • فلم يمض الا قليل • حتى قامت الحرب • فتأزمت التجارة

أقول انـه التحق بمدرسة مولاى يوسف • كمعلـم فى الدروس • لصفوف المترجمين • ثم انتقل الى دار المخزن كاتبا فى القسم الجنائى العرفى حيث بقى الى أن عين عضوا فى المحكمة • وفى عهد الاستقـلال عين سنة : ١٩٥٧ م رئيسا للمحكمة الاقليمية فى (الناظور) ثم الىمثل ذلك فى (أكادير) الى ان وقع فيه الزلزال • فماتت زوجه وبعض بنيه • فانتقل لمثل وظيفته فى (الرباط) حيث هو الان ١٣٨٠ هـ

ومما يتعلق به : رسالة كتبها اليه أستاذه أحمد بن مسعود نصها :

(الاخ الصالح • والحب الناصح • الفقيه الذكى اللوذعى • أبو عبدالله سيدى محمد بن سالم الاخصاصى بالرباط ازكى السلام السلام عليكم ومن تعلق بكم • ونوصى حبيبى • وقرة عينى • بالانحياش الى الله تعلى • والفناء فيه • فالعمر ميدان السالك • وكل نفس من أنفاس العمر • جوهر لاقيمة له • فانتبه ياحبيبى من سنة الغفلات • وقد أحببنا من حبيبنا • وسويداء قلبنا : أن يجعل نصيبا وافرا من مذاكرة العلم • فقلبكم بحمد الله يصلح لذلك • وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه (المجنون من توانى فى العلم حتى فاته أو ضيعه) ولقد صدق رضى الله عنه • فأولى هذا الزمان الذى قرب أن يضمحل أثره فيه • وكل ماسواه من الاشغال كالسراب •

ثم أنه نعلمكم بأننا اشتقنا اليكم غاية الاشتياق اشتياق الوالدة لولدها وليس الخبر كالعيان • ولكن كما قيل :

ماكل ما يتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

وقد سألنا عن أحوالكم الاخ سيدى الحسين • فذكر أن بكـم مرضا شديدا • فنسأله تعلى أن يعقبه بالعافية التامة المحتوية على الايمان والاسلام فاعلم أننا لانغفل عنكم فى غالب الاوقات • وذلك باستحضاركم عند مواطن الاجابة • كيف لا وقد علمنا من جانبكم صدق المودة والظن الحسن • والادب وما علمنامن جنابكم الاكبر قط أدنى سوء أدب • والحمـد لله على ذلـك • وكيف يغفل الوالد عن ولده القلبى • واحسانكم : أعنى الاتاى قد وصلنا • ولاتحتاج ياأخى الى ذلك • كثره الله وجعله مقبولا عنده • فنحن معكم فى كل شىء • فالله يجعلك قرة عينه صلى الله عليه وسلم وءاله • ويجعلك منخدام حضرته ءامين • ونسأله تعلى ان يجعلك من العارفين بربهم ءامين • ويرحم

الله من قال ءامين • واجعل حظا لك من نظر الكتب الصوفية • وانظر الجليس الصالح • فان لم تجده فعليك بالعزلة • واجعل نصابا من العلم ولو قل • وأسرد من كلام الصوفية ولو سطرا • فالله يحفظك ءامين • واستودعك الله تعلى • كتبه عن عجل شديد غاية • أوائل رمضان : أخوك الضعيف : أحمد بن مسعود • محبكم على الدوام)

ومن ءاثاره ماكتبه الى تلميذه أخينا ـ كما أظن ـ أحمد ـ

(السلام والرحمة والبركة ورضا الله الاكبر على ابن شيخنا سيدي (فلان) • أما بعد : فالتفضحية لله ولرسوله • ولايمة المسلمين وعامتهم فيها الدين كله • كما قاله عليه الصلاة والسلام • فيجب على الانسان أن يتنبه وان يعرف مايراد منه • وان لايغتر بهذه الحياة • وأن يعرف كيف يستفيد من عمره • فان الوقت خصوصا فى هذا العصر قلما يعتبر عند الناس نفيسا • فترهم يمضون أوقاتهم فى اللهو واللعب والغفلة • مع أن العاقل هو الذي يعتبر بغيره • ويقف عندما يامره به ربه • أوينهاه عنه • خصوصا من كان ابن العارفين أمثالك • فانك على باب الخير المفتوح ان أعنت نفسك • وان لم تعنها تكون بالعكس • فانك ان سلكت مسلك والدك • ألحقته فى مقاماته • بدليل قول الله تعلى (والذين ءامنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ) والله تعلى يهديك وينفعك ويهديك بهذه الرسالة فاقرأها وكن عليها ماشيا • والسلام)

وجدت الرسالة منقولة بخط بعض الطلبة عند الاخ أحمد • والغالب أنه هو المقصود بها • وقد كان الاخ المذكور ذكر لى فى حياته رحمه الله • ان عنده أبياتا قالها له الاستاذ نصيحة • ثم فتش عنها فلم يجدها •

ومن آثاره أيضا إلى صنوه سيدي محمد

سيدنا الشيخ الهمام التقى • أبو عبدالله • أزكى السلام على الحضرة العلية • ونسال سيدنا أن يمن علينا بدعوات : أن ينقذنا الله من مهالك نفوسنا • فاننا غرقنا • فان امكن وتيسر أن يرسل لنا الشيخ رضى الله عنه بعض ماله هناك من كتب الفقه كنوازل الشيخ (عليش) المصرى • وبعض شروح الشيخ خليل • كنصف (الزرقانى) أو يستعيره من عند سيدى الطيب البودرارى المملوك لسيدى الحسن الاعرابى ان لم يمنع من ذلك • فان الضرورة ألجأت غاية • فوالله لقد ضاقت على الارض بما رحبت • بما كلفت به من أسئلة الناس • ولم يكن عندى مجرد (الدردير) فضلا عن غيره • ولم أكن أهلا لما هنالك ان تيسر جميع الادلة • واولى ان عدمت فوالله لقد خاطرنا

بأنفسنا • وسلكنا مسلك الهلاك ان لم ينقذنا الله بفضله الجسيم • فان تركناهم وماهم عليه ودخلنا الدار • كان ذلك ذريعة الى ماهو أشد من قطع المذاكرة • وأداء الصلاة وقتها • فالله يصلح أمورنا ويختار • وقد شاورنا سيدنا الحاج على رضى الله عنه • فاشار لى بملازمة مسجدهم • وقد ذكرت له جميع العلل • وقد يخطر لى أن أبيع الامة التى بيدى • وأدفعها فى الحلقة المرهونة فى (ماسة) وأردنا ان نستشير الشيخ فى ذلك الامر • ولم أدرهل هذه الامة مختصة بى • أو مشتركة بينى وبين الورثة • وأصلها ماعلمه الشيخ رضى الله عنه • بما أعطاه لنا الشيخ الوالد رضى الله عنه • ورحمه وأسكنه فسيح الجنان من زرع (بونعمان) وما على لك من ثمن القرض • وقد بعت الزرع حينئذ • وتركت أهلى جياعا • فلولا فضل الله وفضلكم وبركة جودكم علينا بدفع القوت ذلك الزمان لهلكنا • فانظر هل مافعله الشيخ الوالد من العطية مختص بنا • أو يدخل فى ذلك جميع الورثة الان • لمابقى رأس المال • والعادة أن الاباء انما يقصدون بما يدفعونه المحاسبة بين الاخوان لاحقيقة العطية وأنا ان بعتها فى الحالة الراهنة بقيت بلا خادم • ولم يكن عندى ما أشترى به شيئا فى المستقبل • ولابد ممن يخدم فى الدار • فاجب سيدى • واصدع بالحق • ولاتظن بى أننى لا أقبله • ويأخذك الحياء فى ذكره فوالله لقد أحببنا ذلك غاية والسلام

ولنكتف الان بهذه الاثار التى وجدناها •

وفاته

كنت فى (الرباط) عند الاديب سيدى الحسن • مع الادباء الرباطيين فى اغتباط • وفى أفراح باجتماع الشمل • وذلك اثر مرجعى من النفى • بعدما أذن لى أن أزور الحواضر • فبينما نحن فى بلهنية عيشنا فى جو هذه الاجتماعات • اذا بنعى شيخنا هذا ورد علينا • فقامت قيامتنا ولا حول ولاقوة الا بالله • فكذلك طويت صحيفة شيخ من شيوخ هذا العصر بمرض غيرطويل الم به رحمه الله •

مراثيه

من مراثى الاستاذ : ماقاله شاعر جزولة محمد بن عبدالله العثمانى :

لوشمت جهد النفوس يا ابن مسعود — أحببت عيشك فينا غير مفقود
دارت عليها رحى الآلام من حزن — فما ترى غير مفئود ومكبود
رحماك رحماك فالاحشاء راجفة — ومنهل الصبر لم يكن بمورود
أرحت نفسك من هم ومن نكد — والناس بعدك فى حزن وتسهيد

من كل باك عليك بالمحاجر • او ... باك عليك بمنثور ومنضود
مالت به نشوات الوجد صادرة ... عن خفقة القلب لا عن نغمة العود
والجأته الى ءاهات ثاكلة ... الام هم يشيب راس مولود
واجهدته صروف الدهر حين دهت ... يوم تغيب احمد بن مسعود
هذا العزاء لمن فيه أقدمه ... للاهل • أم للتقى والفضل والجود
أم للمعارف والاخلاق تحسبها ... زهرا من الروض أونشرا من العود
ماكان للقوم لو كان الخيار لهم ... ان يبدلوا الشيخ محرابا بالخدود
أو يغسلوه بغير دمع خشيته ... أو يجعلوا كفنه غير السجاجيد
أو يدفنوه ولم يسمع نداؤهم ... فى الناس : ان العزاء بعده مودى
سلوا الاولى حملوه نحو مرقده ... ماذا رأوا من كرامات وتمجيد
هل انصتوا لحفيف الحافلين به ... من السماء والحان التحاميد
أو ابصروا حفلة البشرى مكللة ... من التحايا له فى تلكم البيد

* * *

كل الجلائل قد تجلو حقيقتها ... الا المنية عزت كل مجهود (١)
أعيت عقولا واعيت كل فلسفة ... والقول فى الذاهبين غير محدود
بيناهم أمم اذا هم لقم ... تلقى الى حشرات الارض والدود
ترى الترائب والهامات ترفعها ... ريح وتخفضها بين الجلاميد
يضحكن من عابدى الدنيا يهزهم ... سمع الاغاريد او ماء العناقيد
عفت يد الدهر من الواحها صورا ... من معجزات جمال ثم معبود
تبارك الله لو ابقى بها أحدا ... ابقى عليها سليمان بن داود

* * *

ماذا لقيت من الايات من كرم ... هناك بعد عناء غير معهود
ان كنت من طالبى المجد الاولى جهدوا ... فانت فزت بركن منه موطود
لما تبينت سبل المجد واضحة ... جريت فى العلم شوطا غير مجحود
العلم قاعدة رأيتها أسسا ... لمبتغى العز • او جد لمجدود
انى قرأت على ادراجها سورا ... آياتها هى فى ذكر وتخليد
اجدر بمرء مضى يوما وليس له ... ذكر يخلد • ان يدعى بمنكود
فاذهب كما شئت لاتلوى على احد ... مزودا بثناء غير معدود
بكت عليك البلاد كلها وبكى ... هذا اليراع عليك يا ابن مسعود
واجدر العالمين بالخلود فتى ... ناحت عليه اليراع بالاناشيد

---

١) عزت : غلبت ــ وفى القرءان الكريم : وعزنى فى الخطاب

قولة علي بن الحبيب فيه

قال بعد ذكر سيدى محمد بن مسعود : (ومنهم اخوه الفقيه المربى أبو العباس سيدى أحمد بن مسعود • كان هذا السيد من الذاكرين الله كثيرا• ومن التقوى فى غاية • وحقيقة التقوى اجتناب المحرمات • وقال تعلى : (ان المتقين فى مقام أمين) • وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : التقوى ترك ماحرم الله • وأداء ما افترض الله • وقد سئل رسول الله (ص) عن التقوى • فقال : كل تقى • الا أن أولياء الله هم المتقون • وعنه (ص) أنه قال من سره أن يكون اكرم الناس • فليتق الله • وهذا السيد أخذ على والده المذكور • وتدين بالطريقة الدرقاوية • لزم مدرسة (ابى النعمان) يذكرفيها ربه • ويدرس بها انصبته• ولا زال معافى محفوفا بعناية الله• وهو فى قيد الحياة الى ان توفاه الله فى ١٣٦٣ ﻫ

الثاني عشر : محمد بن أحمد

ولده الكبير • لعله ولد نحو ١٣١٢ ﻫ لازم والده • ولاأراه تجاوزه الى غيره • وقداعتنى به والده اعتناء تاما بالغا النهاية • فقد كنت رأيته وأناهناك سنة ١٣٣٢ ﻫ يفرده بدروس عليا وحده • كالتلخيص وغيره • ويقدمهلتعليم المبتدئين وكان الاستاذ "محمد بن السائح الجرارى هو المعين للاستاذ • فيطالع للطلبة • ويملى عليهم التقارير اولا فى الواحهم • على عادة البونعمانيين ثم يدرس بعد ذلك الاستاذ الدراسة المعهودة • وكان اذذاك يقدم ولده للقيام أحيانا بهذه العناية • حتى استتم دراسته • فزوجه البنت الثانية للاستاذ سيدى محمد بن مسعود • وقد ذكر ان اختها عند سيدى عيسى الادوزى • ثم سعى له فشارط فى المدرسة (المعدرية) على نية أن يقوم هناك بالدور الذى عليه • غير أن سيدى محمدا لم يمكن له أن يؤدى ماعليه • لاسباب منهابعض مافى نفسيته من عدم الارتياح لذلك • فخجل شديد جدا يعتريه • حتى لايكاد يبين فى الجواب • حتى ان انسانا قال له مرة : ان فلانا يسلم عليك فاعتراه خجل كثير حتى لم يستحضر معه ان يجيبه برد السلام على العادة فسكت متحيرا • ثم قال له (واخا) أى نعم • وكان من ألطف الناس وأسكنهم طائرا • ولكن أبى الله أنتظهر فائدته للوجود بما وضعه فىنفسيته • وليس للانسان ان يغير الجبلة التى ينشأ عليها خلقة •

لازم المدرسة (المعدرية) زهاء أربعين سنة الى الان : ١٣٧٩ﻫ يخطب فى الجمع • ويصلى بالناس الخمس • ولم يرزق ان يدرس دراسة مجدية • وهو الان على حال حسنة حفظه الله • ومع ذلك كله له همة ربانية وتطلع الى الاخبار

الثالث عشر : أحمد بن محمد

ولد من قبله • من نجباء الابناء وقد خلد ذلك من فجر نبوغه عمه الحسن بقوله :

أأحمد يا نجل صنوى لقد ... أراك جديرا بكل نبوغ
تلوح عليك لوائحه ... فبعد اجتهاد يتم البزوغ
فسر للمعالى واياك ان ... تزيغ فليس الفتى من يزيغ
وأفن شبابك فى نيلها ... فان شبابك سوف يروغ
ودع عنك كانت جدودى فما ... لمثلك نجح بذاك يسوغ
ولى من نبوغك أمنية ... تبرهن للناس عما اصوغ

أخذ عن أبيه • وعن جده ابى العباس • ثم التحق بنا بعدما شدا فى (مراكش) فبقى معنا نحوسنة • ثم انتقل الى مدرسة (ءال عبد المعطى السباعيين • فكرع من هناك حتى رجع ريان من منهل شيخنا سيدى عبدالله ابن عبد المعطى علامة الحوز • ثم تصدر فى المدرسة (البونعمانية) فملاها بالعلوم الى الان : ١٣٧٩ ه وقد يسره الله لتلك المدرسة فلازمها • وعمرها فيألف عنده التلاميذ • وقد تزوج وله اولاد• وهو اليوم علامة الاسرة ومحل بركتها • وينبوع سرها •

الرابع عشر : البشير بن احمد

أصغر اولاد الاستاذ شيخنا أبى العباس • رأيت له مايدل على انه مسعودى الهمة لولا ضعف بنيته • وقد أخذ عن والده حتى حصل تحصيلا كثيرا • وظنه الناس خلفا لوالده • له حظ حسن • وعزيمة علمية • وتعال الى القمة • وقد أوى من كنف والده الى ظل ظليل • وزهر بليل • وروح وريحان وجنة ونعيم • وكأنى به غدا ان لازم الدراسة ولازم الجد • وخطب المعالى ولبى الواجب عليه • يعيد المجادة المسعودية جذعة • وماذلك على الله بعزيز •

كذلك رأيته فى حياة والده فاعجبت به• ثم بعده تأسفت على انه لم يسلس للمعلم القياد • فلولا ابن أخيه الاستاذ احمد بن محمد المذكور • لشغرت المدرسة (البونعمانية) ولكن السعد لايزال يلاحظها • فملاها هذا الاستاذ بالطلبة المنيفين على أربعين • وفقه الله • وكم أتأسف على سيدى البشير المحصل المستحضر حين لم يكن له الظهور الذى كنا ننتظره منه •

الخامس عشر : سيدي علي بن احمد

أحد أولاد شيخنا • وقد حصل تحصيلا ما على يد والده • ثم تصدر لزاولة الفقراء أصحاب والده بعده • فامضى فى ذلك حياته مع ضعف شديد لازم جسده • وكان صوفيا مستنهضا للهمم الى أن توفى فى أواخر ١٣٧٩هـ رحمه الله • ولولوعه بالتصوف اقترح على جمع كتاب فى أخبار الشيخ الوالد • فهو السبب فى كتاب (الترياق المداوى)

السادس عشر : الحسن بن احمد

جاء ياقوتة الشباب المسعوديين أخيرا • كما تاتى النتيجة وراء المقدمات وكان يجب أن ياتى فى طليعتهم • غير اننا اعتدنا منه ان نجعله قبل الانختام مسك لكل فذلكة أدبية • فاقتادتنا الفتنا أيضا الى ذلك • والزهرة ءاخر ما تنبثق عنه الشجرة • وذيل الطاووس أفضل ماتشتهيه منه العيون • وليلة القدر فى أخريات رمضان

منشأه

ولد سنة : ١٣٢٧ هـ كما كتبه بخطه ظنا منه • بين أبوين فاضلين • فقد رأيت مارأيت من والده • وأما والدته فكانت من فضليات نساء ءال مسعود • وكانت ربانية كريمة حصانا رزانا • حبب اليها سماع المواعظ بشهوة نادرة • فقد كان للحاج محمد بن عدى الواعظ المشهور من (الغ) مقام سام فى قلبها • وفى قلوب أخريات التفغن حولها • فكن يقمن له بكسوة صوفية كل سنة • كما أخبرت به •

وعلى من هذه السيدة منة ان أنساها لها • وذلك اننى كنت أواخر : ١٣٣١ هـ فى (المعدر) فى دار شيخنا زوجها سيدى أحمد • وقد انحصرت هناك عن الذهاب الى (بونعمان) لانقطاع الطريق اليه لحرب زبون • تدور اذذاك بين المعدريين • وابن دحان فى (تزنيت) فكانت قنابل كثيرة من خيل هذا • تقطع طريق (بوسنصار) وطريق (اكلو) فكنت أتناول هناك طعاما من (أبلاغ) «١» تناولا متكلفا لايكاد يبلغنى من وجبة الى وجبة • فكانت ترسل الى خادما فى وسط كل هاجرة • وقد قال القائلون • فتدخلنى الى ممر الدار فتسرب الى

(١) يطلق هذا الاسم على الشعير الذى تمضى عليه سنون كثيرة فى المطامير حتى يسود ويفسد ذوقه • وهو معيشة اثرياء المعدريين اذذاك • بل يلمزون من لاياكل منه بانه معوز فقير وقير لاثروة له

على يد الخادم خبزة من دقيق شعير جديد مع أركان • فكنت لتلك النعمة شاكرا • لأأزال أذكرها • وأية نعمة • وأية منة مثل الحيلولة بين المصارين وبين السغب • وكنت اذذاك صبيا مدللا • فراعتنى من حيث لااجد ازائى من يراعينى • فكنت اذذاك ارى صبيين ابنى خمس سنين • يقفزان امامى وعليهما دراعتان سوداوان • وعلى أسرة وجهيهما ماكنت احسبه اذذاك طهارة الصبا • وأنوار الطفولة • ولو كنت أعلم الغيب لادركت ان فى محيا احدهما مع ذلك نورا لماعا مما تكنه خليقته من العبقرية النادرة فى الادب العربى • ثم صرت أمر بعد ذلك بـ (المعدر) ذاهبا الى (الغ) وءائبا • فكنت ربما القى أحد الطفلين هناك • كما ألقى اطفال المسعوديين الابرار • فلم اكن اجد من الحسن المترجم مايميزه اذذاك عن صنوه على • اما لكون العبقرية لاتبرز الا فى الوقت الذى تبرز فيه الزهرة بعد استكمال الشجرة نموها الطبيعى واما لكونى اذذاك أيضا ساذجا • فحالت السذاجة بينى وبين تبين ماعسى ان يعلو جبين ذلك الطفل الذى خبأته الاقدار لتاتى منه بسوسى يرفع راس سوس الى أعلى عليين •

أخذ القرءان فى (المعدر) وفى (بونعمان) وكثيرا ماينقطع عند والده هناك فيأخذ فى مسجد قرية (أكرور) ازاء المدرسة • كما كنت أسمعه يحكيه

وقد كانت له اذذاك جولات فى ميادين الرياضة فى الكرة والفروسية ورمى الاهداف بالرصاص • ومخالطة الاريحيين من الشباب القماص الهتاك لكل السجوف • ولكنه لم يطل عهده فى ذلك وللنشاط فى ذلك الطور جذور فى الرجولة التى ياتى بها الطور التالى •

أساتذته في العربية و الادب

١ ـ والده الاستاذ • كان أكبر أساتذته • لانه هو الذى أسس لمستقبله ما أسس

٢ ـ مبارك البعقيلى الاستاذ الكبير المشارط فى مدرسة (أوخريب) ذكر أديبنا أنه أخذ عنه كثيرا • وقدكان انقطع الى مدرسته ماشاء الله • ولكن ذلك لم يطل كثيرا • (وقد ذكر مبارك بين أهله فى هذا الفصل)

٣ ـ الحاج مسعود الوفقاوى الالغى : المدرس الكبير • انقطع الاديب الى مدرسته (الايغيلالنية) ماشاء الله • يحضر عنده دروسا كثيرة (ذكر فى القسم الثانى)

٤ ـ الاديب داود الرسموكى • العلامة الجليل النحوى الفقيه الخطير الشان انقطع اليه فى المدرسة (التييوتية) التى كان فيها ازاء (تارودانت) ويذكر

أديبنا عنه حكايات عالية • وتوجد ترجمة داود في (القسم الخامس) مع أهله ان شاء الله

الاديب في الحواضر

تقلب الاديب في هذه المدارس • فلم تمض هذه التقلبات بين هـؤلاء العلماء الكبار والاساتذة المشاهير • والادباء الفارعين • منغير أن تترك فيه أثرا كبيرا • خصوصا محاككته بالاستاذ الحسن بن مبارك البعقيلي زوجأخته فقد ذكر الاديب أنه كان كثيرا مايستفز مشاعره الى الادب • كلما سقطت اليه أنباء عن كل الادباء الذين ينبغون اذذاك من جديد • فياتيه بمستطرفات مما يراه منهم أو يسمعه عنهم ولا أحفز للناشئة من تاثير الغيرة في افئدتهم ذلك هو ماصرح به الاديب عن مبدا نزعته الادبية • ويسمى من كان ياتيه بانبائهم وأنه رفيقه الاستاذ الحسن بن مبارك • واذا أراد الله شيئا • هيأ أسبابه • ذلك ماكان في مدرسة (أوخريب) • ثم كان في (ايغيلالن) وفي (تيبيوت)

لم أكن قط سمعت بوجود هذا الاديب • وقد ذهب عني عرفاني بذينك الطفلين الوديعين • اللذين كان عهدي بهما في دراعتين سوداوين بـ (المعدر) الى أن انكشف الغيب عن أحدهما • فبرز علي بدره ليلة من ليالي رمضان : ١٣٤٨ هـ • فقد حللت مبتدأ هذه السنة بـ (الحمراء) وأنا لا أدري ما أصنع ثم تهيأ لي من غير ارادة مني ما تهيأ • فكان ما كان من السبح في الدراسات الى أن قطعها هذا النفي الذي نملاه بكتابة هذه الذكريات •

خرجت تلك الليلة بعد صلاة التراويح من مصلى زاوية (الرميلة) الى بيت في ساحتها • فسلم علي وأنا مار من المصلى الى بيت انسان لاأعرفه • الا أنه لاقاني بالادب الصوفي المتناهي • فقد خلع نعاله • ثم قبل كتفي أو راسي فدخلت معه وأنا غير ءابه كثيرا به • لان أمثاله يدخلون علي اذذاك في كلوقت ثم ظللت أسائله • فاذا به يفصح لي عن نسبه • وأنه من المسعوديين الذين لهم دائما في فؤادي اجلال واعظام • فأمرت بالعشاء المتيسر أن يقدم فأبى الضيف أن يقبل • وقد أعلن بكل صراحة أنه كان تعشى في مكان ءاخر قبل قدومه • ثم ملت اليه • وأنا أحسب أنني أكلم صبيا مسعوديا سوسيا • حفزه حافز الصبا ففارق أهله ليندغم في الحواضر • كأنه عبد ءابق • ولما جبلت عليه من النصيحة الصريحة التي تنحدر بغير مواربة ولا ملاطفة • قلت له : الى أين اذن أنت متوجه ؟ فانه لاينبغي لكأن تخرج هكذا تدور في البلاد • وتذر وراءك والديك • وشرف أسرتك • فانت أنت • اتكون ككل الشذاذ السوسيين الذين تترامى بهم الطرقات • وتتلاعب بهم الغربة فظللت املي عليه بمثلهذا

الكلام • ومخاطبي أمامي ساكن لايحير جوابا • فحملت ذلك على ماكنت ءالفه من السوسيين البدويين متى دهموا الحواضر• فتختبل نفسياتهم لا يدرون ما يقولون ولا مايفعلون •

ثم بعد لاى – ولم ينطق ينت شفة – استأذننى مخاطبى ان يرجع الى ما نزل فيه • فاسعفته ثم خرج • ولم أعد أتذكره • فبعد أيام جلست فى (القيسارية) عند دكان الاستاذ الاخ العزيز عبد الجليل بن القزيز • فقال ان هنا سوسيا أديبا ينشدنا مقطعات لطيفة للسوسيين • فانشدنى منها القطعة البائية لابن العربى الادوزى فى تفسير (روح المعانى) فملكنى العجب • فقلت له : ليت شعرى من هذا السوسى ؟ فذكر أنه طالب نزل جديدا فى المدرسة (المواسينية) فلم أكن أهتدى الى ان صاحبنا البونعمانى هو هو • لانى ماكان عندى فى تلك المنزلة اذذاك • وقد استحوذت على غرارة نحوه • فكنت ادفعه عما هو فى هامته مستقر • وفى يوم صادفته هناك أمام الدكان • فاذا بصاحبنا هو الذى سلم على فى تلك الليلة • وسرعان ماانكشف عنه السجف • وتجرا قليلا على فى المجاراة فى الادب • ثم لماقمنا من الدكان عرضت عليه أن يصاحبنى الى (الرميلة) فاعتذر لى اعتذارا مشوبا بانفة • فسامحته • ولم يدر بعد فى بالى أنه متاثر بما سمعه منى من ذلك التأنيب ليلة لاقيته • والنفس الابية تحتمل الموت ولا تحتمل مثل ذلك • ثم صرت بعد ذلك اعلم أنه استقر فى المدرسة (المواسينية) عند الطلبة الابزيويين الكرام • وقد عرفوا من نفسيته بسرعة • ماكنت أجهله منها • فربطوه بما يربط به الكرام أهل الاريحية الادبية • فنزل عندهم نزول الضيف على ءال المهلب شاتيا (١)

ثم بينما كنت أدرس يوما المقامات الحريرية فى مسجد (ابن يوسف) اذا ببعض اسئلة عليا أدبية توجه الى من أحد الحاضرين • فخطر فى نفسى أن السائل هو دون ذلك المقام • ولم أعرف أنها من فكرة صاحبنا الا بعد حين

تعارف الاديب السوسى الجديد بطبقة مستنيرة بـ (الحمراء) فمازجها على حين أننى لأأزال واياه فى كفتين • لاننى اذذاك لاأزال متلبسا بانزواء وبعبارة اصح اننى لأأزال جاهلا نفسية هذا الاديب السوسى الجديد الانوف فانه سهل الامتزاج • ولكن لمن فتح له صدره • وعرف له مكانته • وصفق لنبوغه • وعترف بمكانته فى الادب

---

١) قال الشاعر :

نزلت على ءال المهلب شاتيا ... غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلى

جال جولة قصيرة فى حواضر المغرب • ونزل ماشاء الله فى مدينة (بنى ملال) فيتردد الى(البيضاء) وما اليها • فصقلت مرءاته • وانقشعت عنه الغشاوة • فلم يكد ينزل بـ (الحمراء) من جديد حتى لاقيته اثر نزهة الطلبة يوم اقامة الحفلة المعلومة للاساتذة فى المدرسة (اليوسفية) فلم ينتظر البونعمانى فى هذه المرة أن أحاول أنا الاتصال به بل أقدم فهتك السجف الرقيق الذى يحول بينى وبينه بيده • فتقابلنا وجها لوجه • فلم يمض الا ثوان • حتى امتزجت الافكار • وتعانقت القلوب • وتعانقت قلوب أبناء الخالات (١) فزال كل شىء • ولعل ذلك تم اما فى أواخر : ١٣٤٨ ه واما فى أوائل التى بعدها ثم صرنا معا فى صف واحد • يبث الدعاية الادبية العلمية فى جهة • وأقوم أنا فى الجهة الاخرى بتدعيم الدعاية بالفعل • فدخلنا متساندين فى طور ءاخر • له ماله فى الحياة المراكشية الادبية العامة ولى أنا الدروس الادبية المتابعة • ثم رجعت الحياة الى الادبيات التى كانت مؤودة فى قلبى بسببه • فكان هو فى جهة والاستاذ ابرهيم بن أحمد فى أخرى يعاوناني كل المعاونة فى المهمة التى انتدبت اليها • فكما ان لـلاستاذ ابرهيم مرجعا كثيرا من النجاح العلمى فيما كنا نزاوله اذذاك • كذلك يرجع مثل ذلك فى فن الادب لهذا الاديب البونعمانى الذى خلق من الادب وللادب • وأنفاسه وشمائله كلها من الادب والى الادب • بعدما أدبه باريه فاحسن تأديبه • وقد كنت اعرضت عن صوغ القوافى • وبسببه رجعت اليها • فالشكر له اولا وءاخرا •

رحلته في جزولة

كلنا من (سوس) وهناك كثيرون من حملة الفهم والعناية ؟ نبتوا كلهم من(سوس) غير أن هناك حقيقة تاريخية لابد ان نعلنها • وأن نقر بها نحن كل السوسيين الذين اتصلوا بالحواضر • تخريجا أوزيارة أو سكنى • وهى أننا كلنا لم نكن بعد لنتذكر (سوس) بعدما وجدنا فى الحواضر وفى علمها وافهامها وفى أفكارها وفى مدنيتها ما أسكرنا حتى نسينا أنفسنا ونسينا سوسنا • وأمجاد سوسنا • ورجالات سوسنا • ومن نسى بلده وأصوله وسلفه • فلم ينس الانفسه • وان كان من أهل الشعور • وهذه الكلية الجامعة المستغرقة لكل فرد فرد • لايمكن للمنصف أن يستثنى منها الا الحسن البونعمانى فقط فلئن كان للمانوزى جولات فى هذا الميدان • فانها لم تخرج عن محاورات فى المجالس وملفقات مكتوبة ملاها بالتنفج • وبما يظهر من التحيز • واما الالتفات الحقيقى لاحياء المجد السوسى العلمى والتاريخى من غير تنفج ولاتحيز • فان

١) هو ابن أحمد بن عائشة بنت السيدة تعزى الاغرابوئية • وأنا ابن رقية بنت زينة بنت تعزى الاغرابوئية

البونعماني وحده أبو عذره • أقول هذا وأسجله على نفسي بكل انصاف واقرار وأنا (باتمى) كما يقول سادتنا العدول

سيطلع المطلعون غدا على ما أقوم به من الكتابات في هذا المنفى حول هذا الموضوع • وكان يمكن لى لو أردت حجب الحقيقة أن أطرق ماشيا في سبيلى لاغر القارئين • فيدركون غلطا أننى أبو عذر هذه الفكرة • والواضع لاسسها من أول يوم • غير أننى لاأحب ان القى الله كذابا • وأن امثل دورا يمثله كثيرون من المتنفجين الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا •

كنت خلوا من هذه الفكرة المتسعة هكذا • فان كان يجول في فكرى شيء فلم يعد النقطة الادبية • غير أننى ماكدت أتصل بالبونعماني بعد رجوعه من رحلته (الجزولية) حتى صرت أسمع جديدا أستحليه كل الاستحلاء • فأتمنى لو وجدت وقتا وفراغا للعمل فيه • ثم جاءنا الفراغ اليوم في هذا المنفى مرغمين • فعملنا مرغمين

رجع الينا البونعماني • فصار يسرد علينا مما رءاه في ديار الجشتيميين والتمليين وأمثالهم • ويعرض على من مقيداته ما وقفت ازاءه مشدوها • فكان أول يوم سمعت فيه ماهز منى النعرة الجزولية • وكان ذلك في أول سنة : ١٣٥١ هـ فكانت جلساتى معه اذذاك دروسا ابتدائية عن تاريخ (جزولة) فلم أكن أدرك قبل ذلك عظمة (جزولة) العلمية • ولا أقدرها حق قدرها • حتى اندفعنا الى ذلك • فظهر ماظهر • وما في النية ان يظهر بعد ان شاء الله •

وقد جمع الاديب مواد كثيرة لرحلته • ونظم ترتيبها • ولكن شغلته شواغل عن كتابتها الى الان • ومواده هى بعينها ماسخا لنا بها جزاه الله خيرا فضممناها الى ماأدركناه بجهودنا • فمثل بين القارىء مامثل في هذا الكتاب وفي غيره

تلك هى الرحلة الجزولية للشاعر البونعماني كما اشتهر به في كل المغرب • وذلك هو تاثيرها في أحد قرائها • وهل لمثل هذه الرحلة من ثانية في تاثيرها ؟ قولوا • لاتسكتوا •••

توظفه

قضى الاديب ماقضى بعد الرحلة • وهو يحاول أن يجد له مستقرا ثابتا يمكن أن يؤسس فيه لمستقبله • فقد بدأت شهرته تسرى من محفل الى محفل ومكانته الادبية في طريق الاعتراف بها • ومثل العلامة ابن زيدان يشيد من ذكره • لما رءاه من أفكاره وقصائده • كما أن القراء الجدد التفتوا اليه منذ نشر قصيدته عن (شوقي) وقد نشرت في سجل تابينه المطبوع • واذكر انه

كان قال تلك القصيدة فى ليلة كما وجدته فى هذه الكلمة التى كتبتها اذذاك لرئيس مجلس تابينه الشاعر الكبير • الزعيم الاخ علال الفاسى • وقد كان هو ومن معه ينتظرون منى قصيدة فى الموضوع • ولكن لم يتيسر لى ذلك • فحين تيسرت قصيدة هذا الاديب كتبت معها اليه • طالبا نشرها مانصه :

(الاخ الاديب شاعر الشباب • وقلبه النابض : علال الفاسى • تحيـة عطرة وسلاما ذكيا • واحتراما فائقا

ذيـاك المقـدام (عـلال) يحـوطـه عـز واجـلال
ما النشء للشعب سوى أضلع وقلبـه النابض عـلال

أما بعد : فقد وصلت نفحات الاحتفال الزاهر • وأسمعتم أيها الاخوان من كانت له أذنان • فهكذا يقوم بالواجب من يشعرون أمثالكم • فلئن ارتج على أخيكم الذى تزعمونه مفوها • فقد نبغ لكم سوسى اخر • فهل أنتم بـه مبتهجون ؟ ولئن أكدى فكر المختار • فقد فاض ينبوع شاعر القطر السوسى الحسن بن أحمد البونعمانى • فقام ببعض مايجب علينا معشر السوسيين نحو شاعر العروب جمعاء • لاشاعر المصريين وحدهم • فهاكم قصيدة تعرب عن نفسها • وعن نفسية قائلها الذى عهدنا منه قبل ماستعهدونه منه منذ اليوم مما تلمسونه من قصيدته هذه لمسا • فلئن تاخرت عن موعد الاحتفال • فما ذلك الا لانقائلها لم يشتغل بها الا تلك الليلة نفسها • فليعتبر من الذيـن صلوا فى الصف الاول • ومن المجلين فى ميدان الاجابة من أول يوم •

(ومن أقام على عذر كمن راحا)

* * *

كذلك كنت أول من أعلن للعالم اسم الحسن البونعمانى المفوه • وأناله لقب شاعر القطر السوسى • ثم لامنة من ذلك • لانها حقيقة تعلن عن نفسها

ثم كان لتلك القصيدة أثر كبير فى الاوساط الادبية ثم كان بعدها ماكان ثم انه كان كلما حاول ان ينفتح أمامه باب لماموله اذا بحرفة الادب تأبى الا أن تسده • بل تحكم سده وكان فى سنوات : ٥١ ـ ١٣٥٥ هـ يمكث معنافى (الحمراء) أو ينقطع الى (مكناس) أو يتجول فى الحواضر • ولكنه لايطيل المكث الا فى (الحمراء) حيث كان له مقام كبير • ومنزلة مامثلها منزلة •

وفى مفتتح : (٥٥) أو بعد ذلك بقليل • ذكر لى أنه عرض عليه وظيفة استاذ بـ (الرباط) ولكنه ياباه كل الاباء • لان مثل نفسيته الانوف • لاترضى بالصغائر • فندبته الى أن يقبل ماتيسر على كل حال • لان الدرجات يترقى فيها شيئا فشيئا فتبعنى فاستقر هناك فى صيف تلك السنة • ثم تاتى له أن يزور (الحمراء) فى ذى الحجة فصادفنى غائبا عنها • فدخلت يوم خروجه

ثم لم أنشب ءاخر ذلك الشهر ان تلقيت صدمة النفي فتلقفني (وادى نفيس) الى (الخ) حيث هذا المنفى السحيق الذى اكتب فيه هذا :

أخلاقه

يقولون لى صفها فانت بوصفها   خبير أجل عندى باوصافها علم

كان الرجل غريبا في أنفته التى ليست من نوع التكبر المذموم • كما كان عجيبا في معاشرته • ولم أر قط منه والله يشهد ما يسوءني مع الملازمة الدائمة • وأنا ما أنا في ضيق أخلاقي أحيانا • فكان ألطف الناس بي ان شاهد مني مثل ذلك الحال • فيكون لطفه لثورتي بردا وسلاما • فاذ كنت سرعان ما أثور • فانني أجده ازائي بنكته اللطيفة الحلوة خير اخ يعرف كيف يكبح من جماحي • ويغض من غضبي •

فلئن كان لادائه دائما حضورا وغيبة • فياويل من يمد اليهم لسانه من أضدادهم فانه يلقى من مقوله علقما على من صبه الله • ولا خير في وردة لا شوكة ازاءها •

تطور بسرعة من البداوة الى الحضارة • فمن يراه يحسب أن لاجداده في حدائق فاس • مالابناء سودة ولابناء الفهرى • وللصقليين ولاولاد ابن الحاج من مآت سنين • وكما تطور في هيأته وخلقته تطور في دماثة أخلاقه • فقد اجتمعت فيه نسمات الاداب • ونسمات الحضارة • فغادرته من الطف ماتنظره العين • وتسمعه الاذن فتحلو معه المعاشرة •

كان من أوسع الناس صدرا بين كل الناس • بعيدا عن ثورة الغضب ما دام في وسطهم لكنه ازاء من يحس منهم غير الوداد • مرهف ماضي الشفرتين كالكهرباء • فبمجرد لمس زرها ينادى يا سلام ياسلام •

كادت أريحيته الادبية تستبد به • حتى اشتهر بها وبفكرتها وباستحضار مايليق ان ينشد فيها من الابيات • فان كان في مجلس خاص من بين من ينهتك بينه وبينهم الستر • تراه يكاد من خفة الروح يطير • ولا أستطيع أن أحصي كم كان ينشد قول الشاعر :

في انقباض وحشمة فاذا   صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها   وقلت ما قلت غير محتشم

وينشد :

يقول ابن عباس تهتك سترنا   متى كان من ستر فينهتك الستر

فبينما هو ينشد ذلك بلسان مقاله . اذا به يمثله بلسان حاله . فبهذه السجية كان مقربا الى كل القلوب . فسرعان ماياِلف ويولف . ثم هو مع ذلك من أحرص الناس على المروءة . وعلى تنكب ماعسى ان يوثر فى جلسائه من فلتات اللسان . فكان ازم الناس للسانه . وماظنك بمن يكب على كتاب الاحياء للغزالى . أفلا يكون عفيفا تقيا نقيا .

كنت أذكره لاستاذنا سيدى المدنى بن الحسنى الرباطى . ثم لما رءاه وكان هو أيضا من اكبر الناس اريحية . صادف منه ماكان فى طبقته . فبمجرد مالاقانى بعدما رءاه بادرنى بقوله : حقا ان البونعمانى لخليق بأن يوصف بما توصف به الطبقة العليا من الادباء الاريحيين المرحين .

كان من أكثر الناس اعتناء ببزته . وبكل ما اليه حتى خطه . فانه من ارفع الخطوط . يحتفل له . كما يحتفل لكل مايصدر عنه . ولايريد أن تقع منه العين ما استطاع على مايواخذ به . فكنت كلما رأيت منه ذلك وفكرت فيه اتذكر ماقيل عن عبد المومن الموحدى الذى نشأ بدويا . ثم لما انتشب فى الملوكية والحضارة صار كأنما كان له فيها اجداد

كان صريحا أحيانا الى الغاية . فكثيرا ما أعذله عن ذلك . فاقول له : يجب عليك أن لاتكون بمثابة هذا عند كل أحد . فيقول : ماذا عسى أن أصنع فهكذا خلقت . وليس لى ولا لغيرى أن أبدل ما لا أحبه منى . ثم لم تزل به الحوادث حتى كفكفت من غلوائه . فكان أرعى الناس لكل أحد

كان فى مخاطباته ذا فخمية : ياتى بالالفاظ المكهربة للنفوس . غير أنه لاياتى بذلك الا عن اعتقاد لصفاء وداده . لانه اذا ود . ود بكل جوانحه . فيرى لمودوده كل مقام رفيع . وفى رسائله وفى مخاطباته طرف من كل هذا . حتى انه ليوثر فى هذا الخلق . فلا أدرى حتى أقع فى مثله . مع محاولتى أن لاأكون هناك . وهذا من سحره . ولسحره عندى ءايات بينات . ومعجزات خارقات . ءامنت بالله وبسحر البونعمانى

سقيا لذلك العهد الذى كنا فيه شبحا واحدا . وروحا متحدة . وكان لنا جيب لايتجزأ . ومجلس لايحوم حوله الا مايحوم حول طافى الكاس البيضاء المترعة بالحميا المعتقة . فلذلك العهد يرجع كل مانراه جميعا فى غابر الحياة من اخاء متين ووداد صاف . ومعاهدة ادبية . احكم السعد أواصرها . وختمت الاريحية أوائلها وأواخرها . وجماع اخلاق البونعمانى الاخوية فى جملة : كن له يكن لك .

نفحة من أدبياته

للاديب البونعمانى من الشعر الحى المنتقى غالبه ماندكر بعضه هنا مقتنعين بما تيسر • وما مثله من نكون حريصين على تخليد شعره كل الحرص لان ديوانه سيخلده • فكما أنه ليس بنكرة اليوم فى حياته • كذلك لايكون نكرة فى التاريخ •

من قصائده

(الهجرة تقول)

أأنشدكم هذى القرون المواضيا ... فهل انتم تدرون فيها مكانيا
وما احرفى تجدى اذا غمضت على ... بنى العرب والاسلام يوما معانيا
أنا (الهجرة) الكبرى أناغرةالدنا ... ملات سنا أيامها والليا ليا
وأرسلت فى أفق الوجود أشعة ... بهاانجاب ماقدكان فىالافق داجيا
نشرت (جديدا)(١) فىالبرية مثلما ... طويت (قديما) ٢ كان يعدمطاويا
وانكرت أسباب التفرق فىالورى ... وأعلنت بين العالمين مبادبا
وقلت ابعد (الفتح) ٣ ياقومهجرة ... تزلزل أطواد العقول الرواسيا
سلوا الدهر عنىكيف روعمظهرى ... ممالك لاتدرى خطوبا عواديا
فلا هجرة بعدى يخلد ذكرها ... فهيهات ان يلقى الزمان مثاليا
أضارع تاريخ (المسيح) بشهرتى ... وان كان قبلى باعتزازى شاديا
أراه أمامى لايزال مسابقا ... الى ان حباه الله دونى امانيا
وعصرى هذا قد تقاعس حظه ... لقومى واضحى فى الاعاجم زاهيا

* * *

هلموا بنى العرب الكرام تداركوا ... ذماء (٤) يكاد ان ينال التراقيا
وأحيوا من العلم الصحيح معالما ... أخاف عليها أن تصير بواليا
وردوا لنا ذاك التليد وجددوا ... عزائم تصطاد الحسام اليمانيا
وسيروا على أخلاق أحمد انها ... اتمنحكم أشهى المنى والمعاليا
وشدوا الرحال للثقافة والعلا ... ليكسبكم ذاك اقتدارا اداريا
ولا تكبروا أخذ المعارف والنهى ... بغرب وجوبوا للوصال الفيافيا
فبا لعلم تحتل الشعوب ممالكا ... وتغدو به بعد الخمول ضواريا

---

١) الاتحاد البشرى تحت راية الاسلام الذى هو دين السعادة الابدية
٢) تفرق الامم
٣) فتح مكة الذى ترتبت عليه فتوح الاقاليم
٤) بقية الروح فى الجسد

وهادولة (النمسا) كان لم يكن لها … صدى حينما احتلت بها (الامانيا)
فلاغرو ان ذاقت من الظلم مره … ومن قبلها غزا (الجسور) النجاشيا
كان (مسوليني وهتلر) سابقا … الى غصب مايرى على الارض باقيا
وفي (أوربا) ماتعلمون . أمايرى … بنو الضاد أن يقفوا هناك المساعيا
كفاها نبوغا ان يشاهد عندها … أجل العصور مدهشا كهربائيا
وهل لغتي تاتي بأسماء مثلها … تدل على معنى يعد اختراعيا
ففي طوقها ان تستجد وانما … بنو لغتي الفصحى أضاعوا كتابيا

* * *

سلوا أعصر (الزوراء) عن اثرى بها … اذ العلم يستهوى هناك الجواريا
واذ عم مافوق السماك محلقا … فيخترق الحد المنيع النهائيا
و (أندلس) قد شيدت مدنية … ونالت بها بين الشعوب المراقيا
ورب خفيف الروح بين جدارها … يرى طربا أقصى المنى وأغانيا
وآخر تستهوى المعارف لبه … ويأنف أن ياتي الاديب الملاهيا
ف (فردوسنا) المفقود حين ازدهاره … يساجل أرباب القريض الغوانيا
بـ (ولادة) يرتد سحر حلالها … قصائد شعر تستفز المعانيا (١)
(رميكية) اميرة الحسن والبها … لها أدب غض يروق النواديا (٢)
فلولا (رباب الكاظمية) ما درى : … بنو العصر هل تدرى الفتاة القوافيا (٣)
فيا ذلك (المفقود) قد طبت منزلا … وان ملا العاتي ذراك مساويا
وياجنة الدنيا ويا غاية المنى … رعى الله في مأواك تلك المغانيا
لقد رضى التاريخ عنك فكم حبا … لدين الهدى منك الهداة أياديا
ولله منهم معشر شهدوا الوغى … فكم ارخصوا فيها نفوسا غواليا
وذادوا عن الاسلام حتى كأنما … تصورهم حين النضال ضواريا
بكل يراع يحجم العضب دونه … ويرجع مفلولا اذا كان راميا
وعافوا التسلي في رباك وهاجروا … الى حيث ورد الدين أصبح صافيا

* * *

الا أيها العصر الجديد أما أرى … لداء بني العرباء منك مداويا

---

١) ولادة بنت المستكفي من الملوك الامويين بالاندلس بتشديد لامه الممدودة محبوبة ابن زيدون . من شعراء الاندلس

٢) الرميكية : بضم الراء وفتح الميم . وسكون الياء ثم الكاف المكسورة : زوجة المعتمد بن عباد . وهي منسوبة لسيدها الذي باعها . وقد دفنت ازاء زوجها في (أغمات)

٣) الكاظمي من الشعراء الشرقيين المتوفين قريبا . وبنته رباب شاعرة ولعلها لاتزال حية

هموا جهلوا هذا العضال وانقضى عليهم فمن ذا لي يـزف المراثيـا
وقل لشعوب الغرب رفقا بأمـة رأت نشأها أضحى من المجد خاليا
تذكرني شباب عصري وكلما تذكرته يذكى الفؤاد المآقيا

* * *

ومن بين قصائده (العرشيات) هذه القصيدة التي رفعها الى صاحب الجلالة والمهابة • سيدي محمد بن يوسف • بمناسبة عيد تتويجه وجلوسه على عرش أسلافه الكرام • في شعبان : سنة ١٣٥٤ هـ قال :

تاج على هام العلا معقود والتاج لو فقد العلا مفقود
تاج يقوم لـه الـزمان ويومـه من بين أيام مضت مجدود (١)
يوم له الايام حساد لما قد ناله • واخو العلا محسود
الله يشهد أن يومه في الورى هـذا ليـوم مفرد مشهود
في جبهة الايام غرتها الـتـي هي في الوجود مرامنا المنشود

الى ان قال في وصف مكناس :

مكناس عاصمة الفخار ومهـده والتاج فيها دائمـا معقود
ءاثار اسماعيل ءايات لها فـي الدهر فوق الخالدين خلود
تعنو القياصر والملوك لـمجـده وهم لذكره ركع وسجود
فخر الملوك وجدك الفرد الذى قد نال ملكا ما عليه مزيد
أوتيت تاجه مالكا عـن مالـك ورقيت عرشه فاستنار وجـود
باه الملوك به فان له صدى في كل مملكة ويومه عـيـد

الى ان قال في وصف عيد العرش :

ماشرقت شمس الضحى حتى علت في الجو تخفق فـي البـلاد بنـود
وغدت ترفرت والملائـك حـولها والنور ياتي في السما ويـعـود

الى ان قال :

ان كان للشعراء فيـك قصائـد فلدى مـن درر القريض عـقـود
وأنالها حسان • أنت محمـد وجنابـه وسليله المحـمـود
فاذا نظمـت الشعر فيـك فانـه عقد على جيد الـزمان نضيد
وقصائـد الشعراء ان تاهـوابها فقصيدتي من بينهن قصيـد

الى أن قال في وصف اجداد الملك المحبوب :

بجحافل وكتائب مثل الـدبا ملكوا تضيق بها الفلا والبـيـد

---

١) مجدود : اى ذو جد بالفتح وهو الحظ

جابوا بهـا فيـح المهامـه لايرى   فى أرضها الا السنا والسيد (١)
ويضل فـى أرجائها سرب القطـا   ويحار خريت بهـا ويبيـد
فتمهدت بسيوفهم والمـلـك • لا   ياتيه الا بعدها التمهيد

الى أن قال :

يا أيها الملك المعظم انت فـى الا   وطـان مجد طـارف وتليـد (٢)
احييتها مـن بعد انلعبت بهـا   ايدى الحـوادث واعتراها السود
لولاك ما وصلـت الى هذا المدى   كلا ولا بين الشعوب تسود
وبك ارتقت وتقدمت وتدفقت   علما • وطاب لوارديه ورود
ان لم يكن للشعب حـظ وافـر   فى العلم فاحكم أنه مـؤود
من يطلب الملك الكبير فـانه   بالعلم والمال الجسـيـم يشيـد
بهما يقوم الملك عن أركانه   والسيف يحـمـى والبراع يـذود
(المعهـد القروى) مفخرة وهـل   بين الشعوب نـظيره مـوجـود ؟
هو للمفاخر والمـعـارف والنهـى   والعبقرية والفنون مهود
أم المدارس وهى منه تفرعت   تاتيه من كل الجهات وفـود
نظمته • ان النظـام لامـة   راس العلا والى النبوغ يقـود
فيه امتطوا مـتـن الثريا مظهرا   وهـم وقـوف بيننا وقعـود
أس الممالك فى الحياة وروحهـا   من فاتـه فالبائس المنكـود
لولاه ما ارتقـت البـلاد ولا رأت   فى معرك كيـف الطراد جنـود
فى عهد ملـكـك للعيون عجائب   والشعب بـالملك السعيد سعيد

الى ان قال يذكر الامة :

فبفضلكم رجعـت كما كانت وزا   ل غـرورها وخمـولها وجـمـود
لاغرو فالمجد المؤثل مجدهـا   وكذا الفروع الى الاصول تـعـود

* * *

المغرب الاقصى بتاجك ، تزدهى   أقطاره وشبابه المحـمـود
من كل شهم مخلص متنور   لم يثنهم ان ازمعوا ترديـد
خدموا وما منوا على أوطانهم   اخلاصهم لك فى القلوب شهيـد
اليوم أشبال البـلاد وفـى غـد   بوجود مـولانا الابـى اسود
فكأن هذا التاج فـى افق العلا   فلق الصباح اذا بـدا وعـمـود
ما ان بدا حتـى تـتـوج مـعوز   ورأى به ما يرتجى منجود (٣)

---

١) السنا من بنات البادية والسيد بكسر السين : الذئب
٢) الطارف والتليد : أى الجديد والقديم
٣) المنجود ٠٠٠٠٠٠٠

تلك المزية لامزية بعدها ... ولها على طول البقا تخليد
ان عشت فينا سيدا عشنا كما ... شئنا والا فالجميع مسود
عش للمعالى ما حييت فانت فى ... اكنافها دون المثيل وحيد
عش فى البلاد مؤيدا ومؤزرا ... فالكائنات كما تشا وتريد
الدهر يخدم والخطوب خواضع ... والنصر يتبع والهنا ممدود
وولى عهدك فى حماك تحفه ... فى حجر مولانا الهمام سعود

* * *

وهنا أيضا فى نفس الموضوع قصيدة اخرى عنون لها بقوله

(جلالة مولانا الملك على أريكة العرش)

للعرش دم فى اعتزاز أيها الملك ... لم يجر الا بما املته الفلك
وابعث من الشعب ءامالا يعز بها ... (خفاقة) دونها شوس العلا هلكوا
بك العقول استنارت اذ الم بها ... يوم الفجيعة من ظلمائها الحلك
لولا دهاؤك فيهم يوم جمعهم ... لكان من أغرب التاريخ ما سلكوا
بالليل قد مكروا ما لست تجهله ... حسو ارتغاء اذا لم ينفع الشرك
لله منك فتى المجد همته ... والعلم والدين والاخلاق والنسك
ان الجدود تناهوا فى مفاخرهم ... فانت زدت على ما بعدهم تركوا
مولاى يهناك (عيد) لاتماثله ... أء يادمن فىمضى الدهر قد ملكوا
انشر على المغربين العلم ان به ... يحتل فىالعصر منيحتل لاالحسك١
لايرتجى لبلاد نيل مطلبها ... ونشئها فى صنوف اللهو منهمك
ان الحياة كما ترى عجائبها ... مجال معترك يتلوه معترك
فلنعتصم باله العالمين عسى ... ان لا يصيرنا ممن هم ائتفكوا
ولنتخذ غيرنا أقوى الدليل لنا ... ولنعتقد أن باب الوصل مشترك
ولنتحد اتحادا لاتزعزعه ... سود النوائب حين الجو مشتبك
واسمع هتاف الرعايا وهى قائلة ... للعرش دمفى اعتزاز أيها الملك

ومن قصائده هذه التى رفعها الى مولاى الحسن الخليفة السلطانى بتزنيت قال :

يا من بطلعته العلياء تقترن ... ومن بنخوته سيزدهى الوطن
يهنا سموك (عيد) انت رونقه ... عداك مثل الاضاحى فيه تحتفن ٢
سوس يفديك بل يفديك شاعره ... وداده لك منه السر والعلن

١) يقصد بالحسك : السلاح

٢) الاحتفان جعل يديه تحت ركبتيه · واخذه من مابضه ومثل هذا يجعل للاضحية التى تربط للذبح

مولای من لی بوعد منك ارقبه — يجفو جفونی اذا ذكرته الوسن
من لی بمنجزه فی فرصة حضرت — من بعد سيدنا انی به قمن
انی وحقك لاثنی العنان الی — ان اعتلی ذروة تحنو لها القنن
ولست أنشد ان عين المنی غفلت — ما ينشد المرتجی ان مسه وهن
(ما كل ما يمنی المرء يدركه — تجری الرياح بما لاتشتهی السفن)١
بل ادرك المجد كل المجد عندك يا — من لايعاكسه فی عزمه الزمن
لم لاينال وحيد الود منك منی — وبيننا ما سری بذكره الظعن
قصائدی فيك فی الافاق ناطقة — بحسنها عاشق الاداب مفتتن
فتی المعالی فتی الاقدام لابرحت — أيامكم ينجلی عنا بها الشجن
أبقاك ربی لنا فی ظل سيدنا — حصنا ٠ فلا تهتدی لمن به المحن
بشری بما نلت من صيت لقد خلدت — فی كل ذی أدب عنهم لك المنن

فی الحادی عشر من ذی الحجة : ١٣٦١ هـ

وهذه أخری لسعادة الخليفة أيضا ٠ وقد عنون لها بقوله :

(لسان حال الباب السعيد ٠ يقول) :

(أنا باب المسرة والامانی)

الا يامرحبا بالواردينا — لقد بلغتموا المأمول فينا
أنا باب المسرة والامانی — هلموا فادخلوه امنينا
وحيوا ای ابداع اذا ما — رأيتم ما يروع الناظرينا
أتی فی الذوق تشييدی مثالا — عجيبا فوق ظن الراسمينا
سموت كما يشا من شيدتنی — عزائمه بصف الخالدينا
اشاد مطالع الاسعاد اهدی — سناء طلوعه للراصدينا
فتاهت بی علی (الزهراء) (٢) سوس — ونالت بی المنی فی العالمينا
لمولانا الخليفة فی المعالی — ميول العاملينا الطامحينا
هو الحسن بن يوسف من تجلی — بما للاذكياء النابغينا
سهمته ترونی رمز مجد — علی طول المدی للتابعينا
أدام الله مسعاه وأبقی — علا المولی أمير المومنينا
وأولی للوری بهما اعتزازا — وللاسلام تاييدا مكينا
وفی التاريخ خلد مستديما — فخارهما بحبر المخلصينا

فی : ١٥ ربيع النبوی : ١٣٦١ هـ

---

١) البيت للمتنبی

٢) الزهراء : قصر بناه عبد الرحمن الثالث الخليفة الاموی بالاندلس ٠

ومن بين قصائده التى يودعها لواعجه وهواجسه هذه القطعة وقدخاطب فيها جلالة الملك :

أمير المومنين سئمت دهرى ... واحرج من خطوب الدهر صدرى
ونلت من الرزايا فوق حظى ... وكنت صبرت حتى عيل صبرى
فجئت الى حماك أبث شكوى ... يذيب سماعها جلمود صخر
لك الشكوى ببأساءى من لى ... وقومى ضيعوا أدبى وشعرى
(أضاعونى وأى فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر) (١)
وليس يطيب عيشى فى حياتى ... اذا ما لم انل أشتات فخر
وأرقى ذروة العلياء حتى ... أرى نهر المجرة دون نهرى
لماذا لا أعيش عظيم جاه ... ويظهر للغبى علو قدرى
وعصر محمد عجب عجاب ... تقاصر عن فخاره كل عصر
لماذا لا أعيش به عزيزا ... وفيه نال ما يرجوه غيرى
اذا ما لم أعش موفور حظ ... بعصر محمد يا سوء عمرى

* * *

واذا كان لعرش ملكنا المفدى من قصائد اديبنا نصيب فان لعرش دولة الشعر أيضا من قصائده نصيبا • فقد مر على شاعرنا زمن لم يشد فيه هزاره فحرم المصيخون رنات صوته الرخيم • فسرى فى بعض الاندية ـهمسـ أنه اجبل (٢) فبلغه ذلك مبلغ • فصادف فى يده يراعه • فهزه فى وجهه • وهو يقول له مطلع هذه القصيدة • ثم استرسل فيها حتى تمت برمتها • وقد وشح صدرها بهذا العنوان :

(العرش يعرف من أنا)

عرش القوافى لايصان كيانه ... ما لم يطع هذا اليراع زمانه
هو من درى عرش القوافى انه ... فرد المعارك لايطاق طعانه
فاذا رمى يوم الرهان فطعنة ... نجلاء يعرف وقعها شجعانه
ذاك اليراع مهندى يدع العدا ... صرعى وتقصر دونه اقرانه
العرش يعرف من أنا ومن الذى ... فى الدهر يجهل اننى (حسانه)
هذا اذا ما قلت شعرا خالدا ... واذا خطبت فاننى (سحبانه)
أما الخيال فعند أمرى جنده ... ان جئت فهو لمرقمى عبدانه
وترى الكلام متى أريد ملبيا ... يوحى لى السحر الحلال بيانه

* * *

---

١) أبيت للشاعر العرجى من قطعة

٢) أجبل الشاعر : اذا ذهب عنه الاقتدار على قول الشاعر بعدما كان يقوله

وزعانف زعموا بانى مجبل ... فقد البلاغة والبيان لسانه (١)
من كل فدم شاغر متشاعر ... ملا البسيطة والفضا هذيانه (٢)
من هم منهم ان يشيم مكانتى ... يزداد دون مرامه حرمانه
عجبا لهم جحدوا ايادى شاعر ... اشعارهم مما يخط بنانه
ولو أننى اجبلت يوما ما شدت ... بحديث ما يروونه ركبانه
كلا فانى ذاك الغرد الذى ... تحيى بحسن غنائه الحانه
فاذا تغرد فالهزار يشوق من ... تغريده وتهيجه أشجانه
يهوى أغانيه الشجية كلما ... يشدو تميل بشدوه أغصانه

* * *

انى رضيع الشعر والاداب والـ ... ـمجد الذى قد اورثت عدنانه
والشاعر العربى يظهر شعره ... أسلوبه فى صوغه عنوانه
واذا تكلم فالمعانى مثل ما ... طفحت بمختوم الرحيق دنانه
او قال شعرا فالفؤاد كأنه ... معمود ذاك اللفظ أو نشوانه
ما الشعر الا مايهزك لفظه ... ويثير فيك مكامنا وجدانه
لاما يقول المدعون تكلفا ... فعلى السواء هجينه وهجانه (٣)
فلو أننى أنشدت يوما جلمدا ... شعرى لذاب بروعه جثمانه
أو قلته لمتيم لسلا وان ... قد عز فى امر الهوى سلوانه
ولسوف يعرفنى الزمان واهله ... ان قيل جل على النهى فقدانه
جهلوا مكانى فى البيان وما دروا ... انى فتى تحيا به أوطانه
لاتنصف الاوطان شهما بائسا ... ان ضاع بين العالمين مكانه
الدهر يشقى حره وكريمه ... وأخو السعادة فى الحياة جبانه
والشاعر الطماح يكبو دائما ... بجواده مهما جرى ميدانه

* * *

---

١) الزعانف ج زعنفة بكسر الزاى وسكون العين وكسر النون : القصير او الرذل

٢) الفدم : اللئيم أو البليد • وشاغر : فارغ • أى لاينطوى باطنه على شيء ذى بال ومتشاعر : يتكلف قول الشعر

٣) الهجين : اللئيم والساقط من كل شيء • والهجان من كل شيء خياره وخالصه

ويخونه برق الطموح وينهمي فوق الغبى كما يشاء عنانه (١)

* * *

قطرى المفدى (سوس) يعرف محتدى
وتحن نحوى ان أغب جدرانه

وتقر لى ولتالدى أشياخه ولطارفى بين الورى شبانه
ولو استطاعت ان تسير دياره شوقا الى لجاء (بونعمانه) (٢)
اشتاق معهده الكريم واننى ما دمت ليس يلم بى نسيانه
واذا ذكرت هناك ايام الصبا يعتاد قلبى فى الحشا خفقانه
لله أندية لنا فى (معدر) حيث السناء تفرعت افنانه
أيام كان يضمنا زمن الصبا ويحفنا مع فتية ريعانه (٣)
ويظلنا خلق كما هبت صبا بشذى يغادى المنتدى سريانه
نتساجل الشعر الاغض كماانبرى يوم السباق على السوا فرسانه
ولئن مضى ذاك الزمان فانه مازال ينعش خاطرى ريحانه

* * *

أليوم فليهنا بغاث الشعر ما يبدونه لما انزوت بيزانه
لغو اذا نطقوا وفكر جامد واللحن ما أدراك ما طغيانه
ياضيعة الشعر البديع اذا غدا فى العصر يدعى شاعرا وزانه
الشعر ما نظم البليغ كأنه عقد نفيس لفظه مرجانه
ويزيد رقته دماثة خلقه ويروع افكار الورى ايمانه

* * *

هكذا يحلق شاعرنا سواء فى ميدان الاعتزاز بنفسه ٠ أو فى كيل الهجو الى مناوئيه ٠

ان لشاعرنا قولا كثيرا فى كل موضوع ٠ ومن مجالات انطلاقه هذه (الاخوانيات) التى سنزفها اليك ـ أيها القارىء الكريم ـ لتتملى بمنظر ،اخر نحن على يقين أيضا من أنك ستبتهج به ابتهاجا ٠

بينه وبين ابن زيدان أديب مكناس و كريمها ومؤرخها الخالد

كان أديبنا يتبادل القول مع كثيرين من أصدقائه الادباء ٠ وهذا الاديب ابن زيدان يكتب اليه من (سوس) يوم زورته السوسية

١) العنان بالفتح : السحاب
٢) بونعمان : منشأ الشاعر ومحل دراسته ٠ والمعدر مسقط راسه
٣) ريعان الصبا أو ريعان الشباب : أوله وفورته ٠

(وعليكم أزكاه وأذكاه وأنماه وأغلاه ٠

أحطت خبرا بما كنه رقيمكم من التنصلات المفرغة فى أتقن قوالب الاعتذار والعذر وان كان أوهى من بيت العنكبوت مقبول عند امثالك الكرام ٠ وعسى أن يكون بالتشبه بكم رباح

وهنيئا لحمرائكم بمن زارها ٠وتحمل أوزارها يوم تاريخه ٠ بمجرد وضع القلم من تخطيط هذا القرطاس من يدى ٠ أذهب لزيارة مدرسة (بونعمان) وربما يشفعها بزيارة (بوعبدلى) ولو كره ٠٠٠ وفيما بعد أزور (تازاروالت) و (تحت الحصن) وما وراء ذلك ٠ ولو أبى فخر الجيل و (مختار علمائه) من٠٠٠

كل يوم نزور مدرسة ٠ ونزداد علما ٠ بعوائد وأخلاق ٠ واختلاف مشارب وأذواق ٠ وندرس حق الدراسة قول من قال : (وللناس فيما يعشقون مذاهب)

لست بآسف على من عجل الاوبة منزائرى تلك البقاع ٠ ولا على من بقى لعرج ٠ ولو كان صديقا اوستوقراطيا

اننى فى عافية ونشاط ٠ وأنس وانبساط ٠ وقد أغنى الله عرب٠٠٠ والسلام التام عائد عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته ٠ وعلى مختار علماء العصر وادبائه)

ابن زيدان ـ فى صبيحة الاحد ٢٧ ـ محرم : ١٣٥٥ هـ

وكان أديبنا مرة يتجول مع ابن زيدان هذا فىحديقة الحيوانات بمكناس فارتجل هذه القطعة وهما أمام أسد فى شبه خيمة من تلك الحديقة ٠ يلوح عليه اثر الضيم وراء شباك من حديد :

يا ويحهم من أبى ساكن الاجم ... فاعجب لهم صيروه ساكن الخيم ١
أما دروا أنه بالعز منفرد ... والذيل يانفه ما فيه من شمم
يرى المذلة موتا لا يطيب بها ... للحر عيش وان غطته بالنعم
ماكان يعرف مامعنى الهوان ولا ... مايعترى الخلق من جبن ومن وهم
حتى أتته يد ما كان أظلمها ... فصيرته حليف الضيم فى الظلم
وبين عينيه ما ينبيك عن شرف ... مقدس ٠ وعلو القدر والهمم
لم أدر ماذا جنى أكان اسرته ... رمت بفتكتهم نظيره فرمى
ولم تزل هذه الاقدار تاخذنا ... بما جنته يد الاباء فى القدم

١) الاجم بفتحتين : اجمة : ملتف الشجر من الغابة

ولشاعرنا فى طفلين لصديقه ابن زيدان أحدهما (مولاى سلامة) (١) والاخر (مولاى الامين) قطعة كتب تحتها هذه الفقرات

لما كتبت للطفلين الشريفين مولاى سلامة ومولاى الامين • البيتين الاولين وحفظهما مولاى الامين • ومولاى سلامة ذاهب الى الطبيب • قلت على لسان مولاى الامين مخاطبا أخاه الشريف المذكور :

فاز الامين بقطعة شعرية ... تنسى (سلامة) سؤله عند الطبيب
يوم الخميس وكل طفل مخلد ... للراحة الكبرى وهل تجدى اللبيب؟
بلغ (سلامة) أننى متطلب ... مالم ينل أحد من الادب الخصيب
ومحاول مافات غيرى فى العلا ... كأبى الكريم العالم المولى (النقيب)
لم لا أصيب من المعالى مطلبى ... وأنا سلالة ذلك الاصل المصيب
من لم ينل وقت الطفولة ماربا ... بفراغه أنى له وقت المشيب
أأخى هلم بنا الى نيل العلا ... مادام شرخ شبابنا الغض القشيب
أخلق بنا أن نبلغ المجد الذى ... سننا له بعد المشقة عن قريب

مع كرماء أبزو

هذا ولاديبنا البونعمانى كلف بالتجوال والنقلة من مكان الى مكان فنراه فيما يلى يذكر بلدة (أبزو) ويشيد بكرم اهلها وحفاوتهم به • كما يشيد بمفاخرهم ومحامدهم • يقول من قصيدة بعد ما غاب ازمانا عنهم مطلعها :

(طال عهدى بكم أيا أهل ودى ... فاتيت لكى اجدد عهدى)

وقال تهنيئة لصاحبه ابى زيد الابزيوى يوم نجح فى الامتحان :

نبا اتانى فى الصباح مبشرا ... فمشيت لما أن أتى متبخترا
نبا يود المخلصون سماعه ... وتطيب أنفسهم اذا ما كررا
ولقد أتانى والشواغل جمة ... فنبذت ما عندى وصرت مفكرا
وغدا يذكرنى زمانا قد مضى ... أخلق بمن يشتاق أن يتذكرا
زمن المودة والتصافى والاخا ... والصدق والاخلاص فيما قد جرى
لم انس أياما مضين كأنها ... طيف الم بساحتى وقت الكرى
ينسى اللئيم الخير فى أوطانه ... وتراه لم يبرح له مستنكرا
أما الكريم يرى كمال المرء ان ... يسدى كما يسدى اليه ويشكرا
شر الخصال اللؤم لا يرضى به ... من كان ذا حسب وأطيب عنصرا

* * *

١) هذا الذى الان فى ظل مولانا الملك حفظه الله

ايه أيا رب المفاخر والـــذى ... حل الثريا وهو ثا وفي الثرى
لبيتهم لما دعـوك وجيئـتـهم ... ورأوا كما شاء واوعدت مظفرا
واريت للاقران كيف وجدتما ... يلقى المجد وراحة غب السرى
واريتهم كيف التقدم فى العلا ... وأريت كيف حبيت ذاك المفخرا
مذكنت لم تركن الى ضجر ولا ... كسل وءافات العلا ان تضجرا
وقضيت ريعان الشباب ولم تزل ... تخطـو الى ادراكـه متصـدرا
لولاعناء الامتحان لما درى النـ ... ـاس الذكى من الغبى اذا انبرى
وبـه يكـون المرء ممتـازا اذا ... ماكـان قبـل مؤخرا ومـنكرا
لـولا اشتغالك بالعلوم ونيلها ... ونبوغ فكرك واقتدارك في الورى
مانلت منصبك الذى تسمو به ... فوق السماك فترتقى شم الذرى
ان نلته فعن الجدارة نلته ... وهى التى قـد ميزتـك تخيرا
فاهنأ به ياعبد رحمان وثــق ... أنا نرى لك فوق ذلك مظهرا(١)
لو طاوعت قلمى البلاغة والبيا ... ن لصغت فيك من التهانى جوهرا

٢٤ رجب ١٣٥٣ هـ الدار البيضاء

وقال يخاطبه لما ودعه اشياخه من (مراكش) مجازا مرضيا عنه :

قالوا وقد جد الرحيل الم تكـن ... رب القــوافـى والبيان الساحـر
فاجبتهم قد كنت لـكـن خاننـى ... فكرى وفاضت بالدموع محاجرى
لاغرو ان حبس التودع منطقـى ... وأباح لى الهـيـمان بعد مـغادرى
ان لم أهم وأنا الذى لعب الهوى ... بفـؤادى المضنى فلست بشاعر
ياسائقا ساق الـعقول وغـادرا ... لاجساد واقفـة وقـــوف الحائر
تربت يمينك لارجعت لمثلهـــا ... اذ كنت فى عون الفراق الجائر
ولقد أعـنـت على تباعـد مخلص ... صافى الوداد حليف كـل مفاخر
من كان خير مـؤانس ومساجـل ... فـى كـل مفخرة وخير مسامـر
من كان سباقا الى الغايات لا ... ينفك يسبق • أين سبق الضامر
من كان مربعـه يغص ويلـتقـى ... فـيـه بـافـضـل وارد أو صادر
من لايشق غباره فـى حلبة ... ولـو انـــه جاراه أى مكـــابر
من لاأزال بذكره أشدو وان ... حكم النوى بنزوحه عـن ناظرى

* * *

ي راحلا عنا أثرت فؤاد مـن ... لولاك ليس فـؤاده بالثـائر
بالله عد حتى تشاهد مايعـــا ... نيه مزور من وداع الزائر
اصبحت فى (أبزو) تجوب ظلالها ... فـى القلعة الغراء بـيـن ازاهر
وتسير تهصر اى غصن يانع ... وتسرح النظرات بـيـن مـناظر

---

١) فيه اشارة الى قول النابغة الجعدى
علونا السماء مجدنا وسناؤنا ... وانا لنرجو فـوق ذلك مظهرا

وتميل ان لمنى هنالك طائر   طربا بما يوحى غناء الطائر
وتهزك النغمات فى الحانه   مترنحا مثل اهتزاز معاقر
وتركت فى (الحمراء) من أنسيته   مافى كناس ظبائها وجئاذر
من كل أحور تنتشى بلحاظه   ومدعج يرنو بطرف فاتر
ف'رقتنى فكانما فارقتنى   فى مهمه قفر ورسم داثر
لاانس لى من بعد أن فارقتنى   الا مساجلة الحمام الباكر
أغدو كما يغدو شجيا نائحا   متذكرين صفاء عيش غابر
لكنه حر يطير كما يشا   فى جوه لايختشى من ءامر
وأنا أسير ضاق بى رحب الفضا   وعلى ان حاولت كم من حاجر
لله ما ينتابنى فى غربتى   أكذاك غربة كل حرشا عر ؟
لا القوم تعجبنى خصالهم ولا   أمل الحياة كما مضى فى خاطرى
عاتبت بعدكم الزمان فقال لى   شتان بين أوائلى وأواخرى
يا (عبد رحمان) بن منصور لقد   خليتنى لعباب خطب زاخر
وتحيط بى أمواجه من حيث لا   أدرى أمامى من سدول دياجر
ما كان أقصر ذلك الليل الذى   فاجاه منبلج الصباح الغائر
وكذاك أيام قضيناها كما   شاء المنى مثل الخيال السائر
ولقد قضيناها ونحن يضمنا   شمل الامانى فى الزمان الباهر
ءاه عليها هل لها من أوبة   فتكون من حسنات دهر غادر
يا ءال (ابزو) أهل كل فضيلة   لازلتم فى ظل عيش ناضر
واليكم منى تحية مخلص   لهج بذكركم الذكى العاطر

وقال يخاطب أبا العباس سيدى أحمد بن منصور قاضى (أبزو) ويذكر الحاق أهله بزاوية (الرميلة) عندنا :

ابا العباس لم تترك فخارا   ولا فى حلبة العليا تجارى
أتيت بكل معجزة فمالى   أرى الا مال تبتدر ابتدارا
اذا ناديتها لبتك عفوا   كأنك قد تصون لها الذمارا
وكم نادى سواك وما أجابت   ولا التمست لدعوته اعتذارا
ملكت من النفائس كل شىء   وحسبك تالد الخلق ادخارا
كما ملكت نفوس الناس طرا   شمائلك التى تحكى العرارا
يرى كل لديك وفير حظ   ويوثر ان تكون له جوارا
سل البؤساء والغربا اذا ما   نمير الفضل والاحسان غارا
ولاينبئك عن أخلاق قوم   كمن فقد المساعد والديارا
يرى فى شيمة الانسان ما لا   يحيط به انتقادا واختبارا
تخذت مكارم الاخلاق دنيا   وتكبر من تكون له شعارا

وما اسديت فى طلب المعالى — لاخوان كفاك به افتخارا
رايت لهم طلاب العلم مجدا — به يغدون فى العليا كبارا
يهذبهم كما يرضيك كف، — يريك بكل معناه اقتدارا
فسل (مراكش الحمراء) عنه — فقد نالت بشهرته اشتهارا
ارى (المختار) عند القوم فيها — يضاهى صيته ذاك المنارا
فطب نفسا لقد اخترت منه — عظيما جل موقعه اختيارا
ومبداه الوحيد حياة شعب — الى جهل يميت بنيه صارا
وقد كانت عيون العلم فيه — تعم الشرق والغرب انفجارا
اذا ما العلم لايروى بلادا — تصير جنانها يوما قفارا
ومنه يستمد اليوم عصر — يفيض بكل معجزة يسارا
كفى بالعلم مفخرة وعزا — وأهل الجهل منقصة وعارا
نرى فى عهدك الايام تزهو — وتزدهر العلا فيها ازدهارا
وبالسيارة الحسناء (أبزو) — من المدنية الغـرا استنارا
واسلاك التكلم من يراها — يقدسها اختراعا وابتكارا

الى ءاخرها

بيني وبينه

هناك مجاذبات كثيرة بينى وبينه • نقتطف منها مابين ايدينا الان وستىرى – ثانية – مالادينا من السمو سواء فى ترسله • أو فى شعره كما لمسته عن قريب • ويابى على اكبار نفحته الادبية • الا أن أصب فى جامه ما يسقينى اياه منرحيق بلاغته • وسحر بيانه •

هذه رسالة كان بعثها الى • يصف فيها كيف وصل (أبزو) وكيف كان مقامه فيها • قال :

(صاحب الفضيلة الاستاذ العلامة الجليل • الاديب الكبير سيدى محمد المختار • السلام على اخوتكم ورحمة الله •

وصلت الى قنطرة وادى العبيد نحو الساعة التاسعة فى اليوم الذى ودعتكم فيه • وما كدت أضع قدمى على الارض عند خروجى من السيارة • حتى حيانى عبد تحية تدل على أن العبد مبعوث من مصدر اجلال واكبار • ومعه بغلة فخمة • تمثل أكبر ما يمثل هي بمظهرها الفخم • وهو باحترامه النهائى وقد استلفت ذلك أنظار الذين على الضفة •

في ذلك الحين قصدنا (أبزو) الفيحاء . ولما دنت الديار . ولاحت الجدران نرى رسلا تطل . مابين ءات وراجع . ووقف فوق تلك الهضبة المطلة على هاتيك الرياض . وكأنهم يبشرون بوصول الركب . وتمثل أسرتهم الوضاحة ما وراءهم من الحبور الطافح . في ساحة الانتظار عند المنتظرين وصولنا بباب الدار . والشوق يفعل بنا مايفعل بهم .

واعظم ما يكون الشوق يوما   اذا دنت الديار من الديار

وصلنا باب المنزل الكبير . حيث يكون الاستقبال الرسمي . فوجدنا رب المنزل الاديب المحترم سيدى عبدالرحمان أمام المحكمة الشرعية . وهو محدق بخدام جنابه وأعوانه وأهل حاشيته . وجمهور كثير من الخصوم أصحاب التداعي ينتظرنا بكل اشتياق . وهناك طفح البشر والسرور على الوجوه . وتكون موقف يسيل مهابة واحتراما واحتفاء نادرا. وسرورا عظيما . وقلنا لسم الله . فدخلنا الروض الجديد الانيق . وبادرتنا نوافح الرياحين . كأنما أريجها من جنان الفردوس . وحيانا الروض بمنظره الخلاب . ومحياه الوسيم . وغدت الاطيار تنشد لنا من أشعارها الساحرة . مايدل على تقديم التهاني بالوصول . وعلى الترحيب القلبي

عند ذلك صدر الامر بتعطيل المحكمة يومها . اعلانا بغاية الفرح . فانفضت الخصوم . ثم اقبلنا على المسرات . كماأقبلت علينا بدورها . وصرنا نتجاذب من أطراف الحديث مايلذ لنا . والجو قد خلا لنا (فبيضى واصفرى ونقرى ما شئت ان تنقرى) والدهر الخؤون وفى وصفا . والرقيب لايهتدى الينا سبيلا . والارض كما شاءت الطبيعة . والسماء كما قال المنفلوطى وكما وصف (١) . وكنا مثالا للاستقلال بكل معناه

برح الخفاء وصرح الوجد   وبدا الذى ما خلته يبدو (٢)

طابت النفوس وتهللت الوجوه . وامتلات الحياض . وتأرجت بشذاها الرياض . والاريحية الادبية تكاد بفيضانها تاتى على الوقار . وتقضى على كل حياء . الاتزال تستحضر قول الشاعر (٣)

يقول ابن عباس تهتك سترنا   متى كان من ستر فينهتك الستر

ولكن أين السبيل الى الوقار . وبأى وسيلة يملك الاديب الاريحى نفسه وروحه الخفيفة دائما مستبدة :

١) فقد قال في نثر له : والسماء تكاد تقطر غضارة

٢) مطلع قصيدة لسيدى الطاهر الافرانى

٣) هو ابن ابرهيم شاعر الحمراء المفوه . ذكره الله بالخيرات . يجيب الاديب محمد بن العباس نابغة الرباط عن أبيات له في قطعة لسبب خاص

في انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

لاسيما في مجلس الاخاء والصفاء • كذيالك المجلس المحفوف بما ينسي للامير امارته • وللعالم وقاره • وللاديب العفيف حياءه •

تميل يمينا ثم تلحظ يسرة فتنظر ماينضو الوقار ويبتز (١)

ثم ما فرغنا من الفطور • حتى أمر بتفريش حديقة غناء • لنتناول ثانيا فيها شرب الاتاي على بساط الانس • اذ في هذه الحديقة ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين :

ظلال ظليلات وماء وخضرة فلله ما أحرزتم ساكني (أبزو)
تخالفت الالوان فيها كانما تفتح للعقيان والفضة الكنز (٢)
ويبهرك النارنج في خطرانه كأن قد عراه من مباهجه هز (٣)
كما تتثنى أول الرقص غادة برفق • فلا ريث لديها ولاقفز
وفي كل غصن صادح • ملا الفضا
غناء • فلا همس لديه ولا ركز (٤)

هكذا ــ وفوق هكذا ــ نقضي الاوقات في (أبزو) ونتمتع ونستدرك كل مافات • فالمحل الذي نتلذذ فيه وقت الصباح • لانعود اليه وقت الزوال • وعند الاصيل • لانؤوب الى محل الزوال (٥) بل ينظر لكل وقت مايناسبه من الموقع الجميل والمنظر الجذاب • ولقد تذكرت البارحة وقت الاصيل • ونحن على ضفة نهر : قول الشاعر الوصاف ابن خفاجة الاندلسي :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

ولكم تمنينا ان تحضر معنا أيها الاديب الكبير الشاعر المبدع • ياسوسينا الاعز • خليفة الاندلسي الذي يقدر قدر هذا الجمال الطبيعي الساحر بذوقه السليم • الذي لايترك للاذواق مجالا في التذوق •

---

١) الابيات الزائية : من قصيدة لمولف هذا الكتاب قالها يوما وهو ضيف ءال منصور الابزيويين الكرام • وكلها في وصف (ابزو) الحلابة المناظر • وقد ساق أديبنا منها ماساق على غير ترتيبها الاصلي • والقصيدة توجد كلها اما في (خلال جزولة) واما في (الالغيات) وقد كانت منشورة في احدى الجرائد

٢) العقيان : الذهب •

٣) النارنج : ضرب من الليمون •

٤) الركز بكسر فسكون : الصوت الخفي

٥) تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل عذب لاتقف عند منهل
ولاتتبعن قول امرىء القيس انه ضليل ومن ذا يقتدي بمضلل

ولاباس ان أرسم للتاريخ (١) على يدك هنا نسخة من الرسالة التي كتبتها في (مراكش الحمراء) للاخ سيدي عبد الرحمن . لما أزمعت على زيارة (أبزو) نصها . وفيها من المداعبة :

(الاخ الاعز . الفقيه المحترم . الاديب الاريحي . سيدي عبدالرحمن البزيوي . تحية زكية . واحتراما فائقا . وشوقا كثيرا .

هذا فقد حدثني الصادر والوارد . وحمل الى وفد النسيم العليل البارد : أن الاشجار في (أبزو) تفرعت أغصانها . واخضوضلت افنانها . وتفتقت أزهارها . وتغردت أطيارها . وتدفقت أنهارها . وان المناظر الطبيعية قد تجلت بأنواع محاسنها . كدار العرس اذا تحلت يوم الزفاف بخرائدها وحسانها . وأهزار على غصنه الاملد مناد : أين الذين يهيمون . وتستهوى أفئدتهم في كل واد . ويقول اين عشاق الجمال الكوني . وارباب الذوق الفني ؟

لذلك أرجو أن أجد غدا بغلة على حاشية القنطرة . دون أن تكون بمجرد نزولي هناك منتظرة . كما أرجو أن لاأرى فيها أي وصف من بغلة (٢) أبي دلامة أقضى معها بين الوادى والمنزل بالويل والملامة . سيان عندها . وقت الهجير أو الغلس . فانها مع مناحسها الجمة . لاتريح صاحبها من عدس (٣) ولايحين ان شاء الله وقت الاصطباح . حتى تراني في (أبزو) في حلل الاشتياق والارتياح . فلتستعدن لما تعهده مني بلا ترديد من الاقتراح . وأنت تعلم أنه ليس على الشعراء من جناح

١٤ ـ ٥ ـ ١٣٥٥ هـ

اخالك لاتكاد تنتهي من قراءة هذه الرسالة حتى تجول بك الذكرى حول الكتابة القديمة . والسجع الاندلسي اللطيف . فيخيل اليك كان اديبا مداعبا في (قرطبة) يداعب اصفى خلانه في (اشبيلية) أيام صاحب (ولادة) (٤) وأيام صاحب المطمح (٥) أو يراسل كاتب بارع في (فاس) صديقا له في (مراكش) أيام صاحب المناهل (٦) أو شاعر أديب في (سوس) يساجل في

---

١) قد وصلت الامانة الى التاريخ . فبرئت الذمة

٢) وصف بغلة أبي دلامة مخلد في قصيدة توجد في الشريشي على المقامات .

٣) (عدس مالفلان عليك امارة) اتذكر طوالة الدرب في عشية اذ كان بعضهم يتأمر على غيره . أه من حاشية الاصل . وعدس ـ محركا ـ زجر الدابة قال الشاعر : عدس مالعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق

٤) هو ابن زيدون

٥) الفتح بن خاقان الاندلسي . صاحب القلائد أيضا

٦) عبد العزيز الفشتالي . وكتابه : (مناهل الصفا)

فى(تانكرت) أو(بومروان) معاصرا لهفى(الغ)و(بونعمان)أو(أدوز)أو(بوعبدلى) أيام صاحب شرح الرسالة الزيدونية (١) وأيام صاحب اللغز العويص (٢) وايام صاحب (طبقات المعاصرين) (٣) وأيام صاحب الاوابد (٤)

اكتب لكم هذا الكتاب • على زجاجة الاغتباق • ونحن فى محل بديع بين (الرقمتين) وكان الشاعر ما قصد الا هذا المحل الذى حق لكل مشتاق أن يشتاق اليه • بقوله :

شوقتنى للرقمتين ولعلع وهززت أعطافى بذكر المريع (٥)

انخنا فيه • والمياه تتخللنا يمينا وشمالا • وخريرها لاينفك يبعثفى انفسنا كلما أصخنا له : ما لايدرك معناه الا الله • الذى لا يعلم سر ذلك الصوت العجيب المبهم الا هو • ومن أين يتأتى الافصاح عنه لالسنةالفنانين وان حاولت أن تفصح وقصارى القول أنه مما يسبح له بكيفية يعلمها وحده سبحانه •

وفى كل شىء له ءاية تدل على أنه الواحد

والشمس تميل للغروب • وأشعتها صارت تنعكس وتصفر وتشحب كلون الصب المضنى الذى عيل صبره • فاختار الرحيل عن الحياة • والنسيم يهب هبوبا طيبا • ياتى ويذهب كأنما يمشى بين الجالسين بالنمائم • كماقال ابن عمار :

ويوم لنا بالسير بين معاطف من النهر تنساب انسياب الاراقم
بحيثاتخذتنا الروض جارا تزورنا هداياه عن أيدى الرياح النواسم
تبلغنا أنفاسه فتردها باعطر أنفاس وأذكى لناسم
تسير علينا ثم عنا كأنها حواسد تمشى بيننا بالنمائم

ولا أنسى هنا منظرا أرق والطف من منظر كاس وضعتها فى جدول وسط الماء • فترى الكاس بلونها الصافى فى الدرجة التى لم يصل اليها

---

١) محمد بن مسعود البونعمانى السوسى عن (الاصل)
٢) محمد الحضيكى الاديب تلميذ ابن مسعود المذكور • ودفين تونس (عن الاصل)
٣) أبو زيد البوزاكارنى • كان جمع تراجم لمعاصريه من الادباء • ثم أتلفه لانه لايليق أن يبقى لما فيه من ••• (عن الاصل)
٤) عبد العزيز الادوزى المولع بتقييد كل شىء (عن الاصل)
٥) مطلع قصيدة طنانة للشاعر الاديب أحمد اليزيدى وتوجد فى ترجمته فى (الجزء التاسع)

الاناء فى النصف الاعلى وترى الدرجة السفلى وقدوقع الامتياز بينهما بتخطيط الحبب الذى يحكى انتساق اللؤلؤ فى جيد غادة غيداء • او انتظام ثغر منضد لامع • يجرى عليه رحيق الرضاب العطر •

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء در على ارض من الذهب

ذلك • وطير صغير ملون الجناحين • لطيف الشكل يوشك ان يقع على الكاس يحوم حولها • كأنه مشغوف بلثم ذلك الثغر المجازى فى الكأس • فياليت هذا الطائر الساذج الخالى صدره من أواعج الغرام • يتاح له ان يذوق لعس الثغر الحقيقى من وراء شفة لمياء (١) ثم يخبرنى بعد ذلك : هل تبقى له حريته وسذاجته • أم يستطيع ان يطير فى وجوه مغتبطا • ويؤول الى سربه والى وكره المنفرد فى أعلى شجرة باسقة كما يشا :

كبر على من ذاق خمر رضابها (واقم عليه ماتما وعويلا)
طوبى لمن جهل الغرام فؤاده (قتل الغرام كم استباح قتيلا)

اليس هذا المنظر مما يبعث شعرا اذا شدا به شاد يتنشى به الكون • فيذهب هباء منثورا بما فيه من العوالم والعناصر • أم المنظر هو الشعر نفسه تقرأه الارواح وتفهمه • ولكن لاتستطيع الخواطر ان تبوح به • وتلفظه الى الوجود •

ولقد يتجلى فيه للفنان البارع منظر أبدع من الذى اخترنا فيه الجلوس والتمتع بكل مايضمه من بواعث النشاط والاستلذاذ والتنعم • ولكن كيف يعبر اللسان عن معنى عجزت عن ادراكه عقول البشر • وحسب الارواح الموصوفة بالادراك أن تهتز له طربا وتترنح

اننى أخاف على نفسى فى هذه المدة الاخيرة • أن أكون أسير (أبزو) ويسلبنى ما أرى فيه من اشتات المحاسن • ويسلينى عن الحمراء ماحدث فيه من مقدمات المدنية المدهشة • تغدو وتروح بين أثاث عصرى يخلب النهى • فتسمع كل وقت رنين (التيليفون) وتصبح على سيارة فخمة لطيفة جدا • بلونها الباهر • وهى تناسب بلطافتها وفخامتها ما فى (ابزو) من كل نوع فخم لطيف • وقد احدثت فى قلوب أنصار المدنية _ كحضرة الاخ الاديب عبد الرحمن _ كل نشاط • ولا عجب فان لكل جديد لذة • وناهيك بـ (المذياع) الذى يتسلى بـه المتكىء فى السيارة على أريكتها الوثيرة • وهى تطوى الارض طيا • ويخال ممتطيها انه على متن ريح الصبا وقت السحر •

---

١) اللعس بفتحتين • وكذلك اللمى بتثليث اللام : سمرة فى باطن الشفة تستحسن

وأما الدكتاتورية الاخائية • فحدث عنها ولا حرج • وأتمنى لو يكشف لك الغيب فترى الاقتراحات كيف تكون • وأين قولهم : ضيف ويقترح • وما ذاك الا من الاخوة الثابتة • حتى لاحسب نفسي : أنني القيتعصا الترحال في مسقط رأسي • بين أهلي وعشيرتي • ولله در أبي الطيب اذ قال :

فكل امرئ يولي الجميل محبب   وكل مكان ينبت العز طيب

وقد اقترحت على زيارة بعض الاشخاص ممن ليسوا من الجنس • فقال لساني حالي : دون ذلك خرط القتاد (١) وقد خفت ان لبيت أن أدخل تحت قول الشاعر :

وشبه الشيء منجذب اليه   وأشبهنا بدنيانا الطغام

كلا • كلا • ولا يلدغ المومن من جحر مرتين • ٥اه • ان القرطاس كما ترى قد تم • مع انني لازال محتفلا شارعا القلم (٢)

ذلك هو ترسل نابغة سوس الجديد • ومن ذلك يعرف القارئ ان المكاتبات من السوسيين دبت اليها وسامة الادب الجديد • كما دبت المدنية الى رياض (ابزو) كما قال كاتبنا البارع

وهذه رسالة اخرى • بعثها الي وهو ينتقل في بعض اسفاره :

(حضرة الاستاذ الجليل العلامة النبيل • سيدي محمد المختار :

تحايا وأشواق :

مررت في البيضاء مع (المتعلمات) ولم اجد متسعا لزيارتكم • تسلم عليكم (سوس) العالمة وغير العالمة • ولقد ذكرناكم واستحضرناكم في محلات ومشاهد يتمنى كل مشتاق أن يحضر فيها • ولله يوم في مشهد سيدي سعيد بـ : (المعدر) ولله سويعات في ربوة (سيدي عبد الله اوسعيد) المطل على (المعدر) قضينا هناك سويعات ما ألذها • قلت في نفسي لما كنا في قبته : يعلم الله كم من صالح عالم غريب استراح في هذه القبة • وتحت هذه الاشجار حولها • أيام مرور مثل الشيخ الحضيكي الى (اكدال او مرزكون) عند الشيخ الصوابي والتاساكاتي بعده وكاني بالشيخ الحضيكي وثلة من نجباء (أكدال) باتوا زائرين رغبة انيقع الفتح الذى يعقد عليه السلفالصالح

---

١) هذا مثل يضرب لبعد منال الشيء وصعوبة الوصول اليه • والقتاد : شجر بالبادية له شوك صلب مسنون • وخرطه : ازالته براحة اليد وهي قابضة عليه مع شوكه

٢) يا ليت القرطاس يمتد بين يدى أديبنا المحتفل • لنزداد استمتاعا بأدبه الغض • وعبارته الحلوة •

في عواشر • والعيش امامهم رغد • وكم من ذكريات ذهبت بنا كل مذهب في نواياه في زيارة اهل الخير أحياء أو أمواتا • وكانى بهم كذلك جاءوا متجولين في تلك الربوة التي تطل على كثير من قبائل تلك الجهة • وتكون وقت الربيع كالغوطة عند الدمشقيين

دعونا لحضرة استاذنا النفاعة الامام بدوام العافية • وان يبارك في أنفاسه ونفوسه ونفائسه • ويغدق عليه من النعم الظاهرة والباطنة • مالم يصل اليه (سيدى ابو عمرو) (١) واضرابه • ويحفظ الانجال • ويجعلهم أغنياء اصفياء علماء أئمة للمتقين

أما بعد : فان كان عندكم متسع من الوقت في الاسبوع • فالحجرة (٢) تنتظركم والى اللقاء •••

وقد كنت أرسلت اليه هذه الرسالة الموجزة الخفيفة • وهل لروح أديبنا المرفرفة اللطيفة • أن تخاطب الا بخفة تمر بها مر النسيم • فيحدث بعد ذلك مايحدث عند كل مشتاق :

(الاديب الشاعر المفلق • سيدى الحسن بن أحمد بن مسعود

مالك تخلفت عنا بعد ان توالت الرسل • وتتابعت اليك البعثات • فان النسرين لن يخسف أحدهما الاخر • فلا خير في عين لم توبد باختها :

من عذيرى ممن اقطع ليلى في اشتياق منى الى لقياه
يتأبى من غير عذر جلى مع انى لم ابتهج بسواه
ان يتب مقبلا فثلج فؤادى أو تولى فالصبر في منتهاه

نعم هناك ميادين • كنا نجول فيها ونصول صولة البزل القناعيس • يدفعنا اليها دفعا ـ من غير ان نملك معه أنفسنا ـ ماينتشى به كل واحد من الاخر ومايساجله به مساجلة من يملا الدلو الى عقد الكرب (٣) فهناك نونية لاديبنا • قالها بمناسبة عيد العرش • سنة : ١٣٥٤ هـ وقد تفنن فيها

---

١) الشيخ الجليل في مراكش من أهل اواسط القرن العاشر •
٢) يعنى حجرته في فندق نزل فيه بالرباط
٣) فيه اشارة الى قول الشاعر :

من يساجلنى يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب

والكرب محركا : حبيل يصل رشأ الدلو (أى حبل الدلو) بالخشبة المعترضة عليها • وملأ الدلو الى عقد الكرب : أى استوفى ملأها استيفاء زائدا •

كعادته فى سائر عرشياته ـ وقد كان ارسلها الى مع (واوية) للاستاذ ابن زيدان مقترحا تشطير الزيدانية • فوفينا الكيل بتشطيرهما معا • وقد ذكرت الواوية فى ترجمة ابن زيدان فى كتابنا • (مشيخة الالغيين الحضريون)

وهذه هى النونية :

(اليوم يظهر شاعر الوجدان) ويبين رب المنطق الفتان
ويرى الورى ان قال كل أننى (العبقرى الممتاز بالتبيان)
(ياليتنى احظى به لكنه) قد حيل بين العير والنزوان
فبأى أفكار أصوغ كما أشا (وبأى لفظ أم بأى لسان)
(لاتعجبوا انكنت يومى مجبلا) فالعضب قد ينبو غداة طعان
أواه أين أنا وأين قريحتى (كم ءامن الشعر ابسحربيانى)
(ماذا على اليوم بعد تفوقى) فى الامس ان فلت شباة سنانى
قد كدت لو وفقت انشىءمفردا (اذ كان اكدى سائر الاقران)

* * *

(ياحسرتى منذا يقوم بواجبى) ويشيد مدح جلالة السلطان
وأنا المجلى دائما فى مدحه (أواه ان احجمت فى الميدان)
(لست المؤدى واجبى ان لم أشد) شعرا يقوم له بملك ثان
أبنى كما اعتاده من منطقى (للعرش مايعنو له الملوان)
(انلم يسر بفخاره شعرى فلا) متعت بعد بمنطقى الفتان
لاحرمن اذا لويت بواجبى (رفع البراعة ما حييت بنانى)

* * *

(قم وانظر الدنيا وما عم الورى) من (سوس) الاقصى الى (تطوان)
وانظر الى السكان كيف تمايلوا (من غبطة فى سائر البلدان)
(وانظر الىالاسلام كيف تضاعفت) ءاياته الجلى على الاديان
وانظر الى الدين الحنيف تألقت (أنوار طلعته بكل مكان)
(وانظر وجوه المسلمين تهللت) قسماتها بوضاءة الايمان
قدحل (عيد العرش) فى افراحه (فاستبشروا قاصيهم والدانى)
(غلب السرور عليهم فكأنما) بغت الوصال الصب فى الهجران
تتمايس الاعطاف فى ندواتهم (فكأنما شربوا رحيق دنان)
(فهناك تدرى ما القلوب تكنه) للعرش فى أثناء كل جنان
وترى من اكبار النفوس مهابة (لجلالة الملك العظيم الشان)
(شتان ما بين الذى متصنع فى حبه • والمخلص المتفانى)

* * *

(ياأيها الملك الذى ملك النهى) … بالعفو والاغضاء والاحسان
ثق أن حبك فى الصدور موطد … (ثق ان حبك راسخ الاركان)
(فى كل سوداء القلوب مخيم) … يجرى مجارى الدم فى الشريان١
فجميل ذكرك ان ندونا بيننا … (نحيا به كالروح فى الابدان)
وتمثل الرايات يوم (العيد) ما … يعرو القلوب اليك من خفقان
(تبدى اذا هب النسيم نظير ما) … تخفيه ان خفقت على الجدران
نهتز من فرح ونسمع حولنا … (يا سعد من كانت له أذنان)
(والموسقى يشيد فى نغماته) … ما تشتهيه النفس من الحان
من كل ذات تغرد تسبى النهى … (طربا اذا صدحت على الاغصان)
(والجو مصقول الجوانب ناصع) … فكأنه المرءاة فى اللمعان
نمشى على أضوائه فتخالنا … (والزهر مصفر وأحمر قان)
(نمشى بنور الكهرباء على نثيـ … ـر الدر والياقوت والمرجان)
(يحتفنا روض أريض زاهر) … حبراته مخضلة الاردان (٢)
ان هبت النسمات من جنباته … (يهدى الينا طيب الريحان)
(ونرى المناظر تزدهى بجمالها) … زهو الكعاب بنحرها المزدان
والحسن كل الحسن فى الروض النضير … (يرى بزهره المتلون الفتان)
(وكأنما قد طرزت أطرافها) … بيد منمنمة بأى بنان
وكأنما أيدى الطبيعة دبجت … (مرأى العيون بالطف الالوان)
هذى الشقائق فى الخمائل مثل ما … قد طرز الديباج بالعقيان
(فكأننا فى جنة الفردوس) فى الا … فراح بين الحور والولدان
فكهين ما خفنا تأثمنا (ولا … نخشى من الاوصاب والاشجان)

* * *

(لله عيد ما له فيما مضى) … هذا الرواء الرائع البرقان
ما ان له فى نوره وبهائه … (من بين أعياد مضت من ثان)
(واذا الملوك تتوجت فعليك من … نور النبوة أفخر التيجان)
(لتدم لهذا العرش تحمى تاجه) … بفيالق الاسطول والطيران
وتذود عن حوزاته من مسها … (وتصون عزته من الحدثان)
(واسلم له ولامة رضيتك ان) … تبقى مليكا ما بقى الملوان
أرسى لك الحب الصميم بقلبها … (ما فيك من خلق ومن ايمان)
(واسلم لدين الله دين محمد … دين الفضيلة ناسخ الاديان)
دين الاخاء وكل خلق طيب … (دين الهدى والمجد والعرفان)

١) الدم بميم مشددة : لغة فى الدم · والشريان · عرق من عروق الجسد
٢) الحبرات ج حبرة بكسر ففتح : نوع من البرود المزوقة

(واسلم (أبيت اللعن) ها نحن الفدا)　　نفديـك بالابـاء والاخـوان
فالمغرب الاقصى ينفذ ماترى　　(بكـهـوله والشيـب والشبـان)
(واسترجعـن بالهمة القعساء ما)　　للمغرب الاقصى من العمران
(لاشيء يحييه سوى العلم الـذى　　يحيى شعور الشعب فى الانسان)
وانشر به تاريخ أهلك انـه　　(يسمو بـه ويصون كـل كـيان)
(المجد كل المـجد ان تسعى لما)　　قد بث اسماعيل فى البلدان
ذياك يكفـى فى الرقـى لانه　　(فيـه صلاح الـديـن والاوطـان)
(وارفع لشعبك راية المجد التى)　　لعبت بها الايام مـذ أزمان
كى تسترد مكـانها فلطالما　　(كـانـت مرفرفـة عـلى كيوان)
(واهنأ بعيد العرش فهو أجل من)　　أعياد قيصر قبـل فـى (الجرمان)
قد نال كل فخامة قد اعجزت　　(وصف البليغ الواصـف الفنان)

*　*　*

(واليكها من مخلص لمحمـد)　　قد انجبته له (بنو نعمـان)
اخلاصه فى ودكم ومديحكم　　(اخلاص شاعر جـدكـم حسان)
(يفديكـم وولى عهدكم ومـن)　　يفديـك الا المخـلص المتفـانى؟
أحرزتم فى المجد ما يحويه من　　(يعزى لبيت المصطفى العدنانى)
(لازال ملكـكـم يـعـم ضيـاؤه)　　ما بين (آمركا) الـى (اليابان)
وعظيم فخركم يطير به النبا　　(ويسير سير الشمس فى البلدان)
(والتاج معـقـود عـلى هاماتكم)　　والسر فى الهامات لا التيجان
والنصر يخدمكم ويخدم جيشكـم　　(والملك فى عزوفى ريعان)

*　*　*

تلك هى القصيدة التى صدرت اذذاك عن شاعرنا الونعمانى • ثم اتيح لى بها ـ وذلك من العجب ـ ان أكون برهة • من طبقة المولعين بالتشطير • والعياذ بالله ولم تكن هذه القصيدة ولا ما فى مستواها • مما يحب شاعرنا أن ينسب اليه لكونها دون ذوقه وقدره فى الافلاق • ولكنه ننشرها هنا كما تيسر • فكما قدرلنا أن نقول مثل هذا النظم • لابد ان نصبر حتى يعرفـــه الناس منا ليدركوا طورا من أطوار حياتنا فى القريض • وقد سبق الازل بذلك • وما العمل • وهذا هو السبب حتى لا أستنكف انا أن أسوق كل قافية جرت منى وان لم تصلح لاللشم ولاللتقبيل • فليمنح الله الصبر الجميل للقارىء

ان الشاعر البونعمانى منذ لاحظته السعادة بعينها قدنبغ فى النثرحتى كانت له منه مكانة مكينة • صرف منها جانبا كبيرا فى التعريف والاشادة بهذا الصقع السوسى من وطننا العزيز • فقد زحزح للعالم ذيلا من الستار

المنسدل عن حياة (سوس) من كل ناحية • ثم طارت للشاعر بذلك شهرة كبيرة • ولم يزل يترقى فيها • بجانب ما ناله فى الميدان الادبى من التفنن والاختراع • حتى حسب له فى الاوساط الادبية حساب • وانى لاقرأ من نفثات قلمه هنا فى هذا المنتاى فتوثر فى تاثيرا • فكانت لى فى هذا المنفى خير جليس مونس •

هذا • وأن شاعرنا قد طرق مختلف الموضوعات التى يقول فيها الشعراء كان ذلك عن طواعية ورغبة • أو مما يجذب الشاعر الى القول فيه تحت تاثير بيئته • فهناك معرض المدح • والفخر • والغزل • والهجو • والرثاء • الى غير ذلك من ميادين القول • وقبل ان نودع التحليق حول ادبيات شاعرنا • نود أن نسوق الى القارىء بعض ماعثرنا عليه من مقيدات مقتضبة من اقواله

يقول فى الترحيب بحزب الوفد المصرى أيام الزعيم النحاس باشا :

قم قدس الشرق واحمل راية الجذل	وناد فالشعب نال غاية الامل
فلتهن مصر وحزب الوفد تكلاه	عناية الله فى حل ومرتحل
وليحى للشعب (نحاس) تؤيده	يد المعالى • وترمى الغير بالشلل
هذى لوائح بشر قمت أرسمها	فى صفحة الود والاخلاص والعمل
أزفها لبنى الوفد السعيد وما	سواه لست له يوما بمحتفل

وبمناسبة الاحتفال بذكرى المرحوم شوقى شاعر النيل • قال قصيدة عصماء • نشرت مع مجموعة من قصائد اخرى وكلمات جادت بها قرائح الادباء والشعراء ءانذاك فى كتيب تحت عنوان (يوم شوقى بفاس) وهاك ديباجة هذه القصيدة :

ان ذبت حزنا هل أنال مرادى ؟	او همت هل يشفى غليل فؤادى؟
عظم المصاب فياله من فادح	عم العروبة فى شعوب الضاد
وكسى الشعوب سواده فكأنها	يوم المصيبة عدن نفس سواد

الى ءاخرها • وهى فى مجموعة مطبوعة تضم ماقاله شعراء المغرب اذذاك

أما فى الحنين الى بلدته وموطن ءابائه واجداده فانك تراه يلقى عليه نظرة اشفاق واجلال • لما فارقه لاعن قلى • ورحل عنه لامتخيرا • ولكنها الحواضر • وما انطوت عليه من أدب على النمط الجديد • فانتشب فى شصها ثم التفت يطمئن بلدته تلك على أنه سيبقى لها ما بقيت انفاسه تتردد بين جنبيه • انها أشواقه وتأوهاته يبثها فى هذه القطعة التى لم نعثر الا على هذه الابيات الثلاثة منها • والتى لاشك فى أنه لايكاد يتم نظم عقدها حتى تشرف نفسه على ما تشرف عليه نفوس الشعراء فى مثل هذه المواقف • يقول :

وطني عليك تحيتي وسلامي ما أنت الا منيتي ومرامي
لاعن رضى فارقت ارضك نازحا عنها • ولكن شيمة الايام (١)
الله يشهد انني لا ارتضى وطنا سواك لموئلي ومقامي

الى ءاخرها •

وأما في معرض الغزل • فقد سقطت الينا أيضا هذه القطعة التي نظن انها لم تتم بعد فيما هو بين أيدينا • ويمكن أن تكون كاملة مع أخريات عديدات من نوعها في ديوان الشاعر •

يقــول :

سلوة القلب امنحى قرب المنى ان من طول النوى هذا الضوى
لم أكـن قبلك أشكـو شجنـا لا • ولا أفشيت ما القلب طوى
غير أني مستـلـذ للضنى ليتني هـل كلنا فيه سوا
يارعى الله اويقات لـنـا سلفت وفق اقتراحات الهوى
فبنا الـكـون غدا مبتسما وبنا الدهر عن الجور ارعـوى
ان خلونا لم ندع مكتمـا بعضنا للبعض في الحب روى
اتخذنا من نسيم شيمـا وسرى منا له فرط الـجـوى
فكانا فوق عرش كلـمـا رفرف الحب بخفاق اللوا

نعم ما أصح رواية بعضهما للبعض • وما أشد وقع مايسوقه خبر الواحد منهما للاخر • فان كان سوغه أبوحنيفة • فقد أوجبه شرع الهوى •

نتف اخرى حوله

ذلك هو الاديب البونعماني • الذي كان شيخنا سيدى الطاهر الافراني يلقبه بشقيق الهزار • ولم نسق امام القارىء الاما تيسر • والغالب مماذكرناه كان صدر من صاحبنا قبل أن تعتق رحيقه • وتعبد في البلاغة العالية طريقه أما تقلباته في الحياة • فانه بعد ان افتتح توظفه في (مدرسة مولاى يوسف) الرباط • انتقل الى المجلس الاعلى للاستيناف • حيث بقي سنين كثيرة • ثم في المحكمة المفوضية بـ(مراكش) ثم رجع الى الاستيناف • الى أن جاء الاستقلال فعينه مولانا الملك باشا على مدينتي (أكادير وانزكان) ثم تبرم من كثرة الاعمال التي لا تطيقها ذاته النحيلة في المدينتين معا • فاقتصر له على (أكادير) حيث لايزال الى الان مختتم : ١٣٧٩ هـ ملحوظا محظوظا (ثم لما وقع الزلزال فمحيت (أكادير) صار يتململ حتى نقله مولانا الملك الحسن الثاني الى قصره

١) يقول ابن عنين : فارقتها لاعن رضا وهجرتها لاعن قلى ورحلت لامتخيرا

فالله يعينه ويختار لنا وله فى هذا العهد الجديد)

على أننا وان عرضنا امام القارىء وجه الحسن البونعمانى كأديب • أو كحاكم مفوض • أو كباشا • فاننا نغمطه حقه فى ناحية اخرى أجل من أدبه ومن وظيفته • وهى ما تقمصه كارث من أسرته • وصبغة من بيئته • فانه متدين حسن الظن بأهل الخير زوار للصالحين أمواتا واحياء • يومن بالروحانيات • وله من الاذكار والتوجهات الربانية • والمخالطة لاهل الخير ما يحمل كثيرين على أن يحكموا بأنه وحده اليوم • من يظهر فيه سر المسعوديين وان كان فى كل الباقين منهم خير • فقد ظهر بمظهر النزاهة والترفع عن البراطيل • حتى كان ذلك عيبه الوحيد عند كثيرين ممن يقولون أنه لايصلح للوظائف أمثاله من أهل الخير ــ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ــ

وبعد : فلنودع أديبنا • الاديب الكبير • والاريحى الخفيف الروح • فاننا لم نسأم الدوران حوله • ولكن • لكل ابتداء انتهاء • ولكل كلام اختتام حفظه الله وقواه • وهيأ له زوجة صالحة تنجب له من يكونون له قرة الاعين بمنه وكرمه • فانه بعد ما تزوج غارت ربة الشعر • فلم ينشب أن طلق • لضعف بنيته • ونضوب صرته •

فان تسألونى بالنساء فاننى ... خبير بادواء النساء طبيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب
فان شاب راس المرء أو قل ماله ... فليس له فى ودهن نصيب

سيدي

ابرهيم كزور المعدري

١٢٨٠ هـ = ١٥ - ٣ - ١٣٥٢ هـ

نسبه :

ابرهيم بن محمد بن ابرهيم بن محمد - فتحا -

وينتهي نسبه الى الشرفاء العلويين • وكان المترجم يوقع بابرهيم العلوى ويرفع نسبه (اسما) من غير أن يحرر قط سلسلة اجداده • وقد كان فى يده مشجر أنسابهم على عادة الشرفاء • ثم تاخر فى يد شيخه سيدى مسعود المعدرى • فتلف • ولم يوقع له بعد على أثر • والمترجم ثقة ورع لا يتنفج بما ليس فيه • ولاينتسب نسبة ليست له • وذكر لى ولد المترجم سيدى محمد أن والده أخبره أنه كان يجهل أولا هذه النسبة • وأول من نبهه لذلك هو الشيخ سيدى مسعود • وقد كان فى أثناء كتبه سلسلة النسب بخط سيدى مسعود • حتى تلفت مابين الكتب • وأما المعدريون أهل قريته • فان غالبهم من سلالة • وحين لم يكن من أبناء عمومتهم • ولاانحدر من سلالتهم الخاصة • لم يكونوا يعرفون نسبته • بل كان بعضهم يزعم فى جدوده مزاعم ليست بنبع اذاعدت ولا غرب • والجد الاعلى محمد - فتحا - والد ابرهيم هو الذى انتقل من (أزور نبوتوالا) سطح (بوتوالا) محل من (أيت صواب) ولذلك ينسب اليه فقيل فيه كزور اى السطحى

مأخذه للقرءان

كان لدة الاستاذ سيدى محمد بن مسعود • نشئا معا فى قرية واحدة بعد ما انتقل سيدى مسعود بأهله الى (المعدر) • وتعلما معا على الاستاذ سيدى الحاج محمد السرسيفى • وبه تخرج المترجم فى القرءان وفى ضبطه • وأحكام كل مايتعلق به • وكان ياخذ مع الاستاذ محمد بن مسعود • فى مسجد قرية (عين ابرهيم بنصالح) حينا من الدهر •

متعلمه للعلوم

اتصل باستاذ القرية سيدى مسعود العلامة الشهير • فلازمه فى المدرسة

(البونعمانية) ماشاء الله منذ ان بلغ • وذلك من سنة ١٢٩٥ هـ ثم لما انتقل الاستاذ سيدى مسعود ١٣٠٩هـ الى المدرسة (الامزالية) كان من جملة الطلبة الذين انتقلوا معه • وقد كان رفيق الاستاذ سيدى محمد بن مسعود فى اخذه عن بعض أساتذة اخرين • كالاستاذ سيدى أحمد بن ابرهيم الاكرارى كما أخذ معه أيضا عن الاستاذ سيدى الحسن بن احمد بن ابرهيم الساحلى السملالى الشهير • ولاغرو أن كان له ماكان حين صار له بعض من همة لدته ابن مسعود الذى كان يتنافس معه فى التحصيل •

على هؤلاء فقط درس العلوم حتى نال مانال • وفى تلك المدارس جاور حتى حصل ما حصل

يشارط في المدرسة المحمدية

كانت قبيلة (اداومحمد) الهشتوكية • وفدت على الاستاذ سيدى مسعود وهو بالمدرسة الامزالية يقترحون عليه أن ينظر لهم استاذا لبقا يعمرمدرستهم الشاغرة اذذاك • فراود سيدى أحمد بن مبارك المعدرى • وكان من نجباء تلامذته فى تلك المدرسة فلم يساعفه • وذكر ذلك للمترجم • فأسلس له القياد • فابتهج الاستاذ بذلك غاية • فودعه الى تلك المدرسة • ودعا له دعوات حارة انبعثت من أعماق قلبه • غمر بها قلب المترجم • واستبان بسببها مستقبلا نيرا • وحياة وضاءة •

لازم تلك المدرسة قليلا • ثم شاهد عرفاء القبيلة يكيلون له اجرة مشارطته من عند الكيالين فى الاسواق الذين يستفضلون مما تناثر من المكاييل كاجرتهم • وهو مالاينصفون فيه الناس(١)• ويقع فيه الغبن الكثير فيبقى فى نفوس المكتال والكائل مايبقى • ولاتطيب بذلك نفوسهما • فحمل الورع المترجم على التأفف من ذلك • فراجع الاستاذ سيدى مسعودا • فقال له اصبر • فسيجعل الله لك فرجا وفخراجا • وذلك سنة ١٣١١ هـ

في مدرسة من جبل درن

لم يطل العهد • فوفد أيضا على الاستاذ سيدى مسعود عرفاء قبيلة من سفوح جبل (درن) الجنوبية • يتطلبون منه مدرسا لمدرسة لهم قرءانية • كما فرغوا من تشييدها • فارسلهم الى المترجم فصاحبهم • فانقطع عندهم ماشاء الله • قائما على ساق الجد فى تعليم القرءان وما يتعلق به • وكان لذلك محكما ولعلومه متقنا • فعلم كثيرين • بقى هناك سنتين •

١) العادة ان الكيال فى السوق يكون له ما تناثر عن المكيال عند الكيل •

في مدرسة إفردا

كان نشأ في (المعدر) كما ذكرناه • وهناك أهله وأولاد عمه • ثم بدا له فانتقل الى الساحل • ولايزال اذذاك عزبا • ثم اقترن ١٣١٨ ﻫ ببنت عمه • ثم توفيت فاقترن ١٣٢١ﻫ بكريمة الفقيه سيدي محمد بن الطيب التاضكوكتي الانكيضاءى البعقيلي فشارط هناك يدرس العلوم • لايفتر عن ذلك • وفي تلك المدرسة أمضى كثيرا من عمره • كان فيها هـذه المرة ١٣١٤ ﻫ ١٣٣٢ ﻫ

في المدرسة المعدرية

كان شارط فيها بعد مانكب النكبة التي سنذكرها • وقد راجع مستقر أهله بـ (المعدر) وذلك بين ١٣٣٣ ﻫ وبين ١٤٤١ ﻫ

في أتبان

ثم شارط سنة في مسجد (أتبان) ثم أقلع من هناك الى الساحل وذلك ١٣٤٢ ﻫ

في مدرسة إفردا ايضا

راجعها ثانيا • سالكا مسلكه الذى ذكرناه • يتعاطى دراسة متوسطة وقد كان له هناك عند الساحليين مقام كبير • وملاحظة خاصة• ولو كانت له نظرة الفقهاء الى الدنيا • وكان له حرصهم وتهالكهم على الشهرة • والاكباب على النوازل • والظهور بمظاهر تستميل الابصار • لكان أدرك فوق ما أدركوه ولكنه صوفي ورع متواضع خامل هادىء النامة • ساكن الطائر • ثم انه بقي في هذه المدرسة من ١٣٤٢ ﻫ الى ان لاقى ربه ساكنا أمينا مؤثلا القاء ربه مايؤثله أمثاله

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد   ذخرا يكون كصالح الاعمال

ملاقاته للشيخ الالغى

كان من جملة التلاميذة المسعوديين الذين انجروا بالاستاذ ابن مسعود الى الطريقة الالغية • لكنه من طليعة الافذاذ الذين لم يكادوا يتلاقون بالشيخ حتى انطبعوا بطابعه واندمجوا في التصوف قلبا وقالبا • اندماجا عظيما • فخلع عنه كل مظاهر الفقهاء • وأقبل على ربه وعلى نفسه يهذبها ويشذبها • حتى كان عند شيخه من المصطفين الاخيار • وقد كان الشيخ زاما للسان

الثناء على أصحابه • غير فاتح لهم بابا يتسرب منه الى كثيرين الغرور والاتكال الا أنه ربما بدر منه ذلك غلبة على خلقه المعهود • ولذلك كان أصحابه ربما يعدون بالاصابع من كان جرى لهم من قبله ثناء عطر • والمترجم منهم • وقد كان أدرك مكانة كبرى سامية عند شيخه حين ثبت فى ذلك التزلزل الذى تململ به الاستاذ ابن مسعود • وبعض من اليه ــ وقد ذكرنا بعض ذلك فى ترجمة الاستاذ محمد بن مسعود ــ فقد ساح الشيخ اثر ذلك بقليل • ووصل (تزنيت) وكان ينوى جهة (هشتوكة) فـ (كسيمة) • وقد تقاطرت الطوائف اليه فى (تزنيت) ولكن المترجم عرض على الشيخ ان يميل بالسياحة الى جهة (الساحل) • فلم يعتم الشيخ أن لباه • ثم تلا فى ذلك وقد غلب على حاله قوله تعلى (ان ابرهيم كل أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) والاشراك فى عرف الصوفية هو الالتفات • ومن أقوالهم يمكن أن يكون لزوجة زوجان اثنان • فتتمشى حالها معهما معا • مع اتفاقهما واصطفاء مابينهما • ولايمكن أن يكون للمريد شيخان اثنان أبد الابدين ونعلم عن كثيرين من شيوخ التربية تصريحهم بمثل هذا • ونحن نسلم لارباب الفن منهم • كعادتنا مع اهل كل فن خاص • لايد بالغة لنا فيه ــ قد علم كل اناس مشربهم ــ فكان ثناء الشيخ على المترجم بين مئات من كبار أصحابه تاجا مرصعا لماعا • وقد علم القليلون الذين كانوا على علم من قضية ابن مسعود السرية أن ذلك الذى ناله سيدى ابرهيم كزور ماناله الا على ثباته • حين لم ينجر بموجة الاستاذ ابن مسعود ثم لم يزل منذ ذلك تلوح عليه مخايل الخصوصية • وقد ترقى فى درجات العارفين • وبعد وفاة شيخه لازم كما كان عليه فى حياته الوفود الى (الغ) فى كل مناسبة • خصوصا فى المواسم • وكان عريف أصحاب الشيخ الالغى فى قبيلة (الساحل) وعميد الزاوية للفقراء الالغيين هناك • يقودهم ويربيهم من غير أن يجعل لنفسه شعارا يدل على أنه أعلى منهم• وكان فى هيأته وفى مذاكرته وفى سياحاته نظيرهم • بل يعد نفسه أصغرهم • ويرى أنه ليس قط شيئا مذكورا • ولم يزل قائما على الساق فى ذلك الى ان قضى نحبه •

أخلاقه

كان رحمه الله فى التواضع غاية الغايات • لايحوم حوله مايدل على أنه عرف علما • اودرس فنا أو كان يوما من الافذاذ الكبار المشار اليهم من تلاميذ سيدى مسعود • أو صار كما هو ديدنه أستاذا من أساتذة المدارس • المستفتين فى كل مايعن للناس • ولا يفارق شملة خلقة أوجديدة غير نقية • والسبحة الغليظة فى عنقه • والعكاز فى يده • والحمار فقط مركوبه ان احتاج الى الركوب • وكان له خلقان متباينان بين المجامع • فاما مع الفقراء فانه احدهم لايتميز عنهم بشيء • ولايتظاهر بذوق خاص • أو أن له خصوصية

نالها بضم العلم الى التصوف • فهو صموت ذاكر ذكر الاجتماع • وذكـر الخلوة • فيتهجد كثيرا • ويطيل محاسبة نفسه خاليا • واما مع بعض مخالطيه الذين كان نشأ معهم من الصغر بين ملاعب الاتراب • ثم فى المدارس حيث يسدر الطلبة عادة فى غلوائهم • ترتفع الكلفة بينهم • ويظهرون فيما بينهم كماهم من غير قناع ساتر • ولا حائل يحول العين الى غير ماكان عين الخلق الثابت • ثم مالوا معه بعد ذلك الى التصوف • فمشوا فى كل ذلك بخطا متساوية فانه متى خلا معهم ينبسطون غاية الانبساط • ويطلقون الاعنة الى غاية بعيدة وقد كان له مع قرينه الاستاذ سيدى أحمد بن مسعـود والشريـف سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتى مجالس من هذا النوع • متى كانوا مجتمعين وحدهم عند أحدهم • فانهـم يتبارون فى التهام كـل ماقدم لهم • فيملئون اكفهم من العسل والسمن • كأنهم يتناولون ملتـوت العصيدة • ويمعنون فى ذلك امعانا • ثم يقترحون على من ينزلون عليه منهم الذبائح تترى وما الى ذلك مما تمليه الاريحية والفكاهة النزيهة بين المتصافين من الاقران

كذلك كان كثير البكاء فى الخلوات متى ناجى ربه • وحاسـب نفسه • بعد أن يكون كثير الضحك مع امثال قرنائه هؤلاء • فهكذا الرجل • خشوع كثير • وصموت مع الاطراق • وسكون بين الفقراء • كما كان له رفع الهمة والانزواء ازاء العامة • ثم له الطهارة الدائمة من طيب المعاشرة مع كل واحد • وعدم التظاهر بما يلفت اليه الابصار من التخشع المتكلف • والاطراق الزائف فى الطرقات بل كان دائما على الحال المحمودة مـن الوسط بـلا افراط ولا تفريط • مالم يغلب على حاله • ذلك هو سيدى ابرهيم كانك تعاشره •

نكبتـه

كانت اصابته نكبة عجيبة اتت على كل مايملكه • وماكان أتله • وسببها أن ابن دحان القائد الشهير فى (تزنيت) كان بلغه أن بعض الناس تطلب من المترجم أن يكتب له رسالة الى القائد بشىء • فتابى له هذا • وربما ابـلـغ القائد أنه قال كلمة كبيرة فى جانبه • فاستفزه • فأرسل أعوانه على نية أن يعتقلوه • ولكنهم لم يجدوه • وقد كان فى (بونعمان) ذلك النهار • فنهبوا متاع الدار • وساقوا غنمه • وقد حكى لى رحمه الله أنه كان راجـعـا اخر النهار • فلاقاه الخبر فى الطريق • فتنكب الطريقة المعهودة • اذا بالاعوان قد ساقوا الغنم • فمال الى صخرة خارج الطريق • فجلس تحتها مختبئا قال فمرت غنمى ازاءى • وقد أطل على منها تيس كبير يحرك رأسه • كانه يقول لى • هذامآل الدنيا • وهذه عقب المال الذى لاينفق فى سبيل الله • يقول لى ذلك حاكيا • وهو يتبسم على عادته فى المباسطة معى • فبذلك نجاه الله من

الاعتقال • فتشتت كتبه ومتاعه وكل مافى داره • ثم لم يتمكن الا في استرجاع بعض الكتب • وقد ذهبت رسائل من الشيخ كان يكتبها اليه فيما ذهب • وكانت هذه النكبة سنة ١٣٣٢ هـ ولم تبق له باقية • لامتاعا ولا حبوبا • ولا راغية ولاثاغية • فاذ ذاك شارط فى (المعدر) فقدر أن يوسس الحياة من جديد ثم راجع (الساحل) حيث أقام ثانيا الى ان انقضى عمره • وهذه النكبة وان كانت ماحقة لم تؤثر فيه بشيء • لانه جبل راسخ بل كان يدرك انها من الامتحانات التى يمتحن بها الله عباده • ومن الفتن التى تصيب المومنين دائما (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لايفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وثباته هذا وحده يدل على معرفته لربه • وأنه يومن بالقدر خيره وشره •

مع مؤلف هذا الكتاب

كنت أعرف اسمه صغيرا من بين كبار الفقراء أعلماء الازاغاريين • ولكن لم أعرفه حقيقة الا بعد ١٣٣١ هـ حين كنت فى المدرسة (البونعمانية) ثم دخلت عليه يوما فى المدرسة (المعدرية) حين كان شارط فيها • وكانني أنظر اليه الآن وهو على هيضورة (١) بيضاء • وحوله كتب مخطوطة قديمة • وأذكر أننى تناولت أحد تلك الكتب • فقرأت فيها قصيدة مقفاة بلفظة (ءايوى) وهى كلمة شلحية معناها (يابنى) ثم تناولت ءاخر فوجدت فيه الابيات المشهورة للزمخشرى •

يامن يرى مد البعوض جناحه	فى ظلمة الليل البهيم الا ليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها	والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته	ماكان منه فى الزمن الاول

وكنت أقرأها وربما أحرف بعضها • فانشدها كما هى من حفظه • كما أنشدنى ذلك اليوم أيضا القطعة السهيلية المعلومة التى يحفظها كثير من الفقراء • مطلعها

يامن يرى مافى الضمير ويسمع	أنت المعد لكل ما يتوقع

وفى احدى قدماتى الى الموسم الالغى من (الحمراء) انخرط فى رفقتنا من (المعدر) مع سيدى الحاج محمد بن عدى الواعظ الشهير • فكانت أطيب رفقة • وخصوصا حين كان معناأيضا سيدى عثمان الفقيه الاكرارى • فكانت المفاكهات تجرى ازاء المذاكرات بين الفقراء اذا خلونا وحدنا • واذ ذاك عرفت منه كل ما فصلته من أخلاقه • فانه رحمه الله على كثرة مايقاسيه من مشقة السفر • ثم من السهر مع الفقراء على الذكر فى المجتمعات • كان

(١) جلد الكبش المسلوخ بصوفه يدبغ فيجلس عليه

يبكر المتهجد قبل كل من فى القافلة فتراه بعد انفتا له من صلاته بالليل قبل الفجر مستقبلا ساكنامطرقا ، لاتتحرك منه شعرة ، يحسبه من لايعرف حاله نائما فى قعدته ، اوذاهلا فى شئ ، أو سكران لاحركة فيه ، غير أنه ان ادرك ما هناك يتلو قوله تعلى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وكان يحفظ من كلام ابن الفارض والششترى والبرعى وغير ذلك هو متداول بين المسمعين من الفقراء ، فكان يخلل بالابيات المفردة حديثه ، ومن أطيب مارايته منه أننى باسطته أثناء الطريق فى هذه السفرة ، وقد رأيت منه أثناء مفاكهة مبالغة فى الانبساط ، فقلت له ، أهكذا أنت ؟ وأنالم أكن أعرف منك هذا ، فقال :

فانا اذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

وكان يميل الى التقشف فى ملبسه وفى مطعمه ، وقد كنت أراعيه كثيرا فى تلك السفرة ، وأقطع له اللحم بيدى كثيرا عند المؤاكلة ، فقال اتحسبنى نشات باللحم ، فانما أنا ابن (أبالاغ) بتشديد اللام ، ويطلقه أهل (المعدر) على الشعير الذى أبطأ كثيرا فى المطمورة ، حتى تتغير رائحته وذوقه ، فقلت له مداعبا كنت أحسبك ابن امرأة تأكل القديد ، فقال ، قد أمضينا ماكتب لنا من الاستمتاع بالطيبات فى الشباب ، غير أننا الى الان لانرد على الله شيئا تيسر ، لاننا نتبع الحكمة التى يتداولها المتضاحكون ، كن زاهدا ، فما قدم لك فى الصباح فكله ، وكل ماوجدته فى المساء فلاتبق عليه ، يقول ذلك بالانبساط وقد كنت اذذاك معنيا بكتابة بعض الشئ من أخبار الوالد وأصحابه فقال لى دع عنك ذلك حتى تتقدم فى السن ، وتقدر قدر والدك واصحابه كماهم فقلت ، أولو أقدرهم الان ؟ فقال مبتسما ، انما تقدر منهم الان من طريقتهم مايدخل يدك من الدراهم فقط ، من أيدى أصحابه الذين يحبونك حبا لوالدك ولكنك ربما ان تقدمت فى السن تترقى عن هذا ، فيكون كلامك عن ذوق وعرفان ، لاعن تقليد ، ثم انشد البيت الشهير من الشواهد ،

وابن اللبون اذا مالز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

ثم كان العجب ان انقطعت عن ذلك بحوادث جديدة ، ثم لم اراجع ذلك الا بعد ان تكيفت بكيفية أخرى وأوسع مما كنت عليه اذذاك ، فاعد الان ما قاله لى من فراسته الظاهرة رحمه الله ورضى عنه ،

من آثار قلمه

هذه رسالة كتبها الى ولده سيدى محمد يوصيه فيها ،

لبسم الله الرحمن الرحيم من العبد الضعيف ، الراجي عفو مولاه اللطيف ، ابرهيم الفانى بن محمد السطحى المعدرى منشئا ، الصوابى نجارا

المهارزي مسكنا . الى ولدى محمد المشارط فى الوقت فى (احفير) باعـمـال (وجدة) عليك أفضل واتم وازكى مابه حييتموا به الضعيف من التحية والاكرام هذا بعض حظنا من صالح ادعيتكم فى الخلوات والجلوات . واعلم ياولدى نور الله بالايمان قلبى وقلبك . وضاعف حب المصطفى فى صدرى وصـدرك . وجعل الجنة مثوانا ومثواك . وطهر قلبنا وقلبك من الرياء والحسد والعجب وجميع الاوصاف الذميمة . بجاه روح الوجود . فانى وصيتك بوصية الله قال الله تبارك وتعلى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) والتقوى فعل المامورات . واجتناب المنهيات . ظاهرا وباطنا . قال ابن عاشر .

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال فى ظاهر وباطن بذا تنال

وأوصيك أيضا بأن (لاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولائك كان عنه مسئولا) واجعل الموت نصب عينيك . والقلب دائرا بيـن الحضرتين : حضرة الرحمن . وحضرة النبى صلى الله عليه وسلم . ولاتقدم على أمر الا بعد ان علمت حكم الله فيه . وقال ابن عاشر رضى الله عنه :

ويوقف الامور حتى يعلما ما الله فيهن به قد حكما

قال النبى صلى الله عليه وسلم لايحل لمرء مسلم أن يقدم على امرحتى يعلم حكم الله فيه قولا وفعلا . وقال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه . ومن اشتغل بما لايعنيه فاته مايعنيه . ومالايعنـيه هومالا فائدة فيه دنيا وأخرى . ومن جملته أخبار الدنيا من قيل وقـال . وقال عليه الصلاة والسلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت عن شر يعاقبه عليه . ولاترفع قدميك الى مالا يحل لك . وراع قلبك وكن رقيبا عليه لئلا يتلف . حين يجول فى غير الحضرتين . والكل فى كريم علمك . ولكن التنبيه والنصح واجبان . وان سألت عن أحوالنا وأهل دارنا فلا باس لله الحمد . وله المنة . لامايشوش البال والحمد لله عـلى فضله واحسانه .

وأما أخوك أحمد فهو فى محله ملازم مـع اليقين زيـارة الفقراء صغيرا وكبيرا . ومجلس الذكر صباحا ومساء . مع ملازمة الصبيان . وقد حرث زرعا وقمحا . وأعطى زرعا بالشركة ايضا . وقد زارنا فى هـذه العواشر الماضية مصاحبا مع الفقراء الاحباب الى (ايغبولا) ثم رجعوا . وتصاحب مـع فقير . الينا وجلس عندنا ثلاث ليال . وسافر لمحله . نسال الله تعلى بجاه عين الرحمة أن يجعل فيك وفيه منفعة لامة محمد صلى الله عليـه وسلم . ويبارك لكما ويرزقكما رضاه . ويختم لكما بحسن الخاتمة . وتمام المغفرة امين عدد الالـوف . ومـا ذكرت من أمر النكاح . فالله تعـلى يختار لك

واستخر الله الاستخارة النبوية • فاذا وصلت (١) (اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى) فاستحضر ما فى قلبك من الزوجة فلانة • وفى الحديث ماخاب من استخار • ولاندم من استشار • ولاعال من اقتصد • وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله لى انأتزوج فلانة • وقال له النبى صلى الله عليه وسلم لودعا لك جبريل واسرافيل وميكائيل وحملة العرش وأنا فيهم مالك الا ماكتب لك فى الازل • وقال عليه السلام المرأة تنكح لجمالها وحسبها ومالها ودينها • فعليك بذات الدين • وقال عليه السلام من نكح امرأة لمالها وجمالها حرمه الله مالها وجمالها • ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها • وقال عليه السلام من خير فائدة يفيدها امرء مسلم زوجة صالحة • ان نظر اليها سرته • وان امرها أطاعته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وفى ماله • ومن سعادة المرء المرأة الصالحة • والمسكن الصالح • والمركب الصالح • ومن يمن المرأة تيسير أمرها • وقلة صداقها • ومن يمنها أيضا ان تبكر بالاناث لقوله تعلى (يهب لمن يشاء اناثا) وقال عليه السلام عليكم بالودود الولود • وعن على كرم الله وجهه • ان الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة • وفى الاخرة الحوراء • وعذاب النار المرأة السوء • ومن وصية لقمان لابنه انما مثل المرأة السوء كمثل السيل لاينتهى حتى يبلغ منتهاه • يابنى انها ان تكلمت أسمعت اى أعلت صوتها • واذا مشت أسرعت • واذا قعدت وقعت • واذا غضبت سمعت • وكل داء يبرا الاداء المرأة السوء • ولان تساكن الاسد خير من أن تساكنها تبكى وهى ظالمة • وتتحلم وهى جائرة • وتنطق وهى جاهلة • وتطمح بعينها الى الرجال وقال عليه السلام لاتنكح المرأة لجمالها • فلعل جمالها يرديها • ولا لمالها فلعل مالها يطغيها • ويروى أن لقمان قال لابنه أول ماتتخذ من الدنيا امرأة صالحة • وصاحب صالح • تستريح الى المرأة اذا دخلت • وتستريح للصاحب الصالح اذا خرجت وقل معاذ بن جبل • صلاة من متزوج أفضل من أربعين صلاة من غيره • وقال ابن عباس تزوجوا فان يومامن المتزوج خير من عبادة ألف عام • وقال النبى صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه الك زوجة ؟ قال لا • قال ولاجارية • قل لا • قال وأنتموسربخير قال وأنا موسر بخير • قال أنت من اخوان الشيطان • فان من سنتناالنكاح شراركم عزابكم • وأراذل موتاكم عزابكم • وعلى هذا ياولدى • فعليك بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وعليك يااخى بسنة النبى تنج من الاهوال يوم الكرب • لان سنة النبى صلى الله عليه وسلم واتباعها فىالدنيا قولاوفعلاهى الصراطفىالدنيا ومن سلكهافىالدنيا لايسلك الصراط فىالاخرة• لانالله تعلى قال لاأجمع على عبدى خوفين ولا امنين • فمن خاف فى الدنيا أمن فى الاخرة

١) يعنى فى دعاء الاستخارة المشهورة فى الحديث عند علماء الاسلام

فالعكس بالعكس (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) واما ماشكوت من اهمالنا اياك • فلا تظن ذلك • فلايكون فينا مادام العقل فينا • والفقراء كلهم بخير وعلى خير وهم فى الزيادة • ويجتمعون عندنا على العادة بنحو ثلاثين أو أربعين كل خميس بمقداره • وأما شيخك سيدى أحمد ابن مسعود فهو على خير • وهو فى موضعه مع الطلبة وأما ولده محمد ففى مسجد (المعدر) وليس عنده أحد • بل هو واحد • وابرهيم بن الحسين يحضر مع الفقراء • ويعطى احسانه • وكذلك سيدى أحمد الشلح والحسن بن الشرط • وعبلا نشكليل • وجميع الفقراء يقرؤون عليك السلام • ويسألون عن أحوالك • نسأل الله تعلى ان يصلح أحوالك ويبارك لك فى نكاحك • ويجعل الفتح الربانى على يديك • ممن قرأ عليك • وممن أخذ الورد لديك كل ذلك ببركة النبى صلى الله عليه وسلم • وقد أذنا لك اذنا تاما عامافى الامور الصالحات • ولاتنال من الشيطان واخوانه • وازعم بالنبى وءاله • ولا تخف لومة لائم • جعك الله نورا يستضىءبه أهل المغرب وأهل المشرق • ويسقى قلبك من قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • والله يتولى أمورك ظاهرا وباطنا • بسلامة وعافية • وقد أعطيناك رضانا يكون قدامك وورائك وعند الموت والسؤال والموقف والصراط • وكن معتمدا على فضل الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم • وقل الله تبارك وتعلى (ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) قال عليه الصلاة والسلام الارض أرض الله والعباد عباد الله فمتى وجد احدكم رزقه فليتق الله • وليقم زادك الله نورا على نور •

وأما أخوك سيدى سعيد نسأل الله تعلى ان يرجع سالما غانما متقبلا حجه • وشرح صدور اولاده بالعلم والتقوى • والقرءان العظيم وبلغه منا السلام ان شاء الله ان رجع • وكذلك الفقيه الاديب • العالم الاريب سيدى محمد الاخضرى الميمونى جعله الله نورا • وجعل محبة الله ومحبة رسوله راسخة وساكنة فى قلبه ءامين • ولاتنسنا فى الدعاء • وكتب اليكم والدكم الضعيف ابرهيم بتاريخ يوم الثلاثاء الذى هو ستة وعشرون يوما من شوال عام ١٣٥١ ه والسر فى التقوى والاستقامة • وفى اليقين اكبر الكرامة •

وعليك ياولدى بحسن الظن بالله وبعباده • وزيادة الصالحين الاحياء والاموات • مع مصاحبة الاحسان • قل عليه السلام • الهدية امام الحاجة تهادوا تحابوا • الهدية تفتح القلوب • وتذهب الغضب • المحبة بالانفاق لا بالاشداق • ادعاء المحبة من غير عطاء نفاق

وقدم فتوحا اذ عليه مدارها   فان طريق الشيخ بذل العطية

ولده أحمد

للمترجم اولاد منهم الصوفى الكبير سيدى أحمد الحافظ لكتاب الله • والمقبل على تعليمه • قطن فى قرية (افريـان) من قبيلة (أيـت بكو) مـن (هشتوكة) وهو ضعيف البنية • الا ان القوة التى رزقها فى باب الله غريبة وهو مجد فى الاذكار • وفى مجالس الأذكار • يقدم الفقراء ويهذبهم ويسير بهم الى الخير • ولايخطىء السفر الى موسم (الغ) الى الان ١٣٧٩ هـ وولادتـه سنة ١٣٢٤ هـ

اخوه محمد

الفقيه الاجل • وهو الذى قرأت رسالة ابيه اليه • وقد تخرج مـن مدرسة (بونعمان) على يد الشيخ سيدى أحمد بن مسعود رضى الله عنه • وقد كاد يفلت من الاخلاق بالمدارس • وقدكان فى وقت عكوفه فى تلك المدرسة يكثر من الانفاق • خلافا لعادة أهله فكتب اليه والده يوما • ياولدى ينبغى للمرء أن ينظر دائما الى منبع بئره • فان كان ينبع بتدفق • فلينفق بسعة • والا فلينفق على مقدار ماينبع له من بئره • وقد ولد فى صفر ١٣٢٢هـ فـى دار والده فى (الساحل) بقرية (افردا) ثم أخذ القرءان عن والده وعن الاستاذ جامع البيشواريني • وعن الاستاذ الحسن بن محمد من (اكادير زكاغن) بأيت براييم • وأخذ حرف قالون عنه أيضا • ثم انقطع سنة ١٣٣٩هـ الى المدرسة (البونعمانية) عند الشيخ سيدى أحمد بن مسعود • فلازمه ست سنين ثم الى والده فى مدرسة (افردا) وعليهما فقط حصل له ماتيسر من المعارف • ثم لماتوفى والده الذى كان قطب الفقراء فى (الساحل) قام مقامه فيهم فنفعه الله بذلك • فاستطاع ان يتصف ببعض أوصاف الصوفية • فكان يقدم طائفة فقراء جهته الى (الغ) فى كل موسم

وقد ذكر ان والده كان يوما يوصيه • فكان مما وصاه به ان يحزم أمره حتى يكون دائما مستعدا لاجابة مايرغب فيه منه • فلا يخيب راجيه •

مشارطته

كان دولاب الدهر يتقلب به كثيرا مع المستعمرين فكم خوفوه اوسجنوه أو أوعدوه • ولكن الله يسلمه دائما • وهو الان على حالة حسنة وفقه الله لكل خير ثم بعد الاستقلال وزوال كابوس الخوف لازم داره الى ان تعين اخيرا ١٣٧٩ هـ بين العدول فى (المعدر) بعد ماشرط نحو سنة فى مدرسة بـ (الساحل) وهو احد أحبابى الاخصاء حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه

القـاضـي

سيدي محمد اوعامو التزنيتي

١٢٩٤ هـ = ١٣ - ٦ - ١٣٧٠ هـ

نسبـــه :

محمد بن أحمد بن مبارك بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن يعقوب بن بلقاسم بن أحمد بـن ابرهيم بـن ابرهيم بن موسى بن محمد ـ فتحا ـ بن عمر وبن موسى بن يعقوب بن علي بن يوسف ابن صالح بن طلحة .

ومحمد بن عمرو المذكور هو الملقب بحمو . وأخوه موسى بن حمو هو الذي دفن في (ايسك) بـ (بعمرانة) وفي يوسف بن صالح بن طلحة يلتقي نسب (أيت "محمد) الشرفاء التزنيتيين بنسب سيدي أحمد بـن موسى التازاروالتي . ويوجد تتمة النسب في مواضع شتى من هذا الكتاب و(ايت "محمد ـ فتحا ـ) اخوة (أيت عمرو) الوجانيين . فانهم أبناء الحسن بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن داود بن موسى بن محمد ـ فتحا ـ بن عمرو بن موسى ابن يعقوب . كما أنهم اتصالا أيضا في الصميم بالشرفاء اولاد (سيـدي ابرهيم بن علي) التناني . وهو ابرهيم بن علي بن الحسن بن موسى بن محمد ـ فتحا ـ بن عمرو بن موسى بن يعقوب . هكذا وجدت في مشجرين من نسب (سيدي ابرهيم بن علي) فدل ذلك على مظنة الصحة . فـ(ايت محمد ـ فتحا ـ) التزنيتيون و (أيت عمرو) الوجانيون . و (أولاد سيدي ابرهيم بـن عـلي) التنانيون اخوة أبناء أعمام . كما ترى . فملتقاهم في موسى بن محمد بـن يعقوب . فأما موسى بن يعقوب المذكور في سلسلة النسب فقد ذكر في مشجر نسب بأنه ولي صالح مشهور في عصره بالذكر الجميل . والسمت الحسن . وهو من أهل القرن الثامن . كما يظهر من سلسلة آباء (سيدي ابرهيـم بن علي) المتوفى ٩٨٩ هـ على القاعدة الخلدونية المعلومة التي وثقها ابن حجر الحافظ من تفرقة رجال سلسلة النسب على القرن ثلاثة ثلاثة . فذلك هـو الغالب في السلسلات الصحيحة .

ثم ان في كل هذه الاسر الثلاثة الوجانية والتزنيتية والتنانية مجدا شامخا • علما او صلاحا أورياسة • غير ان العلم والصلاح رجحت بهما كفة ءال (سيدى ابرهيم بن على) التنانيين • والرياسة مع بعض علم قليل توجد باطرا دفى الاخرين • ففى (ءال عمرو) الوجانيين رياسة تليدة الى الان • (وسيذكر القائد موسى وءاله فى (القسم الخامس) انشاء الله) على حين أننا الان لانستحضر منهم علماء • الاماكن من أحدهم يسمى محمد بن محمد من ءال محمد بن موسى الوجانيين • فانه ذكر فى مشجر نسبهم بأنهفقيه قاض • ويظهر من مكان ءاخر أنه كان يعيش فى القرن العاشر وانه يفدعلى ملوك عهده السعديين • وذكر هناك انه مات مع أحدهم • ولعله قتل مع السلطان محمد الشيخ الذى قتل معه أيضا بلدى له فقيه دغوغى وجانى سنة ٩٦٤ ﻫ ولم ار لهذا القاضى ذكرا فى غير هذا المحل • ويظهر انله مركزا عظيما • وأنه من القضاة السعديين الاكابر • أولاترى كيف يتصل بهم ؟ وقد علمنا جملة من قضاة الجزوليين اذذاك • فليكن هذا أحدهم بل من اكابرهم كما ترى • ولعلنا نجد متسعا من المعلومات عن (ءال عمرو) فنتوسع فى أخبارهم متى ذكرناهم ان شاء الله

ثم يجب ان ننبه على أن هناك فخذا أخرى تتصل بهذه الاسرة فى يوسف ابن يعقوب تقطن فى (ايكلى) برأس الوادى • وقفنا على ذكرها فى مشجر نسب مختل الوضع والترتيب • وذكر من رجالاتها الشيخ محمد بن محمد _ فتحا فيهما _ وأخاه مسعودا • وزعم أنمحمدا الذى سماه الشيخ ماتبسوس مع السلطان مولاى محمد بن عبدالله • ولعله المسلوخ الذىناصره السوسيون الى أن مات فى وادى المخزن • أولايمكن أن يكون محمد هذا هو القاضى المذكور ؟ كما زعم ان مسعودا المدفون بفاس هو جد الورحمانيين هنالك • هذا ماوجدناه الان • ولانقدر أن نعتمد عليه وحده • واياكان فاننا سقنا هنا ماعندنا الان عن هذه الاسرة العدنانية • مستقين من بعض مشجرات أنساب وقفنا عليها • وقد يوجد ماهو اوثق منها • ولكنها أفضل ما وجدناه • وعصفور فى اليد خير من عشرة فوق الشجرة • وهذا العلم علم الانساب علم شريف عند العرب • فرط فيه أهل هذه القرون • حتى صارت الاسر العربية عجمية بذلك • بل حتى كان العكس • ورحم الله الادوزى ابنالعربى فقد كانت له همة نحو جمع هذا الانساب العربية السوسية من أمكنتها متهيئا لجمع مولف فىذلك لم يتم بكل أسف •

ثم ان (ءال عمرو) الوجانيين نراهم هنا من أهل هذه السلسلة • ولعلذلك انشاء الله هوالثابت • بخلاف مايذكره ءاخرونمن أنهمواسلاميون أى شرفاء علويون حقا • ولكن منسلسلة نسب ءاخر غيرهذه • والواسلاميون

منتشرون فى (بمقيلة) و (رسموكة) كئال يحيا الوانكيفاوى • وكئال المحجوب بـ (رسموكة)

وبعد فأسرة ءال سيدى ابرهيم بن على التنانيين سنتعرض لعلمائها فى هذا الفصل نفسه ان شاءالله • والاسرة الوجانية الرئيسية التى لانعهد منها علما سنلم ببعض ماعندنا عن بعض رجالاتها فى (القسم الخامس) انشاء الله ان توصلنا بما يفيدنا عنهم • وأما هذه الاسرة التزنيتية المحمدية التى ظهر منها رؤساء وقواد وبعض علماء • فاننا سنتفرغ الان لعلمائها فقط • وأما رؤساؤها فسنرجع اليهم فى)القسم الخامس) انشاء الله • فانلرؤسائها الحسونين اتصالا بالالغيين تعارفا • ولاحمد بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ رياسة وهى من أجداد (ءالعمر) كما ترى ذلك فى السلسلة وعلماء هذه الاسرة قليلون لانعرف منهم الان غير هؤلاء :

الاول : الحسين البولوقتى

الثاني : احمد البولوقتي

وسياتيان معا فى سمط واحد • لانهما من جذم ءال بولوقت • وهم أناس كان جدهم الاعلى ساكنا حينا فى (اداوتنان) ثم الى (تزنيت) كما يوجد ذلك فى رسومهم

الثالث : احمد بن علي

هو أحمد بن على بن محمد بن يحيا بن مبارك بن على بن ابرهيم بن عمرالى أن اتصل نسبهم بتلك السلسلة • عالم حسن له ذكر فى النصف الاخير من القرن الماضى • ولاندرى عمن اخذ • ولانعرف من أخباره الا أنه كان شارط حينا فى مدرسة (الكريمة) بـ (الساحل) وقد توفى سنة ١٢٩٩هـ وبعض محرراته موجودة • ويظهر أنه مغمور بأمثال العلامة ابن الطيفور وان كان توفى قبله بأزيد من عشرين سنة ؟ أوكان له ظهور الأن أخباره لم تسقط الينا • وكأين من شهير لانعرفه الان • ومن شدة الظهور الخفاء •

الرابع : محمد بن احمد

ولد من قبله • عالم كبير القدر فى (تزنيت) وله جاه حسن وسعة علمية ولد نحو ١٢٦٠ هـ ومأخذه من مدرستي (بونعمان) و (أدوز) عن الاستاذين ابن العربى • وسيدى مسعود • وكأنه لم يلتحق بابن العربى الا اثر وفاة

والده بقليل . فانه اخذ اولا من (بونعمان) والا فيشب عمره عن الطوق حينئذ . ويؤتى لى انه ياخذ ايضا عن الاستاذ العربى نفسه قبل وفاته ١٢٨٦هـ لامارة لى على ذلك . ثم صار يشارط فى مدرسة (وجان) كثيرا . وكانت له هالة كبيرة علمية سنة ١٢٩٩ هـ فما بعدها وقد مثل بين يدى المولى الحسن فى وفادته الى سوس . فكتب له مانصه :

(كتابنا هذا السامى بالله قدره . النافذ بعناية المولى سبحانه نهيه وامره . فيستقر بيد ماسكه الفقيه السيد محمد بن أحمد بن على التزنيتى ويعرف منه أننا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . سد لنا عليه رداء التوفير والتعظيم والاحترام . وحملناه على كاهل المبرة وجميل الرعاية والانعام . وحررناه من جميع الكلف المخزنية . والوظائف السلطانية . بحيث لايوظف عليه من ذلك وظيف .. ولاتشمله قطعة تكليف . عدا ما اوجبه الله عليه من الزكاة والاعشار . فهو فيها كسائر الناس . اذلاسبيل عن اسقاطهما عن أحد . لكونهما حقين من حقوق الله . تحريرا تام الرسم نافذ الحكم والعزم . نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه . ولايحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . صدر به أمرنا الشريف فى ثانى رمضان المعظم عام ١٣٠٣ هـ) وفى الظهير الطابع المشهور .

ثم ان المترجم كان متصلا بالقائد الحسونى التزنيتى . فكان قطب الشرعيات اذذاك حكما وتحكيما . ومحررات أحكامه كثيرة جدا هناك . وقد كان ربما سافر الى الحواضر . ففى ١٢٩٩ هـ كان بـ (مراكش) يمير أهلهفى تلك المسبغة بالارز . وقد توفى ١٣١٥ هـ عن نحو سبعين سنة . ولم نقف لهعلى اثر يستحق الذكر . ولابد ان تكون له ءاثار . الا ان التفريطلعبدوره ومن عند ولده السيد الحبيب حفظه الله ادركت ما اودعته هناك .

الخامس : أحمد بن عبد السلام

هو أحمد بن عبدالسلام بنأحمد بنعلى . ابن أخى المذكور قبله . أخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم المقدمى . وبه تخرج فيه . ثم افتتح عند الاستاذ محمد بن عمرو التاموديزتى حين كان يدرس فى مدرسة (أدوز) نيابة عن العلامة ابن العربى . كما أنه أخذ أيضا عن ابن العربى نفسه . ولماتمكن فى العلوم . وجال فىالفنون وحصل فى مدارس (سوس) اشرأب الى استشفاف مافى مدارس الحواضر . فربض فى مدرسة (ابن يوسف) بمراكش ماشاء الله نحو عشر سنوات ولاريب أنه يشرب الكاس حتى ثمالتها . وأنه يستوعب استيعابا كبيرا . وكان يظن بهأنه سيرجع الى بلده . فيقر به عينا . ويتناول بهالمجد مؤثلا . اذا بنعيه صك ءاذانا من اسرته سنة ١٣٣٢ هـ فذهب مبكياءعلى

نجابته • فسافر أحد من اليه • فتوصل بمتاعه • فوجد فيه مايدل على انه دؤلى (١) يحسن الايكاء • وانه حازم فى لم كل مادخل يده • ولم نقف له على اثر • كان رحمه الله ذا ذاكرة وقادة فى القرءان حفظا وتفسيرا • حفظ كثيرا من التاليف كالعاصمية وخليل برمته وغيرهما من الفنون • كثير التبسم والمدارة مع الدانى والقاصى •

السادس : محمود بن محمد بن سعيد من (ايت محمد) أيضاً

فقيه مسكين متواضع تغلب عليه الوحدة وايثار الخمول • وهو وان اشتهر بأنه عالم من علماء البلد • ليس من المحلقين فى الجو • ولا من السابحين بين الامواج • وقد أخذ ماعنده من المعارف • عن العلامة محمد بن ابرهيم التامانارتى فى مدرسة (تانكرت) وعن العلامة سيدى محمد بن على فى المدرسة (اليعقوبية) الايلالنية • وقد أخبرنى من حدثه أنه كان محصوص الريش اذذاك • لايجد مايتبلغ به الا بكلفة • قال : فكان الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى ان ساح هنالك فى (افران) وكثيرا مايسيح فى تلك الجهة • لكون أصحابه الجماء الغفير فيها • من بينهم العلامة ابن ابرهيم المذكور — يعد دائما لتلاميذ الاستاذ الذين يلمون به فى العشايا فى القرى التى يبيت فيها مع أصحابه مائدة مادومة فائضة أو جفنة مكللة محلقية (٢) قال : فكنت انتابه فيمن ينتابه من الطلبة • وكانوا يقصدون منه الاسرار • وأنا لااقصد الاما أرفعه بالخمس — بهذه العبارة يعنى الاصابع من الكف — ثم يتاسف على ان فاز من معه بما فازوا به • فبقى هو بعدهم بيضة البلد • قال الحاكى • وكان يقص على كثيرا من أحواله اذذاك • وكان محببا اليه ان يثر بالحديث ان وجد من يرضاه لحديثه •

ثم اننى لااعلم له استاذا ءاخر بعد هاذين المذكورين • وقد اتصل بدار ءال القائد همو التزنيتى • فكان أحد علماء تلك المدينة • مع كونه مغمورا بأصحابه حتى أنه ليحكى أنه جلس مرة فى دكان يعتاد العلماء أن يجلسوا فيه فمر به أحد المجان • فنادى فى السوق — وكان الدكان فى السوق — أيها الناس تعالوا لتروا فلانا قد ظهر بمظهر العلماء • ثم ما نال مظهر العلماء الابطول العمر • وبعد ماشفرت البلدة من العلماء يريد بذلك ان يضحك الناس • مع أن مثله فى فضله لايليق به مثل ذلك • ثم انه شارط حينا فى مدرسة (تزنيت) ويذكر أنه هو أول من اعلن ببيعة الامير الهيبة فى خطبة الجمعة هناك • لان الاعراب حملوه على ذلك مكرها •

١) نسبة الى ابى الاسود الدؤلى المشهور بالبخل • وهو من التابعين
٢) نفى الذم عن ءال المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

ذلك هو سيدى محمود الرجل الصالح الهين • الذى يعتاد فى ءاخر عمره أن ينتبذ عن الناس فى العشايا • فلا يجلس الا وحده فى بيدر من بيادر البلدة ازاء مسكن أهله • وعلمه على كل حال وسط • بل رأيت من يفضله على فلان الذى له شفوف عليه • والدنيا وكل ماإليها حظوظ • توفى رحمه الله فى السبت ٨ شوال ١٣٤٣ هـ ولم يعقب الا بنتين التحقتا به قبل الزواج •

السابع : الحسن بن سعيد بن بيهي

من مشاهير فقهاء (آيت محمد) الشرفاء • وءاله يسمون (ءال سيدى سعيد بن بيهى) ولد ١٢٨٠ هـ وأخذ القرءان عن الاستاذ سيدى ابرهيم المقدمي • وبه تخرج • ثم افتتح عند الاستاذ سيدى مسعود المعدرى فى (بونعمان) وكان لدة الاستاذ عبد الرحمن العوفى فى المدرسة • ومن طبقته فى الاخذ • وقد كان ذا اجتهاد فى وقت أخذه • يسابق العوفى • وسيدى أحمد بن مبارك الدشائرى • وأمثالهما من نجباء لداته • وقد كان ممن جاء معهم الاستاذ الى مدرسة (المعدر) حين أخلى (بونعمان) لولده سيدى محمد • فلم يزل معه حتى استوفى منيته • وأشبع نهمته • فصدر بمشاركة حسنة فى العربية والفقه • والفرائض والعلوم التى يزاولها أستاذه المعدرى • وقد كان فى المدة التى قضاها فى مدرسة (المعدر) له ذكر فى فض النوازل • فيقصده الناس على توفر علماء فى (المعدر) فدل ذلك على شفوفه • وقد بقى هناك حتى استدعاه القائد همو التزنيتى نحو ١٣١٦ هـ فصار كاتبه الخاص بل مستشاره وكاتم سره • يورد القائد ويصدر بمشاورته حضرا وسفرا • وحين توفى القائد سنة ١٣٢٥ هـ صيره رؤساء تزنيت رئيسهم الاعلى • فقدموه على انفسهم • لما كانوا ءانسوه منه عهد القائد • فصار المقدم بين رؤساء (تزنيت) اذا أطلق لاينصرف الا اليه • وقد كان ذا رأى وحنكة وتدبير زيادة على الشجاعة ومتانة الاخلاق • وقد بقى عزبا الى اخر حياته • وفى يوم تسابق فيه فرسان (تزنيت) الى (باب آكلو) من أبواب (تزنيت) حين حاصرها الاعراب سنة ١٣٣٢ هـ فواقع فرسانا من الاعراب • فسقط قتيلا • فأثرت وفاته فى أهل (تزنيت) تاثيرا كبيرا •

الثامن : الحسين بن محمد

عرف بالحسين من (ءال أوبيهى) وهو الحسين بن محمد بن عبدالله بن بيهى بن الحاج • اخوان (بنى أوعامو) الشرفاء المحمديين • ولد سنة ١٢٨٨ هـ وجود القرءان على الاستاذ الفقيه سيدى أحمد بن مبارك الطحانى • وعلى بعض أقرانه من التزنيتيين • ثم مثل بين يدى سيدى مسعود فى مدرسة (بونعمان)

فاخذ عنه جملة وافية • كان بها عالما وسطا • لم يكن مجليا ولا سكيتا • وقد وصفه العلامة الاديب سيدى أحمد أوعامو بقوله (كان من العلماء العاملين المشتغلين بمايعنيهم • التاركين مالايعنيهم كريم الخلق • كثير المفاكهة والنوادر مع الطلبة فى المدرسة وخارجها • ملازما للصف غدوا وعشيا • ويحضر الحزب الراتب فى المسجد دائما • وكان لايزاول أشغاله الضرورية بيده • فلايرى الا فى داره وفى المسجد • ويتبسم فى وجه كل أحد كبيرا وصغيرا • وكفاه مزية دخوله تحت فضيلة حديث السبعة أصحاب الظل ورجل قلبه بالمساجد • ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما انفقت يمينه • فانه كان أيضا كثير الصدقة سرا • وتغلب عليه المداعبة • فان سئل بجد عن مسألة أجاب • وان انس مداعبة دخل فيها • وكان يعظ الناس فى المساجد • ويقص عليهم القصص التى تدل على ذلك خصوصا فى رمضان • قال الحاكى وبكل أسف كنت فرطت فى جمع نوادره فى حياته •

والمرء مادام حيا يستهان به ‏ ‏ ‏ ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وكان معاشه من غلل املاك له فيقنع بها • وكانت وفاته يوم الاحد ١٢ شوال سنة ١٣٦٠ هـ ولم يعقب

التاسع : إبراهيم بن احمد

اشتهر باسم (كافقا) الوفقاوى وصفه الاستاذ السيد احمد الناظر ابن عمه بقوله (عالم جليل تقى نصوح للعباد • خصوصا الطلبة • فكثيرا ما يحضهم على التعليم • والصبر على الاستتمام • وله مشاركة من الفنون • اخذ عن سيدى مسعود • وهو من التلاميذ الاولين عنده • وكان كما يواخذهم بالتعلم ويميل بهم الى التوجه الى الاذكار • لتحسن نياتهم • وليتدربوا على لزوم الصدق دائما فى كل أحوالهم • فظهر أثر ذلك فى المترجم لما رجع فتصدر للفتوى • ولرفع الراية التى يرفعها العلماء بين الناس وقد سار فى ذلك الميدان أشواطا • الى ان ابتلى بزوج لسوء حظه • فكانت تسىء اليه كثيرا حتى انها لتمزق كتبه عمدا • فصابر ماشاء الله • حتى اذا لم يجد لها من دواء طلقها • بل طلق بلده ومسقط رأسه • فغاب وغابت أخباره • حتى وصل خبر بأنه مشارط فى مدرسة بـ (اسافن نيت هارون) فطاب له المقام هناك •

اذا كان أصلى من تراب فكلها ‏ ‏ ‏ بلادى وكل العالمين أقاربى

ففى تلك المدرسة أبدأ وأعاد فى التعليم والارشاد • الى ان لقى ربه حوالى ١٣٢٠ هـ وكان متواضعا • مائلا الى الخمول • على غرار أخلاق شيخه سيدى مسعود • ووالده أحمد هلك فى وقعة (العوينة) التى ذهبت بغالب

رؤساء تزنيت • وجل اهل (اكلو) وقد وقعت ١٢٩٥ هـ • هكذا اخبر الاستاذ المذكور • ثم قال ان بعض كتب المترجم صارت الينا كالجزء الثانى من شرح ابن عصفور على جمل الـزجاج • فى سفر ضخم • ثم قال • ان المترجم ليس من صميم (أيت محمد) وانما هو من سلالة (ادمكنون) حلفاء (أيت محمد) • قلت سبق لى ان ادخلته بين هؤلاء مع أنه ليس من شرطنا • ولكن نتبع اخانا الاستاذ فيمافعل • ولعله أخذ فى ذلك • بحديث (سلمان منا أهل البيت) ومثل هذا يقال فيمن يليه

العاشر : الحسن بن أحمد بن علي

ممن أخذ عن سيدى مسعود أيضا • كان قرين من سبق قبله • من الاولين ولكن هالته العلمية ضيقة • وقد وقف الاستاذ المذكور على بعض اثاره القلمية • فعلم من ذلك ان معارفه وسطى • لكنه اناخطاه التوفيق فـى التضلع فى العلوم • فانه لاحظه فى الرجوع الى الله • فملا المساجد التـى يشارط فيها بـ (أيت برايبم) بتعليم كتاب الله وبارشاد العوام • وفى كتابة الرسوم بين المتبايعين • قال الاستاذ وقفت له على رسم مورخ بـ ١٢٨٩هـ ولايدرى متى كانت وفاته ولعله بعد مفتتح هذا القرن

الحادي عشر : سيدي محمد أوعامّو القاضي

هذا هو اليوم قطب القضاة الرسمى فى جنوبى سوس • وآتاه الحظ بحسن نيته • وطيب سريرته • فكان شمس تلك الدائرة • يستنير به كل من اله قلم يجول فى الاحكام والعدلية • وهو حسنة من حسنات (سوس) اليوم ١٣٥٧ هـ

مأخذه للقرءان

افتتح أولا عند الاستاذ احمد بن مبارك فى مسجد قرية (أيت محمد) وهو من ءال أوعامو • وهو طالب خير مذكور بحسن السيرة • توفى نحـو ١٣١١ هـ وليس بالفقيه أحمد بن مبارك الطاحونى الشهير • ثم عند الاستاذ سعيد من (بنى عدى) من أبناء عمومته • وكان يتقن حرف البصرى والمكـى من أصحاب القارىء المشهور الاستاذ محمد بن الحسن الماسى • ثم عن ابرهيم المقدمى من بنى عمومته أيضا • وقد توفى نحو ١٣١١ هـ وعن عبد الكريم من (أيت يعزى وهدى) صهر الفقيه محمد بن عبدالرحمن الاغرابويى الشهير • له المقام بالمعارف • وهو صالح مذكور بكل خير • وقد ذكره الاستاذالرفاكى فى روضته بقوله بعد ان ذكر الفقيه الاغرابويى المذكور •

(ومنهم صهره على بنيه الطالب الابر • الصفى الاغر • سيدى عبد الكريم بن أحمد منذرية (يعزىوهدى) ادخله على بنته فى داره • وجعله من جملة اولاده وأنصاره • فتركه فى عشه • الى ان حمل هو فى نعشه • ١٣٤٨ ﻫ فى جمادى الاولى • وتزوج عنده بعد ١٢٩٠ ﻫ وقد حضرت فى وليمته • ولم يترك هو أيضا الا بنتا واحدة)

ثم ان المترجم انتقل الى مسجد (زوزض) فى (أيت همان) بقبيلة البرايميين • فلازم هناك الاستاذ الكبير أحمد بن محمد من (ءال سيدى عمر) البونعمانيين • وقد كان يتقن حرف حمزة وغيره • واشتهر كل الاشتهار بالجد فى التعليم • وقد كان حينا فى مدرسة (أوطاها) بحاحة • ومن خط القاضى المترجم فى صفحات جمع فيها وفيات • وفى فاتح ربيع الثانى سنة ١٣٥٤ ﻫ توفى شيخنا الاستاذ خديم القرءان العظيم الورع • ابو العباس سيدى أحمد بن محمد ابن سيدى عمر بن الحاج • بتحت ذراع (بونعمان) التيزكيبى البعقيلى اصلا • البونعمانى وقتا • فالله يرحمه الرحمة الواسعة؟ وقد كان هذا الاستاذ متقنا للسبع عند الضحاكى • ثم كان من الاخذين عن سيدى مسعود معارف حسنة • وهذه الاسرة العمرية أسرة جليلة يستوفى فيها الكلام فى هذا القسم نفسه ان شاءالله فى ترجمة سيدى الحسن منهم وبهذا الاستاذ كان القاضى فى أخذ القرءان اختتم وكان ختامه مسكا •

مشيخته في المعارف

الاول : الحسن الراسلوادي

١ ــ الحسن الراسلوادى

قد افتتح عنده المترجم • فأخذ عنه أخذا ما • أخذ عنه الاجرومية • والمرشد • وجمل المجرادى • ومنظومة الزواوى • وقواعد الاعراب لابن‌هشام ولامية الافعال فى التصريف لابن مالك • وبعض الالفية • قال : انني لازمته سنة ونصفا فى (ايمى نترگا) (فم الساقية) من قبيلة (أكلو) قال المورخ الرفاكى فى (روضته) عن هذا الاستاذ بعد ان ذكر أستاذه محمد بن على

قال المؤرخ عن سيدى الحسن :

(ومنهم تلميذه الفقيه العلامة الورع الحبى الوقور الناسك العابد • سيدى الحسن الراسلوادى • وبه يسمى • تزوج بنت شيخه • فاقامه‌مكانه يدرس الفقه والنحو والامهات الصغار وأما الاصول والبيان فليس بعشه ولا ادعاه • فهو خديم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • ومقدم الزائرين

رأس كل عام الى (تيمگيدشت) من حيث الاسرار تمتار • والاشرار تضار • ودام على ذلك • وعض عليه بالنواجذ • فظهرت فيه البركة • وهى الاستقامة الى أن توفى بـ (هشتوكة) بمدرسة (ابن جرار) عام ١٣٢٣ ﻫ فلم يعقب الا بنتا • ولم يورث مالا • بل لمن صحبه حالا • فهو الى التجرد أميل • ليس فى أمور الدنيا أحيل • رحمه الله)

وقد رأيته أيضا مترجما فى (تحلية الطروس) للاستاذ ابن الحبيب الجرارى فقد قال فيه :

(ومنهم تلميذه ـ يعنى محمد بن على الاكلويى ـ الفقيه البركة • المحمود فى السكون والحركة • أبو على سيدى الحسن من رأس الوادى • به علم • كان من الورع والزهد فى غاية عالية لاتدرك • قام مقام شيخه المذكور فى تدريس العلم • مقدما فى الطريقة الناصرية دؤوبا على زيارة (تيمگيدشت) فى رأس كل سنة • ولا يركب لها • بل يمشى على رجليه • فظهرت عليه بركة أشياخه • وورث سرهم • وكان لايشرب الاتاى زهدا فيه • ولا يحرث مستقيما على دينه • حتى توفاه الله بمدرسة (ابن جرار) بهشتوكة عام ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف ولم يخلف الا بنتا) •

فذكر كما رأيت أن للراسلوادى قوة يمشى بها على رجليه الى (تيمگيدشت) فانتقد القاضى المترجم ذلك قائلا : بل انه ضعيف البنية • لا يمشى الا راكبا • وقال فى وصفه : انه قصير رقيق • كأنه اذا اضطجع طائر • خصوصا ان انكمش • وكان فى مشيته فى محله • يشمر على ساقيه ويجمع اليه ثيابه •

اقول حدثنى الفقيه سيدى عبد المالك التنانى أن الحسن هذا يقال له فى تلك الجهة سيدى الحسن الافتاوتى • نسبة الى أصله فى (رأس الوادى) ثم أخبرنى غيره بأنه كان معتقدا كثيرا • حين كان فى (ابن جرار) وان الهشتوكيين ارتضوا حكمه بينهم فى أشياء • ثم أرانى بعض رسائله الى الفقيه سيدى على السباعى • وهى كلها بسيطة نذكر منها بعض ما ربما يستحق الاعتناء • منها :

(الاخ فى الله الفقيه الاجل سيدى على بن الحبيب السباعى • السلام عليك ورحمة الله وبركته • وبعد فاسهم لنا يا سيدى من دعواتك • ثم أحب منك ان تقف عند شيخ البلدة سيدى عبد الرحمن • لينظر ما يقوله حامله فى حقلته • فان الرسم الذى رأيته عنده صحيح • وقد أدلى الى بحرمة أشياخى فقرأته له • وان لم أكن آلف الدخول فى أمثال هذا • والآن اشفعوا توجروا والسعى الحسن للضعفة عبادة :

تعلم رعاك الله أن شفاعــة لكل ضعيف الكـف خير العبادة
لــذا كانت الاشياخ تشفـع كلما تطلبهـم مرء وهـم خـير سادة

والســـلام .

ومنهـــا :

(الى الاخ فى الله ابى عبد الله سيدى على السباعى . بل ابى الحسن . السلام عليك وعلى حضرتك . ورحمة الله وبركته . أما بعد فخذ ياسيدى الكتاب . فقد قضيت فيه الغرض . وان كانت عندك نسخة صحيحة مـن (أم البراهين) وشرحها . فاعطها للحامل . ثم أعلمنا متى رئى هلال العيد فـان الناس عندنا مختلفون . والمسبعات العشر كنت أخذتها عن اشياخى وأذن فيها لتلميذك سيدى الحسن الحاحى . فانه كتب الى فى ذلك . وادعوا لنا معا بكل خير . ولله در القائل :

انما الخير بالدعاء من الاخـــــوان لاسيما الالى الفضلاء

والسلام .)

نكتفى بهذين الاثرين للتبرك بهذا الرجل الصالح . الذى يستمطر بمثله المطر . وأما شيخه الاستاذ محمد بن على الشهير فانه وتلميذه الحسن المذكور من جذم واحد . كما ذكر لى القاضى . وهو اد حميدتش بـ (أكلو) . وانما انتقل آل الحسن الى (أفتات) . وقد قال الاستاذ الايكرارى فيه :

(ومنهم سيدى محمد بن على المدرس من قبل ١٢٩٥ هـ فى مسجد (السقاية) (ايمى نترگا) بـ (أكلو) وهـو من اد حميدتش . يد طاع – كذا بتذاكير اليد – فى عداد (أكلو) منهم على بن بترو وقال – اى على ابن بترو – . أنا الذى يأخذ الظلم حتى يعود حقا . فمات فى حبس (تزنيت) (فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين) . وهو – أى صاحب الترجمة – فقيه دين خديم للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم. فهو من بركة (تيمكيدشت) فقيه , قرأ وسلك عـلى الناصرية فلم يكن مـن لداتى . ولم استحضر مـن مناقبه الا أنه دام على الاستقامــة للموت عام ١٢٩٦ هـ فلـم يعقب من ورث علمه . ولا أدرك من محاسنه ولوقلامة . لا تترك الجمرة الا الرماد . فقلما ينجب بعض الاولاد ، أو أحفاد الاحفاد . سنة الله فى أرضه . فى طولـه وعرضه (كذا بتذكير ضمير الارض) انتهى وقد ترجمه أيضا المـؤرخ ابن الحبيب الجرارى بقوله :

(ومنهم الفقيه النحوى الاصولى سيدى محمد بن على الجلوى المدرس بـ (أكلو) بـ (فم الساقية) فقيه دين مكثر للصلاة على النبى صلى اللــه

عليه وسلم . قرأ بـ (تيمكيدشت) واخذ الطريقة الناصرية بها فلم يعقب ولـــدا) .

أقول ان هذا العلامة الكبير أحد كبار المتخرجين بالشيخ أبى العباس التيمكيدشتى وبابنـه سيدى الحسن . وقـد قام بالتدريس فى مدرسـة (ايمى نترگا) فى قبيلة (أكلو) فخرج هناك أفرادا . كما أنـه كان درس قبل ذلك فى (عين المزاور) بـ (هوارة) . وله هناك تلاميذ واخبار عن اجتهاده فى التدريس . لا يزال اها طنين ودوى الى الآن . ومما استفدته هناك أنـه كان يوما مع علماء هواريين . فتداولوا يوما بينهم أخبار رسول اللـه صلى الله عليه وسلم . فصار المترجم يملى عليهم من ألفية العراقى السيريـة . وكان يحفظها . فقال قائل منهم . لا والله لا نتفرق حتى نكتبها عنكونأخذها فبقوا فى دار كانوا فيها عند بعض الكرماء أياما . فكان يشرحها لهم . وقد بعث الى محله . فأتى ببعض السير . وأحسب ان من حكى لى ذكر انها سيرة ابن سيد الناس . أو سيرة ابن‌هشام . فاقترحوا عليه ان‌يشرح لهم الارجوزة ففتح الشرح هناك . ولعله اتمه بعد ذلك . وقد قال اذذاك هـذه القصيدة النبوية .

حمدا لبارىء كل الخلق مـن عدم ... مولى المكارم فضلا منه والنعم
مـن رفع الامـة الاخرى وفضلها ... على سواها من السباق فى الامـم
أتـى اليها بديـن مجتبى وهدى ... كـالنور يسطع فى حنادس الظلم
على يدى خير خلق الله اجمعهـم ... وسيد الرسل خير الناس كلهـم
من اجتباه نبيا قبل خلق جمـ ... يع‌الكون لم‌يخرجوا من‌بعدمن‌عدم
سلسله من سلاسيل مطهرة ... مبرءات مـــن الادران والـوصـم
جميع ما كـان فيها مـن مناكحة ... بـار من العيب بل‌جار على‌اللقم [1]
ادبه ربه فصار افضل مـــن ... يمشى علـى هـذه الغبراء بالـقدم
خير الاروم وانقاها أرومـتـه ... بنو معد اجل الناس فـى الذمـم
من مثله فى بنى حواء كلهم ... من مثله بين كل العرب والعجـم
اتى وقد سدل الفكر الذيول ولا ... دين يسوق الورى لبارىء النسم
فبيض الاوجه الغرالصباح بـمـا ... اتى به من هدى فى سائر الامم
قد اقتفاه صحاب عز مثلهم ... اذا جرت ملحمات فى الوغى بدم
فسل تبوك وبدرا بل وسل أحدا ... ثم حنـينـا تصخ لاعظم الهـمـم
والخندق اللذ حوى نصرا به عجبا ... يعجز عن وصفه الافصاح من‌قلمى
مازال خير الورى فى فتح اعين‌من ... عموا الى ان رأى سلما بوعظـهـم
حتى مضى افتديه بالجدود الى ... اعلى الجنان ودين الله فى نـظـم

١) اللقم محركا . الطريق اللاحب .

جـزاه عنا الاه الناس خـير جـزا　　فشكره ليس يوفي عشره بفـمي
أزكى الصـلاة عليه والسلام مـع　　الاصحاب مع ءاله طرا ذوي الكرم

ولا أكاد اشك انه تذكر حين قال هذه القصيدة على روى الميم قصيدة نبوية ميمية للشيخ الحسن التيمكيدشتي ، وقد ذكرت في ترجمته بيـن التيمكيدشتيين ، الا ان نفس ابن علي أفضل من نفس الشيخ ، يظهر ذلك بالمقابلة بين الميميتين ، وهذا يدل على ان لابن علي يدا في البلاغة غير قصيرة ولو كنا رأينا له غير هذه الميمية لازددنا به معرفة ، وقد وقفت على بعض ءاثار له ، أحدها الى القاضي سيدى عبد الكريم الرداني ، نصه ،

(فعلى الاخ في الله ، والمحب من أجله ، الفقيه النبيه قـاضي الجماعـة السيد الهمام عبد الكريم بردانة حرسها الله باظهار أنواره الازلية عليها ، وعلى من اشتملت عليه من الخاصة والعامة الاحياء والقائمين السلام والبركة والرحمة عن خير مولانا ايده الله ونصره ، من أخيكم الضعيف محمد بن علي الجلوى ، من غير معرفة الاسم والعين بيننا وبينكم ، ولكن معرفة القلب اولى لان الله تعلى انما يقبل من القلب أو يرد عليه ، كما هو في كريم علمكم ، وبعد فان الحامل السيد عمر الكرنى أخونا ومحبنا ، بل بضعة منائر يد من الله ومن وجهه الكريم ، ومن فضل الله عليكم ان نقف معه وقوفا مرضيا عند الله ، وعند أهل الله ، فانهم معه فلاتشك ولاترتب ، وعلى هذا فقد أدخلناك في سلك أهل محبتنا وأنت كذلك ولكن القرطاس لايضيع ، بـل يكون في جيبك أو مايقرب منك وعوضه ترسله الينا نشم منه رائحتك ، ونستفيد من بركة الفاظك ، فاننا ممن منح لهم الله من الظهور ، ونحمده ونشكره على ذلك ، هذا واني سائلكم الدعاء والسلام)

وثانيها هذه الرسالة :

(فعلى الاخوان كافـة قبيلة (ءال ساسو) عموما وخصوصا ، السـلام والرحمة والبركة عن خير سيدنا أيده الله ونصره ، من أخيكم الضعيف محمد ابن علي الكلوى ، وبعد فاني احمد الله لي ولكم على كل حال ، وأوصيـكم واياي بتقوى الله العظيم التي هي امتثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، قولا وفعلا واعتقادا ، قال تعلى (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم ، لايسلمه ولا يظلمه ، وقال أيضا المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقال ايضا لايبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى يحب لاخيه المومن مايحب لنفسه ، وقال أيضا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، الا فتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون ، وخذوا بيد المظلوم حتى ينتصر من الظالم ياخذ حقه منه ، وهذا فلان لابدان تجولوا

بين أخيكم سيدى محمد بن عبد الله وأهل (تييفتوت)حتى يتحاسبوا • ويرد الظالم منهما للمظلوم مظلمته • ولاتهملوا امره لئلا يتسع عليكم الخرق على الراقع • ولكن انظروا الوجه اللائق بينهما • واحملوهما عليه رغما على انفهم قال تعلى (وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) الخ (ان اللهيحب المقسطين) (تنبيه) ماذكرناه من المدرسة وبنيانها • وجمع مايقوم بشأنهامن نصف أعشار زرعكم أوثلثها أو ربعها • لابدمن ذلك واعتقدوا ان الله تعلى اختاركم لخدمته • ولذلك عرض لكم هذا المقام • فاخدموه بنية وجد وحزم وعزم تربحوا وتفوزوا والخير تشتركون فيه أنتم وأولادكم ومن شاء الله بعد الى يوم القيامة • ولاترضوا بخدمة حزب الشيطان • وهو القيام بأموالكم وأنفسكم فى الفتن بين المسلمين • فان هذا عياذا بالله من الزيغ بعد الهدى وضلال وهلاك عام • فمن أعاننا على هذا الخير أعانه الله • وأعقبه خير الدنيا والاخرة • أصلحكم الله ووفقكم وبارك فيكم وجمع شملكم بالنبى وءاله هذا وانى أسائلكم الدعاء والجواب والسلام)

ثم وقفت على تعزية الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتى فى تلميذه هذا نصها :

(أحبتنا فى الله تعلى كافة اخوان الفقيه البركة المرحوم بكرم اللهسيدى محمد الجلوى واولاده وتلامذته السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا ايده الله ونصره • وبعد وصلنا خبر وفاة الفقيه قدس الله سره • فاصبروا اخواننا لقضاء الله كما صبرنا • واحتسبوا كما احتسبنا • انالله وانا اليه راجعون • عظم الله أجرنا واجركم فيه • وارتحلوا عن الخلق الى الحق تعلى • واصرفوا همتكم الى مافيه همة شيخكم من تقوى الله • والوقوف عند حدود الله • والعمل بما انزل الله • واقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وشدوا العضد على ولده • وراقبوا فيه احسان والده اليكم • أداء لبعض مايجب عليكم • ثبتكم الله وأصلح بمنه أموركم وعلى محتكم التامة ونسئلكم صالح الدعاء • والسلام فى افتتاح جمادى الثانية عام ١٢٩٦ هـ الحسن بن احمد بتيمكيدشت) وله اخ يسمى ابرهيم • علامة جليل اخذايضا عن الشيخين سيدى أحمد وولده سيدى الحسن • وهاك اجازة من الاخيرمنهما:

(الحمد لله الذى فضلنا بالعلم والعمل • وخصنا بهذه الملة الاسلامية التى هى اشرف الملل • والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المرسل وعلى ءاله وأصحابه الاجلة الهداة أمثل من عدل • اما بعد فقد سألنى الفقيه الاعدل العلامة الامثل سيدى ابرهيم بن على الجلوى أن اجيز له فى جميع ماقرأه علينا • او سمعه لدينا • من جميع الفنون العلمية المتداولة بين الاقران فى هذا الزمان • فاجزته بعون الله اسعافا له • وتنشيطا له • وأذناله فى التعليم والارشاد • وان ينقل عنا • ويسند الينا رواية مايرويه عنا • اجازة مطلقة

عامة فى سائر الفنون • فقها ونحوا وبيانا ومنطقا وفروعا وأصولا وحسابا وفرائض • والحديث والتفسير • وغير ذلك • وذلك بشرطه المقرر عند أهل هذا الشأن • من تقوى الله • وقول لاأدرى فيما لايدرى • فقد روى انها نصف العلم وأوصيه بالتقوى • ولزوم السنة والثبات عند الحق • والدعاء السيء سدده الله واصلحه • وعلى يديه • وقد رضينا عنه رضا تاما • واسندناه لولاية الله ورسوله • فنسئل الله العظيم بجاه نبيه الكريم • أن يتولانا أبدا وبه فى افتتاح ذى الحجة الحرام عام ١٢٧٩ هـ عبدربه تعلى الحسن بن احمد الميمونى بتيمكيدشت لطف الله به ءامين)

ثم هاك أيضا ما وقفت عليه مكتوبا يوم وفاته (وفى يوم الاحد الذى هو الوافى تسعة وعشرون يوما من جمادى الثانية توفى شيخنا العالم العلامة • الفاهم الفهامة • مربى المريدين • وتاج العارفين • رحمه الله ءامين • أبو سالم سيدى ابرهيم بن علي الاكلويى دارا ومنشئا • البعقيلى أصلا • تغمده الله برحمته • وجعله من أوليائه الابرار وترك لاخيه — يعنى "محمد بن علي المذكور — خمسا وستين عالما حاضرين لمماته • ويبكون ليلا ونهارا حتى كادوا يموتون بالبكاء • ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم • وكتبه تلميذه الذى هو ابن عمه الحسن بن أحمد الاكلوى اصلا ودارابا وفتت تغمده الله برحمته بتاريخ عام ١٢٨٢هـ) والحسن هذا هو الراسلوادى المتقدم • فهؤلاء اذن اسرة علمية نعلم منها ثلاثة علماء • ولا يعلم الا الله من خفى عنا منهم

ب — الاستاذ مسعود المعدري

هذا هو الاستاذ الثانى للقاضى محمد اوعامو فى المعارف •

أخذ عنه فى مدرسة (المعدر) أخذا قليلا جدا • قال وقد وجدت عنده اذذاك طلبة كثيرين • من بينهم طلبة استتموا عند ابنه الاستاذ محمد فى المدرسة (البونعمانية) أرسلهم الى والده • ليكون توديعهم على يده • وكانت تلك عادة ابن مسعود مع والده • تأدبا معه طوال حياته • قال • ممن بينهم الفقيه أبوزيد العوفى • والاستاذ محمد بن الطيب التنانى • والفقيه احمد بن مبارك الدشائرى • والسيد الحسن بن سعيد التزنيتى •

ج — الاستاذ الحسين الازاريفي

قال نزلنا فى مدرسته على نية أن نلازمه • فإذا هوأعمى • وولده الاستاذ محمد • هوالذى يتولى السرد على والده فى البخارى بعد العصر • وطالب نجيب ماسى من (ايمحمودن) يدرس الرسالة فاخذنا على الجميع قليلا • وقد تبركت عند الاستاذ الحسين • فافتتح لى الاجرومية • ثم غادرت مدرستهم الى (بونعمان)

د ـ الأستاذ ابن مسعود

لازمه في المدرسة (البونعمانية) من ١٣١٤هـ الى ١٣٢٧هـ فاخذ عنه أخذا كثيرا في كل الفنون نحوا ولغة وتصريفا وفقها وأصولا وبيانا وحديثا وتفسيرا وكان يلازمه ملازمة تامة • وكان أحد البارزين من طلبة (بونعمان) اذذاك • فكان يقف مع الطلبة وهو أحد رؤسائهم على كل أشغال الاستاذ الحصادية • وعلى جمع الشرط في غالب المدة التي لازم فيها الاستاذ • وقد كان متزوجا بأيم كان أحد أهله توفي عنها • فاقتضت مصلحة الاسرة أن يبادر بتزوجها • وهذا هو السبب حتى غادر المدرسة بنفسه فقط • من غير ان ينقل متاعه من بيته سنة ١٣٢٧ هـ فانه لايزال يتمنى لوعاد اليها • ولكنه سرعان ماأتت أمور لفتت نظره الى مزاولة القضاء بين الناس • ثم مانقل متاعه وكتبه الا بعد وفاة الاستاذ في ربيع الاول ١٣٣٠ هـ

مختلف أخبار تقلباته

كان انتشب في مزاولة النوازل • بمجرد مافارق المدرسة • سنة ١٣٢٧هـ لما له من الجاذبية • لانه يألف ويولف • وجنابه اللين • وخلقه الفسيح • ووجهه الطليق • تحببه للناس • مع مركز اسرته (آل أوعامو) السامي بين التزنيتيين • وقد كان مبارك أخوه بينهم بهمة من بهمهم • وصمة مذكورا في كل الميادين • فنال بذلك زعامة • فورثهما منه المترجم • الا انها زعامة علمية موسسة على القلم والقرطاس • وقد وقفت على رسالة كتبها الى استاذه ابن مسعود يسأله عن رأى ظهر له في نازلة • يستوضح منه الحق • أهو موافقه لرايه فيها أم لا ؟ فأجابه الاستاذ ضمن الرسالة التي بين له فيها الحق في النازلة بابيات نصها :

أهم ما على الفقير ذكر وعزلة تنير
وان أبى تركه أهل الخصام في سعير
والاشتغال بالفتاوى قيل ذا من الغرور
أتحفنا الله جميعا بحبور وسرور
وبانقطاع واتصال وانشراح في الصدور

ووقفت أيضا على رسالة ارسلها اليه أيضا • جوابا عن كتاب أهداه اليه المترجم نصها :

(أخونا في الله تعلى • الفقيه سيدي محمد بن أحمد أوعامو التزنيتي كان الله لنا ولكم • وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته • تعم جميع

أحوالكم . هذا . وقد وصل مابعثت به من جزء (شرح المنار) فالله‌تعالى يتقبل منك . ويثيبك على ذلك اتم العرفان . وأكمل الرضوان . وعافية‌الدارين ءامين ولاتعد الى مثل ذلك . فان الكتب ءالةيستعين بها كل أحد . وان قدرت على مذاكرة مع بعض من له رغبة فى ذلك . فهو خير مـن تعطيل الوقت . والعلم يزداد بأمرين . استقامة على طريق السنة النبوية . ومذاكرة مع‌صلحاء أهل الطوية . والمذاكرة فى الدار . وفى سقيف مسجد (أيت "محمد) فـى شىء‌من الحديث النبوى . والفروع الفقهية على الاتصال والدوام . خير مـن تضييع الوقت . والاستخارة فى جميع الامور سباحة الخيرات . كان الله لنا ولكم . وسددنا والطف بنا ظاهرا وباطنا . ءامين والسلام)

هكذا كان نظر أستاذه اليه . أن‌يجمع اولاهمته على‌الله . ليذوق‌مذاق العارفين لربهم . حتى لايشغله مقام . ولايستفزه تطلع الى مركز . ثم ان يقبل على نشر العلم بين الناس . فيفيد أهله ماكان استفاده فى رحلته. غير أن‌الرياح تجرى بما لاتشتهى السفن . فان صاحبنا لم ينشب ان ارتطم الى عنقه . وذلك أنه كان يتمشى فى ذلك الميدان ـ وماخلق الا لذلك الميدان ـ رويدا رويدا . الى وسط ١٣٣٠ هـ فجاءت دولة الشيخ الهيبة فكان هو ورفيقه بارزين فى (تزنيت) كقاضيين فى عاصمة الامارة . فأبدآ وأعادا . وذلـك الرفيق هو لدته الفقيه سيد الحسن العفيانى المقدام . فانه أيضا كما تخرج من المدرسة (البوعبدلية) . فتجاريا معا كفرسى رهان . واللسان وتخطيط الخطط لهذا المقدام . وصاحبنا يزين جرءة رفيقه بتؤدته . وحسن تلطفه . وعـدم مشادته . فكانا ككفتين . فى كل واحدة منهما ماينقص الاخرى . فتمثلا بشرا سويا وذاتا واحدة . فلم يزل ذلك دأبهما فى النصف الاخير من سنة ١٣٣٠ هـ الى أن أخرج الشيخ النعمة من (تزنيت) أواسط ذى الحجة فبقيا فى مركزهما . ترجع اليهما نوازل القبيلة . ولهما من بين رؤسائها أعضاء وعيون . ثم لما جاء زمن القائد ابن دحان . كانا أيضا فى‌ذلك‌المركز عنده . يوفر لهما العطايا . ويشيد بمراكزهما . ويتخذان مقعدا ساميا فى محله دائما . فى كل وقت طعام . غداء وعشاء . فتسلسلت سعادتهـما . وحالهما حالهما . الفقيه العفيانى فى الطليعة باقدامه وصراحته . وطلاقة لسانه . وعدم رعايته الا مافيه فائدة مركزهما . وصاحبنا يحافظ على خط الرجعة . وهو كيس ينفق بمقدار . وقد كانت املاك أهله متسعة . فحافظ عليها . وهو يسرب الى اشغال الاسرة اخوته الذين نشأ غالبهم تحت يده . من بعد عام ١٣٢٠هـ وقد خلفه عليهم والـده . ووصاه عـلى جمع شملهم . فحافظ كل‌المحافظة على تنفيذ هذه الوصية . فمنهم من ظهر فى الميدان العلمى ومن مـن برز لمزاولـة اشغال الاسرة . فاحدهم يذهـب ويأتـى بالجمال الى (السويرة) بين القوافل التى تزخربها اذذاك طرق حاحة . وبها تنفق السلع

بسوس بين الصادرات والواردات ومن له جمل واحد فانه يكفيه مونة النفقة الضرورية • فكان لآل المترجم جمال متعددة • فتكفي الاسرة كل النفقات ـ وكانت هذه الطريق اذ ذاك قبل رصف الطريق للسيارات منجما • فاكثر النفع لكثير من الاسر السوسية الازاغيرية • فكل من له جمل فيها فانه مكفي المئونة في كل المصاريف المنزلية سكرا وأتايا وشمعا وكتانا وأواني • ثم لما أتت السيارة • وذهبت الجمال بسببها • اعترى كثيرين عوز بسبب ذلك ـ وهناك من اخوته من يباشر أمور المنزل • كالعبد أمام صاحبنا • فينفذ أوامره وهكذا انتظمت أمور الاسرة انتظاما مطردا • له تاثيره بعد • وكان هجيري المترجم في عصر ابن دحان ان يملا مركزه عند القائد مع رفيقه العفياني • ويدخل أيديهما ما تيسر اما من هدايا هذا القائد الكريم • واما من النوازل • ثم لما استبدل به القائد عبد الرحمن الحاحي • وهو لاينفع ولا يضر • بقي صاحبنا مع رفيقه محافظين على مركزهما • واما حين القى الكنتافي كلكله على التزنيتيين ـ فقد لقي صاحبنا مع رفيقه ما لقيا • فأما رفيقه فقد وشى به واش عند القائد الكنتافي فألقاه في غيابات السجن • حيث بقي سنين • وأما صاحبنا فانه يزجي الايام • ويداخل خليفة القائد محمد بن ابرهيم • وكاتب القائد الحاج الهاشمي • فامكن له بهما أن يحافظ على مركزه وان صوريا • لان الكنتافي معتز بنفسه وبعقله وبسياسته وبعلمه فلا يحتاج الى أمثالهما • ثم لاقى القائد بعض الثرثارين من عندنا ـ من زاويتنا بالغ ـ فالقى في اذنه بهتانا أن جارية رائعة لانظير لها موجودة للبيع ازاء (تامانارت) فلم يعتم القائد أن كلف صاحبنا بالسفر الى (الغ) لينظر كيف يصنع في حوز الجارية • فبينما نحن جالسون يوما مع شيخنا سيدي سعيد التناني • واخينا الاكبر رب الزاوية • اذ قدم علينا المترجم • وفي يده رسالة من القائد الى الاخ في ذلك • فارتاى شيخنا والاخ أن لايتكلف صاحبنا مشقة السفر الى تلك البلاد التي لايعرفها • فكلفا الفقير أبا جمعة الكسيمي ـ وكان اذ ذاك لايزال تحت تاثير جروح وقعت فيه اذ عورت احدى كريمتيه • وقد اصيب هو وغيره في صحبة الاخ في الحرب الكبرى في الجهة البعمرانية سنة ١٣٣٥ هـ قال الفقير أبو جمعة فذهبت مرغما • اذا بتلك الجارية لم تعرض للبيع • ولكن تيسر لنا عبيد وجوار أخرى تسعة عشر رأسا • قال : وذلك ببركة سيدي سعيد الذي لعله كوشف بما عسى أن ألقاه هناك • فالقى الى نصائح ظفرت معها بكل هذا • فرجعت الى الزاوية • اقول في هذا الوقت عرفت القاضي المترجم وعرفني • وما ذلك الا أنه أريحي طرب • مفكاه ممراح مفراح • فلا أنسى

ذلك الوقت معه • ولن أنساه ما حييت • وكان شيخنا التناني قطب الدائرة يرشد ويعلم • مع عدم غفلته عما ينفعنا جميعا من أذكار • فاتذكر انه علمني والقاضي تحصينا خاصا بنابة الكرسي • ثم لما حضرت العبيد والجواري على يد أبي جمعة • ولم تحضر الجارية وجد القاضي في نفسه خوفا من القائد • فقال له شيخنا التناني : لاعليك أنت• بل أذهب ويذهب معك الفقير ابوجمعة هذا الى القائد•وخل بينه وبينه فانه يعرف كيف عقلية العمال امثال الكنتافي ففعل ذلك • فاستراح • قال الفقير أبو جمعة البوعشراوي الكسيمي : لم انني عرضت ما جلبته على القائد • فابتهج غاية بالرخص • فندد على الناس كانوا يجلبون له السود بغلاء فاحش • ثم لم يزل البوعشراوي يتردد على القائد بالعبيد • حتى ورد عليه مرة بعبد استغلاه • وقد زعم انه كذلك اشتراه • فاذا به قد باعه بعد أن رده عليه بأدون مما قال • فاستشاط القائد غضبا • وهم به • الا أنه كان غادر (تزنيت) فسلمه الله منه • وهذا حال هذا القائد • لايكاد يسلم من يعامله من غضبه • وقد نال منه صاحبنا القاضي نصيبه • فان الماء الذي يسقى به القائد ـ وهو مغصوب من الناس ككل الاراضي التي يسقيها ـ سقط في أرض ءال القاضي ليلا من غير شعور• فاخبر القائد بذلك • فأرسل الى صاحبنا • اما الف ريال حسنى الان الان• والا فالسجن • فلم يكذب صاحبنا وعيده لانه يعرف منه أنه في الوعيد قؤول فعول • فأتاه بالالف حالا • بعدما تسلفه بسرعة • فنجا منه ولم يكد • وطالما كنت أضاحكه اثر هذا • وقد أصلح القائد جوامع ومساجد وكتاتيب في مدينة (مراكش) فاقول له : ان الفك انما صلح به المكان الذي اجلس فيه للدراسة في (جامع باب دكالة) وكان هذا الجامع أحد الجوامع الكثيرة التي أصلحها • ويا ليته لم يغتصب ولم يصلح (وليتها لم تزن ولم تتصدق) وكان هذه الالف التي أخذت من القاضي مثل ذلك الضرب الذي أصيب به الامام مالك فان مالكا لم يزل بعده يرتفع شأنه ارتفاعا عظيما • حتى لتنحني هام الملوك فمن دونهم امامه • وكذلك القاضي فانه بعد ذلك لم يزل شانه يعلو حتى نال منالا في ماله وفي جاهه وفي شأنه كله • فان الكنتافي لم يلبث ان عزل عن (تزنيت) أواخر ١٣٣٩ هـ فزال منه ذلك الكابوس الذي يثقل على جميع الناس • فشرعت الحكومة تباشر الامور بتؤدة• فقدمت هذا القاضي لفض النوازل• ولكن لم يكن تقديمه اذ ذاك الا من المراقبة خاصة وان جاء ذلك صوريا على يد مولاي الزين الخليفة السلطاني في (تزنيت) ظفر المترجم بذلك فيرتفع شانه شيئا فشيئا • ويتسمى بالقاضي وان لم يكن بعد قاضيا رسميا • فدام على مزاولة القضايا الشرعية • وقد رايت بعض ما

حرره اذذاك فهوشبه حكم من الاحكام التى كان الفقهاء المحكمون يصدرونها على العادة لمن يحكمونهم فى قضاياهم • ومن بين تلك المحررات فقهيات محررات • وفى ذيولها توقيعات من رجال المراقبة • وسأحرص على ايداعها فى (المجموعة الفقهية) ان تيسر ذلك

وفى سنة ١٣٤٣ ﻫ توصل بالظهير السلطانى • فصار قاضيا رسميا من ذلك الحين • فأول مافعله • اختيار من يصلح للعدالة من كل قبائل (ازاغار) من (أيت باها) وكل قبائل (هشتوكة) و (ماسة) والرسموكيين الازاغاريين والبعقيليين الازاغاريين (والمعدر) و (اكلو) و (ءايت جرار) و تزنيت • وهذه ايالة كبيرة متسعة • فنظم كل تلك القبائل • فجعل عنه نوابا • فاظهر حنكة كبيرة • وبصيرة نافذة • فى اختياره رجال محكمته • وكل العدول والنواب فرجع التنظيم الى العدلية فى (ازاغار) بعد مامرت اجيال لاتعرف هذا النظام الا لماما • ولااستحضر الان تنظيم العدلية نظاما يشبه هذا الذى نعهده الان فى (تزنيت) بل فى كل (سوس) وانحائها • الافى عصر (بودميعة) فانه نظم العدلية وعين فى كل قبيلة قضاة وعدولا ـ كمابينا ذلك • وذكرنا أسماء القضاة فى كتاب ـ (ايليغ قديما وحديثا) وأما وراء ذلك العهد • فانما نرى بعض قضاة مخزنيين ازاء (تزنيت) ولكنهم بالمحكمين المشهورين فى كل (جزولة) أشبه منهم بقضاة • وقد كان أحمد امزوغار قاضيا فى عهد بودميعة • كما تولى ولده فى مركز قضائه فى (ازاغار) محمد بن أحمد فى عهد ابن محرز • وعبدالملك ومحمد العالم ابنى المولى اسماعيل العلويين • فكأن ماانقطع ازمانا رجع الى (ازاغار) بسبب الحكومة على يد صاحبنا هذا • فنال فخره • فكل من سياتى بعده انما سيتمشى على خطته التى رسمها • وقد أفادنى العلامة سيدى احمد أخو القاضى بظهائر تولية القاضى تتابعا • لانه تولى بظهير من المولى الزين الذى نزل بـ (تزنيت) اثر رحيل الكتانى • وذلك باذن المراقبة • ونص هذا الظهير :

(من فضل الله ووجود مولانا المنصور بالله • أدام الله تاييده وعلاه • قدر شحنا الفقيه العدل الاجل السيد محمد بن أحمد بن مبارك اوعامو المحمدى • لتولية خطة القضاء ببلدة (تنزيت) وما والاها • وقد مناه لفصل الخصوم • والمخاطبة على الرسوم • فنامره بالاخذ فى ذلك بسيرة السلف الصالح • والسير على النهج الواضح • وأن يسوى بين الخصمين ماجمعهما التحاكم • وضمهما التخاصم • وان يبتدى ذوى الاحكام بالصلح • وأوصيناه فى جميع أموره بتقوى الله • ومراقبته فى سره ونجواه • فالله يوفقه ويرشده ويعينه ويسدده • والسلام فى ٩ ربيع النبوى الانوى عام ١٣٤٠ﻫ)

زين العابدين بن الحسن لطف الله به

ثم ظهير سلطاني سنة ١٣٤٣هـ نصه

(يعلم من هذا المسطور الكريم المتلقى أمره بالاجلال والتعظيم . اننا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . ولينا ماسكه الفقيه سيدى محمد بن أحمد بن مبارك خطة القضاء بـ (تزنيت) ودائرتها . وأسندنا اليه النظر فى تصفح الرسوم والفصل بين الخصوم . على ان لايخرج فى الحكم عن المشهور والراجح . وماجرى به العمل من مذهب امامنا مالك . سالكا فى ذلك افق المناهج وأوضح المسالك . فعليه بتقوى الله . ومراقبته فى سره ونجواه . وليعلم ان الله سبحانه يراه . وأن احكامه ستعرض عليه فى اخراه . وفقنا الله واياه . لما يحبه ويرضاه . نامر الواقف عليه من خدامنا . وولاة اعمالنا ان يعلمه ويعلم بمقتضاه . ولايحيد عنه ولايتعداه . صدر به امرنا المعتز بالله فى عشر قعدة الحرام ١٣٤٣ هـ قد سجل هذا الظهير الشريف بالبنيقة الكبرى . فى ٢٧ قعدة الحرام عام موافق ٢٠ يونيه سنة ...(١)

وفوقه الطابع الصغير اليوسفى . وتحته محمد المقرى وفقه الله . وفى سنة ١٣٤٤ هـ زيدت له (هشتوكة) فجاءه الظهير بتسمية كل القبائل التى تحت نظره . ونصه :

(يعلم من ظهيرنا هذا . أسماه الله واعز امره . وجعل فى الصالحات طيه ونشره . أننا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . ولينا ماسكه الفقيه السيد محمد بن مبارك أوعامو . خطة القضاء فى مدينة (تزنيت) وأهل (أكلو) و أهل (ابراييم) و (اولاد جرار) و اذاوبعقيل و رسموكة و اهل المعدر و (أهل ماسة) وأسندنا اليه النظر فى تصفح الرسوم . والفصل بين الخصوم على ان لايخرج فى الحكم على المشهور والراجح . أوما به العمل من مذهب امامنا مالك . سالكا فى ذلك اوفق المناهج واوضح المسالك . كما نأذنه ان يكون ينظر فى عقار ومواريث قبيلة (هشتوكة) وعليه بتقوى الله . ومراقبته فى سره ونجواه . وليعلم ان الله سبحانه يراه . وأن أحكامه ستعرض عليه فى أخراه . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه . نامر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه . ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه . والسلام

عبدربه امرنا المعتز بالله تعلى فى ١٨ رمضان ١٣٤٤ هـ وفوقه الطابع اليوسفى . وتحته محمد المقرى وفقه الله)

هذا بعض أخباره التى تستحق الذكر فى كل أدوار حياته الى الان

١) سقطت السنة من قلم الناقل لنا

١٣٦١ ه وهو لايزال فى مزاولة خطته على أحسن مايرام • أعانه الله وحفظه فى كل قبائل (ازاغار) من (أيت باها) وكل (هشتوكة) ف ماسة ف رسموكة ف (بعقيلة السهلية) ف (المعدر) ف (اكلو) ف ايت برابيم ف اولاد جرار نظم العدالة من أفاضل الفقهاء فى كل هذه الايالة المتسعة • فتصدر بالحزم • يعلم الناس كيف البت فى القضايا • مستعينا فى ذلك بافاضل العلماء • فكم نازلة عويصة بث فيها بعدما عاصت على من قبله • وكان يسأل أمثال سيدى المحفوظ • وسيدى عبدالرحمن العوفى • وسيدى على بن الطاهر • وسيدى عثمان • وسيدى محمد بن احمد الاكراريين كنازلة المجيكيين بـ (رسموكة) وما اكثر أمثالها • فهكذا برز فبرز فى ميدان القضاء •

نتفة من أخلاقه

كان حين لايزال فى شبيبته فى مسلاخ الشبان • من طلبة المدارس بلا فرق • طلاع كل ثنية • ولاج كل باب • مجتن لكل لذة امكنت كيفما كانت • مع غلبة المرح عليه غاية • وله فى ذلك حكايات • منها أنه كان يوما مع الطلبة البونعمانيين يحصدون زرع الاستاذ فى (المعدر) وقد تفرق الطلبة فرقتين • فرقة كان على رياستها سيدى بلخير التيمجاضى • وأخرى كان على رياستها صاحبنا • فاتفق الطلبة على ان يفرقوا الفدان قسمين • تقوم كل فرقة بحصاد نصيبها • فانتدب للتفرقة الرئيسان المذكوران • فكان صاحبنا يخطو بالخطوات التى يفرق بها الحظين • فيقصر الخطوة فى نصيبه مع اصحابه • ويوسعها فى نصيب الاخرين • وسيدى بلخير المغفل لم يتفطن للحيلة • وانما يحسب الخطا • فأتم أصحاب القاضى حظهم بسرعة • وبقى كثير من حظ الاخرين • فاكتشف بعض الحذاق الحيلة • ثم أخبرهم بها المحتال نفسه • فصاروا يتنادرون بها ماشاء الله • وحكى لنا بنفسه أنه كان الاستاذ محمد ابن مسعود يخاصم الطلبة يوما وسماهم أصحاب السليهيمات • فلما ذهب الاستاذ قال • يابشراى فاننى مادخلت فى عتاب الاستاذ • لاننى لبست الرداء • ولم البس السلهام • وكان يعتاد لباس الرداء من قديم على عادة أصحاب المروءة اذذاك • وحكى أنه فى أيام التحاقه بأستاذه وكل الطلبة بالحاج بلخير الشيخ البوشتى البعقيلى • يكون معهم فى مجالس الذكر فكان الشيخ كلما نظر نظرة الى أحد الذاكرين لايشعر بنفسه الا وقد قفز من موضعه تأثرا بنظرته • قال الاانا وحدى • فانه ان حملق الى شاخصا ببصره احملق الى شاخصا ببصره احملق اليه بعينى معا ثم لايصيبنى شىء مما يصيب غيرى فكان الطلبة يقولون • انك خلو من محبة الشيخ • فلما فارقوا الحاج بلخير صاروا يتضاحكون ويقولون • مانجا منه الافلان • ومن حكاياته أيضا أنه قال

كان ازاء المدرسة (البوعمالية) مشهد حديث لبعض الصالحين توفى وشيكا • فادركنا ولده شيخنا كبيرا مسنا • وكانت الذبائح ترد على المشهد • فكنافى اوقات الفراغ ربما نختلف الى المشهد • لان ذلك السيد يعطينا من الذبيحة طرفا • فصادفنا عنده يوما كبشا مذبوحا • وقد استوفز أمام ضريح أبيه • وهو يناديه بأعلى صوته • ياأبتاه يا أبتاه تنبه لقضاء حاجات الناس بسرعة فانهم يضعون فيك كل ءامالهم • فكان القاضي يحكى صوت ذلك الجاهل بصوته الجوهرى • فلانملك انفسنا ضحكا • هكذا كانمجلس صاحبنا فكاهة وأريحية قبل انيلي القضاء • انوجد أصحابا يواتونه • نزولا عند قول القائل – وهو ابن مكانس –

في انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسى على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

لكنه لما ولى القضاء • لبس لهذه الحالة لبوسها • فاكتسى وقارا وحشمة وتؤدة • ولابد من كل ذلك للقاضي • وزد على ذلك انه الان وهوشيخ • غيره وهو شاب • وأنه الان وهو مشغول فى كل اوقاته • غيره وهو فارغ منتحمل التبعات في جل أوقاته • على ان الطبع لابد ان يغلب صاحبه • فانه لايلبث ان اجتمع مع المسنين أمثاله ان يعود أيضا الى حالته • كالفقيه العوفى رحمه الله • والشريف سيدى ابرهيم بن محمد التازاروالتى ومن اليهما • كسيدى عمر التازاروالتى والحاج محمد الاكمارى وسيدى ابوبكر • ومجمل خلق المترجم أنه لايحوم الكبر والعجرفة حوله • وأنه هين الطباع • يالف ويؤلف من أحاسن الناس أخلاقا • الموطئين اكنافا • يغلب عليه الحياء خصوصا من أرباب البيوتات • فلذلك امكن له ان يستوفى عشرين سنة فى منصبه • فلاتجد من يتقول فيه فيما علمته و (ماشهدنا الا بما علمنا) بحق وصدق وما طلبقط فى قضية مالا • الا ماكان رسميا للقاضي اذذاك • مع أن كل منقدم قضيته فانه مستعد ان يربحها بكل ماكان من المال • ولو كان فى هذا المنصب غيره لكان لعنة للاعنين • سبة تبقى أمدالدهر • لان الناس من سوس لم يألفوا ان ينجز عليهم حكم • ولا ان ينفذ عليهم بصرامة • ولهذا اكبرالعقلاء هذا القاضي الذى يتحايل حتى ينفذ الحكم بما رءاه • او يصالح بين أرباب الخصومة • فقلما يخرج غالبا من محكمته الا راض بحكمه • وا نكان محكوما عليه • وهذا من المزايا التى تختار فى القاضي • وقد قال عمر : ردواالحكم بينأهل الفضل والقرابة حتى يتصالحوا فان بت الحق يصعب على النفوس اكما قال : وبأمثال هذه الخلال يفض قضايا كان من قبله يعجز عنها • فقضية المجيكين فى (رسموكة) قد مارسها ابو فارس وسيدى المحفوظ الادوزيان • ثم سيدى الحاج الحسين الافرانى • فلما وصلته لم يزل بها حتى فضها •

هذا وخفض هذا القاضي لجنابه وشهرته كل الشهرة بالنزاهة الفذة • جعلت له مكانة يغبطه عليها بها كل السوسيين قاطبة • وهو أهل لتلك الغبطة • وأجدر بها • وكثيرا ما أقول للازاغاريين لن تعرفوا قدر هذا القاضي ولامكانته الامتي عدمتموه • وأما انتم اليوم وان كنتم تثنون عليه فلم تعرفوه بعد •

لاعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

وعند الممات تظهر التركات • ولقد صدق من قال ذلك

ومن ابرز اخلاقه أيضا التحمل الغريب • ويظهر هذا في مزاولته للقضاء حتى لم يرمنه أى انسان كلمة نافية • ولايزال يفتح صدره • ويخفض جناحه للجاهل والمتكبر والظالم والغضبان • ولكل من جلس اليه من مختلف الطبقات ثم لايراه أحد مغتاظا • وان بلغ في نفسه الحرج والضيق مابلغ • على أنه لايوديه الاغضاء ولا التحمل حتى يذر الظالم يفوز بظلمه • بل لايزال به حتى يزيل يده ما استطاع لذلك سبيلا • بالتي هي احسن • فان لم يكن الاالاخرى فانه يرسله الى مواطن امثاله • واخر الدواء الكي • كما يظهر أيضا خلق التحمل الغريب الذى جبل عليه في اسرته • فانها متركبة من كثيرين رجالا ونساء وصبيانا وشبانا • وربما يقطعون الحبائل • وينكثون العرا • ويتفلتون وراء الحدود • ولكنه مع كل ذلك لم يزل محافظا على وصية والده في جمع كلمة الاسرة • فواظب على التحمل • وبذل النصيحة بلطف • ولعمرى اندارا فيها زهاء اربعين نفسا • غالبهم شبان يختمر في ادمغتهم ما يختمر ونساء يسرعن بأدنى شيء الى المشاكسة • لايطيق ادارتها الا مثل هذا التحمل العظيم الذى اختص به المترجم في هذا البلاد • فليعتبر هذا من يعرف أن دارهلم تشتمل على حضريات وحضريين • لهم ولهن حظ من التهذيب • بل انما هناك أبناء البداوة الجافية • التي لايرد جماحها الاحياء مادام الحياء موجودا وهذا التحمل وحده ترجمة نيرة للقاضي حفظه الله • وبعدم ذكر امثال هذه البواطن تنقص التراجم •

اعتناقه للطريقة الالغية

كان التحق باستاذه محمد بن مسعود المتلهف الى ورود منهل من مناهل التصوف الصافية • فكان معه حين اخذ عن الحاج بلخير • ثم لماالتحق الاستاذ بالطريقة الالغية سنة ١٣٢٠ هـ التحق بها المترجم فيمن لحق بها وراءه • ولكنه لايزال على عادة الطلبة الاريحيين • غير ان الزمان القلب • لم يزل به حتى أخلص وجهته لربه • وكان يحضر في الموسم الالغي في بدايته • كما

يحضر أيضا بعض زمن قضائه • وقد نفعته مجالسة شيخنا سيـدي سعيـد التناني بعد وفاة استاذه ابن مسعود • وقد كان يشاوره كثيرا • ولايغب عنه رسائله وهداياه • حتى بعد انتقالـه الى (اداوتنان) • وعنده مجموعـة مـن رسائله • حافظ عليها تبركا • فوجد بركة ذلك • كما أنه يتصل دائـمـا بالاستاذ الشيخ أبي العباس ابن‌مسعود • وقدلوحظ تأثر المترجم بالتصوف في امور • منها حسن ظنه الكثير في رجال القوم • فكان كواحد من‌الصوفية الذين يقولون • تصديق القوم فيما يقولون ولاية • ومنها محافظته على أوراد كثيرة لايغبها في اوقاتها • ومنها ملازمتـه لمجالس الفـقـراء في‌زاويتـهـم بـ (تزنيت) ما وجد لذلك سبيلا • وكان دائما يعينهم • ومنها ملازمته‌للصلاة في الصف الاول دائما • فان عادته الدائمة منذ ثلاثين سنة انه يخرج مـن داره سحرا متوضئا • فيتنفل ماشاء الله • ثم يقرأ هو وأهله الحزب‌الراتب مع حزب البحر للشاذلي • ثم اذا طلع الفجر يصلون • فيذهب القاضي الى مضجعه • وعند متوع النهار يخرج فيتوضأ • ويصلي الضحى • فيتناول‌مع أضيافه‌وأهله في (الثوى) طعام الافطار • ثم يتوجه ماشيا الى (المحكمة) وفي الحادية عشر ونـحـوها يرجع فيضطجع الى الظهر • فـيخرج مـتـوضئا • فيصلون الظهر فيتغدون • ثم‌الى المحكمة • وبعد العصر ان قرب الاصيـل يرجع أيضا ماشيا • فيستقبل المغرب ووضوءها • فيصليها مع أهله ومـع أضيافه فيقرؤون الحزب • ثم يتنفل ويذكر اوراده • ثم يتعشون • وكان يحتفل للعشاء اكثر من الغداء لكثرة من ينتابونه للبيات • ثـم بعد صـلاة العشاء يدخل الى داره • وسمعت انه يعطي لاهله من وراء هذا حظهم مـن مؤاكلة خصوصية ومجالسة مونسة • فهذا عمل اليوم والليلة للقاضي الخلاء عادة • وذكر مثل هذا عن عظماء الرجال • من‌غرر التاريخ عند قوم‌يعلمون

علـمـه

كان محبا للعلم محبة عظيمة • ويظهر ذلك في تقريبه للعلماء الكبار الذين لايغض نازلة الابعد استشارتهم • وهو وان‌لم‌يكن الاوسطا في علمه • ازداد بالمرونـة بصرا فيما يقبـل ومـا يرد • وهـذا في الفقهيات التـي يتطلبها منصبه • وأما غير الفقه فله‌فيه مشاركة ما • ومما‌يدل على أنه يحب الاتساع في المشاركة العلمية أنه قدم أخاه أبـا العباس لينال تحـت بصره مشاركة عظيمة فببركته تعلم وترقى وتفوق • فماهو الا حسنة من‌حسناته وهذا مايفصح به أبو العباس دائما • ويقول : انه هو والدي الثاني في‌الحقيقة وأي‌واحد منا الان لم يندم على تضييع كثير من عمره في‌التفوق في الفنون • ثم اذا كان له أخ أو ولد يقدمه ليرى منه ماكان يتمناه لنفسه • لوكان‌استقبل

من امره ماستدبر . وكفى القاضي علو كعب في ادارته كونه اختار امثال الفقيه العوفي . والفقيه علي بن الطاهر الرسموكي . ومثل الفقيه سيدي محمد الايكراري وابنه ابرهيم بن محمد وسيدي عثمان وابنه محمد بن عثمان ورجال من نظرائهم لمحكمته . وهل يعرف العلماء الكبار الاعالم كبير ذو بصيرة فيما يفعل ؟

همته

له همة طموح . وبها نال مانال . وقد ظهرت همته الكبيرة في نواح شتى . منها تقديم افراد من أهله للعلم . ومنها انزاله لكل ضيف منزلته على قدرما يعرفه في بيئته . وقد هيأ من الفرش والامكنة الحسنة ماتيسر له مما لم يكن اذذاك معروفا في بلده . وله دار للاضياف - الثوى - قال : لم أبنها الا اثر زيارة المولى يوسف رحمه الله لـ (تزنيت) فاننا عدمنا من منازلنا مايليق لامثال من معه . فشرعنا في بنائها . ومنها أنه يحب معالي الامور في كل شيء ولوكان جال جولات يتفتح بها بصره ويعرف كيف تنال معالي الامور وكيف تنشرح الصدور وما هي أدوات السرور ومجاذب الحبور . قبل ان تستخرج بنات الجيوب . وكيف تنظيم المطاعم قبل تقديم الجفنات الغر وكيف هذا العصر . وكيف تنال فيه السيادة بالطريقة التي يحبها بها لكان اليوم سيدا كبيرا في (المغرب) كله . لافي (سوس) وحدها وقد كنت قلت له هذا لمناسبة يوما . فأعجبه ذلك . واصغى اليه . على أننا لانحتاج الى المدنية البراقة . وانما نحتاج الى العقل والدين والاخلاق . والهمة ووضع كل شيء في محله . ثم كرم وبشاشة . وهما موجودان في صاحبنا . فلاعلينا فيما وراء ذلك . وهل وراء ذلك الاهباء منثور ؟ وهل الكرم الكثير ان لم يكن لله الا وبال على صاحبه ؟ على ان حظه من الكرم قد حاز منه وافرا في بيئته . حتى صار مثلا يذكر . فقد قال سيدي ابرهيم التازاروالتي ان القاضي ليذبح الكباش للاضياف . يتعجب من ذلك

امداح الناس فيه

هيهات ان يطلق السنة الناس . الامن كان كله للناس . ومن لم يستعبد الناس بالاحسان . فانهم لايجودون له ببنات اللسان . لان الناس اكيس من ان يمدحوا رجلا حتى يقودهم الى مدحه بزمام الاحسان . واللسان كالضمير لايتبعان الامن استتبعهما بما يسوقهما الى ميادين الشكر .

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

فممن رايت اهم فيه قوافي الفقيه الاديب سيدى محمد الاكرارى المورخ ، رحمه الله ، وعندى له فى جناب القاضي ثلاث قصائد بل اربع ، اولهاطائية اجابه بهايوم يطلب منه القاضي الانتصاب فى العدالة مطلعها :

لبيك ياخير قاض حل فى حمل ا‍لـ ـعدل وفى برج سعده بلا غلط

والثانية فائية هنأه بها يوم اعرس لولد من اولاده ، مطلعها :

هنيت يا خير قاض بالتى جليت فى اليوم للنجل والسعد اكم صدف

ومنها :

انى وان بعدت زيارتى فلكم حب رسيس فلا يصرفنى الصلف

والثالثة رائية مقصورة ، وقد قدم لها هذا النثر (التحية العقبة الريا ، المشرقة المحيا ، على اللدة الاخ القاضي ، سيدى محمد بن أحمد أوعاموالتزنيتى أدام الله لك البقا ، واحسن لنا بك الملتقى ، ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا

ءامين ءامين لاارضى بواحدة حتى أضيف اليها الف ءامينا

ولا تنسنا أيهاالاخ فى الدعوات ، فى الخلوات والجلوات ، ثم الاهم أن نهنيك ، بتكليل تمنيك ، فلما تعذرت الاقدام ، أنبنا الاقلام ، وزوجنا لك بنات الافكار ، ضرة للبنات الابكار ، فقلنا

مفاتيح أغلاق المنى قد تيسرت كما سبب الافراح فاح بذى القرى
فزال الضنا والعى واستبشرالهنا وءاض الى ءاماقنا وسن الكرى

الى ءاخرها ، وهى تهنية بزواج القاضي مرة من المرات .

والرابعة عينية قالها يوم تسابق أدباء (ازاغار) فى تهنئة القاضي برجوعه من زيارة العاصمية (الرباط) وللحواضر غيرها فى المغرب ، وذلك فى سنة ١٣٥٨هـ يقول فيها بعد اولها

مرحبا بك فاقض ما أنت قاض دمت للفصل دافعا للنزاع

الى ءاخرها ، وفى حاشيتها الى الاديب ابى العباس الناظر ، اخى القاضي مانصه ،

(وبعد فهاك نسخة من تهنئة القاضي ، لماعلمت أنك من الادباء تحب قرض الشعر ، لتوردها على الاحباب ومن يليق ، ودع عنك غليظ الطبع ، ممن لاغرض له فى الادب الرطب)

وممن له فيجناب القاضي الاديب أبو سالم ابرهيم بن محمد الايكرارى المورخ المتقدم ، فقد وقفت له على لامية ، يقول فى مطلعها :

حظيت نياق الحزم بالامال وبتم سعد مطالـع الاكمال

ويقول فيها يذكر النياق

قد يممت رحب الندى ذا بهجة تختال فى الاسحار والاصال

ويقول فى وصف القاضى

مسدى الصلات الى العفاة وموردا لا حسان ذى الفخر الجليـل العالى

(تزنيت) بالحسنى وبـالبشرى افخـرى

ولتسعدى بحيـاة ذا المفضال .

ويقول :

أبناء (عمو) قبل شاع ثناؤهم فى كل قطر بالسنا المختـال

الى ءاخرها .

وممن سابق فى حلبة مدحه اديب (ازاغار) الكبير سيدى الحبيـب البوسليمانى فقد وقفت على قصيدتين فى جنابه . اولها ميمية كتبها اليه مع نعل أهداها اليه مطلعها :

أهديتها نعلا لرجل همام قد فاض كالبحر نداه وهـام

وقد ذكرت فى ترجمة سيدى على بن الحبيب وغيرهما الاتية للمترجم كما كان هناك غيرها لعلى بن الحبيب . ومحمد بن سعيد الغرمى

وللفقيه الطاهر السكراتى فى ذلك الجناب ايضا بائية مطلعها :

هنيت يافخر القضاة بمنصب

الى ءاخرها .

وممن قال فى مديحه أيضا الاديب المتمكن الحسين بن ابرهيم التالعينتـى يقول :

الى الماجد الذى تباهت مفاخره ولاحت بافق الفضل شمسا مئاثره

يقول فيها :

لبابك اقبلنا تخب ركابنا يحثحثها من فيض برك غامره

فما الفخر الا ماقطفت ثمـاره ولا العز الا ما حوتـك مئازره

فكم لك من صنع الى الناس لم يزل بمحتبس عن غاية الشكر شاكره

فطاب بذكركم ونشر مديحكـم كتاب روى بعضا من البعض شاعره

وهى قطعة غالبها جيد كتبها اليه فى المحرم ١٣٤٥ ﻫ

وللدتنا سيدى عبدالله ابن شيخنا سيدى الطاهر الافرانى فائيـة . فيه يقول فى مطلعها :

الا فانشرح واطرح همومك ياقلب

كما ان للاديب الصوفي سيدى الطاهر السماهري ايضا فى هذا الميدان منبنات القريض ماله • فمن ذلك دالية مطلعها :

بانت سليمى فبان الصبر عن خلدى

وهي قصيدة كبيرة • يقول انه قالها • امتثالا لمولف هذا الكتاب المختار لتنتشر فضائل القاضي الخالدة • ولعل هذا كان منى يوم زارنى فى الحمراء ١٣٥٤ هـ

وبعد فما مدح به القاضي كثير • وربما لم نذكر غالبه • وانما منعني من الاتيان بكل هذه القصائد انى رايت اخانا الاديب على بن الحبيب فى (تاريخه) تتبعها واستوفىكل ما عنده • فتركت له هذه الفضيلة • لكونه بمثلها أليق ـ ذلك ماتيسر لنا الان حول القاضي من هذه الناحية • ولاارانى الامقصرا لعلو مقامه

إحالته على المعاش

بعد ما اسن المترجم • وذهب جيل • وجاء جيل ءاخر احيل رسميا على المعاش بكل اكبار واجلال • غير منقوص القدر • ولاملحوظ باى نظر شزر فكان يلازم القعود فى دكان رفيقه الفقيه سيدى الحسن العفيانى فى طرفى النهار • وقد اقبل اذذاك على جهة ربه • فتسرع دمعته •مما يدلعلىأنه روقت خمرته وتوحدت وجهته ولم تتبدل اخلاقه على ماهى عليه مع الناس • فكرمه كرمه • ومعاشرته لاهل الخير والعلم معاشرته • بل زادانابة ورجوعا الىالله

وفاته

فىربيع الاول ١٣٧٠هـ أصابته قرحة لمتزل به الى ان الحقته بربه ١٣ منربيع الثانى • فاهتزت (تزنيت) لجنازته • فتاثر كل من يعرفه ويقدره قدره • فبكاه الناس كلهم • وأتبعوه الثناء الحسن • وقد وصلنىنعيه فى (مراكش) ءاخر يوم فارقتها الى (البيضاء) اثر الحادثة الاكلاوية مع العرش

مراثيه

عزى أهله الذين فى مقدمتهم أخوه الاستاذ الناظر برسائل• ومن بين ماقيل فىذلك قصيدة قلتها بعد ذلك الوقت • اديت بها الواجب وهىهذه :

أحقا يابنى (تزنيت) حقا مضى قاض يحق العدل حقا

احقـا ان مرمسه حـداه ... فشق من الرغام (١) له فالقى
أماعلمـوا الـذى واروه فيـه ... الا سحقا لجاهل ذاك سحقـا
أيطوى مثل هذا الوشى فيهـم ... ويمحق مثل هذا البدر محقـا
اما شقت قلوبهم حـدادا ... وحزنا مستطير اللفـح شقـا
فوا أسفا على القاضى (أعمـو) ... عـلى فـذ مجاملـة وخلقا
على رجل المكارم والتغاضى ... على رجل الهدى عمـلا وصدقا
على صافى الاخاء فلا ترى فى ... جوانبه مخاتلـة ومـذقا
يقابـل بالتبسم كـل ءات ... ويلقى بالبشاشة حين يلـقـى
يعنون بالبشاشة عن خوان(٢) ... طفوح عادة فيمن تلـقـى
ويشفع جوده الايناس حـتـى ... يطيب نزيله سمعا وذوقا
فينشر بالمبـاسطة الـزرابـى ... على أخرى وذا الكرم المنـقـى
أتـاح لمن يجالسهـم رحيـقا ... تصفقه (٣) دعابتـه فـأسقى
فيالك أزمنـا سلفت وانى ... بكاس الحاضرين هنـاك أسقى
اذا أسقى النـدى تشـع فيـه ... دراريه ، اشمت هناك فرقا ؟
فذا عمرالشريف٠وذا الكمارى ... وابرهيم من قـد طاب عرقـا
وذالكم أبو زيـد ٠ ايلفـى ... لهـم من مشبه خلقـا وخلقـا
نفوس مثل مشموم زكى ... له من كل أزهار ينقى
كأنا حـين نطفـح من حبـور ... نحلق فى سموات ونرقى
نميس فكاهة ٠ فكأن ملكنـا ... مقاليد الورى غربا وشرقا
وكـاسات السرور اذا اديرت ... خرقن منالوقار السجفخرقا
ويتركن الرجال كـأن أطافت ... بهم أمواج هوج البحر غرقى

* * *

أتذكر يا ابـا بكر اطيلت ... حياتك أنك الفرد المبقـى ؟
أنبقى بعدهم فى ذكريات ... تزعزع كل ءاونـة ٠ أنبقى ؟
فذا للقاضى الذى قدكان قطبا ... مضى أيضا وسيق كذاك سوقا
انرجـو بعـد انظارا أكانـوا ... سوى الانذار أم انـا لحمقى ؟
أيمضى من لـه كـل المزايـا ... فنطمع فى التخلف مستحقا ؟
فهيهـات البقـاء فعن وشيـك ... نساق ٠ فتوبة ربـى وعتقـا
ومختتما بحسنى فاختتـام ... بحسنى للفتى أتقى وانقى

---

١) الرغام بالفتح : التراب
٢) الخوان بالكسر والضم : المائدة
٣) تصفقه : تصفيه

بنى (تزنيت) ياعلماء (سوس) ... ومن ذكرت بهم افقا فافقا
لكم أنعى الذى قد ارمسته ... لديكم تربة كالمسك نشقا
خصوصا صنوه الخلف المجلى ... أبا العباس خير ذويه حقا
ففيه حقيقة ما فى أخيه ... أو أزيد ان يكن بحث ينقى
ومن يكرع سنين مواليات ... أليس يكون ملحظه أدقا ؟
(أدوز) قد أنهلته فعلٌ (فاس) ... أليس يبذ فى الابحاث ذوقا ؟
أطال عكوفه حتى أتاكم ... بموسوق بنى (تزنيت) وسقا
يبذ لداته علما وفهما ... ويعلو فوقهم أدبا ونطقا
الى لطف من الاخلاق اعلى ... من القدر المنيف له وأرقى
فدام ودمتم فى (سوس) سحبا ... تسح على نواحى (سوس) ودقا

وهؤلاء المذكورون سيدى عمر التازاروالتى • وسيدى الحاج محمد الكمارى العدل • وسيدى ابرهيم بن محمد التازاروالتى صهرى • وأبو ام أولادى وسيدى عبدالرحمن العوفى كانوا من جلاس القاضى فقد توفواكلهم فلم يبق الا سيدى ابوبكر نائبه اطال الله عمره (١)

قولة ابن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه ذو المحاسن والمفاخر • المعدود من الاكابر • زين‌العباد ونورالبلاد • القاضى المسدد • أبو عبدالله سيدى محمد بن أحمد أوعامو التنزيتى • وهو من العقل الغريزى الذى يدرك به المعقولات فى غاية • ومن التجريبى فى الوقائع وممارسة المعلومات فى نهاية • أكمل الله عقله • وأتم نبله • تشرفت ساحته بفيضان العلوم • من‌لدن حكيم خبير • وفى الحديث (افضل‌الناس أعقل الناس) وقد قيل (حسب الرجل عقله • وحسبه ودينه ومروءته) وقد قالوا (الحزم بلاعقل خطأ) وقد قال الشيخ خليل رحمه الله فى وصف‌القاضى :

ولازائد فى الدهاء • ومنذ ولى هذا السيد خطة القضاء بـ (تزنيت) بل سلك مسلك أهل التوفيق • وحاك على مناويل أهل التصديق • أعطى المرتبة حقها حفظا وصونا • واوتى من‌مكارم الاخلاق وحسن العشرة ماعساه أن يجعل فى ميزانه • واذا أتى محكمة الفصل علته هيبة وانقباض • وقد مدحه‌والدنا المقدس بما صورته :

سلام بالاختصار منى لفظه ... لعذر ولكن فى فؤادى بسطه

الى ءاخرها • وقد ذكرها كلها •

---

١) ثم انه التحق بهم كماستراه فى‌ترجمته قريبا • فطوى ذلك‌البساط‌بمافيه

وله فيه أيضا قوله

أهديتها نعلا لرجل همام ... قد فاض كالبحر نداه وهام
لم تدر من يلبسها هيبة ... ذابت وحاكت طبعه بانسجام
حبر بنى عمو بـ(تزنيت) من ... نظم عقد مجدهم بانتظام
فخر قضاة القطر من حكمه ... براجح القول ونص الامام
مؤيدا فى الحكم يجرى على ... نهج الصواب وسديد الكلام
يحكى نقول الفقه فيما اعتصى ... اما بنثر فيه أو بنظام
يصدع بالحق ولا يختشى ... لومة ذى جهل وسخف اللئام
ليس به ميل لجاه ولا ... لذا وذا من متداعى الخصام
غدا لنا بحسن سيرته ... حبرا جليلا من فحول كرام
فليشتهر بالعلم ولينتشر ... من علماء العصر بدر الظلام
وليهنأ بالخطة ذات السنا ... منى على وداده والسلام

ولما سافرت مجادة سيدنا القاضى ادام الله له العز والتراضى . سنة ثمانية وخمسين وثلاثمائة والف لزيارة (فاس) ومن به من الاحباب أهل الفضل والايناس . قلت مهنئا له من سفره الميمون

تبين نور الحق واتضح الهدى ... واصبح ركن الدين ركنا مجددا
بعود امام ماجد ورجوعه ... من السفر الميمون يمم مقصدا
وقام بتقويم المعالم ماجدا ... واظهر سبل المجد بالجود والندى
امام تعود السيادة كلما ... تبدت له رأيته بسط اليدا
جرى فى ميادين الكمال مبرزا ... الى ان حوى فى سبقه قصب المدى
اذا استصعبت يوما من العلم رتبة ... فليس لها الا الهمام ابن احمدا
برأى كنور البدر فى فحمة الدجا ... وعزم كما سل الشجاع مهندا
على شرف لايخمد الدهر نوره ... وهمة نفس دونها النجم مقعدا
اذا جد يوم الفصل اوجاد بالندا ... فاياس حكما او ترى البحر مزبدا
وان عقدت للجور رايات جيشه ... تقدمها فتح من الله مسعدا
بصير بسر الحكم والخصم كلما ... رمى جائر أهدى له تحفة الردى
أقرت بذا (تزنيت) رغم أنوفها ... ومن قبلها جيرانها اليوم شهدا
تدارك قطرا بعد ما كاد نوره ... بظلمة ليل الجهل ان يتخمدا
فأصبح وجه الحق والعدل بعده ... يلوح منيرا ما بمرءاته صدى
تتبع طرق الظلم حتى ابادها ... بسيف أيمة العلوم ذوى الهدى
وافحم أهل الفضل جودا ومنة ... وارغم أنف من عتى وتمردا
فلست ترى فى سائر القطر غيرمن ... تسربل ثوب الامن واليمن وارتدى
وقرت عيون المسلمين بيمنه ... وعاد به جفن الضلالة ارمدا

وقام بامر الله حتى استقلت الا مور وعاد الحق غضا مجددا
وحتى اطاع الناس بالكره والرضا جميعا امير المومنين المؤيدا
فيا قاضيا عم البرية عدله وياسيدا قد راح فى المجدواغتدى
بقيت لعز كنت شمس سمائه تلوح على برج السعادة سرمدا
سلام على تلك الشمائل ماشدا حمام على غصن الاراك وغردا
وما شاح برق المجد منجو ساحة سموت بها عافى المكارم فاهتدى
بنية شعر عدها بعد اربع وعشرين بيتا مهرها ان تقصدا

وقد جمعنا نطاق التهنية مع جناب الخليفة السيد عبدالله بن عياد الجرارى ومع الاديب الفاضل سيدى محمد بن سعيد الغرمى • وكان هو أيضا مدح القاضي بقصيدة وهي :

ما أهاج (١) الفؤاد وشم ملاح ناعمات الابدان خمص الوشاح
قد بدت بينهم عروب رداح يرتوى من رضابها للاواح (٢)
تستبى المرعوى بردف ثقيل وبثغر مثل انبلاج الاقاحى
كاغتراب الامام بدر الدياجي شمس أفق الهدى ونور الصباح
تاج راس الفخار مولى المعالى مفخر العز والعلا والسماح
مرحبا بالامام قاضي قضاة مركز العلم والهدى والصلاح
بمجيء محمد وبمرآ ه ازدهت أرضنا بفرط ارتياح
ملجا الخائفين كنز عفاة وغنى المرملين والارواح
ومحط الغنى محل ودادى ومزيل الردى ببيض الصفاح
حكمه الفصل ظل بين البرايا مهلك الجاحدين أهل الوقاح
مسبل الامن والامان على الخلـ ـق مزيح الردى عن الاشباح
فأضاء البلاد نور هداه وهدانا بعد له للنجاح
أسفرت أوجه السرور علينا لمعا فاستبان وجه الفلاح
وتوالت أفراح (سوس) جميعا واستوت فيه السن المداح
فمزاياه لاتعد وقد صا رت يباهى بها بكل النواحى
أعر السمع للخفيف وان لم يرض قدر فقيهنا السمماح
وتقدم قبلى فقبل يمينا لثمها فيه راحة المرتاح
اعجز الواصفين وصف علاه واكتفوا بالقليل من أمداح
وسلام يزفه الشوق منى لاخى الفضل مظهر الافراح
فاح مسك الختام طيبا وعرفا (ما أهاج الفؤاد وشم الملاح)

---

١) يقال عاجه لا اهاجه
٢) كذا

فلما أطلع الاخ فى الله الفقيه العالم الاديب العلامة الاريب المشارك اخو الممدوح ابو العباس سيدى احمد بن احمد اوعامو على التهنية بالقصيدتين المذكورتين • حملته حمية العلم والادب • وبالفور كتب هذه مخاطبة ودية • وفاتحة مسكية • وان كانت العجلة غير مرضية • فقال :

طرب العالمين مسك وداد — من قريض حكاه صوغ الايادى١
من لسان البلاغة ابن سعيـد — وعلى صنو العلا والرشاد
بين أيدى عباب جود ومجـد — أبدا موجه يرى فى ازديـاد
من ببهجات وجهه هنأ القا — ضى حقا رقاه عرش الفؤادى
فتراه يسبـى العقول ذكـاء — بجميل الحديث فى كل نـاد
وبدت شمس فضله فلك العـ — ـز فغابت بها شموس البلاد
وشدت ورق خلقه روضة الحـ — ـسن فتاقت اليه كل العباد
وبنور الهدى وعين الرشاد — حاز عز الطريف اثر التلاد
ذاك عبد الاله من ملا الجـ — ـو بعرف نزاهة ووداد
ياسليل الفخار يابهجة الا يـ — ـام دم المعلا أفخر عياد (٢)
لـك يوم به نطرز تاريخـ — ـا لعيد الوداد أعلى المراد
وعليكم منا يعود سلام — عبق الود من صميم الفؤاد

وقد مدح هذا القاضى شاعر زمانه العلامة سيدى محمد بن احمد الايكرارى بقوله :

لبيك ياخير قاض حل فى حمل العـ — ـدل وفى برج سعده بلا غلط

الى ءاخرها وقد ذكرها كلها

هذا وقد توالت عليه قصائد أهل العصر • كل على قدره • فما بلغوا عشر أعشار ما يستحقه • وقد كتبت له مرة ماصدرته بعد السلام التام على خضرته

(أما بعد : فمن أواجب علينا ان ننبه سيادتك وان كانت غنية عن التنبيه أعلم ياأخى ان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر • ويحسن بهالذخر اذ من صحت نيته • وصفت سريرته • وأقبل على نفسه كفاه الله مابينهوبين الناس • ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس فيه شانه الله • وعليك بفهم ماتلجلج فى صدرك • ممالم تجدله نصا فى كتاب ولا سنة • وعليك بمعرفة الاشباه والامثال • وقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق • واجعل لمن ادعى حقا غائبا • اوبينة أمدا يبلغه • فاناحضر

١) قس الايادى : من فصحاء العرب
٢) يعنى القائد عياد والد عبدالله المذكور

بنيته اخذت له بحقه • والا استحللت عليه القضية • فانه انفى للشك • واجلى للعمى • والمسلمون كلهم عدول بعضهم على بعض • الا مجلودا فى حد اومجربا عليه شهادة زور • أوظنينا فى نسب او ولاء • فان الله تولى منكم السرائر • ودفع بالبينات والايمان • واياك والقلق والضجر • والتأذى بالخصوم • والتنكر عند الخصومات • والله تعلى يتولى هداكم • امين (١) توفى رحمه الله يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثانى عام اثنين وسبعين وثلاثمائة والف بتزنيت

الثامن عشر : ابرهيم بن محمد

للقاضى اولاد عديدون • أظهرهم الان فى ميادين المعارف النجيب ابرهيم بن محمد ولد سنة ١٣٢٧هـ وأخذ القرءان عن الاستاذ سيدى محمد ابن أحمد مبارك • وسيدى الحسين بن خباش بـ (تزنيت) وعن سيدى أحمد ابن محمد بـ (تيمجاض) وغيرهم

ثم التحق بمدارس المعارف فى صحبة عمه أبى العباس الذى سنذكره قريبا • فكان ياخذ عنه الابتدائيات • وقد كان فى مدرسة (أدوز) بين يدى الاستاذ سيدى المحفوظ رحمه الله • ثم تصاحبا الى (فاس) فاخذا من هناك عن أساتذة • منهم العلامة سيدى الحسن الزرهونى • أخذ عنه الفقه • وسيدى الطاهر بن محمد الصنهاجى • وسيدى عباس بنانى • أخذ عنه التوحيد • وسيدى محمد بن عبدالرحمن النحو • وسيدى محمد بن الحاج • بعض التفسير •

وحاله حسن • واخلاقه لطيفة • وذاكرته قوية • يحفظ ويستحضر من محفوظاته • وقد كنت القيت عليه مسائل فى ربيع الثانى ١٣٦٧ هـ أيام نزولى فى دارهم • فرأيته حاذقا لقنا • ولا يزال يتتبع الاخذ عن عمه • وعن الاستاذ الحاج احمد بن الحسين الجرارى أستاذ مدرسة (تزنيت) فى هذه السنين • قبل ان يتوفى • تخلق بأخلاق ابيه • فيبش ويهش • ويقابل الاضياف بما يجب • وله بيت فى المدرسة • يضيف فيه من يليق به ذلك وهذا مما يدل على تاصل الكرم • وملاقاة الاضياف • بسعة الصدر من جميع افراد الاسرة (الاعامووية) الفاضلة • وقد حرم كريمته من زمن فكان كماقيل

ان يذهب الله من عينى نورهما   ففى لسانى وقلبى منهما نور

ولم يبق من بصره الا بصيص قليل • لايكاد يميزبه من يقف أمامه •

---

١) كل مطلع يعلم من أين هذه الرسالة

وهو افضل اولاد القاضي في فضائله • وتأهله للشفوف • ومشاركته في الفنون منذ الان • وما اولاه ان يخاطب بهذه الابيات التي أقولها فيه الان • وانا اتمثل شخصه •

أبا سالم اشرفت نحو ذوى المجد — فصافح مصونات المكارم بالايدى
فمثلك من يبدو على قمة العلا — بدو جبين البدر في فلك السعد
فمن كان نجلا للذى كنت نجله — فأخلق به أن يغتدى غرة المجد
فذا عمك العلامة الفرد فلتنل — به حلة العلامة الماهر الفرد
فطعت الى العلياء شوطا فشمرن — لكيما تصون الكنزفى الشرفالعد
فلا كان من يدعوه علم الى العلا — ولم يغد شمس العلم منعدم الند
فليس عن المجد الموثل حاجب — فيجبه من يحنو المعالى بالصد

التاسع عشر : القاضي احمد بن أحمد أوعامو

هو صنو القاضي الجليل • وأحد العلماء الكبار المحصلين من شباب (سوس) اليوم • واستاذ من أساتيذ التدريس • قدم (تزنيت) وهي من العلم اقفر من جوف الحمار • لادرس يلقى في جامعها • ولالواء علم يخفق في محافلها • ولاأحد يهتم بانعاش المعارف في تلك المدينة التي كانت عامرة المحافل الدراسية حينا بالعلماء الكبار • كالشريف الكثيري • ومحمد بن عبد الرحمن الاغرابويي والحسن بن الطيفور الساموكني • ومحمد بن الطيفور الاسغاركيسي وأمثالهم • وكانت محطا لركاب طلاب العلم من كل جهة • ثم لم تزل بعدهم هذه المدينة شاغرة من دراسة العلم تندب شجوها • وتطيل على فقد حظها عويلها • الى ان قيضت لها السعادة هذا الاستاذ الجليل • فكان أهم أمر عنده من أول يوم القى فيه عصاه بمسقط راسه هذا • وقد رجع من (فاس) واستتم اخذه • انيحيى رسوم العلم في تلك المدينة • وان ينتشل همم ابنائها من جهل عميق يطمو عليهم بسبب اهمالهم • وطول زمان القاء الحبال على غواربهم • فتيسرت له الامنية • وتأتت له مفخرة من احدى المفاخر التي يغتبط بها العاملون • ويغبطه عليها من يتمنون لوجرو اجريه لو كانوا ممن يقدمون • ولكن ليس كل من خطب حسناء يخطبها انلم يقدم مهرا (ومن خطب الحسناء لم يغله مهر) (ودون اجتناء النحل ماجنت النحل)

مولده

ولد اخر ذى الحجة ١٣٣١ هـ في تلك السنة التي غادر فيها والدهـ هذه الحياة الاولى في شعبان • فتركه حملا • ولذلك سمى باسمه على عادة المغاربة في ذلك • من عهد مولاى ادريس بن ادريس • ليكون كذكرى دائمة

فى الاسرة الراحل عنها • وأمه اسمها ءامنة • وهى وام القاضى أختان بنتا سيدى ابرهيم الماسينى البعقيلى • وكان ذا يد فى علوم الجداول مع اتقانـه لحفظ القرءان • والمام ببعض معارف اخرى • وكان مـن اخصاء الاستاذ الجليل الشهير محمد بن ابرهيم اعجلى • وكان ابرهيم صالحا عابـدا قانتا مخبتا مسنا • وكـان فى دار له كبيرة • بعزبـة (أيت "محمد) فـى أرباض (تزنيت) يزاول خلايا النحل • ويشتغل باملاكه • وكان ذلك ما يستمد منه مواد ضرورياته • وقد أخذ ايضا عن ابى زيد الجشتيمى • ولعل ماكان عنده من المعارف استمده منه •

في الكتاب

أخذ المترجم القرءان عن أساتذة • من بينهم الاستاذ الحسين الخباش فى مسجد (أيت "محمد) بـ (تزنيـت) وهو مدرر مشهور ذوسمت وجـد • توفى ١٣٤٢ هـ وممن أخذ عنه سيدى أبوبكر هذا الفقيه الذى يعين اليـوم القاضى • ويدير كل أشغال محكمته • وقد كان أخذ عنه فى مسجد بقريـة فى قبيلة (أيت ابراييم) وممن أخذ المترجم عنهم أيضا الاستاذ احمد بن محمد العمرى البونعمانى الذى تقدم ذكره فى اوائل ترجمة القاضى • فانه استاذهما معا • وذلك فى مسجد (تيمجاض) بـ (أيت همان)

انتهى المترجم من اتقان القرءان بعد ١٣٤٢ هـ فتوجه الى المقاصد العليا بهمته •

مشيخته في المعارف

اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه • شاءت الاقدار ان تفوز اليوم بـ (تزنيت) بأستاذ كبير من المترجم • فهيأت له أساتيذ كبارا جهابذة • اخذ عنهم فى (سوس) وفى (فاس) ومن رعته العناية بعينها من الصغر • فأجدربه ان ينال كل الشفوف فى الكبر

١) الاستاذ علي بن الطاهر الرسموكي

على يده افتتح سنة ١٣٤٣ هـ فـى مدرسة (دودرار) بـ (رسموكـة) فيتدرج فى التمرن بين الفنون على العادة • فاجتاز بكل نجاح طبقتى الابتدائية والوسطى • فاستولى على النجابة • وقد كان ذلك الاستاذ اول التحاقه بـه مجتهدا فى التدريس • فانتفع به المترجم بسرعة • وجنى ثمار الفهم من أغصن النجابة المورقة • الا ان فتورا حصل للاستاذ من ١٣٤٧ هـ الى ١٣٤٩ هـ فكان

حظ المترجم اذذاك انما هو المطالعة • وتتبع تعليم لبعض التلاميذ في الابتدائيات • اعانة للاستاذ • ويصف المترجم هذا الاستاذ بأنه لكثرةاشتغاله بخويصة نفسه • قلما يتعهد التلاميذ • ليعركهم ويجشمهم ويرشحهم الى ماهم بصدده • عادة له سار عليها طوال حياته • كأنه يقول • علينا العمل وعلى الله اكماله • واخال هذه العادة مما اقتبسه الاستاذ من أمثال أبي فارس والاستاذ سيدي المحفوظ فانهما يوصفان بذلك • كما يوصف به قبلهمشيخ الجماعة محمد بن العربي الادوزي • بل هذا أحد الاساتيذ الجشتيميين يعلن ذلك في مخاطبة لتلاميذه ـ فيما يحكى ـ

ولستم من الصبيان حتى أسوقكم فمنشاء فليقرأ ومنشاء فليكرا(١)

ومما خاطب به المترجم استاذه هذا بعد هذا الحين سنة ١٣٥٦ هـ وقد ولد له ولده محمد •

أبشر هلال للسعادة قد بدا	نحو السيادة والمجادة والندى
فافتر عن درر المرام سناؤه	لما استنار بوجهه متولدا
وترى السرور على البسيطةلامعا	فيعم رونقه الوهاد وأنجدا
وتهنأت كل الوفود بسابع الـ	ـيوم الذى فيه نجلت محمدا
أعظم به عيدا يعيد لفائز	بحضوره عز الملوك وازيدا
اكرم بذاك الاسم وصفا مجتبى	ومحببا عند الورى وممجدا
ظفرت به (رسموكة) العلياء اذ	جاد الزمان به وانجز موعدا
فتناشدت 'ورق' الهنا بمحمد	أكرم به فرعا سيشبه محتدا
وبحسن نشأة ناشىء من محتد	زاك ينال الناشئون سناالهدى
غصن من أدواح السيادة والتقى	سيحوز مثل أصوله خصل المدى
روض وريف مخصب متعطر	تلك الاصول بعلمها لمناجتدى
عمت نتائج من أبيه فانها	درر النحور لمن غدا متقلدا
شيخي الامام المجتبى والمعتلي	عرش القلوب متوجا وممجدا
مولاي نجل الطاهر السامي الذى	قد كان في كل المفاخر مفردا

الى ان قال ءاخرها :

ازكى التحية والسلام عليه ما	هز الاصول نمو فرع أملدا

(وترجمة هذا الاستاذ تجدها في هذا القسم نفسه في هذا (الفصل الثاني) ان شاء الله)

ب) الاستاذ المحفوظ الادوزي

انتقل الى حضرته بمدرسة (أدوز) ١٣٤٩ هـ فهناك أخذ المنطق والبيان

١) فليكر : فلينعس • من الكرى •

والاصول • وعلى يده فتح على المترجم فى علمى المعانى والاصول • فكان كثيرا مايستلذ المذاكرة فيهما كشيخه • والتفسير فـى جميـع القرءان • ومختصر ابن أبى جمرة للبخارى فى الحديث • وقد كان هناك معينا كبيرا للاستاذ باذنه فى جماعة يدرس لهم الالفية وغيرها من المتون • ثم صاريتابع الفنون تدريسا لكل الطبقات • وقد نال مكانة عند الاستاذ لما جبل عليه من سكون الطائر • وهدوء الحال • وديانة متينة • وعدم مشاركته فى كل مـا يجول فيه طلبة المدرسة من المعروف عنهم • فلم يزل رابضا أمـام الاستاذ الى ان لحق الاستاذ بربه عصر يوم الاربعاء ثالث ذى الحجة ١٣٥١هـ فتولى هو والاستاذ أحمد (ازاكاى) غسله • وصلى عليه الفقيه أحمد بن محمد بـن العربى • ثم لزم بعده تلك المدرسة سنة أو أزيـد • يطمئن قلـوب الطلبة المرزوئين بفقدان مثل ذلك الاستاذ العظيم • وقد تقدمت فى (الجزء الخامس) ترجمة سيدى المحفوظ بين الادوزيين

وأما اساتذته الحضريون الذين اخذ عنهم فى (فاس) فهم هؤلاء • نزيدهم فى العدد على من تقدموا له

ج الاستاذ الطائع الفاسى

د العلامة سيدى محمد العلمى الفلكى

هـ العلامة سيدى عباس بنانى

و العلامة سيدى الحسن مزور

ز العلامة سيدى محمد بن عبدالرحمن العراقى

ح العلامة سيدى محمد أقصبيى

ط العلامة الوزير سيدى عبد الرحمن بن القرشى

ى العلامة سيدى الحسين العراقى

ك العلامة الصوفى سيدى الراضى الحنش السنانى

ل الشيخ سيدى محمد بن الحبيب الفيلالى

م العلامة الاصولى الفذ سيدى السائح الرباطى

ن الشيخ أبو الاسعاد

هؤلاء مشيخته فى (فاس) فقد اخذ من هناك جميـع الفنـون • فرجع باجازة من كل واحد من هؤلاء • وما منعنا من سوق الاجازات الكثيرة الا مـا اشترطناه من حرصنا على ان يكون كتابنا هذا موضوعيا • وله فى بعضهم قواف منها قصيدة خاطب بها الاستاذ العلمى يوم ختموا عليه كتابه (تقريب البعيد) يقول فيها :

شكر المبدع صوغه في قالب عجب فلم تر مثله الازمان
من قد حبا عصرا فوائد فكره فتزينت بعقودها الاعيان
وبدت بهشمس المعارف فاكتست زهر الكواكب فاستفا الاكوان
علم المعارف مفرد بل محور لمدار كل فضيلة تزدان

وحين توصل باجازة العلامة سيدى الرضا السناني ١٥ - ٣ - ١٣٥٨هـ اجابه بقوله :

أتتني من جنب السعادة تبرد ففاح المنى من طيها والتودد
وعطرت الارجاء اذ نشرت فاي ن من نشرها الكافور بالمسك يعقد
فطرت على متن السرور بروضها اجر ذيول التيه منه وارغد
فما شئت من زهر المعاني ومن جنى الا مانى ومن دعج المعارف تقصد
وطارت بنا خمر التواجد اذغدا هزار المنى باسم الحبيب يغرد
ولم لا وقد رق النسيم بلطفها وحازت تباريحا من الوجد تحمد
وزفت لنا ممن يلوذ بقربه وخلته الاعلام حقا ليمجدوا
امام الهدى صدر المحافل اينما تجلى فذاك في الجلالة مفرد
وشمس العلا والعلم ضاءت فاكسبت شموسا ضياء دائما يتجدد
محدث فاس روض علم وحكمة وبحر فنون بالدراية مزبد
سليل الرضى الراضى السناني محمد فيالك من ندب همام يسدد
ويالك من سيف على الضيم منتضى أضربه من سيف عمرو وانكد
ببهجتك (البيضاء) راقت ولم تزل تجر مروط الفخر تيها وتسعد(١)
فبالله ياشيخي المجيز ومرشدى أفدنا بما يروى صدانا ويرقد
بقيت بقاء الدهر للناس رحمة وضوءا وللعداة سيفا يبدد

نبذة من أحواله

أما اخلاقه فانه هين لين • يغلب عليه الحياء • وقد كان تجاوز فيه الحد حين ربض في (سوس) وثافن أمثال أستاذيه ابن الطاهر والادوزى • الا انه لما رجع من (فاس) رجع بحالة يرجى معها كل النفع • وكثيرا ماكنت أقول لبعض معاريفه : ان لم ياتنا من (فاس) الابرفع الراس • وملء المجلس بالمذاكرة لكفى • فاذا به اتى بذلك وبعلم جم • وان كان بعض المغفلين

١) كان سيدى الراضى نزل اذ ذاك في (البيضاء) قبل أن ينتقل الى (أزمور)

المتماوتين لايزالون يحبون ان يتماوت كل الناس • ويرحم الله عمر • فقد رأى انسانا يكثر الاطراق • فعلاه بالدرة قائلا : ارفع رأسك • لاتمت علينا ديننا • هكذا ينبغي لكل ذي علم • ولكن الجهال لايعلمون • ونحمد الله على ان جاء وفق ظنوننا هذا الاستاذ الكبير • فانه مدمث الكنف موطأ الجانب يعاشر فتحمد معاشرته • ويذاكر فتظهر دقة نظره واطلاعه • وقد اعجبني كثيرا في مذاكرات جرت أمامي بينه وبين الاستاذ سيدي الحاج احمدالجراري شارك فيها ابن الخالة الاستاذ ابن عثمان • فكان الجراري المطلع كثيرا مايدلي بماطالع من مختلف كتب • والمترجم ضم الى ذلك تؤدة • وحسن مسلك • ومما جرى أمامي يوما حديث حول (التوسل) وكنت أنا اكره المماراة خصوصا في أمثال هذه المسألة التي لاباس بها • فتجاذب اولئك الاساتذة المباحث وترامو بالادلة • واردت أن أقطع المماراة فانها لاتاتي بخير • فبدات أملي حول ذلك المبحث التاريخي مامر حوله بين الباحثين من عز الدين بن عبد السلام • وابن تيمية الى ان انتهى البحث الى الشوكاني والالوسي • فكان المترجم مستحضرا لما قاله الالوسي في تفسيره (روح المعاني) فقطعت بذلك حبل المباحثة • وظهر بذلك الحق صراحا • ولاينبغي امتداد المباحثة بعدظهور الحق • ومما وقعت فيه المذاكرة مسألة حول المحرم بالحج عند الحنفية • فادلى باحاديث استحضرها • ثم راجعناها في شرح (بلوغ المرام) ومن ذلك أيضا مسائل أصولية وعرفية وفقهية • كلها اظهرت لي مكانة الاستاذالمكينة في الاستحضار • وتفهم روح النصوص • بعد ماجرى بيني وبينه فيها مذاكرات أو بينه وبين غيري في حضرتي • ولا أعلم اليوم في (سوس) من يتعالى الى سماوات البحوث العليا الحديثية والاصولية على ماهي عليه المباحث الاصولية الناصعة سواه • وسوى سيدي الحاج احمد الجراري وسيدي محمد بن عثمان الايكراري • وما وجد المترجم الا بركة الرحلة • وهل تترقى العلوم وتحصل المعارف الا برؤية العلماء ؟

كان عازما ذاهمة • ويظهر ذلك في تاثيره في (تزنيت) فقد أحدث فيها دروسا منظمة • واني بهذا الاستاذ لارجو أن يمد هذه الحاضرة بمعارفه (١) والمترجم يبكر بعد الصبح من داره الى المسجد • لاترده صبارة البرد • كما أنه يراجع المدرسة أيضا وسط النهار • ولاترده كذلك حمارة القيظ • وذلك كله مع تطوقه بادارة الاحباس دال على انه من قوة العزيمة مايمكن ان ينال بها النجوم • فبرحلته ارتقى فكره • ورو قت خمره • وجليت مرءاته • وسويت مرقاته • فانني لارجو منه ان يسد ازاء أخيه القاضي حفظه الله بابا

١) صدق هذا الرجاء بتاسيس فرع المعهد الروداني في (تزنيت)

كبيرا فى المعالى والفضائل . فانه كتتمة لصنوه القاضى . يعرف هو من حال الوقت مالا يمكن لصنوه ان يعرفه . لانه ليس من أبناء هذا الجليل . ولذلك تراه يحب ان يضع الاشياء فى مواضعها وضعا مناسبا . حتى الكرم فى الضيافة وفى غيرها له فى ذلك مايعجب كل من جال . وعرف كيف الناس وماهو مع ذلك كله الا حسنة من حسنات اخيه . حفظهما الله معا . وأطلع بهما فى تلك الحاضرة السوسية شموسا مشرقة دائمة خالدة .

لم يعتم بعد نزوله بـ (تزنيت) مفتتح المحرم ١٣٥٨ هـ ان فتح الدراسة ثم تهيأت له نظارة الاحباس سنة ١٣٥٩ هـ وقد قال . اننى لم أقبل هذا القيد الا لاجعله مرقاة الى احياء المعارف فى مدينتنا هذه . وهكذا يكون الرجال . يستخدمون الوظائف للمصالح العامة . لا للمصالح الشخصية فقد أحببت له الظهور مادام أخوه القاضى حيا مبسوط اليد . ملحوظ العناية فتذاكرت مع بعض أوداء القاضى . فلم نلبث أن عرفنا أنه ناظر للاحباس . فكان ذلك مبهجا لكل من يعرف هذه الاسرة . المعروفة عند كل أحد بالنزاهة والعفاف . وقد رأيته يتأفف كثيرا حين لم يكن حرا فى اصلاح المساجد وما اليها . مما يدل على أنه يحب ان يكون موظفا نافعا . لاموظفا مسترطا ملتهما ـ وحاشاه ـ وهو الى الان ١٣٦١ هـ عزب . ولعله يتيسر له ان يقترن قريبا فيحصن نصف دينه . كما فى الحديث . وقد جرينا له فى ذلك وعلى الله الكمال . (ثم انه تزوج أيضا فولد ذكور أصلحهم الله)

بعض ءاثاره

رأيت فيما تقدم بعض ءاثاره . فلنعرض هنا نماذج اخرى . فمن ذلك ماخاطب به سيد البلاد محمد بن يوسف ملك المغرب المحبوب حين أبل من مرضه المشهور بعد علاج :

عم الهناء وجيش السقم منهزم عن القلوب وثغر الشعب مبتسم
وافعم الجو مابالارض من فرح وبالبشائر فاح السهل والاكم
يوما أبل به ظل الورى وأما نهم فطلنا وعاد الانس والنعم
يوما يكون لنا عيد الهناء مدى الا حقاب ينشر فينا الشكر والكرم

الى أن قال فيها :

نفسى فدا لك من سقم ومن ألم قبل نفوس بختم العز تختتم

الى ان قال فى ءاخرها :

المدح عوفى اذ عوفيت فافتخرت بمدحك الواجب الكتاب والقلم
رب باسمائك الحسنى التى وسمعت كل العباد اذ دعوا بها رحموا

ايد وعظم وزد سلطاننا مـددا بعد الشفاء الذى تشفى به الامم

الى ان قال :

بجاه جد لكم لولاه مـا نشأت كل العوالم لاحل ولا حرم
عليه ازكى صلاة الله ما طلعت شمس البشائر بالابلال تبتسم

وقد رفعها الى السدة العليا بعد ما وطأ لها بنشر حسن رايته .

وقال يخاطب الخليفة بـ (تزنيت) الشريف المولى الحسن بن يوسف . بعد ما ابل من الم صمم . كان الم به . فقدم الى محله بـ (تزنيت)

اهلا بمن يعلـو السماك سيادة ونباهة ومكانة تـتـجدد
فرع الامارة والسعادة والندى (حسن) بحسن خلافة يتزيـد
رقصت بكم ارجاء تزنت بهجة وبمجدكم طير الهنا يتغرد
وببرئكم برءى العـلا وبعودكم عاد السرور وعنك كان يجدد
لم لا وقد امست بظل حلولكم وسمـت بظل لايـزال يمـدد
وسمت بماحظيت بهمن جدكم ١ ونراه من حسن البناء يخلـد
أعظم به ملكا جليلا لم يـزل (سوس) بنور فروعه يتمجـد
مولاى دونـك غادة مـزفوفـة وصداقها لطف لـديـك مجدد

ومن ءاثاره الحسنة محاضرة ألقاها فى المسجد الكبير بـ (تزنيت) وقد ختم فيها مؤلفا نصها .

حمدا لمن حلى العلماء برفع الدرجات . وثلث بهم فى الشهادة لهـم بنيل ارفع الكمالات . وعلى من جعلهم ورثـة الانبياء عليهم افضل الصـلاة والسلام . وعلى ءاله وأصحابه الكرام .

سادتنا الاجلاء

هذه محاضرة تطلب من كل طالب امعان النظر والتفكير فى مغزاها . والتخلق بمقتضاها . حاوية على درس نقطتين جسيمتين . اولا ماهو العقل الذى شرف به هذا النوع الانسانى . وأثنى على ذويه بقوله تعل (فبشرعبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وبقوله ما خلقت خلقا أحب الى منك ولا اركبك الا فى أحب الخلق الىّ

ما وهـب اللـه لامرء هـبـة افضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتـى فـان فقـدا ففقده للحياة أليـق بـه

١) مولاى الحسن جد الممدوح

هو نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية • فائدا لكل مصلحة دينية ودنيوية • مانعا من ارتكاب ضدها • فالعقل بهذا المعنى اما خاص يمن الله به على من شاء من عباده • واما بمعنى مطلق الشعور • مثل اجتناب حفرة خوف الوقوع فيها • فعام بجميع الحيوانات انسانيا أو بهيميا • وعليه فيجب على كل انسان ان يحتاط كل الاحتياط فى ان يتصف بما هو منخواص نوعه • حذرا من أن يتصف بما هو من خواص النوعالبهيمى فيلحق به • فما التمييز بين النوعين الا بالعقل •

لولا العقول لكان ادنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان

وبعد تحقق الاتصاف به يجب ان يقدره حق قدره • ويحفظه من سائر المفسدات • لذلك عد من الكليات الخمس • التى اتفقت الملل بأسرها على وجوب حفظها • اذن فمن غير شك ولاريب أن كل عاقل يحب الجمال والاجلال ويريد أن يكون ماهرا فى سائر العلوم الدينية فقها وحديثا وأدبا وغيرها من سائر الفنون المادية • كالطيارات والسيارات والتلغرافية والالات الكهربائية وشبهها مما تعلق به الهمم العالية • فما المريد الصادق فىالارادة الا من امتثل قوله تعلى (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وقوله تعلى (يايحيى خذ الكتاب بقوة) متحققا ان الله تعلى خلق الاسباب واقتضت حكمته تعلى وجود المسببات عند وجودها لا بها •

(ألم تر أن الله أوحى لمريم وهزىاليك الجذعيساقط الرطب)
(ولوشاء أدنىالجذع من غيرهزها اليها ولكن كل شىء له سبب)

متيقنا أن العلم بالتعلم (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) فليرم البطالة والكسل وراءه ظهريا • مجتهدا فى تحصيل الفنون بجميع الوسائل • مشتملا بقوة قاطعة • وهمة عالية • لا تعرف الملل •

أطلب ولا تضجر من مطلب فئافة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره فى الصخرة الصماء قد أثرا

فتستغرق أوقاته فيه سهرا بالتمتع بسلساله • وبرياضه الفائحة :

وحصل العلم وزنه بالتقى وسائر الاوقات فيه استغرق
وليك قلبك له أفرغ من حجام ساباط ومن لم يعشق
غيره :

أطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل

غيره :

الجد في الجد والحرمان عن الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الامل

وغيرها من كلام الحكماء المرشدين للعباد .

وقل للمتصنع في الارادة للعلم :

وقل لقتيل الحب وفيت حقه وللمدعي هيهات ماالكحل الكحل

أخطأت يا هذا فما كل مريد بمريد . فان دونك والمراد، خرط القتاد . استقبلت المغرب . وأنت تسأل عن المشرق :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

غيره :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل

سلكت الامعز الصوان (١) . وتركت المحجة البيضاء . فهيهات هيهات

فدع غمار العلا للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل

غيره :

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلا يغوص البحر من طلب اللئالي

فمت بغيظك . ظالما لنفسك . وأنت الذي فتشت عن حتفك بظلفك .
فاستنتج من هذا كله . أن من لم يرد العلم ليس بعاقل قطعا . لاستواء الظلمات والنور لديه (هل تستوى الظلمات والنور) ومن اراد العلم بلا تعلم، فليس بمريده قطعا . لتوقف المسببات على أسبابها . ومن يتعلمه بدون همة عالية . وحزم تام، فليس بمتعلم قطعا . لتوقف المشروطات على شروطها (وبضدها تتبين الاشياء) فاعلم ذلك وامعن النظر فيه . واسرح الفكر في رياضه . ثم اختر لنفسك ما يحلو .

ثم ختم المحاضرة بحائية حسنة مطلعها :

نسيم المنى من جانب النجح ينفح فسير مجد بالعزيمة ينجح
هنيئا لمن يهتم بالعلم دائما يروح ويغدو في أقاحيه يسرح

ومنها :

وويحا لمن يرضى بربح بطالة فما هو الا الجهل لا العلم يربح
اذا المرء لن يعل الثريا بهمة تراه سليب العلم بالجهل ينضح
ومن لم يجد لم يجد نجح سعيه ومن جد حاز كل مجد فيفلح

* * *

١) الصوان بالفتح فمشدد : نوع من الحجارة القاسية .

تلك نماذج من آثار الاستاذ الناظر حفظه الله • وبهـا تظهر مكانـة الرجل فى الادب • وفى استحضار الامثال الشوارد • والابيات الفرائد • مع تعبير مقبول اذ ذاك وروح أدبية ذات أريحية • كأنها مر بها على الرياض الفائحة • حفظه الله للمعارف وللمجد والعلياء •

خطـة القضاء

كنت كتبت ما تقدم منذ ١٨ سنة • ثم ازداد الاستاذ فى مقامه فـى نظارة الاحباس وفى التدريس • وقد أصبح شمس الاسرة • بعد وفاة القاضى صنوه • ويرد الى الموسم الالغى ليحضر دعوات اولئك الصالحين • وأخلاقه فى ازدياد • ومقامه فى تمكن • وهو يجارى ويدارى • ويحافظ على مركزه بكل ما أمكن • وهو بشوش هشوش • ثم بعد الاستقلال نقل مـن نظـارة الاحباس الى خطة القضاء فى (تزنيت) حيث هو الآن ١٣٨٠ هـ يتمتع بحسن السمعـة •

قولة ابن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه • الصدر النـزيه • مـن تشنفـت بسماعه الاسماع • وانعقدت على كماله الاجماع • أبو العباس سيدى أحمد بن أحمد اوعامو أخو القاضى المذكور • كان كثير المطالعة • مشاركا فى فنون من فقه وعربية وأصول وفرائض • طيب النغمة • عظيم الوقار فى أكمل جاه وحرمة • قرأ عـلى العلامة المحجوبى • وعلى نبراس المغرب سيدى المحفوظ الادوزى • ثاقـب الذهن • جيد النظر • حافظا لنكت الفقه • ثم انتقل لفاس وحرر فيها بقية علومه • ورجع لوطنه مهذبا فاضلا • قوى العقل • حسن الهيئة • معتـدل القد مليح الصورة • محبوبا عند العلماء • حريصا على الافادة • قليل الكلام جدا • وكان ينظر فى النجوم • حضرت يوما مجلسه الحديثى • فرأيته واسع الرواية • كثير الحديث • عـالى السند • حببه الله لـلانفس • مـع صدق مصاحبة • وحسن مداعبة • الى قريحة وقادة • وفطنة نقادة • عليه حلاوة القبول • سمع بفاس من اعلامها)

العاشر : الحسين البولـوقـتي

نسبه الحسين بن محمد ـفتحاـ بن احمد بن مبارك ـوالبولوقتى تحريف ابى الوقتـ وهم من صميم (أيت محمد) وولادته نحو ١٢٧٠هـ وقد تخرج فى القرءان باحد اساتذة اسرته من ءال أوعامو فى مسجد قرية (أيت محمد)

ثم لما اتقنه التحق بالاستاذ سيدى مسعود فى المدرسة (البونعمانية) فلازمه من أول يوم الى ان تخرج . وقد كانت له قدم فى النجابة يذكربها . وهو لايزال بعد فى المدرسة . وقد كان اذذاك لهجا بكتابة كتب الدراسة . يتتبع بها الدراسة نصابا نصابا . فلذلك حسن خطه حتى امتاز . ومن لايزاول مهنته كثيرا فقلما يتقنها اتقانا . ثم بعد تخرجه فى أوائل هـذا القرن . صار يشارط فى مساجد بايت بعمران . فأمضى هناك سنين . وهو فـى ذلـك يجعل ديدنه قسم التركات . وفض النوازل . ولكنه يمشى بتؤدة . وليس ككثيرين ممن يجرون فى ذلك اطلاقا . فتمولو من جرائه لما يترشحونه من كل ما سنح . ثم لاعليهم ان أصابوا أو أخطأوا . وحبك الشىء يعمى ويصم

اقترن نحو ١٣١٤هـ بكريمة من بنات عمه . ثم لم يتحول بعد ذلك عن صراطه المستقيم . ولم تحمله كلف الاسرة التى ينظر به على ان يغير سيره . وماذلك الا لتأثره بسجية أستاذه سيدى مسعود المعدرى . فكان وان لم ينفض يديه ــ كمافعله استاذه سيدى مسعود ــ بالكلية من فض النوازل . وكتب الاحكام بين الخصوم . يلزمه الحذر خوف التورط . مراقبا لله بحسب استطاعته . ولهذا كله يصبح قليل ذات اليد . ولايكاد ينتفع بما لعله يقتصده من مشارطاته قبل اقترانه . لمكان أخوته الذين كانوا ياتون على كل ماوصل الى ايديهم . فكان خلقه فسيحا ازاءهم . ولا تكتنه الاخلاق الا بمثل هـــذه المعاملات مع الاهل .

كان رحمه الله هينا لينا ذا دعابة لطيفة . وله فى ذلـك حكايـات منها أنه كان مرة فى دار الاستاذ محمد بن مسعود فى (المعدر) فحضر الفقيه المتجهم الصوفى سيدى عمر الدهوزى البرايبى . فظل يعظ الحاضرين بذكر جهنم على حين أنهم تحت ظل رب المثوى يتقلبون فى النعم . فلم يملك سيدى الحسين نفسه ان قال له . وأهالك . ان نحن الا فى الجنة منذ الان . ولانشم روائح الجحيم المنتنة الامنك . قال ذلك بدعابة هزت المجلس ضحكا . وكم له من أمثالها . وهو يرمى بذلك الى ان الاولى ان يختار الواعظ لكل مقام مقالا . فلم يلق فى مثل ذلك المقام للمواعظين الا ان يذكروا الناس شكر النعـم . وان يتكئوا على ذلك فى مواعظهم . ولهذا نعلم مقدار ذوق سيدى الحسين البولوقتى رحمه الله .

كان يلزم كثيرا الاستاذ سيدى مسعودا . ويصاحبه الى موسم (تازاروالت) وغيره . ومن أحواله أنه يعتريه النوم كثيرا بين الناس . فليم مرة على خفقة نوم خفقها فى مجلس عام . فقال متبسما منبسطا على عادته . لاتنكروا فضل النوم . فاننى كنت مرة مع رفقاء لى فى (أيت بعمران) فتعرض لنا ناس لهم حساب على أهل (تزنيت) فاعتقلونا . فاتوا بالحداد ليكبلنا . فنمت بين يدى

الحداد • فقيل أمن مثل هذا يراد أن نتوصل بحسابنا • أطلقوه ليذهب بالخبر الى (تزنيت) فانطلقت ببركة النوم • فلاحرمنا الله بركة النوم أبدالابدين

وكان الاستاذ سيدى مسعود يتخذ منزل الاستاذ دار اقامة كلما الـم بـ (تزنيت) التى كانت طريقه دائما الى محله مـن (بونعمان) ثـم بعد وفاة الاستاذ سيدى مسعود كان هذا الاتصال بينه وبين خليفته العلامة محمد بن مسعود •

مكانتــه في المعــارف

يظهر لى ممن استقى منهم ترجمة المترجم • ومما رأيته له من الاثار أنه نسخة من أستاذه سيدى مسعود • فكانت له مشاركة حسنة فى الفقـه والنحو والتصوف • واستحضار حكايات الصالحين • واللهج بكتبهم • ويوجد من بين ماخطته يده كتاب (طبقات الحضيكى) ولا أدل على تتبعه لخطا شيخه من هذه النظرة الى تلك الجهة • ومن هذه الهمة الى مثل تلك الاثار • فقدعلمنا مقدار ما لشيخه من الاعتناء بهذه الناحية (ولا ينبئك مثل خبير)

ثم لم يكن محيط معلوماته مقتصرا على الفقه والفرائض والنحو • وما ذكرناه له فقط • بل رايت له مايدل على ان للادب أيضا جانبا من نظراته • فقد وقفت فى دفات كتبه على مقطعات جميلة رائعة يختارها فيعتنى بنقلها مما يطالعه من الكتب • وهاك نماذج مما وقفت عليه بخط يده :

يامنية النفس ان اعطيت منيتهـا ... وسؤلتى ان دنونا او نايناك
ان بعتنا ببديـل منذ لـم اركـم ... فما بشىء مـن الاشياء بعناك
ان كنت لم تذكر بنا حين فرقتنا ... فيشهد اللـــه أنى لست أنساك

ولاخر :

ان كنــت لست معــى فالذكر منك معى
يرعــاك قلبــى وان غيبـت عـن بصرى
العيــن تفقد مـن تهوى وتبصره ... وناظر القلب لايخلو مـن النظر

وللشافعى :

سهرت أعين ونامـت عيون ... لامور تكون اولا تكـون
فادرأ الهم ما استطعت عن النفـ ... ـس فحملانها الهموم جنون
ان ربا كفاك بالامس ما كا ... ن سيكفيــك فـى غد ما يـكـون

وللقاضى عبد الوهاب البغدادى ـ وكأنه أعجب بالابيات لانها توافـق حاله ـ

قالوا الفقيه فقلت الزور ما قالوا ليس الفقيه سوى من عنده المال
كم من مسائل فى صدرى احصلها بالدرس حفظا ومافى الجيب مثقال
قالوا وفى العلم عز قلت ذاك بلا شك ولكنه فى الفقر اذلال
وعـزة العلـم ذل الفقر يـذهبها كم مـن فقيـه جليل ذلـه المال
فصرت أطلبه والدهر يطلبـنـى وطالب المال لا يبقى له بال
وكل شىء لـه ضد يضادده وءافة العلم اهمـال واقـلال

ولابن الحاجب :

من كان مفتخرا بالمال والنشـب فانما فخرنا بالعلـم والادب
ليس الجمال بأثـواب تزينه ان الجمال جـمـال العلم والادب
ليس البلية فى أيامنا عجبا بل السلامة فيها اعجب العجـب
ليس اليتيم الذى قدمات والـده ان اليتيم يتيم العلـم والحسـب

ولاخر :

ومـن العجائـب ان أقيم ببلـدة يوما وأسلم من أذى جهالهـــا

قال : ومما ينسب الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه :

ياطالب الرزق فى الافاق مجتهدا اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق ياتى الى من ليس يطلبـه وطالب الرزق يسعى وهومحروم

وينسب له أيضا :

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت علـى العباد مـن الرحمان ارزاق
لاينفع البخل مـع دنيا موليـة ولا يضر مع الاقبال انفـاق

تكفينا هذه النماذج • فهى بنفسها تعلن عـن جانب كبير من نفسية المترجم • فبعضها يدل على الاستسلام للقدر فى الامور كلها • وهـى نظرة كل مومن • ثم يزيدها التصوف امعانا بكثرة القاء الحبل على الغارب فى كل شىء • وسيدى الحسين هو الصوفى الناصرى الذى عرفناه • وبعضها يدل على الاقلال مع العلم • وهكذا حالة سيدى الحسين كماذكرناه • وقد وجد من كلام من اتصف بأوصافه• كالقاضى عبد الوهاب مايتكئى عليه• وبعضها يدل على عدم الالحاح فى طلب الرزق • فقد جفت الاقلام • وطويت الصحف • فما كان مقدرا • فانه ينقاد بأدنى سبب • وكذلك أيضا كان المترجـم • وانمـا مقصودنا ان يعرف عنه انله جانبا مائلا الى الابيات الادبية • ينتقى منـهـا مايوافق حاله • على حين انه فى بيئة قلما تعير لفتة الى بيت مستطرف • او الى معنى حسن • وان كانت مدارتهما عامرة الجواء بين عينى الناظرين • وقد كنا ذكرنا ان الادب لم يدخل المدرسة (البونعمانية) الا على يد الاستاذ

سيدى محمد بن مسعود • وذلك بعد ماتخرج صاحبنا هـذا • وأما مـاكنا نعهده من أستاذه سيدى مسعود فهو اعتناء بدعوات وحكايات صوفيـة • ومناقب الصالحين • وأمثال ذلك • مما هو معروف عن أمثاله • ولذلك لم نرد ان نضيع ماكان لهذا الناشىء فى تلك البيئة من تقدم الى جانب اخر • يتطلب منه مايدعم به مبدأ تلك البيئة نفسها •

بقيـة أخـرى من أخباره

علمت أن سيدى الحسين ليس يحطب فى حبال اقرانه من الفقهاء الذين يخبطون فى النوازل خبط عشواء • فبذلك كان يبتعد عن الفقهاء الـذيـن يشد اعضادهم رؤساء (تزنيت) فقد لازم المساجد • وتعليم كتاب الله • قانعا بما يدر عليه منها • كما انه لازم تعاطى النوازل بين الـذيـن يريدون فض نوازلهم بلا جلبة ولا ضوضاء • وحين يكون أمثال اولئك قليلين • بين الخصوم يقل بطبيعة الحال من يمثلون بين يديه • فكان قنوعا صبورا على كل لأواء يمسه بها الاقلال •

اخبرنى ولده سيدى محمد بن الحسين انه وقف على بطاقة كتبـت الى والده من الكاتب الرسمى للقائد انفلوس الحاحى من (تزنيت) يامره فيهـا بفض قضيته • فعرفنا أنه ليس اذذاك من المنسيين • وان لم يكن أيضا من المشهورين • ثم لما قام الهيبة كان من بين فقهاء (تزنيت) المتصببين بين يدى الاعراب للقضايا • ولكن يظهر لى انه نكص عن ذلك الزحام • بما يشاهـده من كثرة لجاج الفقهاء • كما هو مشهور فى تلك الايام حول ذلك • ونحـن نعلم من طبيعته أنه لم يخلق للمزاحمة • وأنه مستيقن ان ماكان رزقه سوف ياتيه هنيئا مريئا •

ثم لما تمكن القائد ابن دحان • أخذ بيده وكثر اتصاله به • حتى انه أعانه سنة فى حرث ببرذون • وذلك من أجل ان كـل سكان (تزنيـت) محاصرون فيها بالقبائل • فانحجر فيها امثال المترجم الذين يالفون المشارطة فى مساجد القبائل • فذلك هو السبب حتى اخذ ابن دحان بضبعه • ولكنه على كل حال لم يكن ليتم ظهوره • لزهده اولا من تلك المظاهر • ولكونه لـم يحكم التملق والتماوت • وكثرة التضرع للرؤساء • وهيهات ان ينال امثاله من الرؤساء نقيرا مالم يديموا لهم الركوع والسجود بكرة وعشيا • وسيدى الحسين ليس من هذا النمط • فلذلك لم يتالق نجمه اذ ذاك • مع كون نجوم اخرين دونه • عرفوا كيف يتملقون ويمرون الدر من الضروع •

كانت مشارطاته غالبا فى النصف الاخير من حياته فى المشارطة بقبيلة

(ايت برابيم) ولم يزل كذلك حتى سقط مريضا سنة ١٣٣٩ ﻫ فاسلم الروح في الخامس من ذي القعدة • ودفن في المقبرة الجديدة في غمار القبور من غير تمييز •

مساكين أهل العشق حتى قبورهم   عليها تراب الذل بين المقابر

كذلك انطوت صفحة عالم هادىء رباني منبسط هين سخي اريحي في كل ما يملكه • رحمه الله رحمة واسعة • ولم يتيسر لنا الآن أثر من آثاره مع حثنا لولده على أن يفتش عنه فلم يقع على شيء مما يدل على أنه لاأثر له •

الحادي عشر : سيدي أحمد البولوقتي

هو ثاني علماء البولوقتيين وهو ابن اخي من قبله • وقد نشا في قرية أهله من (تزنيت) فوجد من عمه الفقيه ما حبب الى والديه أن يميلوا به الى طريق العلم • ولا أمجد اذ ذاك عند الاسر من طريق العلم لمن تيسر له أن يسلكه •

متلقاه للقرآن

أخذ عن سيدي ابرهيم المقدمي التزنيتي الذي كان يدرس القرءان في داره من غير مشارطة اعتناء منه بنشر كتاب الله • وكان اذ ذاك شيخا هرما• وقد ربض على أولاده ••• يعلمهم كتاب الله • فيعلم معهم أولاد الجيران • وقد توفي عن سن عالية (وقد تقدم ذكره) فعلى هذا تخرج سيدي أحمد • وقد كان الاستاذ يلزه على القراءة مرغما • وكان هذا قد فر من المكتب• فكبله أهله • ويحكى عمه الفقيه سيدي الحسين أنه هرب مرة بكبله • قال : فتبعته الى خارج باب من أبواب (تزنيت) • فحاولت أن ألقي عليه القبض • فشد أمامي عدوا وهو مكبول• فلم أدركه حتى استدرنا على خارج محيط سور (تزنيت) كله • ودخلنا من باب ءاخر • وكان لحرص أهله في تعليمه تاثير فاتقن كتاب الله حفظا •

في المدرسة البونعمانية

ثم بعد أن حفظ كتاب الله التحق بالمدرسة (البونعمانية) عند أستاذها ابن مسعود فلازمه فنال بجده منالا • حتى أصبح من معيني الاستاذ في الطبقات المتدرجة • وقد كان سنة ١٣٢٩ ﻫ يعلم سيدي أحمد ولد الاستاذ باذن والده•وقد أخذ الاخذ المعروف عن طبقته في (بونعمان) وقد تفتح ذهنه وشحذت ذاكرته • وكانت لاتزال تنقصه من الدراسة العليا أشياء • غير ان

بعض عوائق عاقته عن الاخذ بناصية الفنون • وصدته عن استكمالها • وقد وقفت له على مقيدات اذ ذاك • يظهر منها أنه لهج بالفوائد • فينظم بنظم فيه انكسار كل ما يروقه من منثور يضم فائدة من الفوائد بين العلوم.

في الزاوية الالغية

كان الاخ سيدى محمد يأخذ عن الاستاذ ابن مسعود سنة ١٣٢٩ ﻫ وحين أظلت وفاة الشيخ الوالد • رجع الى الدار • ثم توفى الوالد فبقي الاخ عاطلا من الدراسة • فأرسل اليه الاستاذ ابن مسعود المترجم تلميذه هذا • لعله يتمشى معه مدارسة ومذاكرة • وكان ذلك أواسط ١٣٢٩ ﻫ فنزل بالزاوية • ففى ذلك الحين ظهر لاولياء أمرى • أن أفتتح أنا أيضا الاجرومية عليه • فكان تعليمه أول ما رأيته من المعارف • ولكن لم أكد أنا والاخ أحمد رحمه الله وهو الذى كان يسايرنى فى التعلم • نصل حروف الجر • حتى واثب الاخ أحمد أستاذنا هذا • وقد هم بضربه لشيء رأى به الاستاذ أنه يستحق عليه التأديب ــ وقد كان ضرابا لتلاميذه ــ فاذا به قد وجد من الاخ صليبا• ثم جاء بعض من لايستحيى من فقراء الزاوية فأراد أن يجلد أستاذنا المسكين• فحمله ذلك على أن أرانا نعامة رجليه• فلحق باستاذه بـ(بونعمان) راضيا من الغنيمة بالاياب •

بعد وفاة ابن مسعود

لم يطل الزمان • فتوفى أستاذ المدرسة (البونعمانية) فى ربيع الاول سنة ١٣٣٠ ﻫ فاقلع بسبب ذلك عن المدرسة (البونعمانية) فولى وجهته الى المشارطة • فلحق برئيس (تانكرت) باداوتنان السيد الحسن بوناكه • فاخذ بيده • فشارطه لاهل قرية (أغرغاز) سنتين • وكان يتعاطى هنالك تعليما لبعض الفنون الابتدائية. وممن أخذ هناك عنه ابن عمه سيدى محمد بن الحسين • ولد الفقيه المذكور قبله • ثم من هناك انتقل الى دار القائد سعيد التيكزرينى • فى قرية (دوملت) من (أيت أمر) فبقى هناك سنتين • وقد كنت رأيت من آثار قلمه كثيرا فى طرر كتب خزانة القائد سعيد ممايدل منه على اعتناء زائد • ثم شارط فى مدرسة (سيدى عبد الرحمن التامرية) سنة واحدة • ثم رجع الى داره بـ (تزنيت) فزاول التجارة حينا • ثم سكن فى قرية (أدوارنسيدى على) بـ (المعدر) متزوجا بايم غنية • أرتاش بمالها• ثم تزوج أخرى بعد ما قامت عليه هذه ففارقها • وسكن قرية (المعدر) فتوفيت فضاقت به السبل لما يلاقيه من عدم احترامه من الرعاع • والحر أنوف لا يرضخ للذل • وقد نالته أيام الكتانى مسة منه • كما نالت كل

الناس • فازاره السجن من اجل زرع له ادخله قبل أن يكيله أعوانه • فاداه ذلك الى تطليق دار الهوان :

ولا يقيم على ضيم يراد بـه   الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثى لـه احد

في نـواحـي تادلـة

ألقى مراسيه أولا فى زاويــة الشيخ سيدى ابرهيم البصير فى (ايت عياط) فصار يتقلب فى تلك الجهة ما شاء الله • وأحسبه زاول هناك مشارطة أزمنا • أحسبه حل حينا فى دار القائد محمد العتابى • ثم لم يطب له الحال• ولا قربه القرار • فولى وجهه صوب الحواضر •

في الـربـاط

نزل أولا فى (فاس) للاقامة فى بعض المدارس للتعلم والتعليم • فكان مما قدر الله أن دفعه الى طالب فى المدرسة المصباحية • فاستضافه فـى بيت يظهر أنه له • فتركه حتى نام • فاخذ كيسه • فذهب لحال سبيله • فلما انتبه الضيف بعد الصباح نظر بعينه الى الكيس فاذا بـه لاعين ولا أثر • فحفظ الله ما معه من الدراهم • لانه كان احتزم بها فى صرة تحت السراويل احتياطا • فأدهشه ذلك فهرب من (فـاس) •

ثم نزل فى(الرباط) نحو ١٣٤٤ ﻫ فاقبل على استتمام دراسته فيحضر فى دروس شيخ الاسلام ابى شعيب الدكالى • ودروس شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى • وقد كنت رأيته هناك فى بعض ممراتى الى (فس) وانا اذ ذاك اخذ هناك • فوجدته قد نزل فى غرفة عليا فى مسجد صغير • وقـد قـام بضيافتنا أحسن قيام • ثم فى سنة ١٣٤٧ ﻫ ألقيت المراسى فـى (الربـاط) فكان لايزال يأخذ ويحضر معنا ولكننى لانقباضى اذ ذاك ولانزوائى عن غيرللة كنت أتعاطى معها الدراسة • حيل بينى وبين مخالطته هو وغيره •

كان وهو فى (الرباط) غير متسع • بل ربما كان فى ضيـق شديـد يحاول اخفاءه تعففا•فادرك بعض الاخوان هناك مكان حاجته من حيث لايظنها تدرك • فاكتتبنا له مع أناس بما تيسر • فكان له ذلك سدادا من عوز •

في زعـيـر

كان شيخنا أبو شعيب رحمه الله سهل الكنف• ملاطفا رقيق القلب •

نصوحا للطلبة مستنهضا لهم الى مزاولة الحرفة وراء المعاش • يلقى علينا ذلك أثناء الدروس فى كل فرصة سانحة • فكان ذلك هو الذى وصل الاسلاك بينه وبين المترجم • فقارضه فى مال غير كثير يتاجر به فى سوق (زعير) فى دكان • فظهر لشيخنا من نشاطه ما حفزه على أن يزيد فى رأس ماله • ثم تتابعت الامانى منهما • والامانى فتاحة للابواب• وفتاحة للجيوب• فماده الاستاذ ممادة حتى زوجه ببنت أخ له • فهكذا سايره برقة ورأفة • كما تساير الام الوؤوم ولدها • فبذلك أسس سيدى أحمد البولوقتى لمستقبله ببركة الاستاذ • فتجر وفلح • فأثل وتوسع • فصار يعد الالفا من الفرنكات يضمها لنفسه • بعد أن لم يكن يطمع حتى فى المئات • ولم أكن ألقاه بعد انتشابه فى هذا الطور • غير اننى سألت عنه شيخنا الدكالى مرة • وقد قدم علينا بـ (الحمراء) فرأيته يريد أن يفصح عن شىء يجول فى خاطره • غير أن حياء من أن يذكر أى انسان بما لاينبغى • حال دونه ودون ذلك • ثم اخبرت أن عرض الدنيا مثل دوره الذى يمثله دائما بين كل متشاركين • فصار كل واحد منهما يزعم أنه مظلوم من صاحبه • ثم يسر الله لهما فانحلت العقدة • وانفصمت العلة التجارية بينهما بالمحاسبة • فاستقل كل بما له غير ملوم ولا مهضوم •

على هذه الحالة تركنا المترجم فى (زعير) ويذكر الواردون من هناك أن له سعة فى ذات اليد • فقدر له بعد أن يستقر بعدما تقلقلت به الاحوال كثيرا • كما رأيت • فقلما يألف عن محل القى فيه جرانه • والناس معادن• ثم لم يزل على ذلك الى أن توفى استاذنا ١٣٥٦ هـ فانتشبت مخاصمة بينه وبين ءال الاستاذ • ثم بقى فى محله الى أن أصيب بماله أولا • ثم بعقله ثانيا فذهب به الى ابن الرشيد حيث مستشفى المختلين • فتوفى هناك نحو ١٣٧٠ هـ رحمه الله •

مداركه

رأى القارىء من فذلكة مما تقدم مقدار مدارك المترجم حين توفى استاذه ابن مسعود • ثم رءاه جاور أيضا فى (الرباط) الاخذ ماشاء الله • ولا ريب أنه سيستفيد من هناك كثيرا • غير اننا يجب علينا أن لاننسى أن المرحلة عن (سوس) تاثيرا كبير افى عدم صموده الى الزيادة فى الاخذ التى يصمد اليها السوسيون متى هاجروا• وان لانتشابه فى الورطة التجارية والفلاحية وما اليهما ما ينسيه الميدان العلمى خصوصا حين استقر فى (زعير) حيث عش الجهل • وبورة الغفلة • فهل ننتظر منه بعد ذلك أن نرى منه تفوقا ؟ وقد طلق القلم • وزاول المحراث •

ذلك غير ان هذا كله لا يحول بيننا وبين ان نحكم له بان كل ما أخذه من نحو وفقه وما اليهما ، ثم ما استمده بعد ذلك بالمطالعة لايزال محفوظا مصونا ، وان غانت عليه هموم مزاولة الاموال، ورانت عليه صدمات الخوض بين الغافلين والجهال الزعيريين ، والحال لايزال على ما أنشدنا الشيخ الدكالي

اذا هجر العلم يوما هجر ... وزال فلم يبق منه أثر
كماء ترقرق فوق الصفا ... اذا انقطع الماء جف الحجر

بعض ءاثاره

وجدت بخط تلميذ المترجم سيدى أحمد بن محمد بن مسعود رحمه الله ما يلي ، وللبركة شيخنا سيدى ابى العباس هذه الابيات يخاطب بها بعض الطلبة يحثه على الاجتهاد والهمة فى التعلم ، والعلم كما هو معلوم ان أعطيته كلك أعطاك بعضه ، وان أعطيته بعضك حرمك ، ونص ما قال لا فض فوه :

العلم عز والجهول ذليل ... والعلم أيد والجهول كلول
ما ذا صنعت وقد رأيت قرينكم ... بالجد فى كل العلوم يصول
والجد مفتاح ومن لم يات بالـ ... ـمفتاح لم يمكن لديه دخول
انهض بهمة من يريد مطاره ... فوق السما تنل العلا فتنيل
من كان والده عليما عارفا ... أيليق أن يلتاح وهو جهول ؟
نصحا محضت لمن أصاخ لما اقو ... ل وعين حق الناصحين أقول
ابخس بعقلى ان سكتت وقد أرى ... خلى لمن فى المهلكات يميل
الرشد والتقوى ملاك العلم فار ... شد تدرك العلم الذى سيطول
والزم فديتك كل بحث منفس ... أولا فمالك فى الرشاد فتيل
باب العلوم يسد فى وجه الذى ... ما كان منه الى العلوم سبيل
الزم هديت الصالحات فانها ... حقا اليك النيرات تديل
واستشفعن بخير رسل الله أحـ ... ـمد انه بشفاعة مقبول
صلى عليه الله ما هبت صبا ... نجدية وجنائب وشمول
فعلى الاخى تحية مسكية ... جرت لها فوق الرياض ذيول
ما غرد القمرى فى فنن فما ... دبه فيشد ومن غناه هديل

هكذا وجدت هذه المنظومة المهلهلة ، وأحسب أنها للمترجم وقد قال كاتبها انها لشيخنا ابى العباس ، وأبعد بها أن تكون للاستاذ سيدى أحمد ابن مسعود وهو أيضا شيخ كاتبها ، ولكنه لو كان هو مقصوده لأطال فى التحلية ، وسيدى أحمد بن مسعود لم نعهد قط منه مثل هذه الهلهلة ،

بل لا يقول الشعر الا قليلا • فقد ذكر لى الاخ احمد انه خاطبه بأبياتا غير أننى نسيت أن استفسره ممن هى أمن انشائه أو من انشاده ؟ والغالب أنها من انشاداته • وايا كان فهى بنفس المترجم أشبه • وان لم تكن له • فهى لغيره من طلبة (بونعمان) من طبقته • وقد ضربت علينا الآن فى هذا المنفى أسداد فأسداد بيننا وبين المترجم الزعيرى • والا فما أسهل التثبت فى مثل هذا • غير اننا أخذنا أنفسنا ان نكتب الآن ما عندنا كما هو يقينا أو شكا أو وهما مبينين • ثم على من تيسر له بعد أن يحقق المناط • وعلى الله قصد السبيل •

ومن النوادر• ما قال طالب فى المدرسة البونعمانية لسيدى أحمد بن محمد بن مسعود • الذى كان يعلمه المترجم • فقد كان ضربه كثيرا • ثم يكرمه والده مع شدة ضربه لولده•فقال هذا الطالب لسيدى أحمد : اذكرنى لابيك ليكرمنى بشيء • فعلى أن أضربك ضربا مبرحا حتى لا تقدر أن تقوم من مكانك •

هذا هو الاثر الذى وقفنا عليه للمترجم الآن – ان صح أنه له – وأنه لذوا ءاثار لعلها أجلى من هذ اوأنصح • وأقرب الى الاذواق • ولكن أين ذاك منا الآن ؟ ونحن فى قمة (جزولة) من المعنين • وهو فى سرة بسبيط (تامسنا) بين الفلاحين • رحمه الله فان له علينا منة • بما تلقيناه عنه من أول يوم • وتعليم حرف واحد غير قليل • فله منا ألف تحية وسلام •

اذا أفادك انسان بفائدة ... من العلوم فادمن شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة ... افادنيها وخل الكبر والحسدا

(ثم ان المترجم أدركته الفاقة حتى اختلت حاله وعقله فذهب به الى (ابن الرشيد) حيث توفى نحو ١٣٧١ هـ) •

الثاني عشر : أحمد بن محمد

أحمد بن محمد بن محمد من بنى يحيا البولوقتى • وهو ابن الرئيس المشهور بين رؤساء المدينة • وابن أخى المترجم قبله ولد نحو ١٣٣٧ هـ واخذ القرءان العظيم عن الاستاذ سيدى البشير الساحلى • وعن الاستاذ سيدى محمد بن الحسين ابن عمه • وافتتح المعارف لدى الفقيه سيدى ابرهيم بن عبد العزيز الادوزى • فى المدرسة (البوعبدلية) • فتلقى بعض

المبادىء عنه • ثم انتقل الى جامع (تزنيت) جادا فى التحصيل فظهرت عنه امارة النجابة فى النحو والفقه واللغة والفرائض والحساب • فلعله ان شاء الله يكون من العلماء العاملين الصالحين لما يظهر منه من التؤدة والمسكنة والحياء المفرط مائلا على سفاسف الامور متعاليا الى معاليها حفظه الله وكمل عليه •

ثم انه اليوم بعد الاستقلال أستاذ فى احدى المدارس الحديثة • وقد تقدم فى طبقته حتى صار يشار اليه بالتحصيل •

الثالث عشر : سيدي ابوبكر بن احمد

سيأتى منفردا بترجمة لانه على شرطنا فى هذا الفصل •

وبعد فهؤلاء علماء (أيت محمد) الشرفاء • وهم اسرة علمية فصلنا الآن علماء لها على حسب ما عندنا • وأما رؤساء الاسرة • ففى (القسم الخامس) ان شاء الله •

سيـــدى

ابو بكر بن احمد التزنيتي القاضي

نحو ١٣٠٤ هـ = ١٣٧٩٠

نسبـــه :

ابو بكر بن احمد بن الحسين ابن الحاج يعزى ابن الطالب مبارك بـن محمد بن مبارك .

فقيه ءاخر من (أيت محمد) ـ وقد تقدم فقهاء من فخذه ـ له شهرة وظهور منذ أربعين سنة فى (تزنيت) ولاسيما منذ تولى نيابة القاضى رسميا .

متعلمه

أخذ القرءان عن الاستاذ الحاج الحسن بن أحمد التزنيتى الزكرى فى (تالعينت) وقد كان شارط فيها. ولا يزال حيا سنة ١٣٦٤هـ. لازمه المترجم سنوات الى ١٣٢١ هـ . ثم التحق بالاستاذ سيدى محمد بن علي بن الحسن فى قرية (ايدغ) وهو من الاغرابوئيين. فأخذ عنه حرف المكي. ثم حرف حمزة وفى ربيع الاول ١٣٢٦ هـ . ثم اعمل رحلته الى المدرسة (البونعمانية) عنـد الاستاذ سيدى محمد بن مسعود فافتتح هناك العربية وعلومها المعهودة الى أن توفى الاستاذ ١٣٣٠ هـ . فلازم خلفه الاستاذ الشيـخ سيـدى أحمـد بن مسعود الى ١٣٣٢ هـ فاضطر للاضطراب فى الاحوال اذ ذاك بسبب حروب الكفاح . حوالى (تزنيت) فأقلع الى مسقط رأسه (تزنيت) فانقطع منذ ذلك الوقت عن الاخذ .

في نيابة القـاضي

كان ملازما للقاضى سيدى محمـد (أوعامو) منـذ كانـا فى المدرسـة (البونعمانية) ثم لم يكن يفارقه أيضا فى (تزنيت) وقد دخل معه فى غمـار العدول . وفقهاء البلد . ثم لما برز القاضى الى المنصب القضاءى . كان يده اليمنى منذ حوالى ١٣٤٠ هـ . ولا يفارق مجلسه كنائب عنـه ومشاور فـى القضايا . الى أن تولى نيابة القاضى رسميا ١٣٦٣ هـ .

مختلف أحوالــه

كان يلازم مجلس القاضي ملازمة تامة صباح مساء • وكان هذا المجلس يضرب به المثل في عدة أوصاف • منها ملازمة الصلوات في أوقاتها • وقراءة الحزب الراتب • ومنها كونه مفتوح الباب لكل صادر ووارد • ومنها روح الفكاهة النزيهة التي تثار فيه بين المترجم وسيدي عمر الشريف التازارواتي • وسيدي الحاج محمد الاكماري• وفي بحبوحتهم القاضي الجليل ومتى حضر العلامة سيدي عبد الرحمن العوفي والشريف سيدي ابرهيم بن محمد التازارواتي فان شروط المفاكهة قد تمت • فقد صار اليوم الجميع الى رحمة الله • واخرهم المترجم • وقد كان كيسا ثاقب الذهن • يعرف من اين توكل الكتف • يحوي من اللباقة ما تفوق به على اقرانه • وله اوراد وجنوح الى الخير • ويختلف الى مجالس الفقراء في (تزنيت) • ويحضر في موسم الغ • ويتخذ شيخه سيدي أحمد بن مسعود المعدري قدوة في كل شيء • وقد حج سنة ١٣٧١هـ• ثم تواترت عليه أمراض• مع ملازمته للمحكمة الى ان جاء أجله• ومعلوماته وسطى• ولكنه يعرف بكثرة المجالسة والممارسة والمباحثة مصادر المسائل ومواردها • رحمه الله فقد ترك ثغرة بوفاته قلما تجد من يسدها •

مما قيل فيــه

كان الادباء الازاغاريون الذين تكون أغراضهم عند القاضي يقصدونه ويقدمون اليه من بنات قوافيهم • ومما قيل فيه :

اذا قيل من فيه جميع ذوي الخير ... يقول جميع الناس ذاك ابو بكر
كريم له عزم وحزم ومقصد ... حميد اذا ما جال في السر والجهر
اذا ما أممته أممت الذي به ... يتم لك المقصود في كل ما يجري
فهذا أخوك الدائم العهد فاقض ما ... يريد كما تدري وفوق الذي تدري
عليك سلام الله كالروض ان همى ... عليه سحاب القطر في مطلع الفجر

الفقيه سيدي محمد السماهري

ثم التزنيتي

١٣٠١ هـ = ١ - ٢ - ١٣٦٤ هـ

نسبـــه :

محمد بن الحاج عبد الله بن علي بن مبارك الازرق .

فقيه حسن تولى خطة العدالة في محكمة القاضي بـ (تزنيت) وله ما له من سمعة حسنة بين الطلبة وبين الفقراء الالغيين . وهو يمت الى كل فريق بوجهته .

مأخذه للقرآن

أخذ القرءان عن الاستاذ عبد الله التملي المذكور فـــي ترجمة سيدي الطاهر السماهري . وذلك في مسجد القرية . ثم عن الاستاذ الحسن بـن محمد الحمزاوي وقد توفي هذا نحو ١٣٥٨ هـ .

مأخـذه للمعارف

انتقل بعد أن استتم القرءان وحفظـه . وأتقن تجويده ورسمه . الى المدرسة (البونعمانية) عند الاستاذ محمد بن مسعود . فعليه افتتح ثم تدرج الى ان نال منه ما نال . فلم يتجاوزه قط . ولا مال طرفه الى أن يستزيـد من غيره . عملا بقولة صوفية تقول : ألزم بابا واحدا تفتح لك الابواب . واخضع لرقبة واحدة تخضع لك الرقاب . وحكى أنه وقع له مرة ما أوجس بــه الاستاذ من أخلاقه شيئا . فامره بمغـادرة المدرسة . قـال فتحينت نزول الشيخ الالغي الى (المعدر) فذهبت اليه . فقصصت عليه الواقع . فمشى معي الى دار الاستاذ هناك ـ وهو فيها ـ فدخلنا داره وأنا وراء الشيخ . فناداه فانتقل بسرعة عن مرقده . وقد كان نائما في بيت هناك . فسلم على الشيخ ثم جلس أمامه جلوس الصلاة على الارض . فقال له : أين التلاميذ في المدرسة من يسمى محمدا السماهري . فقاله نعم يا سيدي . فقال قد ذكر انه وقع له كذا وكذا . والآن مره ليرجع الى دروسه . فانه قد تاب ان كان وقع منـه

شيء • ثم استدعاني فقبلت راس كل واحد منهما فرجعت الى المدرسة • ثم لم أزل فيها الى ان ودعني الاستاذ : ١٣٢٧ هـ موصيا لي بثلاث : ان أتزوج في الحين • وان ألازم التدريس • وان أدعو الناس الى الله كما اذن لي في تلقين الاذكار • ثم أكد علي ان ألازم أهل الله فكان أعظم ما فزت به هذا الوداع الذي قلما يفوز به غالب الطلبة • فغبطوني عليه • والحمد لله •

حياته بعد

قال : حدثت مسغبة بعد تلك السنة • فجئت مع اناس من اهالي تلك الجهة البعمرانية • ليمتاروا من (أزاغر) ثم اتصلت بالاستاذ • فامرني بالجلوس عنده ثانيا • فلازمته الى أن توفي سنة : ١٣٣٠ هـ • ثم اتصلت بـ (تزنيت) فانتشبت في التجارة • ثم قطنت هذه المدينة التي أعجبتني •

ثم لم يزل يعلو شأنه هناك ويساعده الحال حتى صار أحد رجالات (تزنيت) المعدودين فضلا ونبلا وكرما وانحياشا الى العمل بما علم جهد الطاقة • وقد انخرط في خطة العدالة سنة : ١٣٤٥ هـ من أول يوم نظمت فيه المحكمة • فكان أحد عدول المحكمة الملازمين للقاضي سيدي محمد (أوعامو) بل هو صاحب كناشه الخاص، فانه كان من أصحابه في المدرسة (البونعمانية) ثم صار أحد العمد معه في (محكمته) والمشارك له في نعمته •

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

اعتناقه للطريقة الالغية

كان اعتناقها في المدرسة (البونعمانية) – كما اعتنقها كل طلبتها – ثم كانت له فيها قدم راسخة ، وقد كان الاستاذ كلما أراد القدوم الى (الغ) يقول له حين يخير الطلبة في الذهاب معه : ان ذلك يجب عليك أنت لما يعهده منه من التخلق بأخلاق الفقراء • ومن الهمة الصوفية التي بها يستقى من مثل هذه الحياض • وتجنى بها أزهار هذه الرياض • ثم لم يزل على ذلك لا يظهر منه أدنى فتور في باب الله • الا أنه ليس ممن يتجهمون ويعبسون ويبسرون ويكثرون ادعاء للمقامات وللاسرار • بل انما يذكر ربه ويشتغل بوظيفته العدالية • ويحب أن لا يفارق مجالس الذكر مع اخوانه الفقراء أبد الآبدين • مع ملازمة لهيأة العلماء من البزة الحسنة البيضاء • والترفع عن الادنياء •

كنت أسمع به • وربما كنت أراه فى (تزنيت) ان مررنا هنـاك • الا أننى لما زرتهما فى جمادى الاولى : ١٣٦١ ﻫ جالسته كثيرا• فرأيت له سمتا حسنا وقبولا وفهما • وعلمه وان لم يكن مشاركا متمكنا فيه فانـه مستبصر استبصارا يمكن له به أن يتصرف فى الفقه والنحو مـع تواضع رأيته منه • هذا ما ظهر لى منه • ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها •

من منشداتـه

مما أنشده فى جلسة قول الحراق :

ان طار عقل الذى قد شم ريـاك   فكيف حال الذى قد نال رؤياك

وقول ابن الفارض من تائيته :

فسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ   ـبطالة ان أخرت عزما لصحة

وقـول الاعرابـى :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت   على ودونى جنـدل وصفائـح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقـا   اليها صدى منجانب القبر صائح

ذلك هو الاستاذ سيدى محمد السماهرى الذى رزئناه اليوم فرحمه الله وغفر له •

الطيب بن احمد الطاحونى

التيزنيتي

نحــو ١٢٩٩ هـ = بعــد ١٣٦٠ هـ

نسبــه :

الطيب بن أحمد بن مبـــارك

وأصله من قرية (ادمشوز) ببعقيلة ٠ومن هناك انتقل احد اجدادهم الى (تزنيت) ٠ وكان والده أحد العلماء الكبار التزنيتيين فى عهده فلنذكره أولا ٠ ثم نعطف الى ابنه المترجم هذا ٠

أحمد بن مبارك العلامة الكبير المحصل ٠ ذو الفكرة الوقادة ٠والديانة المتينة ٠ كان مع ميلانه للخمول ٠ يزاحم الاستاذ الحسن بن الطيفور ٠ فقد وقفت له على ما يدل على انه كان من المناقضين له فى مبادئه ٠ فيعد فى صف الذين يناوئون ابن الطيفور فى تلك الجهة ٠ وقد كان اذ ذاك لايزال فى ريق شبابه ٠وابن الطيفور فى ذروة شرفه ٠ وفى قمة مجده ٠

ولد نحو ١٢٤٠ هـ ثم لاأدرى عمن أخذ القرءان ٠ الا انى اخبرت انه كان حينا عند الرجل الصالح سيدى محمد بن ابرهيم اعجلي فى مدرسة (اكفى) ثم أخذ عن الاستاذ ابرهيم بن محمد الايكرارى قليلا ٠ وهناك كان اتصاله بالايكراريين ٠ وسترى أثر ذلك ٠ فى ترجمة احمد بن ابرهيم بين الايكراريين أهله ٠ وممن اخذ عنهم أيضا الاستاذ محمد بن على بن سعيد اليعقوبى ٠ والشريف سيدى سعيد الكثيرى ٠ ثم التحق بفاس ٠ فاخذ عن اساتذة لانستحضرهم الآن ٠ وكل هذا لم استقه الا من خارج أسرته ٠ واما أولاده ٠ فلا يعرفون عنه الا انه أخذ من فـاس فقط ٠ لكونهم لـم يكونـوا بصدد تتبع تقلبات حياته ٠ وقد وقفت على بعض رسائله مـن (مراكش) و (فاس) الى أهله ومن أهله اليه ٠ واما مشارطاتـه فقد كان حينا فى مسجد (تارودانت) الكبير وفى مـدرسة (أوخريب) البلفاعية وفـى المسجد الكبير بـ (تزنيت) وقد اتصل بالشيخ سعيد المعدرى ٠ فكان من الشاربين من كاسه ومن المشهورين من ناسه ٠ والعجب من الاستاذ المـؤرخ علـى بـن الحبيب الجرارى حين لم يكن عند ذكره للشيخ سيدى سعيد أخبار هذا الفقيه عنده٠ مع أن والده سيدى الحبيب أيضا من أصحاب الشيخ المعـدرى ٠ يعرف كل

من ينتمى اليه • وقد رأيته فى كتابه ينسبه الى طريقة أخرى • وقد وقفت له على أبيات فى مدح شيخه هذا يقول فيها :

ألا ان أشياخ الانـــام وان هـــم
غدوا كثرة كالطيس(١) فى ساحل البحر

وكان لكـل واحـد منهـم يــد
قد امتلات منفضل ربى من السر

فان أبا عثمان من كان ظاهرا
بـ(معدر) مثل الشمس فى الافق والبدر

أجلهم عندى وأولاهم بــأن
يسير بمرء طالب الفتح فــى السير

أطال لنا الرحمن من عمره فقـد
وجدنا لديه الكنز من دون ماحفر

وجازى شيوخ المسلمين جميعهم
عن النـاس طرا بالجنان وبالخـير

وقائل هذا أحمد بن مبارك
وقاه الـه العالمين من الشر

وكانت أخلاقه مشهورة الى الآن فى (تزنيت) بالدماثة • ولين العريكة ولا يزال مثل مضروب عندهم جاريا فى الالسنة الى الآن • وهو (فيه خير • كما قال أحمد بن مبارك) يعنون به الامتثال حين لايجدى الا الامتثال وحده• وسببه أن رؤساء القبيلة تطلبوا منه شيئا لم يكن يلائمه • الا أنه لم يجدمنه مناصا• فقام من عندهم وهو يقول : (فيه خير) يعنى أن كل مقدر على الانسان لابد أن يكون له فيه الخير • وهى نظرة صوفية • يستدلون لها بقوله تعلى : (قالوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) ومن آثار سيدى أحمد بن مبارك أيضـا قوله فى السلطان المولى الحسن حين وفد عليه آخر عمره :

ألا هل الى لثم الكمـل طريق
فانى الى ذاك المقام مشوق

فما الفوز كل الفوز الا اذا رأت
عيونك وجهــا للامـام يروق

امام جميع المسلمـين الذى به
جميع المنى منه البنان يســوق

أدام اله العرش نصرا لملكـه
دواما له كل الزمان شروق

وأيد جنده • ووطد ملكـه
وقامت له الى القيامة سوق

فما هو الا الملجأ الحصن للذى
يهدده فى الظالمـين فنيق (٢)

اليه التجأت اليوم يفتح لى به
الى كل ما أبغيه منه طريق

فيا ملكا سلطانه كشف الدجا
من الضيم مذ أضحى فينجو غريق

بك التجأ العبدالمضيم فمط عن الـ
ــعبيد ظـلامات لهن سموق

فقد فر لى عبد الى (بووبوض٣) لم
أبعـه وانمـا حـداه مروق

---

١) الطيس : الرمل •

٢) الفنيق : الفحل المكرم من الابل •

٣) محل القيادة فى متوكة

فيابى لنا من كان قائد ربعهم   سماع كلام اننى لصدوق
فجئت الى مولاى سلطاننا الذى   بظل حماه اننى لولوق
على سيدى أزكى التحايا كانها   لمن شم مسك فى الحقوق فتيق
ليعذرن سيدى فلست بشاعر   ولا كان لى فى الشاعرين عروق
ولكن تقودنى اليه مظالم   على عظام جمة وحقوق

وهناك ظهير للسلطان الى القائد عبد الملك ليمكنه من عبده • وقد كنت حزته الى • ولكن لم أجده الآن بين الاوراق • وذلك يدل على انه اصبح له • فكتب فى شأن العبد الى القائد المتوكى ليدفعه لصاحبه •

وقرأت فى ترجمته فى كتاب المؤرخ على ابن الحبيب الجرارى ان من آثاره ما نصه :

ورب كلام طار فوق مسامعى   كما طار فى لوح الهواء ذباب

كيف يحكم الجاهل بعلم وهو لايعرفه • وقرطاسه ينبىء عن مبلغه من العلم • وقد صدق القائل فيه مما يتداول :

العلم ثلاثة أشبار • من نال منه شبرا شمخت به نفسه

وظن أنه وأنه ••• نقله أبو فارس الرسموكى فى أنواره • وفى المثل سماء سمعا • فساء جابة • بل هذا الحاصل الضال لاخبر عنده بمبادىء التوثيق أصلا • فطغى جهله • وأنكر المحسوس • ولله در القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال غيره :

واذا البينات لم تغن شيئا   فالتماس الهدى بهن عناء

وقال غيره :

واذا لم تر الهلال فسلم   لاناس رأوه بالابصار

فلولا أثم (من سئل علما فكتمه) كما فى قوله تعلى (الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس • فأولئك يلعنهم اللاعنون) وكما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من سئل علما فكتمه ألجمه الله بلجام من النار • ما تكلمت فى هذه النازلة بكلمة • ولكن الحق أحق أن يتبع • ولو من ضفدع فضلا عن المومن • وبه كتب افتاء بما

---

١) اسم مركز قيادة متوكة

انصدر من المتطفل فى أمور المسلمين سامحه الله • فهذه حالة أهل النسبة • فلابد أن تكون الشحنة والبغضة بينهم الى يوم القيامة •

أقول : لا ريب أن كل هذه الآثار لاتصدر الا من عالم متمكن يحب الادب • يتعالى الى المجاذبة فيه • والآن نعرف جانبا من جوانب هذا الفقيه الكبير ولعل ما استتر عنا بالجهل من جوانبه الاخرى أعلى وأجل وأنصع وأدل على مقام له سنى • وبالاثار تعرف الرجال • ولكن ان ضاعت الاثار فانما ضاعت حياة صاحبها ومكانته فى المعارف •

ثم انه رجع من عند القائد عبد الملك المتوكى بخفى حنين • ولم يقض حاجته • وان كان مزودا بكلام السلطان فانكسر خاطره • وتوجه الى بلده • فلما وصل (ايغيلالن) بـ (ماسكينة) مال الى فقيه هناك يعرفه فى المدرسة ليستريح عنده أياما • فلم يلبث أن لقى ربه هناك • سنة ١٣١١ هـ •

تلك ترجمة هذا الاستاذ الكبير • بحسب ما عندنا الآن • وقد نقلنا هذه الاثار التى تدل على نواح من ترجمته هنا وهناك •

أما أولاده فعدة • محمد الكبير • وقد كان من أصحاب الشيخ المجدين ومن التجار • وقد غرمه القائد الكنتافى غالب ماله بعد سجنه • توفى ليلة ٣٠ - ٩ - ١٣٥١ هـ ومنهم ابرهيم • توفى أيضا من سنوات • ومنهم الفقيه الطيب هذا الذى سقنا الترجمة من أجله •

سيدي الطيب

كان من لدات القاضى (أوعامو) وحلبته • فقد أخذ أيضا من (بونعمان) فرجع بعلم وسط • ثم كان من المغمورين بهذا القاضى وبصاحبه الحسن العفيا نى • وبسيدى محمود • وبكل الفقهاء الذين يعاصرهم وحين برز الهيبة نوى أن يدخل فى غمار الفقهاء الذين يجولون فى النوازل • ولكن لم يتح له ذلك •

نعم ان مظهر الرجل كان بين الفقراء • فهو فقيه الفقراء لا فقيه الفقهاء • فقد عرفته فعرفت منه مسكنة الفقراء • لا تعالى الفقهاء • فكم طعمنا عنده•وجالسناه فى (تزنيت) وفى الزاوية الالغية • ولم يكن بموسع عليه فى الدنيا • فانما كان يتمصص الرزق بلة بعد بلة • ولم يزل كذلك لايشار اليه بالبنان • ولا يجرى ذكره باللسان • الا بين الفقراء • مع أن له معلومات ربما لم تكن حتى عند اللامعين فى (تزنيت) من معاصريه ولكن الظهور أحاظ • فدانق من سعد خير من قنطار من علم • فقاتل بسعد والا فدع •

سيـــدي

عثمان بن أحمد الأكراري

٢ ـ ١٢٨١ هـ = مختتم : ٤ ـ ١٣٦٨ هـ

نسبـــه :

عثمان بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد ـ فتحا ـ بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الله ابن ابى بكر بن محمد بن أحمد بن يوسف بن فاضل بن سعيد بن على بن عبد الله بن الفضيل بن عبد الله بن كندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب •

هكـذا نسب الاسرة التى ينتسب اليهـا المترجم كمـا ساقه الفقيـه المؤرخ الايكرارى فى كتابه (روضة الافنان) ولعل فيه اسقاطا كما لايخفى على من جرب كثيرا القاعدة الخلدونية من قسم رجـالات سلسلـة النسب الى ثلاثة لكل قرن • والاسرة شريفة علوية كما ترى من الشرفاء السملاليين • فقد التقى نسبها ونسب سيدى أحمد بن موسى فـى الفضل او الفضيـل (على اختلاف يوجد فى ذلك) ابن عبد الله بن كندوز • وقد كنا تكلمنا على هذا النسب ، وما عند علماء الانساب فيه فى غير هذا المحل • فبينا ما قيل جعفر بن عبد الله الكامل وقد تقدم فى نسب المسعوديين شىء من ذلك (على أنك سترى قولة أخرى أخيراحول نسب هذه الاسرة فانتظر •

قيل كانت منازل هذه الاسرة فى (سملالة) ثم انتقلت قبل القرن التاسع الى (ايمسگدادن) فى قبيلة ايسى • ثم من هناك بعدما اشتهرت بالعلم نزل أحد أفرادها وهو سيدى عبد الرحمن بن موسى بـ نعبد الله بن أبى بكـر فى(وجان) بـ(بعقيلة) ثم استقر أولاده فى (تازروالت) فى أول القرن العاشر وقرية (عين الطلبة) مشهورة بهم • لانهم كلهم طلبة علم وقرءان • وكذلـك ينزلون فى قرية (تومنار) هناك فيضاف بعضهم الى (عين الطلبة) وبعضهم

الى (تومنار) ثم فى أواسط القرن الحادى عشر نزل بعضهم (وستىرى اسمه) فى (أكلو) قاضيا . ثم استقر اولاده فى قرية (ايكرار) هنالك منذ ذلك العهد

هذه الاسرة من الاسر العلمية السوسية الكبرى . وقد تاتى لنا والحمد لله أن نعرف من أفرادها كثيرين . منهم من كانوا فى هذه السلسلة المذكورة أو ممن تفرع منها . ومنهم من كانوا منها بلا شك عندنا . وان لم نستحضر الآن كيف يتصل بهذه السلسلة . فلنتتبع رجالاتهم الاقدم فالاقدم . على عادتنا والله الموفق . الى أن نستتمهم . ثم نتفرغ لترجمة سيدى عثمان الذى هو السبب حتى ذكر الجميع (وساقى القوم آخرهم شربا) .

الاول : احمد بن الرحمان المسكدادي التيزركيني

من الائمة الاعلام الكبار . الذين لايقعقع لهم بالشنان . ولا يطرق لهم بالعصا . نال شموخا ساميا فى المعارف وفى الورع . قال فيه الحضيكى :

(أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى التيزركينى كان رضى الله عنه فقيها عالما من علماء المسلمين . صالحا عاملا . جلدا صارما . قوالا للحق . أمارا بالمعروف . تقيا واقفا على حدود الله . لاتاخذه فى الله لومة لائم . له قدم راسخ : (كذا مع أن القدم مؤنثة) فى العلم والعمل . وشهرته رضى الله عنه تغنى عن تعريفه . ومصداق ذلك فى رسالته الى تلميذه الرجل الصالح سيدى يبورك بن حسين . ومن جوامعها : (الله الله الله ففى الله كفاية) ورسالته للعالم الكبير سيدى سعيد بن عبد النعيم الحاحى . ومما سمع واشتهر أن سلطان وقته ـ محمد الشيخ السعدى ـ كان يقول : ان سيدى أحمد ابن عبد الرحمن يخاف الله ولا يخافنا . وسيدى محمد بن ابرهيم كان يخافنا ويخاف الله . وفلان لاحد مرابطى سوس . لايخاف الله ويخافنا . وكان رضى الله عنه قال لرجل خطبت منه ابنته : زوج بنتك الطالب يبورك ـ وهو ابن حسين المذكور ـ ولك ما تمنيت . وكان سيدى يبورك خطبها منه وخطبها منه رجال اخرون قبله . فقال الرجل للشيخ : نعم تمنيت أن يكون لى بلدان . فى كل بلد أهل وأمة وعبد . وان لاأخاصم أحدا الا غلبته . قال الرجل أبو البنت . فزوجته اياها . فحصلت لى هذه الامور كلها على نحو ما تمنيت . فما غلبنى أحد فى حكومة قط . وجاء رضى الله عنه مرة من (تامانارت) فعرضت له نار عظيمة فى طريقه بوادى (نينت) فاقتحمها . ورأى أنها الجن . فقال السلام عليكم ان كنتم مومنين . وعليكم لعنة الله ان كنتم كافرين . فخمدت من حينها فاجتازها . وكان رضى الله عنه وفد على الملك أبى عبد الله مولانا محمد الشيخ . فلما رجع لبلده لقى الشيخ

الصالح أبا محمد عبد الله بن عمر (١) المضغرى بـ (تيبوت) احدى قرى سوس • فعزم على صحبته للانتفاع بـه • قال فسألنى : ألك أبوان • قلت أمي • قال تفتقر الى اذنها • فتأسفت من فوات صحبته • وأين أجد مثله • قال فسألته عن أولياء الله • فقال عليك بهم فى قرون الجبال•وبطون الاودية وان شئت ان تكون منهم فعليك بالصلاة فى الجماعة • فقلت فـى نفسى ان رجعت الى بلدى (تيزركين) أتخذ بفناء دارى المسجد • أقيم فيـه الجماعـة • فاذا هو ينادى من بعيد : يا سيدى أحمد فى الجامع • فى الجامـع • يرفـع صوته ويكرره ولما رجع المضغرى من هذه الوفادة • سأله فقهاء بلده عن بلد الملك ـ يعنون سوس ـ فقال : فقهاؤهم على ضعف الفتاوى • وفقراؤهم على كثرة الدعاوى • وعامتهم على كثرة المساوى • قيل هو كما قال رحمـه الله فى ذلك الزمان • ولكن بعد ذلك حسن حالهم (٢) (الى أن قـال) :

وكان رضى الله عنه ذا همة عالية فى الدين • ذا شكيمة على أهل البدع تفقه على يده خلق كثير • وانتفع به القريب والبعيد • طلبه أهل (أقا) أن ياتيهم ليدرس وينشر العلم فى بلدهم • فكتب اليهم : تبتنا خير من تبركم• ومن أراد العلم فليأته • وليطلبه فى محله ـ فى داره يوتى الحكم ـ

وكان رضى الله عنه يعظم قدر سيدى أحمد بن موسى • ويقول لاصحابه ما أشار به عليكم سيدى أحمد بن موسى فافعلوه • وسارعوا لامتثال اشارته ولا تخرجوا عنه • فانه قدوتنا وبركتنا •

وله تآليف منها منظومة فى (العقائد) وتآليف لطيف فى مسائل من (التصوف) طلبها منها الولى المذكور سيدى أحمد بن موسى • وساله عنها • فاجاب وأجاد • ورسالة كتبها للامام سيدى سعيد بن عبد النعيـم الحاحـى أبدع فيهـا •

توفى رحمه الله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة • أخـذ رحمه الله عن شيوخ (فاس) وأعلامها : الامام ابى عبد الله بن غازى رضى الله عنه • والامام أحمد بن يحيا الونشريسى• وغيرهما ممن فى طبقاتهما من الاعيان•وكانوا يثنون عليه بالعلم والصلاح • ومتانة الدين • والكرامات الظاهرة • وكـان أبـو

---

١) هكذا اشتهر فى التاريخ الى الآن : عمر • لاعمرو • كما يوجد فى كل ما رأيناه من الكتب • وهما اثنان • عبد الله بن عمرو الدرعى • وعبد الله بن عُمر المضغرى دفين تافيلالت •

٢) هذا الكـلام للتامانارتى فى فوائده •

مهدى السكتانى يذكر الشيخ ويثنى عليه بالعلم والدين فى مجلس تدريسه(١) وذكر الشيخ المنجور فى (فهرسته) والمؤرخ العلامة ابن القاضى كذلك • قال توفى سيدى أحمد بن عبد الرحمن المسگدادى الرجل الصالح • صاحب الكرامات الظاهرة • سنة ثمان وخمسين وتسعمائة •

وقال العلامة الولى الصالح سيدى أحمد أدافال فى وصف هذا الشيخ ما نصه :

أخبرنى ولد السيد الفقيه العالم الصالح الناصح الكاشف سيدى أحمد ابن عبد الرحمن فى ءاخر رجب الفرد سنة تسع وستين وتسعمائة عند سيدى أحمد بن موسى بزاويته • والولد واخوته اذذاك عند الشيخ : أن والده قال ما فى أولياء الله تعلى من المناقب • ففى سيدى أحمد بن موسى أكثر من ذلك • وحدث – يعنى أدافال – عن الولد المبارك عن أبيه (يعنى ولد سيدى أحمد بن عبد الرحمن – واسمه عبد الله – عن والده) وعن سيدى محمد الزروالى تلميذه عنه • فى كتابه الذى وضعه فى مناقب شيخه سيدى أحمد ابن موسى • أن هذا الشيخ يعنى سيدى أحمد بن عبد الرحمن • والشيخ سيدى محمد بن ابرهيم التامانارتى يجلان ويثنيان كثيرا على سيدى أحمد ابن موسى • ويشاورانه فى أمورهما على جلالتهما • رضى الله عنهما • وقال – أدافال – قال لى الولد المذكور : كان أبى لايشافهه فى حوائجه • وانما يكتب اليه فيها • قلت (أى قال أدافال) لله در هذا السيد • ما أنصفه وأحبه لاولياء الله • وأكثر تأدبه معهم • مع أنه رجل صالح • عالم تقى صلب فى الدين • لايخاف الامراء كغيره • لم يكن من أصحابه من يواجههم به من الحق • وهكذا ينبغى للمومن أن يكون ذليلا لاهل الله تعلى • وأن يغلظ على من يستحق الغلظة • ولا يمنعه ما فيه من الخير أن يتواضع لاولياء الله تعلى • أقتداء بالملائكة والانبياء والا كان قدوته ابليس • اذ أبى من السجود لآدم عليه السلام • فمنعه من ذلك ما حكاه الله تعلى عنه • وهو قوله (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) •

انتهى ماذكره به الحضيكى • مع ما نقله عن (أدافال) باختصار • وكتاب أدافال يوجد بنصه عند ذكرنا للشيخ أحمد بن موسى فى ترجمة سيدى ابرهيم بن صالح فى هذا (الفصل) نفسه •

---

١) ولم يدركه السكتانى • وانما أدرك أصحابه •

رأيت من الكلام المتقدم مكانة هذا العلامة من المعارف ، وأنه استقى ذلك من مشايخ عدة من بينهم : ابن غازى وأحمد الونشريسى ، واقرانهما بفاس ، ومنهم مشيخته السوسيون ، ولم نعرف منهم الآن الا اثنين ، وهما اللذان صرح بهما عند الحضيكى ، وحيث اقتضى المقام ان نذكر هؤلاء الاساتذة السوسيين وفاء بشرطنا ، دون غيرهم من غير السوسيين يجب أن نتريث قليلا حتى نؤدى هذا الواجب .

الحسن بن عثمان بن محمد التملى : شيخ الجماعة ومدرس زمانه ، وموطىء دولة الشرفاء ، وأحد أوتادها ، كان رضى الله عنه عالما عاملا متفننا جامعا تخرج عليه جماعة من الفقهاء، وكان له نظر سديد فى الفقه والاصول وأخذ عن علماء فاس : الامام ابن غازى وأبى العباس الونشريسى وطبقتهما، قال المنجور فيه فى فهرسته : انفصل الشيخ الفقيه المتفنن العابد الصالح أبو محمد الحسن بن عثمان الجزولى عن شيخه أبى العباس الونشريسى سنة ثمان وتسعمائة ، وسمعت أنه شيعه بنفسه ، وكان صاحب جد فى العلم والعمل ، مجانبا للراحة ، ملازما للجد والسهر ، وكان يقرأ عليه فى المجلس الواحد أربع عشرة دولة ، الى اخر ما اذكر فى الفهرست ، من الثناء عليه ، وكان الشيخ أبو مهدى السكتانى يكثر الثناء على سيدى الحسن بن عثمان صاحب الترجمة وعلى سيدى أحمد بن عبد الرحمن التيزكينى ، ويقول : ان شيوخهما الفاسيين كأبى عبد الله محمد بن غازى، وابى العباس الونشريسى ، والفقيه أبى زكرياء يحيا بن مخلوف السوسى يعترفون لهما بالصلاح والعلم ، ومتانة الدين ، توفى رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (وقال صاحب الفوائد) سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة (وكذلك أيضا أرخه فى (دررة الحجال) وقال انتفع به فى جزولة خلق كثير وأخذ عنه كثيرون من الاعيان) .

هذا ما ذكره الحضيكى ، ونص ما قاله المنجور فى (فهرسه) اثناء ذكره من أخذوا عن الونشريسى : والشيخ الفقيه المتفنن العابد الصالح ابو محمد الحسن بن عثمان الجزولى ، وانفصل عنه سنة ثمانية وتسعمائة ، وسمعت أنه شيعه بنفسه ، كان صاحب جد فى العلم والعمل ، مجانبا للراحة كثير السهر للدرس والتدريس والعبادة، وكان اذا غلب عليه النوم يضع رأسه على حجر ، لتوقظه قسوة الحجر ، لئلا يستغرقه النوم، ويطول مجلس تدريسه ، حتى كان يمر عليه فى المجلس الواحد أربع عشرة دولة ، حدثنى بهذا الثقة من اصحابه، وكان حافظا لتوضيح (خليل) لكثرة ملازمته

للنسخ والتدريس. قال انه نسخه اربع عشرة مرة. وكان حين وجوده بفاس يتعيش بنسخه . ونسخ (الرسالة) . حدثني بذلك ابن ابن اخيه الثقة المشارك النجيب الخير الناصح الصالح أبو الحسن علي بن سليمان بن عبد الله ابن عثمان . أعانه الله على ما هو بصدده من الاخذ بأيدي المسلمين . وتوفي (٩٣٢) هـ .

انتهى كلام المنجور . ثم رأينا في طبقات (الحضيكي) ثناء أحمد التيزركيني عليه في قضية الصيد بالرصاص . وقد علمنا أن السيد محمد ابن ابرهيم الشيخ التامانارتي كان من تلاميذ الحسن بن عثمان . وقد وقفنا على رسالة للتامانارتي اليه يتطلب منه المساعدة عند الامير أحمد الاعرج ليعفيه من خطة القضاء . وقد كان لسيدي الحسن مكانة عند اولئك الامراء لكونه دعم لهم الامر أولا . ولكونهم ممن أخذوا عنه . فمحمد الشيخ ممن ذكر بين الآخذين عنه . وقد ذكرنا رسالة التامانارتي المذكورة في (القسم الثالث) في هذا الكتاب عندما تعرضنا لذكره . في ترجمة سيدي محمد بن ابرهيم الافراني حفيده .

ومن تلاميذ الحسن بن عثمان أيضا أبو بكر بن أحمد التازولتي التملي وسنذكر بين أهله التازولتيين بمناسبة أخرى. وقد رأينا في البلاط السعدي كتابا آخرين من التمليين . لعلهم مثله . اتصلوا بتلك الخطة . بسبب توسلهم بأنهم بلديو هذا الشيخ التملي .

وأما ءاثار سيدي الحسن فلم نقف منها الآن على شيء . الا بعض دعوات وجدتها بخط بعض الكرسيفيين . ولامعنى لايراد مثلها في كتاب أدبي تاريخي مثل هذا . وقد أقبر سيدي الحسن ازاء (تييوت) في ضواحي (تارودانت) وعليه بيت صغير في وسط المقبرة .

ثم ان هناك علي بن سليمان صاحب الشرطة عند السعديين . وهو ابن ابن أخي سيدي الحسن بن عثمان هذا . وكذلك أخوه أبو بكر الآخذ عن سيدي عبد الرحمن بن عمرو البعقيلي الجرادي . وتسمى هذه الاسرة (أيت ازيمر) ــ ءال الكبش ــ من قرية (أسكاور) وأسرتهم العلمية لم نعلم منها الآن الا هؤلاء الثلاثة . وسمعت أنها انقرض الان العلم فيها . بل لعله انقرضت الاسرة تماما . وقريتهم (اسكاور) في عداد قرى قبيلة أملن .

ذلك كل ما عندنا عن سيدي الحسن بن عثمان . ولعمري ان حياته ما تزال خافية مع تلك المكانة السامية التي كان يشغلها في حياته . فلم ندر الآن . عن فتاواه وعن ءاثاره الاخرى شيئا . كما لاندري من تلاميذه الا القليلين . وهو الذي كان عارض سيدي أحمد بن عبد الرحمن المسكدادي

فى قضية الصاع النبوى .

وأما شيخ سيدى أحمد التيزركينى الثالث . فهو يحيا بن مخلوف السوسى ثم الفاسى . فلم استحضر الآن من ترجمته شيئا . وقد وصفه المنجور بين الآخذين عن الونشريسى بقوله :الشيخ الاستاذ المتفنن الصالح أبو زكريا يحيا السوسى . وذكره فى محل ءاخر بأنه أحد الذين أخذ عنهم عبد الواحد ابن شيخه أحمد الونشريسى . فقد كان أخذ عنه الالفية نحو عشر ختمات . وقد كان يحيا يبيت عند والده . فهناك أخذ عنه عبد الواحد على حين أنه هو يأخذ عن أحمد فرعى ابن الحاجب (أقول) أحسبه نزل فاسا فئاواه اليه الشيخ أحمد الونشريسى فيأخذ عنه ويعلم ولده عبد الواحد ثم كان له مقام محمود فى نشر العلم مع تلميذه عبد الواحد . وما اكثر امثاله السوسيين (١) النازلين على الفاسيين فظهروا بذلك . وقد قال فيه صاحب (درة الحجال) الفقيه الاستاذ المعقولى . له رحلة لقى فيها جماعة من العلماء . توفى : ٩٢٧ هـ .

هؤلاء فقط من تحقق عندنا أنهم من أشياخ التيزركينى السوسيين . قد أخذ أيضا عن سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ التامانارتى . وهو مذكور فى الكتاب الذى ألفه الديمانى فى حياة الشيخ التامانارتى . وان كان ربما عكس هناك غلطا وانما لم نجزم بذلك لاننا لانقدر أن نحكم على كل ما فى ذلك الكتاب بصحته بعدما رأينا فيه مارأينا من التحريف . وأخبار أمشاج وحشر كل أعلام ذلك الوقت بين أصحاب الشيخ التامانارتى حتى من لم يعيشوا فى عصره . وهذا بديهى عند كل من نظر فى ذلك الكتاب .

آثاره فى التآليف

راى القارىء قريبا من كلام الحضيكى ذكر بعض ءاثار المترجم سيدى أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى . وقد وقفنا نحن على غير ماذكره بين ثنايا الاوراق والكتب فلنذكر بالتفصيل الجميع لنعرف الموجود من المفقود عن حسب علمنا .

أ) منظومة فى العقائد لا نعرفها الآن موجودة .

ب) مؤلفه فى التصوف الذى جعله جوابا للشيخ ابن موسى لانعرفه أيضا الآن .

---

١) قال لى العلامة سيدى العابد مؤرخ فاس اليوم : ان أمثال هؤلاء العلماء السوسيين المنقطعين فى فاس يمكن أن يجمع فيهم مجلد ان تتبع ما نعرفه منهم . هذا ما قال . وعند جهينة الخبر اليقين . فليسمع هذا من لا يعلمون

ج) رسالتان له الى المذكور صغيرتان • توجدان فى مختصر (طبقات الحضيكى) لابى زيد الجشتيمى • وقد كنا كسلنا عن نقلهما هناك يوم كان بايدينا •

د) رسالة الى تلميذه سيدى يبورك الهشتوكى وستاتى •

هـ) فتيا جيدة وقفنا عليها فى كناش الايديكلى نشرناها فى المجموعة الفقهية •

و) رسالة له الى بعض معاصريه ظفرنا بها فى كتاب فقيه كرسيفى نصها :

(وعليكم السلام يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فقد توصلت برسالتك الحسنة تتطلب منى فيها أن أجيبك عما يعلى الهمة فى العلم والعمل :

اعلم يا سيدى أن الانسان حيث يضع نفسه • وفى البداية تظهر النهاية • ومن رأيته ينوى من أول قدم أن يكون أعلم الناس كان من أعلم الناس • ان وفقه الله للمواظبة • قال تعلى : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • وكذلك من كان أهتم بالعمل فى أول أخذه للعلم • فهو الذى يمتزج علمه وعمله • وأما من تهاون فى مبدا ذلك • فقلما ينجح بعد • الا أن يريد الله به خيرا • فينشر له همة جديدة • ولهذا يجب عليك أن لا تقبل من تلاميذك بادىء بدء الا من لقنته هذا • فرسخ فى قلبه • وطوى عليه نيته • وجعله نصب عينيه • فجاهل ذلك يعلمه • وعالمه يواخذ بوضع العمل ازاء العلم (واتقوا الله ويعلمكم‌الله) ثم ابتهل الى الله فيما بينك وبينه على أن يهديهم ويرفع هممهم • فلن يخيب ان شاء الله دعاءك • مع تنبيهك باللسان وبالله • ومن يرد الله به خيرا لابد أن يظهر عليه علامة التأثر • وشاركنا يا سيدى معك فى أجر ذلك) •

ز) رسالة الى سيدى سعيد بن عبد النعيم • وهى هذه كما ذكرها سيدى محمد بن أحمد الادوزى ونصها بعد البسملة والصلاة :

(من الفقير الى الله بالذات • المعتمد عليه بفضله فى جميع الحالات • كاتب الاحرف عبيد الله تعلى : أحمد بن عبد الرحمن تاب الله عليه ووفقه لما يحبه ويرضاه الى سيدى ابى عثمان سيدى سعيد بن عبد النعيم • انعم الله علينا وعليه باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الحركات والسكنات • والكلمات والارادات • وسلمنا من اتباع الهوى • والتحلى بالصفات المهلكات وأسعدنا واياه باقتفاء سنن السلف الصالح • والسعى فيما يرضيه عنا •

وعن الاباء والذرية والاحبة والامهات . سلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد بلغنا عنكم سيدى أمر تكاد قلوبنا عند ذكره تطير من قفص الابدان ، وغشينا عند سماعه واستنشاق روائحه منكم منغص . وان ضحك منا اللسان . وذلك أنه قد بلغنا عنكم أنكم عازمون على مخالفة الشرع العزيز . وعلى الرمى بأديانكم وأبدانكم وأرواحكم وعقولكم وأولادكم وأموالكم وأحبابكم وأتباعكم وأزواجكم فى بحور الهوى والردى، ولا سفينة. وعلى التورط فى مهواة الذنوب . تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة . وذلك طلب الملك والولاية ، ومنازعة أرباب الدولة بالقتل والمشاتمة . هاه هاه هاه . كلا لا . كلا لا . كلا لا .أين عقولكم الراجحة ؟ أين علومكم الراسخة ؟ أين بصائركم الثاقبة . أين عهودكم للسادة السالفة . انتهوا خير لكم ، انتهوا خير لكم . وانى لكم والله من الناصحين . اللهم ياالله . ياالله ياالله يارحمن يارحيم ، انا قد استغثنا اليك بعروس مملكتك الذى هو سيد خلقك . نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. واخوانه المرسلين. والانبياء والصالحين . وبالملائكة المقربين . أن تفضل علينا بالعافية التى علمت أنها عافية لنا فى ديننا ودنيانا وأخرانا . وأجبر سفينة المسلمين يا ذا الجلال والاكرام . يارب العالمين . وتذكروا وفقنا الله واياكم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : انكم ستحرصون على الامارة . وستكون ندامة يوم القيامة . انها نعمت المرضعة . وبيست الفاطمة . فاى خير فى خصلة شهد الشاهد المصدق أن عاقبتها خسران مبين . وندامة طويلة. فلله در الامام أبىالعباس أحمد بن عبد الله الجزائرى حيث قال فى هذا المعني فى قصيدته :

دع الرياسة لاتسلك مسالكها ... أما الولاية فالبلوى لذى وجل

قال الشيخ الجليل سيدى محمد بن يوسف فى شرحه لهذا الكلام بعد كلام بليغ فى ذم الرياسة والولاية : مراده التحذير من الرياسة فى هذه الازمنة الفاسدة . فانه على تقدير أن تكون نية الرئيس فيها صالحة . فلا ثبات لها . ولايجد معينا عليها . فهو بتنكيس على وجهه فى أول يوم من ولايته . فالاحمق اليوم من سولت له نفسه الامارة . وأوهمته أن مصلحة دينية فى شىء من ضروب الرياسة . وقد ذهب زمان ذلك . وانقضى سبيله فلا مطمع فيها الآن. الا فى زمن عيسى عليه السلام انتهى وقد اجاد ونصح . نفعنا الله به . فاقبلوا نصحه . واسمعوا وعظه . جعل الله عز وجل هجرتنا وهجرتكم اليه . لا دنيا نصيبها . أو امرأة نتزوجها . أو رياسة نتلذذ بها . واليكم النظر فى قوله تعلى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) فحذرا فحذرا سادتى من التعرض للوقوع فى محذور قوله تعل (وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بماكانوا يصنعون) (ياأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يومرون) فما بالكم أيها السيد ؟ (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هوخير) ؟ فما مثلكم عندى فيما أنتمفيه الا كمثل من تأهب أن يخوض بحور السموم وأوديتها • ليبحث فيها عن حجر الياقوت • فيقال له : أيها المسكين : ان السم الذى تخوض فيه لايبقى ولا يذر • يهلك أول وهلة هلاكا تاما أبديا • قبل الظفر بالمامول من حجرالياقوت • فلا تعدل بالسلامة شيئا ولا يغرنكم سيدى فى ذلكم ما رسم فى دفاتر المعتنِ بنِ بعلوم الحدثان •فجله افك وزور • فالسعيد ابن السعيد من اتعظ بغيره • والاحمق الشقى منوعظ به غيره • وأحرى من ذلك الهواتف التى تهتف بالانسان فى نومه أويقظته• فلا تسكنوا اليها • وان كان سامعها منكم يزعم أنه سمعها من النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام • اذ لا يجوز التدين بها • حتى تعرض على الشريعة المحمدية • فان وافقتها فالرؤيا حق• والمسموع حق • وان خالفتها فالرؤيا حق • والمسموع وسوسة من الشيطان أو من النفس • لانهما يوسوسان فى حال اليقظة • فكيف فى حال النوم • لان العصمة من تلبيس الشيطان انما ضمنت فى رؤيا صورته الكريمة عليه السلام • ليس الا • حسبما بين ذلك القاضى عياض رضى الله عنه فى (الاكمال) وغيره • وقال سيدى أبو زكرياء يحيا النووى رضى الله عنه فى كتاب (الاسماء واللغات) له فى أثناء الكلام على خصائصه عليه السلام • ومنه : أن من رءاه فى المنام فقد رءاه حقا • فان الشيطان لايتمثل فى صورته • ولكن لايعمل بما سمعه الرائى منه فى المنام • مما يتعلق بالاحكام • خلاف ما استقر فى الشرع • لعدم ضبط الرائى • لا الشك فى الرؤياء لان الخبر لاينقل الا من ضابط مكلف • والنائم بخلافه • انتهى كلام النووى رحمه الله • وما ذكره كله انما هو اذا علمنا علىرأى الاكثرين من أن صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام لايتمثل بها الشيطان • واما ان اعتبرنا ما ذكره القرافى فى (الذخيرة) من أن رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم لاتصح قطعا الا لرجلين : صحابى • أو حافظ لصفته حفظا يحصل له منالسماع مايحصل للرائى له عليه الصلاة والسلام من الرؤية • حتى لايلتبس عليه مثاله فرؤياه صلى الله عليه وسلم عزيزة الوجود • فسبحان الله • كنت أخبرتنى يا سيدى قبل هذا أنك هممت أن

ترمى بنفسك من سطح دارك . حين نسب اليك هذا الامر . والآن عزمت على ما عزمت عليه . انا لله وانا اليه راجعون . اللهم الهمنا رشد انفسنا يا ذا الطول والامتنان . ولعل هذه الحالة أتتكم من المشاورة مع من اتخذ الهه هواه . فتدبروا قوله تعلى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون) مع قوله تعلى (وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) الآية . (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مومنين) بل عليكم ياسيدى بالكتاب والسنة . فهذا امام الطريقة . جامع الشريعة والحقيقة . سيدى أبو الحسن الشاذلى . رضى الله عنه . قال : ضمن لنا العصمة فى جانب الكتاب والسنة . ولم يضمنها لك فى الكشف والالهام . ولقد كان لك يا سيدى فى شيخك سيدى عبد العزيز . وسيدى محمد بن سليمان اسوة حسنة . فأسلك سبيلهم تسلم . وتنبه من سنة المخالفة للسنة فى أشياء كثير عددها . تامر بها اتباعك . ولم يقم عليها دليل من كتاب ولا سنة (١) فيتنازعون مع من لم يوافقهم عليها . كلباس السواد فى حال الامامة . فترى الواحد منهم لايصلى خلفه . ولو اتصف بالعلم والامامة فكيف وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لبسه فى الخطبة يوم الجمعة . ولبس أيضا حلة حمراء . فما رئى فى أحسن منهـا صلى الله عليه وسلم . وشرف وكرم . والعجب كل العجب ممن يقدر أن يقول لشىء هذا حرام . وليس عليه دليل الا مجرد التحسين والتقبيح . فتوبوا من ذلكم . اذ هو الذى خرب دين النصارى . ولقد صدق من قال : لو كانت السعادة بالبهاء والصور ما نالها بلال الحبشى . وحرمها أبو لهب القرشى . وأشنع من هذا كله ما يجرى كثيرا على ألسنتكم من قولكم : كل زمان له رجال . وكل مقام فله مقال . مع قولكم الشيـخ فـى قومـه . كالنبى فى امتـه . فيوهم ذلك للضعفة مايقتضيه ظاهره. قال الله تعلى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله) (فاتبعونى يحببك الله) وقـال (وتوبـوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون) والحمد لله وكفى . وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى)

انتهت الرسالة الجيدة المباركة التى دلت على مقام كاتبها فى السنة. وعلى مقدار تمسكه كل التمسك بما قد يفلت من أيدى أمثال الشيخ سيدى سعيد رضى الله عنه . مع أن له ما له من قدم راسخة فى العلوم . وقليل من

---

١) كـان سيدى سعيـد يامر التائب بحلـق رأسه . ولعل هذا من المقصـود أيضا .

العلماء من يقف مثل هذا الموقف ، ازاء أمثال سيدى سعيد ، فينبه الغافلين عن السنة ، ويأخذ بالحجز عن ارتياد البدع ، فإن قولة من يقول : سلم للخاوية ، تنج من العامرة ، ان دلت على شيء ، فانما تدل على ترك التناصح بين المسلمين، وما ترك التناصح بين قوم الا تتايعوا فى مهاوى المهلكات شاعرين وغير شاعرين ، وتا الله لو كان كل عالم يقف مثل هذا الموقف كلما ظهر من صوفى حسن النية ما لا يوافق السنة لما فسد التصوف ولا سقطت منازل العلماء ، ولكن الجميع تواردوا على السكوت والتسليم ، فاصطلحوا وافتضحوا ، وان كان الجهلة منهم جميعا لايعلمون ، وقد كان سيدى محمد بن العربى الادوزى ووالده سيدى العربى يقومان بمثل هذا، وان كان سيدى محمد ربما وقع باقواله فى شيء يواخذ عليه أيضا ، نعم هناك سيدى الحاج أحمد الجشتيمى يقوم أحيانا مثل هذا الموقف ازاء معاصريه وقوفا مشكورا ، بالتى هى أحسن ، والجشتيميون أهل سنة ثابتة ، ما عرف عنهم أنهم زاغوا عنها قط لا قولا ولا فعلا ، وقد شكر مولاى العربى الدرقاوى (كما فى رسائله) للعلماء مثل هذا الموقف الذى يقفونه ازاء الصوفية كلما زلق أحدهم ، فيقيمون عليه النكير ، فهكذا يكون العالمون المحقون ، وهكذا يكون الصوفية المنصفون ، فرضى الله عن الجميع .

هذا ما اعتدنا من اثار قلم هذا الاستاذ الكبير ، ولعل ذلك يدل على مقام الرجل وعلى أنه ليس بامعة ، فقد رأيته يقدر أن يواجه سيدى سعيدا بما واجهه به ، كما رد أولا على أحد أشياخه فى قضية أكل الصيد بالرصاص كما يوجد فيما اختصرنا منه من ترجمة الحضيكى له ، وكما حاور شيخه سيدى الحسن بن عثمان فيما ذكره الحضيكى أيضا ، فلم يسلم له مقدار الصاع النبوية حتى رأى البرهان ، وقد نقل سيدى يبورك بن حسين أن سيدى أحمد يقول دائما من لم يات بنص فهو لص ، وهذا مقداره فى التثبت ، وهذه الخصلة وحدها ترجمة فائقة لسيدى أحمد بن عبد الرحمن ترفعه الى مراتب الرجال العظما ، وهو حقا من عظماء علماء عصره الذين لايخافون السلاطين فمن دونهم .

الاخذون عنه

رأيت فى ترجمة الحضيكى هذه الفقرة (تفقه على يده خلق كثيروانتفع به القريب والبعيد ، طلبه أهل (أقا) أن ياتيهم ليدرس ، وينشر العلم فى بلدهم الخ) فهذا يدل على أن سيدى أحمد بن عبد الرحمن من القائمين اذ ذاك بنشر العلم ، وتثقيف الافكار ، وبث المعارف فى الصدور ، غيرأننا بكل أسف لانعرف الآن من الاخذين عنه الا :

أ) سيدى يبورك بن حسين الذى ذكره (الحضيكى) فى ترجمته • فقد لازمه كثيرا فى القرءان والعلوم • وسترى ذلك فى ترجمته مع أهلـه اليبوركيين ان شاء الله فى هذا (الفصل) •

ب) ومنهم عبد الله بن أحمد ولده أخذ عنه أيضا • وما كان ليقع الا ذلك • وسترى الكلام عليه قريبا •

ج) وممن أخذ عن سيدى أحمد بن عبد الرحمن أيضا كما يظهر • أحمد بن داود المانوزى المذكور فى ترجمته المتقدمة • وقـد وصف هنـاك بالفقيه • فالغالب أنه تخرج به لملازمته اياه • لان ملازمة الطلبة لمثله معناه أنهم يأخذون عنه العلوم • ولم أقف على ذكر لاحمد هذا فى غير هذا المحل• ويظهر انه تأخر عن متوفى شيخه •

د) ومنهم أحمد بن حسين • فقد وقفت فى فتيا على هذه العبـارة : (وقد ذكر ذلك سيدى أحمد بن حسين بن يحيا التملى عن شيخه سيـدى أحمد التيزركينى • وأحمد بن حسين هذا وقفت عـلى كتاب نسخه سنة : ٩٩٠ هـ • فيكون وفاته بعد ذلك الحين ولم أقف له على ذكر فـى غير تلـك الفتوى • وخطه جيد • ويظهر مما كتبه أن له مكانـة • وهنـاك آل حسين التيمگيدشتيون الكرسيفيون الذين نزل بعضهم فى (أگلو) فهل أحمد بـن حسين هذا من جدودهم • يبحث فى ذلك من أمكن له • ممن سيعقبون مـا نكتبه الآن ان شاء الله • يوم يتنبه السوسيون لاحياء أخبار أهـل اقليمهم هذا •

هـ) وكذلك وقفت أيضا فى كتاب على ما ياتى :
(نادرة) أخبرنى سيدى أبو بكر بن عمر الاثمدى ـ التازولتـى ـ ان شيخنا وشيخه سيدى أحمد التيزركينى ذكر أنه رأى فى رحلته الى (فاس) بغلة ولدت ما يشبه حمارا • وقد نتا له قرنان • ولا ذنب له • فعاش أياما) كتبه أحمد بن حسين التملى غفر الله له • وأبو بكر بن عمر التازولتى هذا يذكر ان شاء الله بين التازولتيين فى ءاخر (القسم الثالث) •

و) وممن أخـذ عنه أيضا : عبـد المومن السكتانى الـذى قال فيـه الحضيكى : عبد المومن بن محمد السكتانى صاحب العلامة الجليل سيـدى أحمد بن عبد الرحمن المسگدادى • كان رضى الله عنه عالما عاملا فقيها صالحا تفقه بشيخه المذكور • ولازمه عمره • حتى توفى الشيخ وبقى بعده ساكنا مع أولاده • وصحبهم حتى توفى فى العشرة التاسعة • أو أول العاشرة من القرن العاشر • والله اعلم • وكان رضى الله عنه أخذ طريقة القوم • وأدب

الفقراء عن شيخه المتقدم • وعن الشيخ الكامل سيدى أحمد بن موسى الجزولى • ذلك كل ما ذكر له فى التاريخ •

هؤلاء الستة هم الذين عرفتهم الآن فقط من الاخذين عن سيدى أحمد بن عبد الرحمن • وبهذا تم ما أمكن لنا أن نذكره به • ولعل القارىء يستفيد من مجموع ذلك ما يرتفع به له شأن أى شأن • كما لايزال مشهده المشيد الى الآن يرتفع به مجده وشأنه عند زواره • فرحمه الله ورضى عنه • ولعل ولادته قبل : ٨٨٠ كما يظهر مما تقدم فى زمان أخذه للعلوم •

ومما قيل فى (تيزركين) للبونعمانى :

يا خليلى هذى تزركين فهى الـ ... ـمشتهى للذى يريد المقيلا
حى فيها ماء نميرا ونخلا ... خضلا ناعما وظلا ظليلا

(الثانى) عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن التيزركينى • ولدالمتقدم قال فيه فى (الطبقات) الحضيكية (عبد الله ابن الامام العلامة الكبير أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى أبو محمد • كان رضى الله عنه فقيها عالما عاملا• تفقه بأبيه وبه تأدب• وأخذ طريق القوم • وبالولى القطب الكبير سيدى أحمد بن موسى السملالى ولازمهما• وعليهما تسلك فى حياتهما وبعد وفاتهما• وكان دأبه ذلك حتى توفى رحمه الله • ودفن ازاء أبيه ببلده) انتهى •

وقد تقدم فى ترجمة والده ان أدافال • حكى عنه سنة : ٩٦٩ هـ ثم مر بنا قريبا قول الحضيكى : وعليهما تسلك فى حياتهما وبعد وفاتهما • فعلم من ذلك أن وفاته كانت بعد وفاة أحمد بن موسى الواقعة فى ءاخر : ٩٧١ هـ بسنوات • والغالب أنه حى بعد هذا التاريخ بكثير • وقد وقفت على توسل حسن منظوم ذكر فيه عدد شيوخ من الصوفية • كابن سليمان الجزولى • والتباع وابن موسى • مطلعه :

يا ربنا يا ربنا يا ربنا ... وف المنى ثم قنا من العنا

الى أن قال فى ءاخرها بعد أبيات ذكر فيها أولئك المتوسل بهم :

اليهم يلوذ عبد الله ... كيما تصونه من المناهى

وهى أبيات غالبها ساقط الوزن • ولا أدرى الآن من عبد الله هذا ؟ وربما يكون هذا المترجم • بآية أنه لم يتجاوز من المشايخ من جاءوا بعد الشيخ ابن موسى • وبآية أن ما نقل منه : كتاب قديم كتبت هذه الابيات فى احدى دفتيه • وفيه ما نسخ أواخر العاشر •

ثم ان عبد الله ليس بوحيد والده • فقد مر منعبارة أدافال فى ترجمة والده أنه لاقاه واخوته عند الشيخ ابن موسى • ولكن لاريب أن هذا ابرزهم

ولعله أكبرهم فانه لايذكر سواه • وقد خلف والده فى كونه قطب أصحاب والده • كما رايته فى ترجمة عبد المومن السكتانى آنفا •

ثم وقفت (فى درة الحجال) على ما يلي : (محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الرمكى الايسى القاضي بـ(تيدسى) وأعمالها • ذكر أنه حفظ ألفية ابن مالك فى يومين • أخذ من محمد بن ابرهيم التامانارتي وغيره • توفى سنة : ٩٧١ هـ) هل هو أحد أولاد الشيخ أحمد بن عبد الرحمن • وما هذه النسبة ؟ الرمكى • لاأدرى الآن والله أعلم •

(الثالث) الحسن بن محمد المسكدادى • قال عنه فى (الطبقات الحضيكية :

(الحسن بن محمد التيزركينى المسكدادى • ويعرف بالحاج الحسن كان رضى الله عنه رجلا صالحا مشهورا البركة توثر عنه كرامات فى حياته وبعد وفاته • وكان رضى الله تعلى عنه معاصر الشيخ الفقيه الكبير سيدى أحمد بن عبد الرحمن • يحكى أنهما جلسا يوما • فحك الحاج الحسن موضعا من جسده • فقال له الفقيه ما فى الموضع شىء • فقال انما حككت ثلجا • فما لبث أن مات ودفن • والثلج يسقط • فوقعت قطعة من الثلج على موضع الحك من الكعب • فقال الفقيه أزيلوها • فانه حكها قبل • وهذا يدل على أنه مات رضى الله عنه فى حياة الشيخ الفقيه الذى توفى : ٩٥٨ هـ وكان يثنى عليه ويجله كثيرا • وقد رأينا صكا بلفظ :

(قسم الخير الدين سيدى الحاج الحسن بن محمد وزوجه لأولادهما أموالهما) •

هذا ما ذكره الحضيكى • فيظهر أنه ليس بذى معارف • لان وصفه بذلك لم يذكر كما ترى • ثم اننى لاأتيقن من الحاج الحسن أنه اتصل بأحمد ابن عبد الرحمن فى النسب • وانما ذكرته معه • ومع كل المسكداديين توهما أنه منهم • بناء على الغالب فى قرى البادية • حيث لايتساكن على العادة الا ذوو نسب واحد • وهذا الغالب قد ينخرم كثيرا ولذلك قلما ينتج الا الوهم فقط •

(الرابع) عبد الرحمن بن موسى وهو الذى ذكر فى أثناء السلسلة المذكورة • قال فيه الحضيكى :

(عبد الرحمن بن موسى المسكدادى نزيل (وجان) وبه دفن • وعقبه بـ (تومانار) الى الآن • وكان رضى الله عنه فقيه زمانه • ووحيد عصره • تفقه به جماعة • منهم الفقيه سيدى محمد بن سليمان المزوارى الرسموكى توفى رحمه الله فى شعبان سنة ٩٤٠ هـ)

وما ذكره به الحضيكى فى طبقاته هو عين ما قاله الرسموكى فى

(وفياته) ولم يزد عليه الحضيكي الا كلمة واحدة . وقد حدثني سيدي عثمان الايكراري أن لسيدي عبد الرحمن بن موسى وصلة تامة بشيخ ذلك العصر سيدي أحمد بن موسى . قال : وتحت يدنا الى الآن بطاقة (١) بخط هذا الشيخ جدنا سيدي عبدالرحمن يوصي به . يحافظ الاسلاف ثم الاخلاف على صيانتها . أقول وبذلك يظهر أنه ممن أخذ عن الشيخ . وانه صاحب مقام عال في بيئة ذلك العهد . وأن له حالا صادقة مع ربه . وشهادة مثل أحمد بن موسى كشهادة خزيمة في ذلك الزمن .

ثم ان ترجمته على حقيقتها كما ترى خافية . فلم نعرف له مشيخة ولم نقف له على ءاثار كما لا نعرف من الاخذين عنه الا المزواري المذكور . (وقد ذكر بين المزواريين) في (القسم الثالث) في ترجمة سيدي محمد اكيك المزواري . وكان يدرس في مدرسة مشهورة الى الآن في (وجان) بعد انتقاله من (امسكدادن) . وتلك المدرسة هي الموجودة في (أكادير أوفلا) بـ (وجان) ، وذلك بمشارطة . وهو اذذاك يسكن في (تاكارازت) .

هذا كله من افادة سيدي عثمان ، قال ومن (تاكارازت) انتقل أولاده بعده وأحفاده الى قرية (عين الطلبة) ، والى (تومانار) ثم الى (ايكرار) بـ (أكلو) .

(الخامس) محمد بن عبد الرحمن بن موسى ، فقيه مذكور كما يظهر مما ياتي بخط سيدي يبورك بن عبد الله بن يعقوب بوساطة . أثناء كلام . ونصه كما ذكر في المنقول منه (وكان سيدي محمد بن عبد الرحمن لا يبطىء عن زيارة قبر الشيخ سيدي أحمد بن موسى بعد وفاته ، ويحث عليها . ويقول انه حج المساكين ، وبمثله من الفقراء يقتدي من يستبرىء لدينه) انتهى ما نقل .

وقد وجد ذلك في رسالة لسيدي أحمد بن محمد الظريفي التاكوشتي الصوابي من أهل القرن الثاني عشر . وأنه يحض أيضا على زيارة الشيخ المذكور . ونرى والله أعلم أن سيدي محمد بن عبد الرحمن المذكور هو ابن عبد الرحمن بن موسى لانه بلا ريب ياخذ عن ابن موسى ، فقد عاصره وقد رأيت ما بين والده وبين الشيخ ، وهو يساكن الشيخ في بلدين متقاربين . ثم الغالب أنه فقيه لانه ابن فقيه ، في عصر يتموج بالفقهاء . ولم يذكره لي سيدي عثمان الذي كان أملى علي طرفا من أخبار أهله على عجلة ، ولم أقف

---

١) رأيتها بعد هذا الوقت . وحروفها تكاد تنمحي . حتى لا يمكن تصويرها .

عليه لا فى (وفيات) الرسموكى ، ولا فى (طبقات) الحضيكى ؛ ولا (مناقب) البعقيل • على ان هـذه الكتب لـم تستوعب ولـم تقارب • ولا كان غرض مؤلفيها الا أن يتقمموا ما يسنح حواليهم •

ثم ان الكلام المذكور يظهر منه أن ابن عبد الرحمن توفى بعد : ٩٧١ هـ وقد ذكر التامانارتى فى (فوائده)محمد بن عبد الرحمن المسكدادى ، وقد اخبره بخبر ، فالغالب أنه هو هذا • فان لم يكن به ؛ فانه آخر من الاسرة.

(السادس) سعيد بـن محمد بن عبد الرحمن بـن موسى • فقيه جليل القدر ، ذو مكانة سامية • وقد وقفنا على ظهير للامير بودميعة يوليه به على أحباس ضريح الشيخ ابن موسى • ونص مـا نقل عن ذلك الظهير بخط من ستراه (نسخة رسم من أم صحيحة • بعد ما يجب تقديمه من الثناءين الجميلين (١) • بخط المرحوم بكرم الله أمير المومنين سيدى على بن محمد ابن أحمد بن موسى نفعنا الله بهم• وبشكله الشريف البديع الشكل وغريبه، وأقدم شكله وما احتوى عليه من الالفاظ الغريبة ونصه :

« الغالب بالله الغنى عمن سواه ، على بن محمد بـن أحمد بن موسى الشريف الحسنى ، أيد الله أمره • وأعز ونصر »

انتهى الشكل ويليه المكتوب : أيد اللـه أمره وسنى له الفتح المبين ويسره • أمرنا لحامله الفقيه القاضى التومانارى أن يتقدم على أحباس جدنا القطب سيدى أحمد بـن موسى ، وعـلى تفرقتها لاربابها من طلبـة مسجده والفقراء وأبناء السبيل • وعلى أولاده الذكور • فعليه بالعدل وتقوى اللـه والسلام • فى خمسة وخمسين وألف • انتهى • وقيده من المنسوخ منه حرفا بلا زيادة ولا نقصان بآخر ربيع النبوى : ١٣١١ هـ عبد ربه أحمد ابن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن التومانارى ،وفقه الله بمنه)• وسترى احمد بن ابرهيم هذا المتوفى نحو ١٣٢٤ هـ فـى أخريات هذه التراجم ـ وأما سعيد بن محمد فلم نقف على وفاته بعد ١٠٥٥ هـ •

(السابع) محمد ـ فتحا ـ بن سعيد ولد من قبله • ووقفت فى كلام احسبه لبعض من يرود (ايليغ) من علماء جزولة أيام سيدى الحسين بـن هاشم على ما نصه :

(ان هذا الخط لسيدى محمد بن سعيد التومانارى جد الايكراريـين الشرفاء وقد كان خطه معروفا جدا فى الكتب التى كتبها • وفى الرسوم التى كان يكتبها لسيدى على بودميعة • وقد وقفت على جل ذلـك • وكلامه

١) يعنى الثناء على اللـه والصلاة على رسول الله •

حسن لا لحن فيه • وكيف لا وهو عالم صالح حسن متبرك به) انتهى ما وجدته فى كتاب للفقيه التومانارى وهو محمد الخياطى • ولا أكاد أشك أن المقصود به هو هذا السيد الذى نحن فى صدد ذكره • ولم يذكره لى سيدى عثمان • ولا عرج عليه بطلب ولا بغيره • فاذا كان هو المذكور فى هذا التعريف • فانه من علماء أهله المشاهير • والغالب أنه لا يكون الا كذلك • لكونه ابن قاض ووالد قضاة مكتنفا بالعلم من كل جهة • ولم يعرج على ذكره مؤرخ ذلك العهد (الرسموكى) وان كان لم يستوعب أتم استيعاب ولاقارب ولا كانت نيته ذلك • وانما لم أجزم بأنه بهذه الصفة • لان المعرف به لم أعرفه الآن • وان كان قول الفقيه سيدى محمد بن محمد الخياطى التومانارى كافيا فى ذلك • وكيفما كان فان ذكره لم يكن له صيت كوالده سعيد • وكابنائه الآتين • ولعله توفى بعد : ١٠٧٠ هـ

(الثامن عبد الله بن محمد بن سعيد ابن المذكور قبله • قال سيدى عثمان أنه عالم حسن • من الذين أرسلهم الامير (بودميعة) بين اخوته • ليقضوا فى (أكلو) وهو أسنهم • قال وقد سكن فى (أكلو) وهناك نسله الى الآن • ثم ذكر أن له ءاثارا قليلة • أقول لعله توفى فى مفتتح القرن الثانى عشر • وقد حدثنى العلامة سيدى محمد بن عثمان أنه مدفون فى قرية (أماراغ) وأنه يعرف قبره • قال ان مسكنه اذ ذاك فى تلك القرية • ولم يضبط وقت وفاته عند أهله •

(التاسع) ابرهيم بن محمد بن سعيد • الولد الثانى لمحمد بن سعيد ذكر سيدى عثمان أنه أحد القضاة الثلاثة • وأنه عالم حسن • له أيضا نسل فى (أكلو)

أقول : لعله توفى أيضا فى ذلك الوقت الذى توفى فيه أخوه • بعد : ١٠٧٠ هـ

(العاشر) عبد الرحمن أخوهما وأصغرهما • وثالثهما فى القضاء على (أكلو) • قال سيدى عثمان : انه انتقل بعدما أسن الى (أكادير ايغير) فسكن هناك • ونسله فى تلك الناحية وفى (السويرة) ويظن أنه دفن فى (أكادير) قال وهو عالم جيد نبيه حرر كثيرا • ولا تزال محرراته موجودة بكثرة الى الآن • وهو فى ذلك ذو حظ أكثر من أخويه • وأحكامه الفقهية منتشرة فى (أكلو) • أقول : لعله انتقل الى (أكادير) بعد خراب (ايليغ) وتشتت أهلها وقضاتهم • أو لعله استخدم فى الحكومة العلوية الجديدة هناك • ولعله توفى أيضا بعد دخول القرن الثانى عشر كما يظهر •

(الحادى عشر) محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم بن محمد بن سعيد • ووالده

أحد القضاة الثلاثة المذكورين قبله . قال سيدى عثمان : ان له معارف حسنة غير واسعة جدا، وكان موثقا يتعاطى تحرير الرسوم وامثالها، وكان ثقة عمدة صالحا حسن السمت . فيقصده الناس لذلك . قال لعله مات بعد : ١١٦٠ ﻫ

(الثاني عشر) ابنه ابرهيم بن محمد بن ابرهيم : علامة فائق كبير القدر . تخرج بالاستاذ سيدى محمد بن محمد الواسخينى . وكان لايزال ياخذ عنه فى العقد الثامن من ذلك القرن . فبذلك يحكم بان ولادته كان قبل ١١٦٠ ﻫ وكان من أكابر المعتنين فى ذلك العهد . ومن أكابر المطلعين . ومن اعاظم الحريص ين على الاستفادة والافادة. ولاأدل على ذلك من عنايته بالتاليف فله شرحان على رجز المبنيات . لشيخه الواسخينى كبير وصغير . كما ان له شرحا على رجز فى (جزء السهم) مع ما ذيله به من مسألة فى (الوصية) ثم أملى على الكل شرحا فى رحلته الى الحج وهذا الاملاء به يظهر مركزه . كذلك كانت له رحلته المخطوطة . وهى من كبريات الرحلات الحجازية السوسية . حذا فيها حذو ما صنعه الشيخ الناصرى والعياشي وأبى مدين الدرعى ثم الروداني . وأبى العباس احوزى فى رحلاتهم المشهورات (١) وقد ذكر سيدى عثمان أن محررات أحكامه فى الفقهيات كثيرة فى (أكلو) وذكر الرفاكى أنه رأى من بينهما ما هو مؤرخ بسنة : ١١٩٧ ﻫ

وقد وقفت على اجازة الواسخينى له ونصها :

(قد أجزنا وأذنا كما اذن لنا شيخنا القدوة المحدث سيدى محمد بن أحمد الحضيكى نزيل (ايسى) وشيخنا الفقيه المحدث سيدى عبد الله بن محمد التملى رضى الله عنهما : للفقيه النبيه اللبيب الاريب ابرهيم بن محمد بن ابرهيم التومانارى . فقهه الله فى الدين . ولطف به اللطف الجميل : ان يذاكر ويدرس فى كتب الفقه والعربية والتوحيد ويسرد الحديث. وغيرذلك اذنا عاما فى جميع مالنا . وأجزنا له على شرطهم المعتبر . وسندنا القريب الى الامام البخارى . رواية شيخنا الحضيكى عن العباس والصوابى . عن أحمد القطب بن ناصر . وأحمد أحوزى الهشتوكى . عن امام الحرمين فى وقته مولاى ابرهيم الكردى . عن شيخه المعمرى الشيخ عبد الله الدهورى عن الشيخ قطب الدين النهروالى . عن والده علم الدين النهروالى . عن الحافظ نور الدين أحمد أبى الفتح الطاووسى . عن الشيخ بابا يوسف الهروى . عن محمد بن شاذ بخت الفارسى الفرغانى . عن أبى لقمان يحيا

١) أما الاوليان فمطبوعتان . والمدينية والاحوزيتان فى مكتبة (تامكروت) التى نقلت مخطوطاتها الى مكتبة الرباط . فهناك رأيناها .

الختلانی ، عن الفربری عن الامام البخاری رضی الله عنهم ، ونفعنا بهم ، وأوصيه واياى بتقوى الله العظيم ظاهرا وباطنا ، وأن يلازم المذاكرة جهد الطاقة، فان التعلم والتعليم من أوكد الواجبات وأعمها نفعا، وأعظمها أجرا، لاسيما فی زماننا هذا الذی ارتفع فيه أهل العلم بموت أهله، واستولى الجهل وأهله عياذا بالله ، والله يهدينا الصراط المستقيم بمنه وكرمه ، وكتب أخوكم طالبا منكم الدعاء بأواسط صفر : ١١٩٣ هـ : محمد بن محمد الواسخينی) ،

أما رحلته الحجية فهی وحدها التی تفصح عن همته العلمية ، وعن ورعه وقد شحنها بكل ما سنح ، وبالاسف انها مبتورة ، وقد لخصها الاستاذ ابن مسعود ، وبين يدينا الآن هذا المخلص (ثم وقفت على الاصل) ويظهر أن الاولى أن نلخص نحن أيضا بدورنا مما أختاره ابن مسعود تاركين نفس كلامه ، حاذفين ما لا فائدة فيه ، خوف ملل القراء ،

تلخيص ما قاله ابن مسعود :

(وبعد فالغرض من هذه الورقات تلخيص ما وقع عليه الاختيار مما وجدته من رحلة المرحوم بالله الفقيه الصالح ، سيدى ابرهيم بن محمد المسكدادی التومانارى ثم العينى شارح قصيدة الفقيه الواسخينى السملالى فی مسائل البناء رحم الله تعلى الجميع ونفعنا بهم آمين ، فأقول وبالله تعلى التوفيق :

قال رحمه الله تعلى بعد الخطبة : (هذه أوراق تشتمل على رحلتنا لحج بيت الله الحرام ، نذكر فيها المراحل التی أقمنا فيها والبلدان التی مررنا بها وأسماء السادات الذين زرناهم وتبركنا بهم ، وما استفدناه فی خلال سفرنا من الفوائد والمسائل ، وقصدی فی ذلك ثواب من ترك ورقة من العلم الذی قال فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يترك ورقة من العلم الا تقوم تلك الورقة سترا بينه وبين النار ، والا فبنى الله تعلى له بكل حرف فی تلك الورقة مكتوب مدينة فی الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات ، انتهى وهو من حديث أنس رضى الله عنه ، نقله الشيخ ابن ناصر فی رحلته ، كما ذكر الشيخ (أبو مدين) وأسأل الله تعلى الاعانة على اكمالها ، وأعتمد فی غالب نقولى على رحلة الشيخ الفقيه (أبى مدين) بن أحمد الصغير الدرعى الاصل الرودانی الدار ،

ثم ذكر فصلين : الاول فی فوائد الحج ، والثانی فی آداب السفر الى الحج ، ثم قال :

ذكر ابتداء سفرنا المبارك

قال رحمه الله تعالى ما معناه : انه لما قرب رحيله ذهب الى بعض اقاربه قال وهو الفقيه الاستاذ سيدى محمد بن الحسن بن على التومانارى أصلا . الدرعى منشأ ودارا . وهو يومئذ ملازم بمسجد (تيكيوت) أمنها الله تعالى بـ (ماسة) فاستشرته على السفر . فأشار على بالعزم على ذلك . والتاهب له . قال واستفدت منه فوائد منها : أن من لازم قراءة بيتين . وهو يدبر فى أمر سفره . فانه يهون ويسهل عليه . وتاتيه أسبابه من حيث لايشعر وهما :

يا سائرين الى المختار مـن مضر   سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
انـا أقمنا على إشوق وعن قـدر   ومن أقام على عذر كمـن راحـا

وذكر أن الشيخ سيدى يوسف بنمحمد رحمه الله تعلى . كان يكررهما جدا عند ارادته السفر للحج (قال العينى صاحب الرحلة) قلت : ورايت فى كلام للشيخ (أبى مدين) أن بعضهم ذكر أن من لازم قراءتهما يحج من عامه . انتهى .

ومنها : أن من يقول كل يوم : (لا اله الا الله الحق المبين) مائـة مرة فانه يكون محفوظا مامونا فى يومه . وذكر أن سيدى أحمـد الحبيب كـان يزيد محمد رسول الله الصادق الامين .

ومنها ان من كانت له الى الله تعلى حاجة . وأحب قضاءها . فليختتم (دلائل الخيرات) أربعين مرة قبل تمام أربعين يوما . فانها تقضى . ولوكانت ما كانت وذكر أنه لما حمله العشق الى حج بيت الله الحرام . وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنعه منه قلة . عزم بنية صادقة . وقرأ ذلك الكتاب ذلك العدد فى نحو سبعة أيام . وقد أرسله الشيخ يومئذ لقضاء بعض أوطار الزاوية . خارج البلد . ومكث فى ذلك الموضع أياما . فعمل فيه ذلك . ولما رجع من ذلك المكان . ذكر الشيخ لاخيه سيدى المقداد السفر . فامتنع . وذكر ذلك لسيدى محمد . حين وصوله من ذلك الموضع . فقبله وفرح به غاية والحمد لله .

ومنها : أنه قال مهما نابك أمر من الامور . فاذهب الى موضع مرتفع وابن فيه أحجارا . وقل برفع صوتك : يا سيدى عبد الله بن حسين . هذه حاجتك . فانها تقضى لك ان شاء الله وقد كنت فى سفرى للحج سرقت لى بغلتى فى موضع بتنا فيه . فعملت ذلك والشيخ سيدى يوسف يسمعنى ولم أعلم به . ورجعت لموضعى . ومررت به فى الخباء . فقال لى يامحمد .

مالك تقول كذا قلت له نعم • فان لم يردها لى فلا أزوره بعد • ولا استغيث به • فقال لى : انها تاتيك ان شاء الله تعلى ولابد • ثم رجعت فى ءاخر ذلك اليوم بفضل الله (قال العينى صاحب الرحلة) ما معناه : ثم ذهبت لزيارة الاخوان الذين بـ (العين) و (تومانار) ولزياراة الشيخ الرباني سيدى أحمد ابن موسى • وغيره من الاسلاف وغيرهم • نفعنا الله تعلى ببركاتهم • ولمـا وصلت ضريح الشيخ المذكور عملت التوسل المندوب لسيدى حسين بن محمد الشرحبيلى الذى قال فيه : ان من عمل ذلك عند قبر الولى المذكور قضيت حاجته • وأنا يومئذ أرجو قضاء مآرب لابد لى منها لسفرى • فقضاهـا الله كلها والحمد لله • والتوسل المذكـور أن يقرأ الزائر عنـد قبره أم القرءان سبعين مرة • وسورة الاخلاص ثلاثمائة مرة • والمعوذتين خمس عشرة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ألـف مرة • انتهى (ثم ذكر العينى صاحب الرحلة) أنه استفاد من بعض من شيعه من اخوانه أن من المجرب لحفظ المسافر • أن يخط المسافر يمين الطريق (انا) وعن يساره (أنزلناه) ثم يقرأ السورة أى (سورة القدر) انا أنزلناه فى ليلة القدر الخ أربع مرات لاربع جهات • فانه يحفظ ولا يرى باسا • ثم ذكر (المختصر) ناقلا عن الاصل فوائد من هذا النمط) • ثم قال : ثم ذكر العينى (صاحب الرحلة) أنـه تدبر حال خروجه من داره من بين أهله قول الشاعر :

ان الـذى وجهت وجهـى لـه ... هـو الذى خلفت فـى أهلـى
لانه أرفـق منـى بهـم ... وفضلـه أوسـع من فـضـلى

وذكر أنه خرج الى مدينة (السويرة) وانه خرج من بلدته فى جمادى الاولى سنة ١١٩٨ هـ ولما وصل مدينة (السويرة) وجد فيها العلامة سيدى مسعودا الحسنى الشياظمى • يقرأ الالفية فى باب (الاشتغال) • وأنه حكى عن المكودى والازهرى اعراب قول الناظم : كوصـل يجرى : بـأن قـوله كوصل يجرى • متعلق بيجرى • وقال بعده : هذا كلام لامعنى له • بل هو فى محل نصب نعت لمنعوت محذوف • والتقدير يجرى جريا كجرى الوصل قال ملفق هذا الاختصار : محمد بن مسعود الطالبى كان الله له ءامين • قد ذكر العلامة أبو زيد الجشتيمى فى تأليفه الذى عرف فيه بالشيخ الحضيكى • وتلامذته ومعاصريه • هذا الفقيه سيدى مسعودا الشياظمى • الا أنـه لـم يبسط الكلام فى التعريف به فانظره • ثم ذكر أنه وصـل مدينـة (سلا) ونزل خارج (الرباط) عند الزاوية التى (١) دفن فيها السلطان الاكحـل وغيره من الملوك والصالحين • وأنه زار أضرحتهم • وفيها تواريخهم الا أن بناء ذلك تداعى للسقوط • ثم ذكر أنه وصل (مكناسة) الزيتون • وأنـه نزل

١) هى شالـة

بحرم ولي الله تعلى مولانا عبد الله بن احمد بباب البردعيين. ووجد في تاريخه أنه توفي عام : ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة • وان قبته بناها ناظر احباسه بامر السلطان مولانا اسماعيل • وانه زار فيها ولى الله سيـدى محمد بن عيسى صاحب القبة الخضراء • ثم ذكر أنه وصل الى مدينة (فاس) ولقى فيها الفقيه العلامة النحوى الاستاذ المحدث المشارك فى فنون أبا عبد الله سيدى محمد ابن عبد السلام • وأنه سأله عن كيفية النطق بالغنة • وعن كيفية النطـق بالهمزة المسهلة • فاجاب عن الاولى بالنطق بكيفيتها مرارا • ونطقت بهـا حتى قال لى انك عرفتها • ومما نطق به (تنزيل من حكيم حميد) و (قلوب يومئذ واجفة) وقال : ان المثال الاول يشتمل على ما فيه الغنة • وعلى ما فيه الاظهار • فالغنة تكون فى النون قبل الزاى • وفى التنوين المدغم فى الميم • والاظهار فى النون قبل الحاء • وفى التنوين قبل الحاء أيضا • وسألته عـن النون والتنوين هل يقرعهما اللسان عند الغنة • فقال لا • قال ومـن ثـم يخطىء فيهم امن لايعرفهما • ويتكلف قرع النون بلسانه فـلا يصـل الى اعمال الغنة • وأجاب عن الثانية ايضا بالنطق حتى عرفتها منه • ومثل لى بـ : (ائذا) و (أأنزال) و (أأنذرتهم) وقال ان التسهيل ••••••(1)

وكان رضى الله عنه ينطق بهمزة خالصة • وبهاء خالصة • وبياء خالصة فى المكسورة • فيقول : أئذا • أهذا • أيذا • ثم ينطق بالتسهيل • فيكون ذلك خارجا عن ذلك كله • وكذلك فى المفتوحة والمضمومـة يأتـى بالحرف خالصا • ثم بالتسهيل • وسألته عن حكم من لم يعرفها • فقال ان كـان قادرا على تعلم ذلك ولم يتعلمه فهو ءاثم • وان لم يقدر على ذلك فهو من قبيل الالكن (قال ابن مسعود ملفق هـذا الاختصار) قلت : ذكره العياشى فـى (الرحلة) نقلا عن أبى زيد القاضى • نقلا عن أبى عمرو الدانى • انه يجوز فى المسهل جعله هاء خالصة • قال وعليه جرى الاخذ فى المغرب • او كما قال (ثم قال العينى صاحب الرحلة) : وسألته يعنى ابن عبد السلام المذكور عن كلام رايته عند الازهرى وغيره وهو أنهم قالـوا ان المضارع اذا اتصلت به نون الاناث بنى لتركيبه مع النون كتركيب خمسة عشر • ووجه سؤال له : أن الاصل فى الفعل البناء • واعرابه خـلاف الاصـل • فمـا بنى منه لاسؤال فيه • وانما يحتاج الى العلة ما خالف أصله • فأجاب بأن قال : الامر كذلك • وذلك الكلام غير محتاج اليه • ولايعلل بناء المضارع بما ذكر لمجيئه على أصله •

قال وزرنا فى مدينة (فاس) الامام مولانا (ادريس) والامام (ابن العربى)

---

1) بياض فى اصل المؤلف

الفقيه المفسر رحمه الله تعلى • وعاقنا الزمان عن آتيان اضرحة غيرهما • ثم ذكر أنهم خرجوا من (فاس) وأنه تاخر فى بعض الايام لما ارتحل الركب• وقصده أن يتعرف أحوال ركب أهل (فاس) وقت ارتحالهم • قال فوجدتهم يقرآون الحزب من القرءان بعد ركوبهم على دوابهم ثـم يتبعونـه بالتوسل المعلوم للامام سيدى الحسن اليوسى رضى الله تعلى وعنا به ءامين • وهو هذا (ثم ذكر المختصر رجزا فيه ٣٩ بيتا مطلعه :

يارب يارب اهدنا وارزقنـا علمـا ولاستعماله وفقنـا

قال : ثم يتبعونه بتوسل ءاخر وهو هذا :

يـا ذا المكـارم والعـلا يـا ذا البقـاء السرمـدى

ثم ذكر ثلاثة أبيات أخر بعد هذا • ثم ذكر أنها لابن سودة الامام • ثم بعد هذا يقرأون (حزب الفلاح) للامام سيدى محمد بن سليمان الجزولى• ثم (صلاة) للامام مولانا عبد السلام بن مشيش • ثم (الحزب) الكبير للامام أبى الحسن الشاذلى ثم يتبعونه بأبيات قالوا انها للامام سيدى عبد الواحد الادريسى • وهى :

أيا راكبا سر سير ذىالعز لاتخف فانك فى حفظ الالـه مصون
وظل رسول الله فـوق رؤوسنا ومن رامنا تحت النعال يكـون
فنحن بعون الله لا نخش فتنـة وكيف نخاف والقـوى معين

وذكروا أنها حجاب عظيم فى الطريق • ثم يذكرون بيتيَن للامام سيدى التاودى الفاسى نظمها فى طريق الحج • وهما :

يا ربنـا انا طلبنا سيدى طلب الذليـل الخاشـع المتملق
نج العبيد الزائرين محمـدا من كل سوء أو مضرة طـارق

ثم يدعون بما شاءوا • قال وسألت الفقيه سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر بوخريص (به لقب) السجلماسى • ثم الفاسى • وهو قاضى الركب النبوى • فأخبرنى أنهم داموا على هذا من يوم خروجهم • وانهم يدومـون عليه لمنتهى سفرهم (قال ملفق هذا الاختصار محمـد بن مسعود الطالبى كان الله له فى الدارين وليا • وبه حفيا • ءامين) : لعل دعاء الامام اليوسى المتقدم هو الذى شرحه الفقيه سيدى يحيا البعقيلى الانكيضائى شارح نظم

(قواعد (١) الاعراب) ، ثم ذكر عنه ما ذكرناه عند جريان ذكره بين الونكيضائيين آله فى ترجمة سيدى الناجم التيفرميتى فى هذا (الفصل بعينه) ثم قال) رجوع : ثم ذكر العينى صاحب الرحلة أنه وصل (عين ماضى) قال وهى قرية جامعة محوط على ديارها وبساتينها بسور محكم • فى أرض متسعة • وعينها كثيرة الماء العذب • وليس فيها نخيل • قال الشيخ (أبو مدين) فى رحلته فى وصفهم : وجل أهلها طلبة علم • يقرأون مختصر الشيخ خليل والحديث • وكلهم تفرعوا من أهل واحد • ولا حسد ولا تباغض بينهم فيما يظهر • يوقر صغيرهم كبيرهم • قال وفى نسائهم جمال بديع • ولا يحتجبن • بل يخرجن متبرجات • يفتن بحسنهن من لم يعصمه الله تعلى من الحجاج • فتراهم يتبايعون معهن • ويلجون عليهن الديار • وذلك كله هين على أزواجهن • ثم قال يعنى (أبا مدين) قال شيخنا : لايبالون بالحجاب • ترى النساء الشواب يبعن ويشترين مع الحجاج غير مستترات• وكلمناهم على ذلك فقالوا : هذه عادتنا • ونحن العرب وأهل البوادى • ولابد لنا من ذلك لقلة ما بأيدينا • وأكبر من هذا : أن نساءهم لايغتسلن من جنابة ولا من حيض ولا نفاس • وكلمناهم على ذلك أيضا ولمناهم • فاعتذروا بأن ذلك يضر بهن فى أرحامهن • على أن جماعة ممن يوثق بهم من أصحابنا • قالوا رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط الساقية الجارية بماء بارد • فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم • نسأله أن يهدينا وإياهم الى الصراط المستقيم اه (قال العينى صاحب الرحلة) ونحو ما وصفوا به من عدم مبالاتهم بالمحارم رأينا نحوه فى أعراب (الظهراء) فترى الرجل منهم ياتى مع زوجته للركب وهى حاملة على ظهرها التمر أو الشعير • أو الاكليلة • أو ما يريدون بيعه • وينادى فى الركب يا من يشترى كذا • يا من يبيع كذا • فاذا جئته ذهب معك الى زوجته • فتتبايع معها أو معه أو دونه لافرق ولا حياء عندهم والعياذ بالله تعلى و(الاكليلة) المذكورة • قال العينى صاحب الرحلة فى بيانها : كانوا يأخذون اللبن بعد نزع زبده • ويجعلونه فى البرمة على نار • حتى ينزل ماؤه • ويجعلونه فى وعاء كقفة • حتى يقطر جميع مائه • ثم ييبسونه ويطحنونه • ويصير سميذا كسميذ القمح• فاذا أرادوا أكله سخنوا سمنا • وجعلوا فيه تمرا ان وجد وجعلوا فيه شيئا من هذا السميذ • وخلطوا ذلك فأكلوه • وذكروا أنه جيد • ولم نذقه نحن • قال ولم أدخل أنا (عين ماضى) لكثرة ما نسمع من فساد أهله •

ثم ذكر حكاية • وهى أنه اجتمع مع بعض الحجاج فى الطريق • فتحدثا وأخبره عن رجل سماه وعرف بلده • أنه أخبره أنه ذهب للحج بمال كثير

---

١) يعنى النظم المعروف بالزواوى

يزيد على القنطار . فلما وصلوا (طرابلس) رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه جاء الى الركب . وجعل يكوى ويسخن أعضاء الحجاج المشاة على أرجلهم . ليرتاحوا من تعب الطريق . وجراح الاشجار . قال فقمت اليه وقلت يا رسول الله . ألا تفعل بى مثل ما فعلت بهؤلاء القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انك اتكلت على مالك وركوبك . بخلاف هؤلاء . فلما أصبح الرجل تصدق بماله على فقراء الركب . ومشى برجليه الى الحج . قال المخبر . وذلك الرجل حى الآن (ثم ذكر العينى صاحب الرحلة) أنه وصل مدينة (الاغواط) قال ولم أدخل هذه المدينة أيضا . وقد أخبرنى القاضى سيدى عبد الرحمن بوخريص . أن بها علماء وفقراء الامام ابن ناصر رضى الله تعلى عنه ومقدمهم وناسا اخرين . وذكر أنه دخل المدينة ولقيهم . قال وهذه المدينة أكل فيها الحجاج كثيرا من المشمش والتفاح والتمر والحمص والرمان . وهى مدينة عظيمة . ذات أشجار ونخيل وعنب وسفرجل ورمان ومشمش وتفاح . وهى جامعة كثيرة العمارة . أخبرنى بعض أن بها خمس مساجد تصلى فيها الجمعة كلها . وقبيلة الاغواط جنود مجندة . كأنهم جراد منتشر . سكنوا هذه القرية . وتسمى (رأس العون) وسكنوا الخيام خارجها فى الصحراء . وفيهم جمال بديع . غير أن حالهم كحال أعراب (الظهراء) سواء بسواء . ثم ذكر أنه وصل (وادى دماد) قرية صغيرة فى سفح جبل . قال ووجدنا أهلها يدرسون . ودوابهم تدور لجهة الشمال . عكس بلادنا . ولا يجعلون للاندر خشبة . بل تدور الدواب وحدها . ثم ذكر أنه وصل قرية سيدنا خالد بن سنان . ونقل كلام الامام العياشى بواسطة رحلة (أبى مدين) (وقد عزمت ان شاء الله على اختصار رحلة العياشى . والتقاط فرائدها . فلا حاجة الى نقل ذلك الكلام هنا) (يقول المختار : ذلك كلام ابن مسعود . ثم لم نعلم له هذا المختصر) قال العينى صاحب الرحلة : ورأينا فيها خلوة تحت الارض . قالوا انها لمولانا عبد القادر الجيلالى رضى الله عنه وعنا به امين . فنزلنا اليها وصلينا فيها ما شاء الله . ودعونا (أقول : ان مولاى عبد القادر الجيلالى لم يدخل شمال افريقية كله . مع أن هناك أمكنة كثيرة تنسب له كذبا على التاريخ) ثم ذكر أنه وصل (بسكرة) قال وهى مدينة عظيمة فيما مضى . ذات نخيل ومياه . وعيون جارية . ومزارع مستوية . ثم نقل كلام العياشى فى وصفها بالحسن . وجميع أسباب المعاش قال الا أنها أشرفت على الخراب . بظلم الاتراك المستولين عليها . وبغارات الاعراب . ثم قال العينى : قلت وقد وجدت المسجد الاعظم منها العتيق . ليس حوله ولو دار واحدة . خرب جميع ما هنا من البنيان . وبقى وحده غريبا . ورأيت فيه صبيانا يتعلمون . وحضرت فيه وقت الظهر . وما صلى فيه فى الصف الا نحو أربعة رجال أو خمسة . . وسألت عن العمارة فيها فقيل لى ان فيها موضعا فيه عمارة كثيرة . وفيه شيخ يسمى عبد المومن .

ولم أصل اليه • وسألت عن قبر الامام البسكرى • شارح (الخلاصة) فلم أجده • ثم ذكر انه وصل بلدة الامام سيدى (عقبة بن نافع) الفهرى التابعى القرشى • قال ولد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم • ولذلك عده بعضهم فى الصحابة • قال وهذا السيد رضى الله تعلى عنه ونفعنا بـه ءامين • ولاه معاوية بن ابى سفيان رضى الله تعلى عنهما على افريقية ووجه اليها فى عشرة ءالاف من المسلمين • فافتتحها • وقاتل من بها من النصارى • حتى افنى أكثرهم • قال ودخلنا مدينته • وصلينا بمسجده المبارك وهو مدفون فـى مسجده رضى الله تعلى عنه • ثم قال : (تنبيه) (ثم ذكر الكلام المشهور عـن (افريقية) من أنها كانت كلها كظل واحد فى قرى متصلة • وان فيها مائة الف بين مدينة وقصر • ثم نقل ابن مسعود (المختصر) مثل ذلك عن كنون • ثم ذكر أنه يقال ان (افريقية) اذا أطلقت (١) فمن (طرابلس) الى (طنجة) ثم ذكر مـدن افريقيـة : (بسكرة) و (تـوزر) و (قابس) و (طرابلس) و (سفـاقس) و (تونس) و (تلمسان) و (الجزائر) و «قسمطينة» و «سوسة» و (قليبة) و (القيروان) ثم ذكر ان (سوسة) ينسب الفكرونى السوسى • وان (توزر) مدينة الصحابة • فيها ءالات حربهم الى الآن • ولا يدخلها ذمى ولا مخزنى • وفيها من الصلحاء والفقراء مـا لايحصى • ومنهـا (قفصة) المنسوب لها ابن راشد القفصى ومنها (بجاية) الكثيرة الفقهاء والعلماء • وبها دفن الامام ابن بشير • فقال (المختصر) فى عهدته • ثم قال العينى ومنها : (باجة) ينسب اليها الامام الباجى • فقال (المختصر) فى ذلك نظر والذى يترجح عندى الآن أنه مسوب الى (باجة) الاندلس • ثم قال فليحرر • ومنها (جربة) وهى جزيرة أحاط بها البحر • ثم قال • وغير ذلك مـن مدن لم اقف الآن على أسمائها (اختصر المختار هذا الفصل) قال ابن مسعود : ثم ذكر انهم لما كانوا بـ (وادى غسران) بوزن غربان • جاءتهم الاعراب بغنم سيدنا شعيب عليه السلام • قالو أذناب ضانها عريضة • قبضت منها كبشا فوجدت فى عرض ذنبه شبرا وخمس أصابع • قلت (ابن مسعود) وجدت فى طرة هذا المحل • وأظنه بخط العينى صاحب الرحلة مانصه • وهذه صورته ـ فصورها بالقلم ـ ولعله يعنى صورة الذنب ـ ثـم ذكر أنه وصل مدينة (توزر) • قال وهى بلدة طيبة مجتمعة • كثيرة الماء والثمار • متقنـة البناء • وهـى قاعدة بلاد الجريد • من عمل (تونس) قال الشيخ رضى الله تعلى عنه (لعلـه يعنى ابن ناصر) ومارأيت ببلاد الجريد أكثر منها نخلا واحسن بناء • وأوسع بعد (بسكرة) مساحة • وبها من الثمار ما لايعلم عدده الا الله تعلى • ترد عليها من الاعراب الآلاف المؤلفة • ويملأ كل واحد ابله بما شاء من الثمار

---

١) يعنى فى ذلك العهد لا اليوم حين تطلق على جميع القارة

وتمرها من أجود تمر الجريد • ومياهها غزيرة • وجناتها كثيرة • وبغربيها مدينة أخرى قريبة منها • لها واد مثل واديها • وتسمى (نفطة) واهل (توزر) ناس طوال • حسان الوجوه والدم • ذوو هيآت حسنة • وثياب جميلة • وفيهم طلبة علم • ومساجدهم عامرة بالصلاة • وتعليم الصبيان وفيها قبور صالحين • منهم الامام أبو الفضل ابن النحوى وغيره • أخبرنى بهذا بعض علمائهم • الا أنهم لايبالون بمحارمهم • وتخرج نساؤهم متبرجات بزينة • ويدخل الرجال عليهن الديار • تاتى الرجل بفم داره • تطلب منه شربة ماء • فيقول لك أدخل الدار • ويدخل من لا خلاق له • ويترك رب الدار خارجها • وهذه مفسدة كثيرة • والعياذ بالله تعلى قطعها الله ءامين • وهى بقعة ذات رمال كثيرة • كاد الرمل يعلو ديارهم • وكانت المدينة أولا داخل النخيل • وطغا أهلها فخرجوا عن والى البلد • فحاربهم حتى قبضهم وأمر باخلائها • وبالبناء خارج النخيل • بهذا أخبرنى عالم من علمائهم• واسمه سيدى خالد • وأخبرنى أنه نوى الحج فى هذا العام فسلط عليه عامل (تونس) فأغرمه مالا كثيرا • ولم أدر سبب ذلك • وهذا ابتداء الجريد وجور الولاة فيه كثير • قال الشيخ فى رحلته (ثم ذكر كلاما حول خراج الجريد اختصره المختار) ثم ذكر العينى أنه وصل (قابس) حيث أبو لبابة الصحابى رضى الله تعلى عنه • وأن الركب فارقه من هناك • وبقى هو مع : ١٨٠ رجلا • عزموا على ركوب البحر • قال وزرت قبر الامام أبى لبابة رضى الله تعلى عنه • يوم نزلنا عنده • وشكوت اليه حالى • اذ حرت فى أمر الاقامة خوف الانقطاع • وتوسلت به الى الله تعلى أن ياتينا بالتيسير • قال ثم رحلنا الى المرسى • بأمر حاكم البلاد • فاقمنا فيه أربعة أيام • ننتظر الريح • ثم ضاقت صدور الناس بطول الاقامة • وندم بعضنا على مفارقة الركب • فاستغاث بالله تعلى كل يوم وليلة • وتضرعوا اليه • قال وخاطبت الامام أبا لبابة رضى الله عنه • ونفعنا به ءامين بأبيات متوسلا به الى الله تعلى فى ذلك • وذكر تلك الابيات • ثم قال ولما صليت المغرب اجتمع من فى ركبنا من الطلبة • فقرأوا الحزب الراتب• وقرأوا اللطيفة الصغرى• ودعوا بما شاء الله تعلى • ثم فتح الله تعلى علينا أن سافرنا صبيحة يومنا • وهو يوم الجمعة الحادى والعشرون من شعبان • ثم ذكر أنه وصل جزيرة(جربة) قال و (جربة) هده جزيرة فى البحر احاط بها البحر من جهاتها الاربع - واسعة فيها ثمانية عشر ميلا فى مثلها • فيها خلق كثير لايعلم عددهم الا الله تعلى • ودورها متفرقة • كل دار على حدتها • وليس فيها موضع مجتمع الا السوق • ولكن أكثر أهلها معتزلة وهبية • قيل لى كانوا ياكلون الكلاب والحمير• وكانوا لايصلون الجمعة• لان الصلاة عندهم انما تجوز خلف المعصوم• وكانوا لايصلون بالسراويل • قالوا لان الانسان يطلق الريح • فتبقى فيها

وتتنجس بها • وكان بعضهم يبغض على ابن أبى طالب كرم الله وجهه • وكذا جميع أهل السنة • ثم استمر فى وصف القوم بانهم يعيدون وحدهم الصلاة بعد الجماعة • ووصف صلاتهم • ثم ذكر أن ابرهيم الجمنى تصدر هناك • فبث السنة والعلم • وانه شيخ ابن عبد الصادق شارح (المرشد) وقد بنى (مدرسة) حوفظ عليها بعده رغم مناوئيه من الاهالى المعتزلين • ثم ذكر أنهم أغنياء • كما ذكر أنهم لايأكلون طعاما نحيته بيدك عند مؤاكلة بعضهم • ثم وصف (جربة) بأنها نقية • قليلة العفونات • ذات رمال كثيرة وفيها فواكه وبقول • وبطيخ كثير جدا وأسباب المعاش فيها صعبة المراس• لانه ليس فيها الآبار ولذلك لايتسعون الا فى المجلوب اليهم •

هذا كله اختصره المختار • (ثم قال) وكانت طلبتهم ياتوننا يلتمسون أمورا • ومن جملة من أتانا : رجلان من (قابس) كانا بـ (جربة) أتيانى مرارا وعرفانى صاحبا لهما وهو عثمان بن على • وبلدته بناحية (صفاقس) بجوفى (قابس) خليفة عامل (تونس) استخلفه على المالكية بـ (جربة) ولم يدخلوا تحت ايالة عامل (جربة) لتباغضهم • يعنى مع أهل جربة الباقين لافتراق معتقدهم • كما مر ذكره قبل • قال حتى طلبة المالكية من كتب منهم كتابا • يقول فيه : كتبه فلان بن فلان الفلانى • المالكى مذهبا • الاشعرى اعتقادا • وأرسل الى الخليفة المذكور • فجئته الى محله بفندق سيدى (أبى لبابة) • فاكرمنى أى اكرام • وهيأ لى بيتا هناك • وقال انتقل اليه • حتى ياتى وقت السفر • ولا كراء عليك • وأبى رفقائى من ذلك • وكان هو والطالبان يكرموننى • ويقفون منى فى قضاء المحتاج اليه مدة مقامنا بـ (جربة) وذكروا لى ولى الله تعلى سيدى ابرهيم بن عبد الله الجمنى رحمه الله تعلى • ونفعنا ببركاته • فزرته • وذكر أبياتا خاطبه بها من جملتها هذا البيت فى وصفه :

تقى نقى فاضل ذو مكانة من العلم ذو عز وذو شرف علا

قال واغتنمنا زيارته أياما • ولقيت فيها من أبناء عمه الشيخ سيدى ابرهيم بن محمد وتبركنا به وودعا لنا • (ثم ذكر ابن مسعود أبياتا رائية نقلها من طرة النسخة وجدت مكتوبة على ضريحه) ثم قال (صاحب الرحلة) العينى اثر ما تقدم • ولما كان أول يوم من رمضان تسحرنا وقلت للمؤذن اذا سخن الوضوء • فايقظنى • ونمت • فرايت فيما يرى النائم أن كيسى فيه نحو ثمانية مثاقيل • وأنا جالس • وفتح من غير أن أعلم من فتحه • وسقط لى نصف ما فيه من الدراهم فى حجرى • ودخل كسوتى • واهمنى ذلك• ثم قلت فى نفسى : أترك ماسقط ياخذه من رزقه الله اياه • وما بقى لى يكفينا • ثم استيقظت من نومى • وتوضأت وصليت • ولما كان عند العصر•

خرجت بين الخيام لظل جرف هناك . وقعدت فيه . ومعي كتاب لي فيه شرحاي على قصيدة شيخنا الواسخيني في مسائل (البناء) وجاءني ثلاثة من الطلبة أحدهم من أهل (جربة) وقعدوا بازائي بعد السلام . فاخذوا مني الكتاب . فنظروا فيه . ولما فهموا الامر . قاموا وأخذوني لبستان ذلك الجربي . وأكلنا عندهم عنبا كثيرا . ولما كان وقت الصباح من غد ذلك اليوم . ذهبت لزيارة الشيخ سيدى ابرهيم . وطلبوا مني الكتاب . لينسخوه وأعطيته لهم . وجعلوا يتصفحونه . حتى وقف بعضهم على أبيات لبعض الفضلاء مقيدة فيه . تكلم فيها ناظمها على (جزء السهم) فقط من غير أن يستوفيه كله وهي :

(أيـا طـالبا عـلـم الفرائض كـامـلا)

(ثم ذكر المختصر عشرة ابيات) قال وطلب منـي الواقف عليهـا أن أضع عليها تقييدا فاستخرت الله تعلى على ذلك . وكتبت عليها نحو كراس ونصف . من القالب الصغير ثم ذيلتها بـ (مسألة الصلح) . (ثم ذكر ذلك في المختصر) قال وعزمت على شرحها . ثم حان وقت السفر قبله . وعاقتنا عنه أمور أخر . وقت الاقامة . واقتصرنا على ما في الاصل . وتركت لهـم نسخة بخطنا . وأولت رؤياي المتقدمة بهذا . والحمد لله نسأله تعلى أن يثبت لنا الاجر . وان يخلص العمل لوجهه ءامين . وأن يطهرنـا ظاهرا وباطنـا من الاوصاف الذميمة ءامين . بجاه النبي وءاله صلى الله عليه وسلم .

(ثم ذكر المختصر كلاما حول الواسخيني تجده في ترجمته التي تذكر في هذا الكتاب عند ذكر سيدى الحاج ياسين في (القسم الثالث) (ثم قـال رجوع الى كلام صاحب الرحلة) قال بعدما تقدم عنه ما نصه : واجتمعت فيها أيضا بالشيخ الفقيه سيدى ميهوب حفظه الله تعلى . وهو رجل صالـح . تبركنا منه بالدعاء . وحملني الى منزله . فقرأت عليه أوائل (التنوير . في اسقاط التدبير) وأوائل (الطريق الجادة . في نيل السعادة) لابن عطاء الله وأكرمني مع جماعة من الطلبة . وكان له معرفة بعلم الطريقة . واجتمعت أيضا بالفقيه سيدى عبد الحفيظ بن ابرهيم . وقرأت عليه أوائل (الشمائل) وله معرفة بالفقه والفرائض والحساب . وكان مع تلامذته معتنـين بقراءة المختصر . والفرائض . يبتدئونه في شوال . ويختتمونه في رجب أو شعبان أو رمضان . وزرنا فيها أيضا قبر ولي الله تعلى سيـدى يوسف المغـزى . ومحل الامام الشيخ حلولو شارح المختصر . والمالكية الـذين بـ (جربـة) معتنون أيضا بالتوقيت غاية . مهتمون بالصلاة أول وقتها . جزاهم الله تعلى خيرا . وفيها من الكتب في كل فن كثير . قال واستفدت من سيدى محمد بن قبراش القابسي بـ (جربة) أن البطيخ بتخفيف الطـاء . بـوزن قضيب .

(قال ملفق هذا الاختصار محمد بن مسعود الطالبي كان الله تعلى له في الدارين امين) : هذا خطأ (ثم نقل كلام المصباح والقاموس وكلام الهوريني والهلال في (اضاءة الادموس)• وبين ذلك غاية • وانفصل على أنه بتشديد الطاء وكسر الباء • كما ينطق به كل الناس • ثم ذكر حكاية الذى امتنع من أكل البطيخ حين لايعرف كيف كان يأكله النبى صلى الله عليه وسلم • ثم ذكر العيني سبب فتح (جربة) على يد درغوت باشا القائد العثمانى • وذكر كيف الفتح ثم ذكر أن العهارة شائعة علنا فى (جربة) بلا نكير • فى محلات معينة • وأن أهل الذمة يتطاولون على المسلمين • ثم ذكر فوائد من الدعوات نقلها عن القاضى بوخريص • وفوائد أخرى جغرافية وغيرها • ثم ذكر نفس كتاب • وقف عليه هناك فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم • ثم أطال فى ذلك • والمختصر يدخل فى ذلك بعض الشيء مما يدخل فى هذا النمط (ثم ذكر المختصر) أن العينى ذكر اثر ذلك كتاب (الدور الاعلى) للحاتمى (وهذا كله اختصره المختار) ثم (قال المختصر) ثم ذكر العينى صاحب الرحلة أنه ركب البحر من (جربة) قاصدا (الاسكندرية) وانه ندم بعد ذلك على ركوبه فى مركب النصارى • قال لما رأيته فى المركب من مرافقة أعداء الله تعلى • وكثرة الاقذار فى مركبهم • لعدم مبالاتهم بالطهارة ويطأون أقدام الناس بأرجلهم النجسة • ثم انجر به الكلام الى أن ذكر مدينة (ابن غازى) • (ثم نقل المختصر عنه وصفا لها موجزا) ثم ذكر امورا استبشعها • منها أنه كان فى المركب خنزير يمشى بين الحجاج • ويبعر ويبول • وينجس المركب • زيادة على نصاراه • قال وكان قائد جربة أعطاهم ثورا • وأدخلوه المركب • فلما كان يوم الاحد صعدوا به بكرة الى محلهم بالقمرة • وأضجعوه • وأخذ أحدهم فاسا • وضربه به ثلاث مرات بين أذنيه فوق رأسه • ثم ضربه بالمدية بمنحره • ثم فى ودجه خلف اذنيه واستبطأ موته • فجرحه بالمدية • فى مربط رجله الاخيرة بمؤخرها • فمات وأطعموا رئته للخنزير • فأكلها كلها • ثم ذكر أنه اشتدت عليهم الريح • وكثر اضطراب المركب • قال واشتد علينا الامر بذلك • وكثر تقيؤ الناس لذلك وتركوا الصلاة والصيام • ومنهم من لم يقدر على القيام اصلا• وصليت أنا بالتيمم جالسا• لعدم امكان الوضوء والقيام فتذكرت قول (المختصر) (أو يضيع ركن صلاة لكميد) واشتد على الامر • وأهمنى ما نحن فيه غاية فتبين لى أن اجتناب البحر فى السفر واجب • نسأل الله تعلى العفو والعافية (ثم بعد ذلك ذكر عنه المختصر أنه ذكر الابيات المعلومة التى مطلعها :

(سهرت أعين ونامت عيون) الـخ

ثم ذكر أنهم عملوا اللطيف الصغير • ثم ذكر كيف يعمل فى اللطيف الصغير والكبير والاوسط ناقلا عن رحلة (أبى مدين) وذكر (أبو مدين) انه

كان قام به مع اخوان له حين حاصر البربر والاعراب (تارودانت) فوقع الفرج • ثم ذكر (المختصر) أن والده سيدى مسعودا كان يكب عليها دائما وبين العشائين ويأمر بها في الشدائد (وذلك كله اختصره المختار ثم قال) ثم ذكر العينى صاحب الرحلة أنهم مروا فيركوبهم البحر الى (الاسكندرية) على قرى يسكنها نصارى يقال لهم (ركريك) (اليونان) وهم تحت ذمة سلطان (اسطامبول) التركماني • يؤدون الجزية • ثم ذكر ما حاصله : أنهم بعد مسيرهم رأى بلدانا أخرى • ثم ذكر ابن عبد الصادق شارح (المرشد) وأنه رأى له كتابا أدبيا معجبا • ثم ذكر دعوات تقال فى السفر وفي الوباء وغير ذلك • ثم ذكر جزرا مروا بها ووصفها • ثم ذكر دعاء عن شيخه الواسخينى • فترحم عليه • مما يدل على أنه توفى اذ ذاك • ثم ذكر دعوات أخرى • وكلاما لابن ناصر الدرعى فى شرف الطريقة الناصرية • ثم دعوات أخرى • ثم قال (المختصر) ذكر العينى صاحب الرحلة أنه تضارب ذات يوم رجلان من الحجاج • فانقطعت الريح ووقفت السفينة من غير حركة • فدهشنا (ثم ذكر جبلا مروا به) ثم ذكر أنه وصل (الاسكندرية) وزار ضريح ولى الله تعلى سيدى عبد الله المغارى • كما زار المرسى • وابن الحاجب والبوصرى • وعبد الرزاق مع شيخه بقبره • وقبر النبي (دانيال) وهو تحت الارض وقبر ابن عطاء الله صاحب (الحكم) فعارضه (المختصر) فقال : أظن أنه غيره وأن هذا دفن في (القاهرة) ثم وصف (الاسكندرية) بغاية الطيب وحسن الصور • ثم ذكر مما وقع لهم وهم على البحر : محاكاة النصارى للحجاج • وان جل الحجاج يتركون الصلاة مع القدرة • وان بعضهم يتيمم من الهواء بلا أرض • كما ذكر أن بعض الحجاج بقوا فى (جربة) لفقرهم • اختصر المختار كل ذلك • ثم قال المختصر) :

لطيفة

قال نمت فى بعض الايام ونحن فى المركب • فرايت فى النوم أنى ذهبت مع أناس للحج • وبتنا فى أثناء الطريق عند قوم من الاشراف لا أعرفهم • فقالوا لى تريد الحج • فقلت نعم فقالوا : تعال حتى تغتسل بماء كان عندنا • خلط بماء زمزم • ففرحت بذلك •واخذت الماء ودخلت بيتا كانه من بيوت الاغتسال فى المتوضأ • وازلت عنى ثيابى فاغتسلت حتى بلغت صدرى بالغسل • وقد بدأت من الرأس • ورأيت أنى أنزع عن جلدى وسخا كثيرا • فلما كان ذات يوم ونحن فى المركب كثر اضطراب المركب • وضاقت بنا (البركة) ومال المركب ميلا كثيرا مع (البركة) حتى لم أقدر على الجلوس فوقها • فنزلت للعنبر مع ما فيه من الرائحة الكريهة • ومكثت فيه ليلة ويوما • وصليت فيه بالتيمم جالسا • ثم نمت فرايت فى نومى أنى

جئت للحج • فجئت الى جبل درن عند رجل كنت أعرفه • فقال لابد لك أن ترجع حتى تزور ولى الله تعلى سيدىأحمد بن موسى • نفعنا الله تعلى به امين • فرجعت وتركت عنده زادى • ولما وصلت الى الظفيرة المسماة بظفيرة (تاكتيب) عند عقبة (مرزكنن) بقرب (عين الطلبة) بتزروالت • لقيني رجال من أبناء الاعمام • فقال لى بعضهم : انك غررت بنفسك • تشتغل بالزيارة ويذهب الركب دونك • فقلت فى نفسى هذا قول حق• وجبل درن بعيد • والرفقة عديمة • وهالنى ذلك • وهممت أن أرجع من ذلك الموضع دون زيارة الشيخ المذكور • وحزنت فى شأن ادراك الركب • والذهاب فى الطريق بلا رفقة • وبأن من تركت عنده زادى قد يفوت بعضه • فحصل لى بسبب ذلك كرب عظيم فى نومى • وكادت نفسى تزهق • فاستيقظت فاذا أنا بالمركب • وفرحت غاية • وأولت رؤياى هذه بالصلاة التى صليتها بالتيمم جالسا • فطلعت من حينى من العنبر الى موضعى من (البركة) وتوضأت بمشقة • وأعدت تلك الصلاة • وتضرعت الى الله تعلى أن يسامحنى ويعاملنى بلطفه الخفى (اقول ثم ذكر المختصر عن الاصل فوائد طبية • قال نقلها من كتب فى علم الطب • وقع عليه بـ (جربة) ينسب للامام السمرقندى) ثم ذكر أنه وصل الى (الرشيدية) قال وأهلها كلهم مولعون بشرب الدخان والقهوة • أكثر من أهل (الاسكندرية) قال وهى ذات بناء متقن عال على شاطىء النيل • ليس بين الماء وبين أساس البناء الا قليل • وبعض الديار أساس جدرانها فى الماء والعمارة بضفة الوادى معا • ثم قال وما بين (الرشيدية) و (مصر) فى عدوتى النيل من البلاد كثير • ليس بين القرية والاخرى الا قدر ميل أو ميل ونصف او ميلين والناس فى حاشيتهم أكثر من أن تحصى • ولكن لاحياء لهم • تجد الرجال عشرة أو عشرين او اقل أو أكثر يجتمعون فى موضع واحد • يسقون حرثهم فى النيل• وبعضهم عريان لم يلبس ولو خيطا واحدا• الا ما على رأسه بل ينزع ثيابه ويضعها بقربه • ويجذب الدلو بحضرة الناس • وكذلك تجد الرجال مع المرأة على سانية واحدة أو فى موضع واحد والرجل غير لابس وثيابه حوله • وتجد البحرية اذا أرادوا أن يقودوا القارب نزعوا ثيابهم • وقبضوا الحبل وصاروا مع حاشية الوادى يمرون برجال ونساء كما هم بلا لباس • وكنا نلتقى مع الصنادل هابطة مع الوادى • ملئت برجال ونساء مجتمعين •

والحاصل أن هؤلاء القوم من (الرشيدية) الى (مصر) يقصر الوصف عن الاشارة الى قليل من أحوالهم الذميمة • عصمنا الله من الزيغ امين • وستر الرأس عندهم اكد من ستر العورة • وتختلف النساء للمساجد كالرجال فمن ساترة ومن عارية • ثم ذكر أنه دخل (مصر) حرسها الله تعلى • ولقى

بها الفقيه سيدى محمد بن محمد الايرغى • والفقيه الاستاذ سيدى محمد الكرامى السملالى (ثم ذكر أنه زار أضرحة البكريين ازاء الازهر • كما زار فى القرافة الصغرى أضرحة المنوفى وخليل وذكر أن على قبر هذا شباكا صنيع الفاسيين • ثم ضريح السلطان الذى وقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم عند محاولة بعض الناس الحفر على قبره الشريف بسرداب من بعيد • قال والقصة مشهورة (١) ثم ضريح الحفناوى والخرشى مع ابيه وعبده وعبد الباقى الزرقانى لكن لم نعرف قبره بالتعيين • كما زار فى (القرافة الكبرى ضريح عبد الله المغاورى (٢) فى غار بالجبل والقلشانى • والقرطبى • واخوة يوسف وابن الفارض • وبعض ذرية الجيلانى والمقرىء ورش • والشيخين القارى والسامع • والشاطبى المقرىء • وعلى بن وفا • ويوسف أبى الارشاد ويحيا أبى اللطف وأبى الفتح • وأبى الاسعاد وأبى الاكرام • وعبد الرحمن الشهيد وابن أبى جمرة • وابن عطاء الله صاحب الحكم (فانتقض كلام المؤلف هنا بما ذكره فى الاسكندرية) والمنذرى والقرافى وابن دقيق العيد • وعمرو بن العاص ومن معهم من الصحابة • فى مكان خاص بهم وذى النون وابن حجر العسقلانى شارح البخارى والهمزية (وعارض المختصر بأنهما اثنان كما هو مشهور • وان شارح البخارى هو العسقلانى • وان شارح الهمزية هو الهيتمى ثم ذكر المختصر كل واحد منهما باختصار) وقبر الليث بن سعد فعرف به (المختصر) وابن جماعة والاشمونى شارح الالفية • فتوقف فى ذلك المختصر • ثم توقف فى ذلك المختصر أيضا • وقبر السيوطى ونفيسة ورقية • وابن القاسم وأشهب وأصبغ وبهرام وزينب بنت على • والحنفى • والمشهد الحسينى • وسماه مقام الحسنين • والشعرانى (اختصر المختار فى كل ذلك لعدم أهميته فى الموضوع) ثم قال المختصر : قلت هنا انتهى ما وقع الاختيار عليه مما لخصته من (رحلة) الفقيه العينى • ولم اجد ما بقى منها • والله تعلى يفتح فيه وينفع الواقف على هذا بما سطرناه ونفعنا به كذلك ويجعله من السعى المشكور المقبول ءامين • بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما • وكتب فى السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة ١٣١٧ هـ الضعيف محمد بن مسعود السملالى الطالبى الابريمى • كان الله له فى الدارين وليا وبه حفيا ءامين ءامين) •

هذا هو مختصر هذه الرحلة نقلناه أيضا مع ما اختصرناه نحن أيضا بدورنا فى الحادى والعشرين برمضان : ١٣٥٨ هـ وقد حرصت على ابقاء الكلام للمختصر الا اذا اضطررت لتركه • لاختصر فى أمور لايهتبل بها غالب قراء هذا الكتاب مع حرصنا على الاشارة الى كل ما حذفناه • ليكون

---

١) ذلك الملك هو نور الدين بن زنكى • وهو مدفون بدمشق لا بمصر •
٢) قد تقدم هذا فى الاسكندرية • فهل هما اثنان

القارىء على بال مما تضمنته (الرحلة) وليكون ذلك كله معينا على معرفة الناحية التى يعتنى بها المؤلف الذى نحن فى صدد ترجمته . ولا ريب أن كل خطرة له فى رحلته تدل دلالة واضحة على ما خفى عنا من حياته . فكل من قرأ ما تقدم اذا أمعن فيه النظر . يدرك أن المترجم يصطبغ بالصبغة الصوفية الناصرية التى غمرت فى ذلك العهد كل جنوب المغرب . فاعتناؤه الهائل بالدعوات وبخصائصها . حتى استغرقت كثيرا مما كتبه. اعظم دليل على ما مازج فكره من ذلك . ثم هو فى نفسه ورع متوقف عن كل محظور شرعا . لايحوم حول حماه . فقد رأيت كيف امتنع من الدخول الى (عين ماضي) كما رأيت أنه ذو؛ غيرة على أن يطرق حمى كل ناحية فيها منهيات شرعية . فيعلن النكير عندما يرى من ذلك أى شيء . وكذلك يمكن أن يدرك مقدار غور بحثه مما ذكر . ومقدار معلوماته . وانه يغلط فى بعض التراجم لمن يذكر قبورهم . مما يدل على قلة بضاعته فى التاريخ . مع حرصنا على تعقيبات ابن مسعود ليصح ما تقدم لنا عنه فى ترجمته . وذلك كله مهم. وذلك كله لايخفى عن لبيب . ثم ان هذه الرحلة قد ذكرها لى سيدى عثمان وقال : انها مبتورة أولا واخرا . ولكننا رأينا فى هذا المختصر ما يدل على أن أولها لم ينبتر . الا بعد أن اختصرها ابن مسعود . وأما اخرها فما انبتر الا بعد ما تمت بيد المؤلف ان كان حقا أتمها . فقد ذكر لى سيدى عثمان أنه مات مرجعه من هذه الرحلة وهو قريب من داره . فيتبادر الى الذهن أنها لم تتم . ولكن يظهر أنها اذا بقى منها شيء . فلابد ان تتجاوز بكثير (مصر) وربما تكون كراريس لاتزال موجودة بعد هذا الذى انقطع فيه كلام المختصر الى ما شاء الله . فتكون هى التى يترجى المختصر الاتصال بها. ولكن لم يقدر له ذلك . وهكذا تضيع نفائس الكتب ان بقيت فى ايدى ورثة لايفقهون لها معنى . ولا حول ولا قوة الا بالله .

نعم اننى وقفت على ما بقى من (الرحلة) بعدما كتبت ما تقدم . وهى عند أحد أهله بخط جميل. وفى ذيل المجلد رسالة كتبها من فاس .والرحلة كبيرة الحجم بسبب ما أولع به مؤلفها استطرادا تبعا لابى مدين الذى ينقل عنه كثيرا ولابن ناصر وللعياشى . بل الرحلة العياشية هى الاصل الاصيل لكل تلك الرحلات) ورحلة ابى مدين بعدما جهلت مكانها وقفت عليها فى كتب (تامكروت) المنقولة الى (الرباط) وانه رحل ١١٥٢ هـ . ورجع ١١٥٦هـ وفيها اجازات وفوائد كثيرة جدا .

هذا وقد وقفت بين فتاوى فى أواسط القرن الثانى عشر على توقيعات عبد الله أبى مدين بن أحمد . فكنت فيه متحيرا . حتى وقفت عليه هنا .

وهو من(درعة) من المتخرجين من (تامكروت) وهو يذكر حسينا الشرحبيل من مشايخه • وءاخرين أخذ عنهم أثناء رحلته • ثم انه سكن في (تارودانت) ولعله توفي بعد : ١١٦٠ ﻫ وقد وقفنا على ءاثار لاديب درعي يسمى أحمد من المتخرجين – كما نظن – بالهوزيوى • وقد سقنا ءاثاره التي عندنا • وهي حسنة يذكر بعضها في ترجمة الهوزيوى • وكان يقطن (تارودانت) فهل له اتصال نسبي بأبي مدين الدرعي هذا ؟ ان ذلك ممكن •

ثم ان هذا القرن الثاني عشر هو قرن الرحلات الحجازية المكتوبة في سوس فهناك :

١) رحلة أبي مدين • ٢) رحلة العيني هذه • ٣) رحلة الخضيكي • ٤) رحلة البيبوركي • ٥) رحلتا أحمد أحوزي الكبرى والصغرى • ٦) رحلة لابن بلقاسم الكرسيفي • ٧) رحلة عبد الواحد بن الحسن الصنهاجي • وهاتان الاخيرتان لم أرهما الى الآن • ويذكر الشاعر البونعماني أنه سمع أن بعضهما موجود • كما وقفت عليه في مواد رحلته الجزولية • ويعين أمكنتها سماعا فقط • أما وقت وفاة المترجم فان سيدي عثمان ذكر أنه توفي مرجعه من الرحلة • فيكون ذلك نحو أواسط : ١١٩٩ ﻫ لان رحلته كانت كما تقدم في السنة قبلها • كما صرح به (المختصر) لكنني وقفت في روضة الايكرارى على أن رحلته كانت سنة ١١٩٤ ﻫ ثم ذكر أن حياته ممتدة الى سنة ١١٩٧ﻫ كما قرأه في محرر بيده مؤرخ بتلك السنة • ولعل ما عند ابن مسعود هو الذى لا غلط فيه • فيصح ما ذكره سيدي عثمان من أنه توفي مرجعه من الرحلة • وقد زاد هذا أنه مات عزبا من غير عقب • وهو لا يزال شابا من غير عقب •

هذا وأما شيخه الواسخيني فاننا نذكره ان شاء الله بين الواسخينيين في ترجمة سيدي الحاج ياسين في (القسم الثالث) ورجزه في المبنيات بشرح هذا المترجم يدرس بهما الطلبة الى الآن في بعض مدارس جزولة)

الثالث عشر : محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن محمد : وهو حفيد بلقاسم أخي ابرهيم المتقدم • فقيه حسن • أخذ عن الاستاذ الرفاكي • وعن الاستاذ الحسن ابن عبد الرحمن الفلكي • وهو رجل يغلب عليه الحياء والمسكنة • وقد نسخ كتابا يوم دراسته وله مشاركة وولع بغرائب المسائل توفي ١٣٤٣ ﻫ في قريته المسماة (سيدي داود) قرب قرية أبناء عمومته

الرابع عشر : علي بن ابرهيم بن محمد بن سعيد • عم المذكور قبله • ذكره لي سيدي عثمان وقال انه عالم كبير القدر • تولى القضاء من الحكومة رسميا • وءاثاره مخطوطة كثيرة جدا • قال واحسب وفاته بعد سنة ١١٩٠ﻫ

هذا ما كنت كتبته عنه • وأولاده لايزالون يسمون «ال القاضي • وقد رايت بعدما كتبت ما تقدم ظهير القضاء • ونصه :

(جددنا بحول الله وقوته وجميل يمنه وبركته بيد ماسكه الفقيه الاجل العالم الامثل المرابط الخير سيدى على بن ابرهيم • على ما بيده من ظهيرسيدي الوالد الاعظم ويتعرف منه بحول الله وقوته اننا وليناه امر خطة القضاء في كافة اقليم الساحل ويصدر فيه الاحكام الشرعية من غير معارض ولامنازع وعليه بتقوى الله العظيم في السر والعلانية • والله حسيب من بدل أو غير • والسلام •

(في صفر : ١١٥٩ هـ)

وذلك في عصر مولاى عبد الله بن اسماعيل •

الخامس عشر : عبد الرحمن بن ابرهيم بن علي بن ابرهيم

حفيد ذلك القاضي • وقد أفادنا الاستاذ محمد بن عثمان كلاه الله • فوصفه بأنه فقيه حسن له محررات في الفقه بين الفتاوى والاحكام موجودة وكان يشارط في قرية (أماراغ) ويخطب في جامعها في الجمع • وكان ذا شهرة • ومن أركان الطريقة الاحمدية • توفي أواسط أو أواخر العقد التاسع من القرن الماضي •

السادس عشر : عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن سعيد

قال فيه الايكراري في الروضة :

(ومنهم من جلدتنا من شرفاء (ايكرار) ببلدة (أكلو) جدنا سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى - الى أن قال - وسبب نزوله في (ايكرار) ان عمه القاضي سيدى عبد الله ابن محمد بن سعيد المذكور • أرسله سيدى على أبو دمعة الزروالي المتوفى ١٠٧٠ هـ قاضيا في (أكلو) • فاشترى من (هرجانة أمزيل) بفم مدشر (ادشديد) الى (شعبة جاوج) فنزل الشيخ في هذا الموضع برؤيا رءاها من سيدى (وكاك) الى أن توفي رحمه الله عام ١١٩٤ هـ كما في بعض التقاييد • فهو عصرى ابن ناصر سيدى أحمد المتوفى سنة ١١٢٩ هـ اخذ عنه الطريقة الغازية • أرسله الى زاوية سيدى (وكاك) فشارط فيها ثلاثين سنة حتى ارسله لايكرار بالرؤيا السابقة • شاهدوا نورا خرج من فم ابن ناصر فدخل في فم جدنا سيدى عبد الرحمن المذكور • وذلك كرامة له رضى الله عن الجميع

ذلك كل ما ذكره المؤرخ الايكرارى فى جانب هذا السيد الجليل . وقد اخبرنى سيدى عثمان انه كان اخذ قليلا فى (تامكروت) ولم يبطئ هناك كثيرا . وأنه كان يجود القرءان للطلبة فى المدرسة (الوكاكية) طارت له الشهرة بذلك . وله علم حسن غير أنه ما كان يجول فى مجالات الفقهاء الا أنه يرشد العباد . وكان جهبذا فى القراءات . هذا ما زاده لى المذكور . ثم اننى وقفت فى كتاب صار من الكرسيفيين الى الالغيين على ماياتى:

(فى يوم الاحد الرابع عشر شعبان ١١٩٢ هـ مات محبنا فى الله حقا سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم التوماناري أصلا . الساكن بـ (أكلو). سقطت عليه نخلة فى (توماناز) فمات هناك . فبعد دفنه بيومين جاء أهله ونقلوه الى (أكلو) رحمه الله . انتهى)

فمن هذا يعلم ان التاريخ الذى عند الايكرارى فيه ما فيه . وهكذا نأتى طرر الكتب بتقاييد مفيدة مما تسيل به أسلات الاقلام . فها أنتذا ترى هذه الفائدة عثر عليها عند الاباعد . فى حين أن الاقارب العلماء لاوجود لها عندهم. ويظهر أن الشيخ عمر كثيرا . فكون ولده الآتي محمد من أصحاب أبى العباس ابن ناصر المتوفى : ١١٢٩ هـ مما يدل على ولادة الشيخ سيدى عبد الرحمن . قبل مفتتح القرن الثانى عشر . فيكون معمرا نحو قرن . وعلى قبره قبة تقصد بالزيارة من بعيد الى الآن . ومن أصحابه الفقير محمد واعزيز الشهير فى (تزنيت) .

السابع عشر : محمد بن عبد الرحمن ولده

ذكره الايكرارى فى (الروضة) بكلام قليل . جدا . وقال ان له مع الشيخ أحمد بن ناصر اتصالا . وأنه كتب اليه هذه الرسالة التى لايزال أهله يحافظون على نسختها الاصلية . ونصها :

(بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أخينا فى ذات الله ومحبنا فى جانبه سيدى محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد من أولاد سيدى عبد الرحمن بن موسى . السلام والرحمة والبركة . فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو .

أما بعد : فاوصيك يا أخى بتقوى الله فى السر والعلانية . والرجوع الى الله فى كل قاصية ودانية . واتباع السنة فى الاقوال. وتجديد التوبة فى كل الاحوال . والمحافظة على صلواتك لاوقاتك . وتطييب اقواتك . وأحذرك مواقع الشبهات . ومواضع الظنات ومخالطة الغافلين . فانك لم تخلق سدى وأعمل لما بعد الموت . واجعله نصب عينيك وثق بالله وحسن ظنك به . وطيب لقمتك. وحاسب نفسك وضايقها. يتسع لك الفضاء يوم تبلى السرائر

والله يوفقنا وإياك . واستودعك الله الذي لاتضيع ودائعه . كتبه من ربيع الثاني عام : ١١٢٨ هـ عبيد الله احمد بن محمد بن ناصر . كان الله لـــه امين . وان قبلت وصيتي هذه . وعملت بها فانت منا والينا . لك ما لنا وعليك ما علينا . كتبه أحمد) .

ثم لاريب أن المكتوب اليه يبلغ اذ ذاك العشرين فاكثر حين كتبت اليه هذه الرسالة. واذا امتد عمره الى رجب : ١٢١٤ هـ نعلم أنه معمر ايضانحو المائة أو أكثر . وربما كان تعلم في (تامكروت) وأخذ عن أساتذتها .

وذكر لي سيدي عثمان أنه عالم جيد محصل . يدرس في (ايكرار) فنون العلوم . وكان سبب موته هو الوباء الشائع اذ ذاك وقد دفن ازاء قبر والده في القبة .

الثامن عشر : إبرهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابو سالم

ولد المذكور قبله . قال فيه الايكراري :

(ومنهم الفقيه القاضي الاوحد الهمام رفع راية العلم لجماعة فقهاء سوس كلأه الله من كل بؤس.أبو سالم سيدي ابرهيم بن محمد .قدس الله تربته. وءانس غربته. فانه كان قرين الدنيا والدين . وهو كما قال القائل :

أقاموا بظهر الارض فاخضر عودها وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

وتالله ان فقده ليهون الرزايا . ويحقر المزايا وانه لحقيق بما قال ابن المعدل في ابن الماجشون : ما ذكرت ان الارض تأكل لسان عبد الملك . الا هانت الدنيا في عيني . وكان رحمه الله ممن يصغى اليه . وتلقى مقاليد الخير لديه . لا معقب لحكمه . مسلما لقضائه وعلمه . لاينازعه حاكم . ولا ينابزه خاصم سلمت لدلوه الدلاء . وكان عبقريا في الالقاء والادلاء . اخذ عنه جلة كبراء . وابازل علماء . كسيدي الحسن بـ (تيمكيدشت) وسيدي العربي وسيدي أحمد أوجمل الامزالي وأضرابهم ممن لهم الاعتناء . والسهم المعلى في الاملاء . أخذ هو في (فاس) عن ابن كيران واضرابه . ممن لهم في النقد يدان . فملا منه وعاءه . وبث منه بعض البعض لمن طلب منه اقتناءه فجل علمه في صدره مخزون . لعدم القابلية في أهل جيله لعلمه المكنون . كالاسطرلاب الذي عن أهل سوسنا استعصى وغاب . فلم يأخذه عنه احد . ولا درى أطريقه أسهل أم انجد . وحينما بعثه عمه لفاس . أخرج لـــه الاسطرلاب فجعله في تليس البغلة . ءاخر ما جعل فيه . وقال له : ان هذا وجدناه في خزانة الكتب فتعلمه . وحينما وصل ليدى وجدت صفيحة ثلاثين تحت الشبكة . فعلمت ان له مزيد فهم فيه . فقد خرج في خزانة (أدوز) الربع المجيد . والمقنطر . وخرج في خزانة الشبيين الاسطرلاب .

ووجد ،اخر عند المرابط الادوزى • و،اخر عند سيدى محمد بن حسين الجلوى – الايكلويى –

ومن كراماته : أنه لما كان بفاس يأتى اليه بعض المجاذيب وقتا بعد وقت ويتعاهده • فلما كان بعض الايام قال : أنظر لذلك البيت هل عرفت الذى فيه •فلما دخل رءا ميتا مسجى بثوب • فقال له : انظر هل عرفته • فقال له : هذا عمى سيدى محمد بن عبد الرحمن • فقال له هذه نوبتك فى الزاوية فارجع لبلدك • فجاء • انتهى • كما وجد فى بعض التقاييد •

ومنها : انه جلس على سرير بيته الطويل • وزوجته جدتى فاطمة الرسموكية تتوضأ فى الميضأة • • فى الرأس الآخر من البيت • فمدرجله يمازحها حتى رفسها بها • كما أخبرت بذلك • ثم ذكر مثل ذلك استطرادا ثم قال :

وكان رحمه الله ممن له القبول ء نداالخاص والعام • ولاسيما (أيت ابراييم) و (أيت يعزى) (أيت الكريمة) فى (الساحل) • ولذلك كتب اليه الولى الصالح سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتى رسالة يحضه فيها على الصلح بين ءال (تزنيت) و ءال (أكلو) ولم يترك تاليفا فى العلم الا أربعة كراريس • شرح بها أوائل الجوهر المكنون • وقد لازم التدريس فى المسجد• ثم شارط على أولاده سيدى ابرهيم(١) أكدورت – الكادورتى – حتى تضلعوا فى العلوم • وغاية ما يقال فيه أنه أوحد العصر • لاثانى له علما وعملا وتحكيما فكانه عناه من قال :

امام جرى فى شأو كل فضيلة	ففاز بخصل السبق دون الورى طرا
وأعلى منار المكرمات فاصبحت	عفاة الندى سعيا الى بابه تترى
هو العلم المرفوع والوارف الذى	افاض الندى والعلم والفضل والسرى

ويروى أنه لما مرض مرض موته • أتاه شرح البخارى للقسطلانى اشترى له (ولعل المقصود المطبوع منه • لان المخطوطات منه كثيرة فى (سوس) اذ ذاك) فلما أخبر بحضوره قال لهم : اجعلوه على صدرى • ثم استلقى • فلما وضع عليه قال : الحمد لله الذى أحيانى حتى ملكته • فالآن طاب خاطرى طاب خاطرى • ثم استوى فقضى نحبه • وذلك فى رجب ١٢٧٦ هـ فبنيت عليه قبة حافلة بحدثان ذلك • رحم الله الجميع بمنه • ثم ذكر أمورا خارجة عن ترجمته •

---

١) راجع جماعة من أهل گادورت الايسيين فى ترجمة سيدى الحسن الاعرج فى (الجزء التاسع)

اقول : ذكر لى سيدى عثمان ان للمترجم رفيقا فى طلبه وحياته كلها يسمى سيدى محمد (١) بن ابرهيم الساموكنى ٠ تراضعا معا فى فاس ٠ ثم قطنا معا فى (أكلو) ٠ فكانا يتعاونان دائما فى مناجزة الحسن بن الطيفور الساموكنى ثم التزنيتى وأمثاله ٠ وقد نقض ابن الطيفور مرة حكما حكم به ابو سالم ٠ فتصدى ابن ابرهيم لابن عمه يكيل له بالكيل الاوفى ٠ ولا يفلح الحديد الا بالحديد ٠

وذكر أيضا أن أبا سالم كان شارط الاستاذ سيدى أحمد اوجمل حينا ولانكاد نشك أن ذلك قبل مشارطته لابرهيم الكادورتى الذى ذكره الايكرارى ٠ ونحن نعلم أن أوجمل كان مشارطا فى مدرسة (ايت عمرو) بهشتوكة ٠ نحو : ١٢٥٨ هـ ثم لم يزل هناك الى أن توفى بعد ١٢٧٠ هـ (وسيذكر ءال أوجمل فى فرصة أخرى)

ثم ان رحلة أبى سالم ٠ كانت قبل : ١٢٣٠ هـ الى فاس ٠ فان أستاذه ابن كيران توفى حوالى : ١٢٣٠ هـ وكذلك استقرار قدمه فى الزاوية بايكرار كان قبل : ١٢٤٣ هـ فان سيدى ابرهيم أقراب الذى ورد عليه توفى تلك السنة ٠ لان ما جرى كان قبل هذا الحين ٠ على أن كون وفاة سيدى محمد - فتحا - بن عبد الرحمن الآتى فى سنة ١٢٢٨ هـ ان ثبت ما يظنه المؤرخ الايكرارى ٠ مما يدل على أن أبا سالم رجع اذ ذاك فاستقر بالزاوية قبل : ١٢٣٠ هـ وأما ولادته فقيل : ١٢١٤ هـ ولكن لابد أن يولد نحو (١٢٠٥ هـ) على ما يعتاد فى أوقات التلقى للقرءان ثم العلم فى ذلك الحين ٠

هذا وقد تقدم فى (القسم الثالث) فى ترجمة الحسن التيمكيدشتى بين التيمكيدشتيين ٠ وفى ترجمة سيدى العربى الادوزى بين الادوزيين ما وقع لهما هناك فى مدرسة (تيمكيدشت) وانهما اللذان اقترحا عليه شرح (الجوهر المكنون) وقد وقفت على كلام لسيدى العربى ذكر فيه انهم اخذوا عنه اذ ذاك (التلخيص) أيضا كما ذكر لى ان فى أول شرحه على الاستعارات الماما بذلك ٠ ذلك كل ما أمكن لنا ان نذكره عن أبى سالم العلامة الكبير ٠ ولاريب أنها ترجمة دون قدره بكثير ٠ لفقدانها كثيرا مما تزخر به تراجم أمثاله الاكابر ٠ فاين ءاثاره ٠ وأين مختلف أنبائه ؟ وأسماء الكثيرين ممن اخذوا عنه ؟ فاننا لم نعرف منهم الا سيدى الحسن التيمكيدشتى وسيدى العربى الادوزى ٠ وسيدى أحمد أوجمل الامزالى ٠ وسيدى أحمد اضارضور الآتى ٠ وهذه نقطة ضئيلة جدا ٠ فقد كان يلازم التدريس فى (ايكرار) ٠

---

١) راجع جماعة من الساموكنيين فى ترجمة محمد ابن الحاج عبد الرحمن فى (الجزء التاسع) ٠

كما كان كل نجباء (تيمكيدشت) سياخذون عنه اذ ذاك يوم الفتح (البيان) هناك مع الآخذين عنه • مع اننا لم نعرف منهم الآن احدا • وكان سيدى ابرهيم يعد نفسه من أتباع الشيخ أبى العباس التيمكيدشتى • ولا يغب الوفادة اليه كل عام • ثم أورث ذلك أهله • وقد كان بينه وبين الشيخ سيدى سعيد المعدرى أيضا اتصال ، فكان هذا يزور أبا سالم بطائفته التى يسيح بها على القرى لارشاد الناس • وهذا مما يدل على عدم تعصبه لطريقة على حدة •

ثم انه أخبرنى الاستاذ سيدى محمد بن عثمان أنه رأى كثيرا من فتاواه وآثار قلمه ، وذكر أنه يقتصر على المحقق بايجاز • كما هو صنع عيسى السكتانى • قال وفى مجموعته الفقهية التى جمعتها اثارات من بنات قلمه•

التاسع عشر _ احمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن

هو ابن المذكور قبله ، قال فيه الايكرارى : (ومنهم الفقيه العالم العلامة البيانى الاوفاقى الصفى الحفى • سيدى أحمد بن ابرهيم على ما فيه من بله ، يخدع من العوام • كأنه لا يعرف كيد الخصم والحكم • لم ينفع الله بعلمه احدا • وكان حريصا على الكتب ، لا يمكن احدا من رؤية كتابه • فضلا عن أن يعيره • ولم أسمع انه أعار كتابا لطالب • فجمع فائدة كتب ابيه • فذهب بها لجهة الاعراب _ يعنى الصحراء _ فتلفت ثمة • والباقى تحت يده ورحل أيام الكلولى الى (تازروالت) فلما مات حاز فيها سيدى أحمد بن محمد الخياطى العينى ما انتقاه • وترك ما لا فائدة فيه تحت يد ولديه : على ، وادريس • فلما مات ادريس انتقى منها سيدى محمد بن حسين الاكلويى ما أراد ، لكون بنته ثمة • فتلفت الكتب كلها شذر مذر • وكما يدين الفتى يدان • وقد منع من قسمها ، فلم يحظ بالمراد • توفى رحمه الله فى مدرسة سيدى أحمد بن موسى التازارووالتى • فدفن فى مقبرته حذاء أحمد العباسى • وذلك فى ربيع النبوى ١٣٢٣ ﻫ رحمه الله تعلى •

ومن بلادته أنه يرد المطلقة ثلاثا ويجيز كراء الدراهم • فهم كلام التسولى على غير المراد • والله يغفر له • ولم يجىء فى ورطة الذنوب ما جاء فى الربا من الحوب)

بذلك ترجمه الايكرارى • وقد أفادنى سيدى عثمان أنه كان متعصبا للناصرية على الدرقاوية وغيرها • فألف لذلك مؤلفا ضد البدع • قال المذكور كانت فى يدى نسخة منه فمزقتها • أقول لعل ذلك من الحاكى أيضا _ وهو درقاوى _ من ءاثار التعصب • فقد لمته على ذلك • فقال توجد منه نسخة

أخرى . فقلت له : ان ذلك من «اثار المؤلف» سواء حسنت ام ساءت، ينبغى المحافظة عليها . ثم ان ذلك لايبطل حقا . ولا يحق باطلا ولكنه يفيد فى التاريخ . ولذلك نحرص نحن على سوق كل ذلك حتى ما لايقبله غيرنا من الرد على والده . لان ذلك كله داخل فى باب التاريخ . لاينبغى الا اعتباره وقد أخبرنى «اخر أنه حضر له مرة فى مدرسة (تازاروالت) يتلو الحديث النبوى . فحمل على مصادمى السنة والمعتنقين للبدع . فافاض فى ذلك . وهو الذى أخذ عنه الاستاذ محمد بن مسعود . وأثنى عليه فيما أخذ عنه . وقد وقفت له على رسالة منه الى المترجم . فيها أبيات أثبتها فى ترجمة ابن مسعود . ومنها عرفنا أنه قد يعبر من كتبه لامثال ابن مسعود من الاباعد . وان كان يحرم منها بعض الاقارب . خوف أن يتلو (هذه بضاعتنا ردت الينا) حين لم تقسم الكتب فى التركة .

أما «اثاره فلم أقف منها الا على هذه الرسالة كتبها الى الاستاذ ابن العربى الادوزى :

(الفقيه الذى له الرسوخ فى كل علم . والذى اليه المحاكمة ان قال كل واحد من المختلفين بفهم . : أبو عبد الله سيدى محمد بن العربى الادوزى البركة التامة على العلماء والصالحين . السلام على الحضرة ورحمة الله وبركته

وبعد : فقد توصلت برسالة سيدى الاجل . فأعجبنى فى تلك الفتوى كل ما عقد قلم الفقيه أو حل . ولم يسعنى الا أن كتبت عليها الموافقة حين رأيت الحق صراحا . ووجه المسألة بيناء . ولولا فكر سيدى لما انحلت عقدتها . ولما وشيت حلتها . والحمد لله . وليدع لى سيدى بالخاتمة الحسنى . وان التقى كتابى باليمنى . وسيدى محمد بن الحسين الشريف يسلم على سيدى . وقد أكد على فى ذلك والسلام .

الضعيف : أحمد بن ابرهيم وفقه الله

نعم اننى سأزور (ايكراد) فى هذه الايام فان كان هنالك غرض فلتعلمنى به انتهى .

من آثاره

ثم وقفت بعد ما كتبت ما تقدم على مجموعة جمعت باذن من الملك مولاى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن تتضمن كل ما قيل فى أمداحه . وهو لايزال خليفة أبيه . وولى عهده . فيها قصائد سوسية متعددة . من بينها قافيتان لهذا السيد المترجم . ولنسق ذلك وان كان لايمت الى الشعر الا بالعروض والقافية . ومن لايقدر ان ينظر ذلك نظرة المؤرخ الى امثاله . فليتجاوز

قراءته • وله المنة فهذا للمؤرخين لا للادباء • وذلك قطعتان أولاهما :

فأحمد مشتاق اليك فهل الى لقاء سبيل ايهـا البدر اذ جلا ؟
فانت فريد الدهر مثلك لا يرى بذا الغرب فى نفع الغريب ان أرملا
وغيث يجود بالمعالى فليس ذا غريبا فمن يكون بالله قد علا
تود السماء أن ترى من نجومها فتخدمك النجوم بالعز والعـلا
(ألم تر أن الله أعطاك سورة أرى كل ملك دونها قـد تزلزلا)
(فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبق ضوء تمثلا)(١)
فدع ذا وعد للقول فى الملك الذى يسمى بوصف الحسن بالله فضلا
فخير البداة والحواضر كلهـا بذا الوقت والغريب نحوك هرولا
ولوكنت من شىء سوى بشر ترى تجود بـأنوار الغزالة للملا

وله أيضا فى مدح مولانا الخليفة ابن أمير المومنين المنصور بالله تعـلى المؤيد بالفتح والتمكين (٢)

أيا من سما قدرا على البدر والسها وأضوا من الشمس المنيرة بالبهـا
وأعلى من القيل العظيم مقامـه فغابطه حيران عنـد أولى النهـا
وأذعن كـل النـاس طرا لجيشه وتعنو الوحوش فى المفـازة والمها
تراه لاهل الغرب روح النفوس لا يشابه فى خلق وفى العقل والدها
طربت له لـو ان نفسى ملكتهـا بذلت ولا أصغى لغير أذانهـا
أراه وان كان الاخير زمانـه فريد الزمان بالعطايا وباللهـا
والارغاس والخيرات والبركات قد تضم بغرب اذ دعوت أميرها
وتسمو بـوصف الحسن قـد بدا كمال به كالبدر ان تم بانتها
ولكنه لاينقص الدهر حسنه فليس كبدر فى المحاق اذا انتهى
وانى متى أثنيت مدحى قاصر عن ادراك ما تحوى محاسن نلتها
انتهـى •

والكتب التى ذكر الايكرارى أنها تمزقت بيد المترجم وبعده • كانت فيها كتب نفيسة تذكر • ولعل بعضها يبقى فى (ايليغ) ان كانت خزانـة (ايليغ) لاتزال مصونة •

(نعم زرت بعد ما كتبت ما تقدم هذه الخزانة فـى رحلتى (الثانيـة)

---

١) البيتان ينظران الى بيتى قول النابغة الذبيانى :

ألم تر أن الله أعطاك سورة أرى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

٢) هذه عبارة مجموعة أمداح مولاى الحسن • ولى العهد اذ ذاك •

فسطرت بعض غرائبها • وهي في (خلال جزولة) •

ثم ان المترجم اخذ كاخوته عن والده وعن سيدى ابرهيم الكادورتي • وربما أخذوا أيضا عن أحمد اوجمل • وولادته قبل : ١٢٦٠ ه

العشرون ـ محمد بن علي بن أحمد بن إبرهيم

حفيد العلامة أحمد بن ابرهيم دفين (تازروالت) المتقدم • مما افادناه أيضا الاستاذ ابن عثمان • وقال انه أخذ عن المؤرخ الايكرارى • واستتم في (الحمراء) فكان عالما حسنا نوازليا نحويا مشاركا • شارط في مدرسة (أيت علي) بـ (بعمرانة) وسكن هناك • وهو جواد مضياف • اشتهر بذلك وفيه كل الاوصاف الحسنة • متدين خاشع • محبوب من الناس • فيثنى عليه بكل لسان • ولايزال في تلك المدرسة الآن ١٣٦١ ه وعمره يناهز اليوم خمسين • وهو يميل الى الادب • ويقرض الاشعار • الا أنه لايستحضر الحاكى من مقولاته شيئا • وقد كان اتجر حينا • ثم أشكى المدارس التي كانت تشكو فقدان أمثاله فمال اليها •

(ثم علمت انه توفى سنة ١٣٧٣ ه نحو شهر رمضان • بعد أن أصيب بمرض كالفالج • فصار أبكم نحو سنة)

الحادي والعشرون عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن

الابن الثاني لابن سالم • قال فيه الايكرارى : (ومنهم الفقيه الحيسوبي الحيال الصبور • النوازلي : أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم • قرأ عند أبيه وعند سيدى ابرهيم أوكدرت • ثم انتقل الى (مراكش) أعواما • فرجع فتزوج عمتي خديجة عام (١٢٧٩ ه) فعمر أوقاته بالاذكار والحزب • لايبطله أبدا • وهو ناصرى الطريقة • وكذلك أخوه المذكور سيدى احمد • وقد فاضت عليه الدنيا • خدم مولاه فاخدمه عبيده • يباشر النوازل في (الساحل) و (أيت برايم) لاتجده الا عند هذا أو ذاك أو ذلك • فيتجاذبه المتخاصمون • وكان عارفا بكيدهم ويعامل كلا بما اقتضته سيرته •

فمن رام تقويمي فاني مقوم ومن رام تعويجي فاني معوج

(نادرة) أتى رجل من العامة لهذا السيد • فقال له : هل للرجل في خاصة نفسه أن يعمل بما أخذه عن عالم • فقال له نعم • كل ما اخذته عن عالم فاعمل به • من اقتدى بعالم لم يذنب • فقال : لله يا سيدى • اخذت عنك الكذب غير ما مرة • فوالله لاافارق الكذب أبدا ما دمت حيا • فانت

شيخي فيه • ان دخلت الجنة دخلتها • وان دخلت النار دخلتها • انتهى • كذا روينا الحكاية عن الثقة • توفي رحمه الله ١٩ ذي الحجة عام ١٣١٥ هـ وترك ولدين نجيبين)

أقول ذكر لي ولده سيدي الحسن : أن والده ولد نحو ١٢٤٢ هـ وأخذ القرءان عند سيدي أحمد بن ابرهيم الامام - كما عرف به - وكان اماما لسيدي ابرهيم • شارطه ليصلي به • فيتعلم عليه أولاده • وكان خيرا• وعنه أخذ جميع أولاد سيدي ابرهيم • وتوفي قبل : ١٢٨٠هـ • ثم أخذ عن أوجمل وعن أبيه وعن الكادورتي وأحمد أضارضور • وفي (الحمراء) عن أجيمي الكبير وهو محمد بن أحمد التيبيوتي الجالي عن مسقط رأسه بسوس الى (مراكش) وقد دعا له بأن لايزال يجول في النوازل • كما أخذ هناك عن الطيب بن محمد الساموكني • وكان عبد الرحمن علامة محصلا فرضيا حيسوبيا • شارط أولا في (مرغت) سنة • ثم انتشب في النوازل مع اضارضور • وأحمد بن ابرهيم • وذلك ديدنه عمره • وقد رأى في المنام : من تلا عليه : (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) وقد عزى فيه ابن مسعود ولده سيدي محمدا بقولـه :

رباب الرضا استهل منك بمدرار ... على جدث للعلم ضم بـ (ايكرار)
ضريح أبي زيـد ابن عالم عصره ... أبـي سالـم أكرم بعنصر أبرار
ضريح مروءة وفضل وسؤدد ... وخلق يغار منه نافح أعطـار
يهون وجد الواجدين عليـه بـل ... يهنئكم من نجله خلف أخيـار
محمد الارضى النجيب محقـق ... ذكي أصيل البحث كشاف أغوار
ولازال وفار الفضائل كامل السـ ... ـعادة ملحوظا بتنقيح أفكـار
بديع زكي الدين تاج كمالـه ... يحلى بانصاف وتحقيق أنظار
أعزيـك لا لغيـر حق مـؤكـد ... ولا سيما امتثال مأثور آثار
فانك انت راسخ الدين في غنـى ... بجدك عن تذكير مثلي واذكاري
فان حالت الاقدار عن أن أزوركم ... فودك يغني عن تكلف أعـذار
بقيت صميم الدين عن كل بدعة ... محوطا بفضل الله من شر أغيـار
وأزكـى سلام طيـب متضرع ... عليك كما نم النسيم بـأزهـار

ثم انه كان تولى قضاء (اكلو) وما اليه • بظهير حسني • كما كان لـه تحرير عزيزي بالتوقير والاحترام • وقد كان صاحب الاستاذ محمد بـن العربي الادوزي حين سافر الى (الحمراء) اثر وفاة المولى الحسن • وقبره في قبة سيدي عبد الرحمن ازاء قبر سيدي أحمد اضارضور •

الثاني والعشرون ـ محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم ابن المذكور قبله

الثالث والعشرون ـ الحسن بن عبد الرحمن بن ابرهيم ابنه ايضا

هذان سنفردهما بترجمة مستقلة ، لكونهما ممن دخل في شرطنا ـ لانهما من أتباع الشيخ الالغي .

الرابع والعشرون ـ عبد الله بن ابرهيم الابن الثالث لابي سالم

قال فيه الايكراري : (ومنهم سيدى عبد الله بن ابرهيم له حظ في العلم لزم دار أبيه لزوم الظل للجرم ، لايكتب لاحد ولا على أحد ، الا الحروز ، ففي يده شفاء ، وهو ذو بركة ونقيبة ، شغله الاجباح في الدوار ، لايعرف طريق سوق ولا موسم ، حتى فارق الدنيا قبل ١٢٩٤ هـ)

الخامس والعشرون ـ محمد بن عبد الله بن ابرهيم

ابن المذكور قبله ، ذكره الايكراري بنجابة ، وقال انه مقتول بيد الاعراب حين نهبوا (ايكرار) في رمضان ١٣٣٢ هـ) وذكر غيره ان ذلك في نحو ٢٨ رمضان وكان من أصحاب الشيخ الالغي ، وكان ذا تؤدة في كل أموره ، قدمه أهل قريته مقدما ، وأخبرت أنه لم يأخذ من العلم الا قليلا ، مع سمعته الحسنة بين أهله الى الآن ، ثم اخبرني سيدي محمد بن عثمان أنه قرأ كثيرا من محررات يده في التوثيق ، وعبارته مستقيمة ، وتوثيقه جيد، وخطه مقبول، وقد تهذب بالتصوف الالغي حتى صار ابريزا

السادس والعشرون ـ الحسن بن ابرهيم الايكراري

قرأ على علامة زمانه سيدى أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أضارضور ثم سافر لـ (مراكش) فتمم فيه ما تعلق به غرضه ، فرجع فشارط في مدرسة (رسموكة) ثم استقر في الدار معطلا أعزب الى عام ١٣٠٤ هـ فتزوج زوجة أخيه المرحوم سيدى عبد الله ، فلم يلبث أن مات في العام ، ولم يعقب لاولدا ولا ثناء حسنا انتهى ماقاله فيه المؤرخ الايكراري ، ومدرسة (رسموكة) هي مدرسة (دودرار)

هؤلاء الاربعة هم العلماء من ابناء أبي سالم ، وهناك اخوهم محمد مقدم الزاوية توفي : ١٣٠٩ هـ .

أخو أبي سالم المتقدم • قال فيه الايكراوي : (ومنهم سيدى محمد ابن محمد بن عبد الرحمن • كان رحمه الله فقيها حليما صبورا حيالا هينا لينا قرأ في مدرسة (سيدى يعقوب) ـ بايـلالن ـ تركه أبوه يتيما • فنشأ عند سيدى ابرهيم بن علي • وترك متروك أبيه عند عمه سيدى محمد بن عبد الرحمن • فلما قضى نهمته تزوج بنت عمه • سيدى محمد ابـن عبد الرحمن • جدتنا فاطمة في أواخر شوال عام ١٢٣٩ هـ وكانت مـن النساء الصالحات العابدات • توفيت قرب التسعين أو بعدها أو قبل تمام القرن • بعد وفاة جدنا هذا في أواخر ١٢٧٩هـ فلما أراد الرجوع لبلده • قال لشيخه أردت ياسيدى أن تعلمني وفقا أتعيش به • وكان شيخه ذلك عارفا بالاوفاق فقال ائتني بـ (الدردير) (١) فلما أتاه به فتحه • وقال له أضرب الكد في هذه الحمراء ليخدمك الانس وأما الجن فلا ربح معه وكان زوارا للصالحين • وهو صاحب القصة مع سيدى أحمد بن داود المتقدم الذكر الذى سلبه النيمكيدشتي ومن لينه أنه لايخاطب عبده بلخير • الا بـ : (يادَدَّا) بلخير • وكان هذا عبدا صالحا تقيا نقيا • أدى حق سيده الاعلى والادنى • فحصل له الاجر مرتين • فقد أعتقه وتأخر موته الى قرب ١٢٩٥ هـ ويمازحه كثيرا بقوله : أنت حر في الليل • عبد في النهار •

ومن حيله أنه نزل في (السهب) في (الساحل) ليقسم مالا فأباه واحد من الورثة • فقال لهم : والله لأرضاه حتى يجوز بو ازرركن ـ حلف معروف عندهم ـ فقال له سيدى محمد : بررت في يمينك • وأنا بو ازرركن : أى ذو الوان مختلفة وقد كان هناك حُنَيْبيل مخطط ، فاذعن الرجل فقسم لهم • وكان يقول للطالب سيدى أحمد بوعلال ، وكان صفيه : ان كد الحلال لا يقدر الا على نعل واحدة ، تلبسها رجلا • ثم تعقبها الاخرى متى حفيت •

ومن نظره للمآل : أنه جلس معه يوما بفم المسجد يتحدثان ، فقال له : انى لا آمن على نفسى العام ؛ تدبرت • فـوجدتنى متهنئا من الكلف : حرثا وحصادا واداما وصوفا ، كل ذلك موجود • ووجد من يتناوله • وأنا أفرغ القلب من هم الدنيا • فقد اجتمعت أسبابها : أولادا وعبيدا وبهائـم وبورا وساقية • والدنيا لا يمكن أن تترك أحدا صافي الذهن • ولعل الاجل قريب • فلم يمض الا شهر فمرض فمات •

« ولـذى اللب في الامور ارتياء »

---

١) شرح على مختصر خليل • نبهنا عليه لان بعض ابناء اليوم يجهلون ذلك

ثم ذكر حكاية عاثلية محضة .

اقول : اننى وقفت بين فتاو للحسن بن الطيفور الساموكنى على كلام يرد به على هذا الاستاذ ، ووصفه بقوله : المرابط الخير . القمر النير . وذلك فى أثناء فتوى أجاب بها الاستاذ سيدى محمد بن ابرهيم الساموكنى . فوقع المترجم تحته ما أجاب به العلامة أعلاه صحيح ، ومكاوحه شحافاه (١) ان البغاة بأرضنا يستنسر . قيده محمد بن محمد التوماناري - والايكراريون لا يزالون يحافظون أحيانا على النسبة الاصلية لقرى (تازروالت) - فكتب ابن الطيفور على هذا الكلام الذى لا يفهم بعد ما أجاب ابن ابرهيم بما يفسر قولهم : (ان البغاث بأرضنا يستنسر) . ومقصودنا نحن بذكر مثل هذه المرادة أن نعلم أن المترجم يدخل نفسه فى تلك الحلبة المتعاركة فى تلك الجهة اذ ذاك . كابن الطيفور . وابن ابرهيم السامو كنى . وابى سالم وأضارضور الايكراريين . وأحمد بن ابرهيم السملالى الساحلى . ومحمد بن يدير . وما منهم الا فحل لا يقدع أنفه . فدل ذلك على ما لسيدى محمد من الظهور بينهم . وشيخه الذى أخذ عنه فى المدرسة اليعقوبية ، هو الاستاذ سيدى على بن سعيد . وقد ذكر مع أهله فى (القسم الرابع) فى ترجمة سيدى الحاج عبد الحميد .

وأما أحمد بن داود التملى المذكور ، فقد تقدم أيضا فى ترجمة سيدى عبد الرحمن الجشتمى . وهو الذى ألف بسببه الجشتمى مؤلفا ضد أبى العباس التيمكيدشتى والجميع فى (الجزء السادس) وولادة المترجم كانت قبل ١٢١٤ هـ .

الثامن والعشرون : محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله . قال فيه الايكرارى : « ومن أولاده الفقيه النزيه الربانى ، الصفى الابى سيدى محمد بن محمد . قرأ بـ (تيمكيدشت) وكان لا يستقر بمكان . سكن فى (عوينة بنى بلال) ثم فى (حاحة) بمدرسة يقال لها (ايفرض أوطاها) ثم فى (الصويرة) ، وفيها مات : ١٣٣١ هـ » .

اقول : اننى قد وقفت له على رسالة كتبها الى فقيه حاحة اذ ذاك وصالحها سيدى محمد الامغارى . نصها بعد البسملة . والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :

(..... على الفقيه البركة الحامل لواء الشريعة والحقيقة . وامام

---

١) كـذا

التيجانية المشهورة الطريقة • أبي عبد الله سيدى محمد نيت اومغار • أفضل السلام واطيب التحية والبركة • ما دار الفلك ودامت له حركة • وعلى من الى سيدى • لا اخص منهم أحدا • ولا أحصى منهم عددا •

وبعد : فقد وصلتني رسالة سيدى الفقيه الاجل المرتضى • فتلقيتها بعين الرضا • وتحتوى على نثر بديع • وشعر مليح • وخطاب كأنه المن والسلوى • فقضيت العجب من فصاحة قلمكم • وبلاغة عباراتكم • ولو كان لى فى الشعر ملكة • لاجبت سيدى بمثل ما خاطبنى به • ولكننى قصير عن مطاولة النجم • وأما ما طلبه منى سيدى فعلى الرأس والعين • فاننى سأرد على مقام سيدى بعد العيد ان شاء الله • وأما الكتاب المستعار منكم • فها هو بيد الحامل مع ما تيسر من هدية • المطلوب من كرم سيدى أن يتقبلها على قلتها • واسلم على الاولاد النجباء والسلام • محمد بن محمد بن محمد الايكرارى السوسى) •

كنت ظفرت بهذا الاثر • ولكننى لم أكن أعرف كاتبه حتى قرأت ترجمة هذا فى (الروضة) وفيها أنه كان فى (حاحة) فعلمت أنه هو صاحبها ثم وقفت على ظهير حسنى فى توقيره يوجد عند أهله • ولم ننقله حين أمكن لنا ذلك • وكم عندهم من ظهائر فرطنا فى نقلها للتاريخ •

التاسع والعشرون : الهاشم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

تقدم والده محمد بن محمد بن عبد الرحمن • وانما تاخر ولم يكن ازاء والده لاننا لم نقف عليه حتى كتبنا كل ماتقدم •

مشيخته

لم نستحضر عمن أخذ القرءان • وأما العلم فالاتيان :

١) الاستاذ الايكرارى المؤرخ • فبه ترقى فى البدايات • حتى شدا وظهرت نجابته • ثم قدر عليه أن فتك بطالب فى المدرسة • فخرج منها خائفا يترقب • فطلق كل (سوس) خوفا على فخارته أن تتحطم – كما يقول الشاعر •

ب – الحسن بن محمد نيت بيهي التلمستي

القى عنده عصاه فى مدرسة (تالمست) بقبيلة (متوكة) فصار يستتم عنده حتى اكتفى ثم صدر من مدرسة مجازا بما نصه :

(أما بعد : فقد طلب منى الاخ فى الله تعل سيدى الهاشمى بن محمد من أولاد سيدى عبد الرحمن الايكرارى بـ(سوس) الاقصى أن أجيزه فيما سمعه عنا من العلوم المروية عن الاشياخ رضى الله عنهم • فأجزته مستعينا بالله • تنشيطا لهمته • اجازة مطلقة فى جميع تلك العلوم المتداولة بين الاقران • فقها ونحوا وحديثا وتفسيرا • وأصولا • وفروعا وبيانا ومنطقا وعروضا وتنجيما وحسابا وفرائض • بشرطه المعتبر عند أهل هذا الشأن من تقوى الله العظيم • وقول لأدرى فيما لايدرى • واوصيه بلزوم السنة • والارشاد والصبر• والنصح لكل مسلم• وبالمحافظة على الصلوات• وبوعظ الاخوان وتنبيههم • وتذكيرهم برفق ولين • وأدب وتواضع • وخدمة لربه وفى الحديث الشريف : الخلق عيال الله وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله • سدده الله ووفقه وثبته • وأصلح بالاخلاص لوجه الله أعمالنا وأعماله • آمين فى فاتح ربيع الثانى عام ١٣٢٧ هـ • الحسين بن محمد التالمستى النفيفى)

انتهت الاجازة من هذا الاستاذ الجليل الذى سياتى ان شاء الله فى (القسم الخامس)

نتف من اخبـاره

أخبرنى الفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن موقت الجامع الكبير بـ (البيضاء) أن المترجم كان شارط حينا فىمدرسة بـ (رأس الوادى) لأن مقدم الزاوية التامكروتية سيدى عبد السلام الناصرى أرسل الى سيدى الحسين يتطلب منه استاذا لتلك (المدرسة) فارسله اليه • ثم اتصل بعد بمجلس ذلك الناصرى • فلازمه ما شاء الله• ومما وقع له يوما فى مجلسه : أنه جرى ذكر (هر) المعلوم بلفظ الشلحة • فقيل ما يسمى بالعربية • فبادر المترجم قائلا : انه (الدغدغة) بعينها وذلك مما يدل على أنه مطلع على اللغة • ثم انه تولى خطة العدالة فى محكمة القاضى الحاج العربى الرحمانى • قاضى (رحمانة) فسكن (الحمراء) وقد كان فيها : ١٣٣٠ هـ حين أحتلها الامير أبو العباس الهيبة • وهو الذى وقف للاستاذين : الايكرارى وأوعابو حتى تخلصا من نكبة (مراكش) يومذاك •

ثم ان مرضا خفيفا اعتراه • فالتحق به بالملأ الاعلى نحو ١٣٤١ هـ هكذا ألقى الى الفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن ما يعرفه عنه بعد ما كنت لم أقف الا على الاجازة المتقدمة حوله فقط • وقد وصفه بأنه فقيه أديب طل الحديث • ممتع المجالسة • رحمه الله •

أخو المذكورين قبله ٠ وهو المؤرخ الايكرارى الذى يتردد ذكره كثيرا فى مسمع القارىء فى هذا الكتاب ٠

المؤرخ سيدى محمد بن أحمد من آكابر علماء هذا العصر فى (أزغار) ومن أماثل المتولين للافتاء والقبول والرد فى المباحثات العلمية على اختلافها٠ فقد طال به العمر حتى نال صيتا كبيرا ٠ وحتى تأتى له أن يكتب فى غالب معاصريه الذين درجوا بين يديه ٠ فكأن يعلن بلا مجمجة كل ما يعرفه عنهم من غير مواربة ولا تورية ٠ ولا تطلب معذرة ٠ سالكا فى ذلك مسلك عدد من المؤرخين يرون أن ذلك من تمام النصيحة ٠ وان المؤرخ ان خلا كلامه من ذلك فانما هو قلب للحقائق ونسج لاثواب الزور ٠ وذلك من أول يوم ديدن المحدثين ٠ حتى سموا ذلك علم التعديل والتجريح ٠ لايكبرون أن يعلنوا ما يعرفونه فى مقام اى انسان ٠ كلما ءانسوا منه خطرة غير محمودة تحقيقا أو ظنا ٠ خدمة للحديث ودبا عن منهل الشريعة ٠ لئلا يرتقيه من يألف أن يكرع فى غير الماء الصافى ثم بعد ان تميزت الاحاديث ٠ ولم يبق مما كان حافزا للمحدثين باق٠ اختار غالب المؤرخين : محدثين وغيرهم ان يتمشوا فى جلوة الهنات بمقدار ٠ وأن يستروا العورات غالبا ٠ الا فى موقف يضطرون فيه الى مخالفة ذلك ان اقتضاه داع خاص ٠ فلم يزل ذلك يكثف حتى نسى الانتقاد فى التاريخ ٠ فصار كله ـ الا تحلة للقسم ـ شهادة حسنة لكل من جرى ذكره فى كتب التاريخ ٠ وان كان فى مسلاخ مسيلمة والحجاج وسجاح ٠ وعلى هذه الوثيرة كتب غالب تواريخ الاسلام من القرن الخامس الى الآن٠ ولكن يوجد فينة بعد فينة من يهتكون هذا السجف ٠ فيرجع الى ديدن المؤرخين الاولين ٠ فيكتب كتابة نزيهة تكون كالمصورة ٠ لاتكاد تغادر حسنا أو قبيحا ٠ حتى أفرط بعضهم ٠ فصار مولعا بالعيوب وحدها ٠ حتى انه ليتطلبها بالمنقاش ٠ ولعل ما ذكروه عن الذهبى والعسقلانى والسخاوى والزيانى كان بعضه من هذا الافراط ٠ ولذلك تصدى مثل ابن السبكى والسيوطى والكنسوسى وأمثالهم للرد على معاصريهم ٠ ممن يسلكون هذا المسلك الذى فيه كثير من الشطط ان لم يصاحبه أدب التعبير ٠

والمؤرخ صاحبنا ممن سلك فى كتابه (روضة الافنان فى تاريخ الاعيان) مسلك المحدثين ٠ وربما وقع منه بعض افراط لانه لم يكن يعذر بعض الناس أو كان يجهلهم فيقول ما يسنح له ظنا أو وهما ٠ ولكنه مع ذلك كله لايقدر أحد الا أن يعلن أنه لايقصد الا ما يقصده المحدثون ٠ وكثيرا ما يصرح بذلك

فى كتابه المذكور • فان كان يوجه اليه لوم • فيكفيه انه فى صف العسقلانى والسخاوى والذهبى والزيانى (وحسن اولئك رفيقا) •

المؤرخ الايكرارى جرىء ورب الكعبة • مصرح غاية الصراحة • بكل ما يعرفه كيفما هو • فان دل ذلك على شىء فانه يدل على شجاعة ادبية يحرمها كثيرون من المؤرخين • فيكون كتابهم كله قطعة واحدة من الاحترامات الزائدة التى تضيع معها الحقائق • وهذه الشجاعة وحدها كافية فى تكوين مجد مؤثل لمؤرخنا • ثم لايدل ذلك على أنه مصيب فى كل ما قال غاية الاصابة ولا على أنه مخطىء فى الكل غاية الخطا • فكل كلام فيه مقبول ومردود • الا كلام الله • وكلام رسولــه •

المؤرخ الايكرارى فتح بكتابه حول معاصريه بابا جديدا الى الحركة حول احياء تاريخ (سوس) ثم انه فى كتابته غير جامد • لانه يتعالى بكل مناسبة الى النكت الادبية • وكيف يتسرب الجمود الى من خالطت بشاشة الادب وفكاهته خلده • ثم انه بذلك قلب الطريقة السوسية التى جرى عليها من قبله من مؤرخى رجال (سوس) رأسا على عقب• حين اعتنى بنواح لم يكن من قبله يعتنى بها • كالادبيات وادراج كل ما سنح من مثل أو بيت نادر • أو حكاية تشرح الصدر• وكالاعتناء بالرؤساء• على حين أن سلفه من مؤرخى (سوس) لايكتبون الا كتابة جافة صوفية بحتة لاتحس منها لحياة ادبية ركزا ولا تلمس منها لمتعة قلبية أثرا • وهم معذورون لانهم ليسوا فى مثل محيط الاستاذ الايكرارى • وهل يتمشى الانسان الا بسير بيئته ؟

فليعلم التاريخ هذه الحقائق عن مؤرخنا الايكرارى • فهى واقعة بلا ريب • لايجحدها الا أعمى البصيرة • أكمه القلب• ممن يعسفون والجو مصحح مشرق الشمس • ثم لايدل اعلاننا هذا على اننا نتلقى كل صنيعه بكلتا اليدين فاننا لسنا هناك• بل نقبل ونرد• ونعرف وننكر • وانما ساءنا ان يقابل هذا الصنيع بعدم الانصاف • فأردنا أن نعلن ما عندنا (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيى عن بينة) • وقد اتفق لى أن اختصرت كتابه لعدم من ينسخه لى اذذاك (١) فحاولت جهدى تلطيف العبارة فى تراجم العلماء على الاقل • وأما فى تراجم الرؤساء • فانهم معلنون للظلم • راضون بوصفه فلا حرج ان بقيت عنهم حقائق بارزة فى تراجمهم • كما هى • ليرتدع بذلك آخرون وليعتبروا • وهل يكتب التاريخ الا للاعتبار ؟

عائلته الخاصة

كان والده احمد بن محمد غير عالم ، بعد ما كان ارتحل الى الاستاذ

١) وقد سميته (طاقة ريحان • من روضة الافنان)

سيدى أحمد اوجمل فى المدرسة (العمرية) الهشتوكية • ولكن لم يكتب لـه شيء من العلوم ، وانما كان له حفظ القرءان • ثم كانت له جولات بين أحبابه يصلونه فيها بما تيسر ، ولم يقدر له أن يرث من تراث أهله وآبائه • فكان يسمى (الرفاك) ولكنه وان حرم ذلك ، فلم يحرم مصاحبة العلماء • فقد كانت له صحبة تامة بالاستاذ الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ، ولذلك اعتنى هذا الافرانى بالتعزية فى أحمد حين توفى • وفى ترجمة الافرانى فى (الجزء الرابع) ما دار بينهما من نظم على حرف النون ، ثم ان أحمد وان لم يرزق هو فى نفسه حظا من المعارف ، فقد أخرج الله من ضئضئه علما جما وكفى بذلك فخرا ونعمة وافية •

نعم الالـه على العباد كثيرة وأجلهـن نجابـــة الاولاد

فقد رزق المترجم والمدنى وأبا بكر واسماعيل ، ثم بعض أولادهم • والكل علماء مشاهير • ولا يزال ذلك متناميا الى الآن • وقـد توفى فى ذى القعدة : ١٣٢٦ وولد : ١٢٤٣ هـ • وقد كان من المقلين • وبين يدى هـذا الوالد الذى حرم حظه بين أهلـه من تراث آبائه نشأ المترجم واخوتـه • ولا ريب أن كل من يقدر قدر العلم ثم يحرمه • فانه سيحرص كل الحرص على أن يرى فى أولاده ما لم يره فى نفسه • وهذا سر انكشاف الستر من هذه الدار عن علماء عدة • وهيهات أن يميل بكل أولاده الى القراءة الا من زهد فى مزاولتهم لشؤون داره • وكفى بذلـك عزوف همة وسمو نبـل • وكثير من الناس يقولـون فى أولاده فلان (الرفاكى) ولكن رأيت أهلـه يكرهون تلك النسبة ويحبون أن يقال فلان الايكرارى• فنزلنا عند ذوقهم• فاستبدل الرفاكى بالايكرارى فى كل ما كنت كتبته قبل • وفى كل مـا أمكن لى • الا أن اتفق فى قافية • فحينئذ لا يمكن لى استبداله •

منشأ المؤلـف

ذكر أن والده اقترن بوالدته كريمة الاستاذ أبى سالم المذكور فـى صفر ١٢٧٨ هـ ثم كان أول مولود لهما : قال وربما تكون ولادتى فى ءاخر : (١٢٧٩ هـ) أو فى أول التى بعدها ثم انه بعد أن بلغ مبلـغ المكتب انتظمت دراسته القرءانية • ثم العلمية بانتظام • وقد تأهل للنجابة بما كتب لـه من المرتبة الشماء بالهمة القعماء •

أساتذته في القرآن

١) أحمد المجوطى الساحلى • الرجل الصوفى الكبير القدر • من أصحاب

الشيخ سيدى سعيد المعدرى . وقد كان ذا قدم راسخة فى المجاهدة. متأثرا بالشيخ المذكور . حتى اننى وقفت على بطاقة أرسلها الاستاذ ابن مسعود المعدرى الى الفقيه سيدى ابرهيم كزور المستوطن بـ (الساحل) يأمره فيها أن يجتمع بسيدى أحمد هذا . فيقيد عنه من أخبار سيدى سعيد ومذاكراته وذلك حين كان يشتغل بجمع أخباره . كما مر ذلك فى (القسم الثالث) وما ذلك الا لعلم الاستاذ مكانة سيدى أحمد فى التثبت . وقد ذكره الايكرارى فوصفه بأنه طالب جليل تقى نقى . قال وهو الذى بدأ لى حروف الهجاء . توفى : ١١ ـ ٦ ـ ١٣٤٧ هـ وكان سيدى أحمد يشارط احيانا . فمماشارط فيه مسجد (ايكرار) وهناك افتتح عليه المترجم . كما ذكره . وكان من الصوفية المخبتين الابرار . المتهجدين الصوامين الذين يمشون على الارض هونا . ثم عجز فى آخر عمره . فبقى فى داره يرد عليه اخوانه الفقراء حتى لحق بربه . وله ولد لايزال حيا ١٣٨٠ هـ له أحوال غير منضبطة . مع استحضار غريب .

واصل سيدى أحمد بن ابرهيم من قرية (تيرمسان) من (أدبحمان) بـ (بعقيلة) أخذ عن أحمد النجار ولازمه سبع سنين وعن أساتذة فى (جبالة) وقد أتقن القراءات السبع . عمر كثيرا . حتى استوفى ١١٣ سنة . وقد قال لى ولده : انه توفى ليلة ١٤ من جمادى الثانية . وهو مخالف لما عند الايكرارى

٢) المدنى البوكرفاوى البعمرانى . من شرفاء (بوكرفا) لم أعرف عنه كثيرا الا أنه كان شارط ما شاء الله فى قرية (ايكرار) فهناك أخذ عنه المترجم من حزب (عم) الى أن ختم عليه ثلاثا ، وهو أيضا استاذ سيدى الحاج ابرهيم التازاروالتى . وهو الذى استخلفه هنالك . ولا أدرى الآن فى أى وقت توفى سيدى المدنى هذا ، وهو شيخ كل أتراب مترجمنا . وكان ذا همة .

٣) سيدى الحاج ابرهيم العروسى التازاروالتى. أخذ عنه المترجم قليلا كما كان يذكره سيدى الحاج ابرهيم مرارا . وكان المترجم يكرمه دائما من أجل ذلك . وان لم يجر له ذكرا فى ترجمته لنفسه حين كان يذكر اساتذته فى القرءان . وذلك كائن بلا ريب . وفى (القسم الرابع) ترجمة لسيدى الحاج ابرهيم . لانه من أكابر أصحاب الشيخ الالغى .

٤) سيدى بلقاسم البوكرفاوى . ذكره المترجم . وقال انه اتصل به سنة ١٢٩٣ هـ بعد وفاة والدته اثر اسوداد الدنيا فى عينه . فأخذ عنه حرف قالون . فى المدرسة (الوكاكية) ثم اننى لا أعرف عن سيدى بلقاسم غير هذا . وهو وسيدى المدنى من شرفاء (بوكرفا) . المذكور بعضهم فى غير

هذا المكان من هذا الكتاب .

٥) سيدى محمد الخنبوبى – والخنابيب من (المعدر) – قال المترجم أتممت عليه في (تزنيت) من اخر : ١٢٩٤ هـ الى ١٢٩٥ هـ ختمتين من حرف المكى . ولا أعرف الآن عن هذا الاستاذ شيئا (ثم علمت عنه أنه عالم) ومن القراء الكبار . ولعله توفى قبل ١٣٠٠ هـ ولهؤلاء الشرفاء الخنبوبيين مكان اخر في هذا الكتاب ان شاء الله).

هؤلاء الخمسة من نعرف أنهم أساتذة مترجمنا الجليل . ومؤرخنا أصادع بما يعرف . والقوال للكلام الذى يراه حقا .

أساتذته في المعارف

١) سيدى البشير التادارتى الوجانى من اليعقوبيين الادوزيين وقد تقدم في (القسم الثانى) بين أهله – ذكر المترجم أنه التحق به سنة ١٢٩٥ هـ والناس اذ ذاك مسنتون عجاف (١) . فآواه الى سماط ممدود . وعلم منشور . فطرد عنه السغب . وفتح له باب المعارف . بافتتاح (الاجرومية) قال وانا اذ ذاك مراهق وقد شاهدت امارات البلوغ أوائل ١٢٩٦ هـ فبقى هناك سنتين . يتدرج في (الرسالة) لابن أبى زيد . و (الالفية) في هذه المرة ثم راجعه مرة أخرى في مسغبة (١٢٩٩ هـ) الى أواخر شوال ١٣٠١ هـ .

٢) سيدى مسعود المعدرى العلامة الشهير المتقدم . قال المترجم : التحقت بالمدرسة (البونعمانية) سنة ١٢٩٨ هـ فاخذت هناك (الالفية) و(ابن عاشر) فاستبصرت . وقد ذكر في محل اخر انه انتفع من هناك كثيرا وانه واظب أتم المواظبة على الانصبة . فلم يفته الا قليل جدا .

٣) سيدى محمد بن العربى الادوزى – قد مرت ترجمته الحافلة في (القسم الثالث) – وذكر المترجم انه التحق به أواخر شوال ١٣٠١ هـ فبقى هناك عامين .

٤) سيدى عبد العزيز الادوزى – وقد مرت أيضا ترجمته بين أهله (القسم الثالث) قال المترجم : التحقت به أول محرم : ١٣٠٤ هـ وهو اذذاك في مدرسة (دودرار) الرسموكية . فاقبلنا على الدراسة بالجد . وكنا (٢٨) طالبا نتناوب على السرد والمطالعة على العادة الى أواخر ١٣٠٥ هـ فانتقلنا مع

---

١) أسنت الناس : أصابتهم السنة . وعجاف . ضعاف . قال :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ... وهمو بمكة مسنتون عجاف

الاستاذ الى مدرسة (سيدي بعبدلي) فلازمناه هناك الى: ١٧ - ١١ - (١٣٠٧)

٥) ابرهيم بيرعمان الساحلي . قال في ترجمته تلميذه المترجم :

« ومنهم شيخنا أبو سالم سيدى ابرهيم أبو الجمال بـ (تيغانيمين) . كان آية في علم الحساب . يقصده الطلبة من كل ناحية في العواشر . فيتواضع لهم ، وله حسن الخلق . قرأ في (أدوز) وفيه ملأ حقيبته . قرأت عليه (السلم) في رمضان عام : ١٣٠٣ هـ في مسجد (لمست) توفي رحمه الله بعد : ١٣٢٠ هـ »

أقول : لم استحضر الآن ما أزيده على ما قاله المؤرخ ، الا أن ابن مسعود كان ممن أخذ عن ابرهيم أيضا . وهو صنو سيدى عمر الايكفيسي في اتقان الحساب .

٦) محمد بن ابرهيم الهرواشي البعمراني ، الوكاكي . توجد ترجمته بين علماء أهله الوكاكيين . قال المترجم حين ذكر ترجمته : قرأت عليه في الساحل عام : ١٣٠١ هـ (الخزرجية) و (المقنع) فهو الذى فتح بصيرتي فيهما . وقرأت عليه الميراث ، في (ايسگ) .

هؤلاء الستة هم الذين ذكرهم المترجم أساتذة له . وقد كان رحل سنة . اذ كان يأخذ من أبي فارس الادوزى الى (غيغاية) بالحوز . قصد أن يأخذ عن الاستاذ سيدى محمد بن عمر الغيغايي علم (الهيأة) . وذلك باذن من شيخه أبي فارس . لانه لقي الغيغايي حين جاء مع مولاى الحسن في احدى رحلتيه . فرأى منه علما جما في (الهيأة) . فأرسل سبعة من تلاميذه قائلا لهم تعلموا ذلك . وعلموه لنا . ولكن الغيغايي اعتذر بانه مشتغل بالكلف المخزنية . فرجع المترجم مع أصحابه بخفي حنين . وقد كان سيدى المحفوظ الادوزى . وسيدى مبارك البعقيلي من السبعة .

إجازته من أساتذته

وقفنا من ذلك على ما اجازه به استاذاه : ابن العربي . وأبو فارس الادوزيان . ونص ذلك :

(حامله الاحب الاعز عندنا المرابط الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد التوماناري اصالة . الايكراري وطنا . طلب منا الاجازة على عادة الاماثل أمثاله . فأجزناه بحسن طويته . وخلوص طينته في كل ما لنا معه مشاركة وما له مع غيرنا مذاكرة ومدارسة . اجازة شاملة . واذنا عاما . كما لنا من اشياخنا رحمهم الله تعلى ذلك . فلينشر ما طوته درايته . وجمعته

قراءته ودراسته لمن له رغبة فى الدراية ، قاصدا بذلك وجه الله ، والقرب به اليه تعالى ، وذلك بعد التثبت فيما راى ، والركون الى الله فيما درى ، وان توقف افصح بلا أدرى فانه جنة واقية ، واستودعه الله الذى لاتضيع ودائعه ، فالله يحفظه ونساله ذكرى عند تمام دروسه بما نجد له بركة ، أسبل الله علينا وعليه مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السكون والحركة ، والسلام ،

فى ربيع الاول : سنة ١٣٠٨ هـ   الضعيف محمد بن العربى بن ابرهيم الادوزى ، لطف الله به ءامين)

الاخرى

ومع المجيز أعلاه فى الاجازة للمجاز له لفظا ومعنى ، اجازة مطلقة فى جميع ماقرأناه عن أشياخنا رحمهم الله ورضى عنهم، من المقروءات والمسموعات والمرويات ، بشرطها المقرر ، وقيدها المعتبر ، وعليه بتقوى الله الذى هو ملاك الامر والدعاء لنا بخير الدارين ، والسلامة من شرهما ، وفقنا الله واياه على مايحبه ويرضاه ، وختم لنا بخير الدارين ، والسلامة من شرهما ، وفقنا الله واياه على مايحبه ويرضاه ، وختم لنا وله بالحسنى وزيادة ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، باواخر ربيع النبوى عام ١٣٠٨ هـ

عبد العزيز بن محمد الادوزى جبر الله صدعه)

* * *

مشارطاته

١) مدرسة سيدى على بن سعيد (الاخصاصية) قال هى باكورة مشارطاتى فاجتهدت وأكببت على تحصيل ما لم أحصله فى الاخذ ،

٢) مدرسة (تالعينت) أولا فى شعبان ١٣١٣ هـ

٣) مدرسة (سيدى على بن سعيد) ثانيا فى منتصف شعبان ١٣٢٠هـ الى ١٥ صفر ١٣٢٦ هـ

٤) مدرسة (أيت رخا) قال فاكببت فيها على التدريس ، وقد انتفعت منها ماديا بشىء كثير ،

٥) مدرسة (تالعينت) ثانيا (١٠) المحرم ١٣٣٢ هـ

٦) مدرسة (سيدى على بن سعيد) ثالثا فى ١١ صفر ١٣٣٦ هـ

٧) مدرسة (تالعينت) ثالثا ، وهى ءاخر مشارطاته ، وقد ابطا فيها

الى أن فارقها ١٣٥٦ هـ فلازم داره .

كان التدريس دائما ديدنه . وما كان من الاساتذة الذين يميلون الى البطالة . وهو وان لم يكن من المدرسين الكبار الذين واتاهم السعد كسيدى مسعود وسيدى محمد بن العربى وسيدى عبد العزيز الذين يحلق حولهم عشرات فعشرات من الطلبة . فانه ظاهر الاثر عيانا فى الجماعاتالتى تأوى اليه . والقصد هو الافادة لا الكثرة . (وأم الصقر مقلات (١) نزور)

مقدار مداركه

للاستاذ الرفاكى باع طويل عريض من التضلع فى فنون أخذها احسن أخذ . وكان مشاركا بين الاصول والبيان والفقه والعربية . والتاريخ والادب . ولم تكن مشاركته فى هذه الفنون على مساواة كما يظهر من ءاثاره فانه فقيه جيد مطلع محصل مستحضر . يقبل ويرد. وقد أدته كثرة اعتنائه بالنصوص . الى أن لايقبل فى كل مسألة الا النص الصريح . ثم يقف معه . ولا يتحلحل . وان خالفه من عسى أن يخالفه . وله فى ذلك مواقف . كما أنه عربى جيد نحوى ماهر . ثم أصولى . وان كان لايروج كثيرا فى مسائل الفن . لانه لم يجد من يعتنى مثله بالاصول . بعدما نبذ غالب معاصريه السوسيين . ذلك الفن . ولذلك تراه فىتاريخه يندد كثيرا بمن يجهل ذلك الفن وأمثاله . كعلم البيان والمنطق وما اليهما من العلوم الرقيقة (كما تسمىهذه الفنون : البيان والاصول والمنطق عند علماء (جزولة) واما الادب فان فيه الاريحية والانفعال للادبيات . فترى عباراته . وان كانت عبارات فقهية بحتة . تلوح من ثناياها زهرات أدبية تدل على أن الرجل مكبر لهذا العلم . محب لذويه . يدرك أنه من زينة الرجال فى المحافل . ونرى ان ذلك سرى اليه من أستاذه الاديب الكبير ابن العربى الادوزى . ولكن صوغه الادبى نثرا وشعرا . كان دون ذوقه . كما تدل عليه ءاثاره الكثيرة . وقد رأيناه يحب مطارحة الادباء من معاصريه كابن مسعود . وشيخه الادوزى . وابى فارس . والشاعر ابى محمد الافرانى . والطاهر والبشير الناصريين. والحبيب السكرادى . وأبى الحسن الالغى . وكان فى كل مناسبة ينظم اليهم وينثر . فيجيبونه . وقد ذكر ان بينه وبين سيدى الطاهر الناصرى ما يوازىستمائة بيت.ويتراءى لنا أن نثره أعلى. وهو على نمط النثر السائد

---

١) أوله (بغاث الطير أكثرها فراخا) والقلت بفتح فسكون : الهلاك . ومقلات مفعال منه . والتاء أصلية . وليست الكلمة من القلى كما يظن . وقد بقينا أزمانا على ذلك الغلط حتى أفادناه شيخنا البوزاكارنى .

فى القرون الوسطى . فيميس فى اسجاع متناسقة . مفصلا بابيات مختارة وبامثال كثيرة . تنتشر من ذاكرة الاستاذ الواسعة . وقد تتفق له فصول من ذلك عالية النفس (حتى ان صاحبنا التطوانى السلوى اعجب بترسله يوم رأى بعض كلامه) ولولوعه بالسجع تجده فى كتابه (روضة الافنان) كثيرا ما يعتنق لغة ربيعة فى المنصوب المنون . كما أن هناك من أمثال ذلك ما لايخفى على لبيب . وفى كتابه المذكور رغم كل ذلك قطع أدبية ممتعة . ومن يعرف بيئة الاستاذ التى نشأ منها فانه يعذره كل المعذرة فى كل ما يتراءى من هناك .ثم يوالى الشكر الجزيل عليه لاعتنائه بالادبيات . وهناك نوع من الاشعار أولع بها الاستاذ . تأثر فيها بطريقة الاديب أحمد بن محمد ابن عبد السميع التاغاتينى صاحب القصيدة المشهورة المزوجة بين العربية والشلحية . وكثيرا ما يقصد الاستاذ بذلك النوع الاحماض وارسال النكتة. كما هو ديدن كبار الادباء الاريحيين قديما وحديثا كما له ولوع أيضا بالارجاز التى يلقيها على عواهنها من غير التنقيح الذى ينبغى من أمثاله .

ثم ان للاستاذ باعا حسنا فى الاطلاع على التاريخ الاسلامى والسوسى (خاصة) ومجمل الكلام على مدارك الاستاذ أنه فقيه مفت . وهذا الوصف أبرز أوصافه . وقد اتقن النوازل ومارسها أزيد من خمسين سنة . تدريسا وافتاء وقضاء . ثم له وراء هذا الوصف الاخذ برسنه . مشاركة فى الفنون المتداولة فى سوس . وللعربية مكانة سامية فى مداركه .

على أن هناك وصفا آخر كبيرا . امتزج بحياة الاستاذ العلمية . وهو اتقان علم (الهيأة) فانه وافرادا فى أسرته الايكرارية . اتقنوا ذلك الفن ودأبوا على دراسة علم الربع المجيب . والاسطرلاب . وما اليهما . وهم من دون كل السوسيين أزمنا أصحاب هذا الفن الرافعون لرايته. لايشاركهم فيه غيرهم الى الآن ١٣٥٨ ﻫ الا ان كان اليوم من اخذه اخذا جديدا . من القرويين بعد النظام حين اعتنى هناك بهذا الفن . فربما يوجد من بين النشء من يجاريهم فى الميدان كالاستاذ فى (تزنيت) سيدى أحمد أوعامو الذى توسع فى هذا الفن على يد العلامة الفلكى سيدى محمد العلمى . (ثم جاء الاستاذ سيدى محمد بن الباز أخيرا . الذى أخذه عن العلامة سيدى محمد ابن عبد الرزاق المراكشى)

ثم ان هناك وراء هذه المدارك السامية التى فاز بها الاستاذ الرفاكى : خلقه العلمى . وهو تعاليه دائما الى الرتبة الشماء فى محيطه . مما يدير حوله هالة واسعة . لانه دائما ينتقد . فيقبل ويرد . ولا يكبر احدا أيا كان عن ان يكون موضع قبوله ورده . ولاريب ان هذا ملاك عظمة الانسان العلمية فى مثل البيئة التى كان يعيش فيها . وكثير من الناس بله لايقدرون

الانسان العالم الا بقدر ما يتراءى به من بين أقرانه ، وما يعلنه عن نفسه وقد أوتي الاستاذ من هذا حظا وافرا عن جدارة ، فكان عالما كبيرا ، في أعين لم تكن تعرفه الا بذلك واما المدركون للحقائق فانه يقدرونه قدره الحقيقي الذي كان فوق ذلك المقام

ومما يتعلق بأخلاق الاستاذ انصافه فيما يجهل فقد انشد يوما بين تلاميذه :

ان الشبـاب والفراغ والجـدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

فضم ميم مفسدة وكسر السين ، فقال له أحد تلاميذه : أوليس الاولى أن يقال مفسدة بفتح الميم والسين ، فاستحسن ذلك وفرح بالتنبيه على غلطه

هذه نظرت اجمالية فيما نعلمه من مدارك الاستاذ ، ولعلنا وفقنا الى اظهاره كما هو عندنا نحن على الاقل ، لانني احمل له بين جنبي اكبارا واحتفاء زائدا ، واجلالا وهيبة ، مذ زرته يوما في داره نحو ١٣٤٠ هـ فرأيته في أبهة ووقار ولبسة شتائية في حمارة القيظ ، محافظة على ناموسه العلمي ،

انباء عنه مختلفة

اقترن الاستاذ أولا بكريمة أستاذه سيدي البشير التادارتي في شوال ١٣١٠ وهي بنت بنت أستاذه ابن العربي الادوزي ، وقد ذكر أنه كتب اليه حين خاطبها رسالة ، فوقع له الاستاذ أسفلها :

في العلم والتقوى ينافس الفتى   في بنته أو اخته أمض والسلام

قال ثم لما توفيت : ٤ ـ ١ ـ ١٣٢١ هـ تزوج صفية بنت أستاذه الشيخ الادوزي سنة ١٣٢٢ هـ وهي الاولى الى أن توفيت ، ثم اختها حبيبة الى أن توفيت أيضا ١٣٥٥هـ وهاتان أعقبتا للاستاذ، وأنجبتا له : فابرهيم ونفيسة من الاولى ، وأحمد والعربي وعبد الرحمن وبنات من الثانية ،

وكان منشأ الاستاذ من قرية (ايكرار) بـ (أكلو) ، ثم طاب له أن يستقر في (تالعينت) حين كان مشارطا فيها ، ومنطويا الى رؤسائها ، وقد بنى داره هنالك سنة ١٣١٩ هـ فلاقى كل عناية من الرؤساء الجراريين ،

ولكنه لايزال يتردد الى قريته الاصلية ، في أوقات من العام في أوقات الحرارة ، يصطاف أولاده هناك ، وقد ساق فصلا في ذلك في ترجمته لنفسه وقد اختصرتها في كتابي : (طاقة ريحان من روضة الافنان) وهو الكتيب الذي اختصرت به كتابه المذكور ، وهذبته ، وخففت فيه من لهجته ومن لذعاته ،

وهاك هذا الفصل الذى ذكرته ، قال وهو يذكر تنقلاته فى المشارطة :

(..... فراجعت (التالعينتية) حيث كنت الى الآن ، وقد كسرت عصا التسيار ، وقصرت نظرى على عاصمة (بنى جرار) وقد طلقت الموطن الاول بـ (ايكراو) فان طاب الزمـن ، وأمنت من الفتن ، وازهر فصـل الربيع ، وتطاردت الفقاقيع على الغدران ، أرسلت العيال ، لياخذوا حظهم من جنى الثمار ، ولطيف الفاكهة ،والجولان فى تلك الرباع الفسيحـة ، فان هبت ريح الجنوب ، واكفهرت السماء وعبست الغبراء ، أقلعنا بهم الى حمى(تالعينت) المنيع، مجاورين لهؤلاء الكرماء ، فحمدنا السكنى والترحال واسترغدنا العيش فى كل الاحوال) اهـ

وكان الاستاذ قبل أن تنتظم العدلية قبل : ١٣٤٤ هـ من الفقهاء الذين يحكمون فى النوازل فيفصلونها ، وممن يقبلون ويدبرون فى ميادين الافتاء مع اشتغاله بالتدريس ، وكان منذ القى رحله فى (تالعينت) مصباح مجالس الرؤساء هنالك وفقيـه حضرتهم ، أو أحـد فقهائها عـلى الاقـل ، لانهم يتعددون غالبا ، لان هناك السادة الحبيب السكرادى ، ومحمد بـن عبيل الغرمى ، والحسن السنطيلى وغيرهم .

حكى لى بعض الطلبة أنه ورد على الاستاذ يقصد الاخذ عنه ، قال ففى اليوم الثانى بينما الاستاذ يدرس اذا برسول القائد ، فقام الاستاذ مبادرا وترك الدرس ، قال فذهبت حين رأيت منه ذلك ، ظن الحاكى ذلك عيبا فى الاستاذ ، ولعل له عـذرا ، والمرء فقيـه نفسه ، ومثل الاستاذ الذى كان يعرف كيف توكل الكتف لابد أن يدارى وان يراعى وان يتمشى مع الزمان، فيدور معه كيفما دار ، ومن الامثال السائرة : اليد التى لا تقدر أن تقطعها فقبلها ، وقد قال الشاعر :

ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فانما انت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليـل نديما للنـدامات

وهو مع ذلك محافظ على مركزه العلمى ، لايسلم منه فى قلامة ظفر، فيمكن له بذلك أن يعيش موفور الكرامة هنالك ، وقد وقفت له على قطع وقصائد يقولها بمناسبات فى القائد عبد السلام ، وخليفته عياد ، فتارة فى مخاطبات بين الرسائل ، وتارة فى تهنئة بتشييد دار ، أو مثـل ذلـك ، وقد كان يعاصر هنالك الاديب الشاعر سيدى الحبيب البوسليمانى ، فكانا فرسى رهان فى النظم للقوافى ، يتباريان فى الاشادة بأولئـك الرؤساء أحيانا كما يقتضيه الحال ، كما لا يخلوان من تنافس حكمت به المعاصرة ، حتى ان المؤرخ سيدى على بن الحبيب الف كتابا فى رجالات سوس عارض به

كتاب مترجمنا هذا ، قائلا انه افرط فى التصريح أو فى التعريض بلمز من يترجمهم فاردت انا ان اتجنب ذلك وقد توسع فى الرجال أكثر من مترجمنا وقد ذكر أن القائد عيادا نفسه هو الحافز له على ذلك ، ولاريب ان قصد عياد شغل هؤلاء الادباء فى تخليد ماثره ومآثر السوسيين كلهم . فكان مشكورا على ذلك غاية الشكر .

ثم ان المترجم قد كان لملازمته لحضرة رؤساء (تالعينت) أثر فى معرفته للذين يردون عليه من مشايخ صوفية وعلماء جهابذة من السوسيين والصحراويين فكانت عينه النافذة تدرك مقدار ما يحوم عليه كل واحد منهم فهناك ما ذكر به الشيخ التاموديزتى كما كان هناك أيضاً ما ذكر به الشيخ الالغى الذى ما كان يتصل به الا هناك ، وقد مضى لهما هناك تحاكك له تأثيره فيما وصف به ، وقد ذكر لى شاهد عيان أن الشيخ الالغى الذى كان اذا ورد على حضرة أولئك الرؤساء الذين يعتقدونه ، أقامهم وأقعدهم ، كما هو معلوم ومشهور عنه فى امثالهم بحيث يأمرهم وينهاهم ، ويقرصهم بتوجيهات وعظه وارشاده ، ويواخذهم على التفريط فى الدين ، ثم كان المترجم مرة جالسا فى مجلس يسائل الشيخ فيه من معه — على عادته دائما — عن التوحيد وعن مسائل الدين ، فيعلم الجاهل وينبه الغافل ، فجرى ذكر المسألة :

(من قرأ الفاتحة فى ركعة على غير ما هو مطلوب من سر أو جهر ، ثم تذكر قبل أن يركع ، وكان المسؤول من الطلبة ، فوقف يتأمل كيف يجيب ، وقد كان مسامتا للاستاذ المترجم ، فاشار اليه اشارة خفيفة بيده فيما بينه وبينه أن اجبه بأنه يمضى قدما ، فأجاب المسؤول بذلك ، فرداه الشيخ بما هو مشهور فى المسألة بأن الواجب أن يرجع لاعادة الفاتحة على ما ينبغى سرا أو جهرا ، لان السر والجهر انما يفوتان بالانحناء ، فدار الكلام بين الشيخ وبين الاستاذ ، فاتى بالدردير ، فاذا بالمسألة كما يقول الشيخ (1) ، ولعل أمثال هذه المحاككة تعددت . فكان لذلك تاثيره الخاص فى الاستاذ ازاء الشيخ ، حتى ذكره بما ذكره به ، ولا عصمة لاحد ، ولاريب أن مثل الاستاذ فى ذكائه وحدة ذهنه ، لايطرق له بالعصا ولا يقعقع له بالشنان . الا أن للبشرية حظها فى كل انسان انسان . فرضى الله عن الجميع .

كان الاستاذ حقيقة مولعا بالقبول والرد . على سبيل المذاكرة والمباحثة فكما أنه يجاذب من حضره ، كذلك يجاذب الغائبين بقلمه وقد اشتهر مابينه وبين سيدى البشير الناصرى فى مسألة الهجرة ، وقد وجه اليه الاستاذ سؤالا فى نفس المستدل ، فبين أن الهجرة اليوم غير واجبة ، وان من كان من المدجنين لايكفرون فأجاب الاستاذ الكبير سيدى البشير بأنهم يوافقونه

1) هذه المسألة تعددت المذاكرة فيها مرارا ، حتى عرفها كل الناس

على ذلك فى جملة • ولكن الجواب افرغ فى قالب ادبى عالى النفس نثرا ونظما ـ وقد ذكر ذلك فى (الجزء الرابع) أثناء اخبار الهيبة ومربيه ربه • (والمدجنون المسلمون الساكنون تحت ذمة غير المسلمين) •

وكذلك اشتهر ما كان الاستاذ يرد به على الفقيه سيدى أحمد الكشطى التنانى فى مسألة الصلاة فى السيارة حين ألف المذكور مؤلفا فى جواز ذلك بشروط ذكرها • فصمد له الاستاذ ينقض ذلك عروة عروة • وقد دخل معه فى الحلبة الفقيه سيدى الطيب البومنصورنى والعلامة سيدى على بن الطاهر الرسموكى • ثم بعد أن امتحن ذلك الفقيه الكشطى فاعتقل ظلما فى(أكادير) بسبب زيارة القاضى الحاج أحمد سكيرج لسوس وملاقاته معه حملت الاريحية الادبية الاستاذ المترجم فقال قصيدة عربية شلحية فيما وقع فيه الفقيه • يرسل ذلك نكتة • وهذه المباحثات التى أولع بها الاستاذ مما يعلى شانه عند الذين يعلمون أن ذلك هو شنشنة كل طالب للحقيقة • ما احاط به الانصاف • ومازجه أدب المخاطبة • وتلاه الرجوع الى الحق متى ظهر • فان الحق يظهر أنه مع الكشطى فى تلك المسألة على ما هو مبين فى (الرحلة الاولى) من (خلال جزولة) •

وقد انتظم الاستاذ بين العدول حين انتظمت العدالة فى (تزنيت) وما اليها سنة ١٣٤٤ هـ فاتصل بذلك بالقاضى سيدى محمد أوعامو فكانت له مخاطبات نظمية فى جانبه • فلم يزل على ذلك الى أن لفظ نفسه الاخير • فكان يتردد على (تزنيت) ويتمشى تحت ذيل النظام كما ينبغى • فيبرهن بذلك على أن انقياده سهل • وأنه يصلح للمعاشرة فى كل وسط • مع أن أمثاله من الفقهاء يصعب عليهم مثل ذلك الانقياد • وان قضت به المصلحة وأملاه الواجب •

كان الاستاذ الايكرارى حسن العهد • ولعل هذا الوصف يعد من أبرز صفاته • فقد كان عاضا بالنواجذ على الاشادة بكل من بينه وبينه صلة• فلذلك كان يشيد بما يشيد به نحو أساتذته فى العلوم • ومشايخه ومشايخ أهله فى التصوف • فلهذا نصب نفسه مدافعا عن مبدا استاذه ابن العربى فى الذب عن الطريقة (الناصرية) ذبا مشرفا ، فلم يفرط فيه قط • حتى انه ليظهر منه أحيانا بعض تعصب • ولكننا نوقن انه انما يدفعه الى ذلك تعصب آخرين للطرق الاخرى • فرأى أن يكيل لهم بالمكيال الاوفى • ولا يفلح الحديد الا بالحديد • وقد كان الاستاذ بسبب ممازجته للناصرية معلنا للسنة الواضحة • مدافعا فى نحر كل بدعة أية كانت على ما هو معروف من هذه الطريقة • مقتفيا فى ذلك آثار أستاذه الادوزى • فكان لهما فى ذلك قواف متعددة يجاران بها فى كل مناسبة • ونحن لا نقول الآن ان الحق فى جانب دون جانب • وانما شغلنا نحن الآن فى تحليل ما

نعرفه عن كل ناحية من نواحي حياة الاستاذ • ثم لا علينا وراء ذلك • وان كان الحق لا يخفى عن كل من له لب عرف ما هو الحق • وما هـو الباطل • فالحق أبلج • والباطل لجلج •

ومن آثار حسن عهد الاستاذ ما كان يصف به كل أودائه من الرؤساء والفقهاء فى كتابه (روضة الافنان) فقد أفاض سجلا من الثناء على صاحبه القائد بوهيا الاخصاصى • حريصا على أن يذكر كل ما أسداه اليه • كما رأيت مثل ذلك فى الرؤساء الجراريين • متتبعا ما كانوا يعينونه بـه حين يبنى داره • وان كان تافها • ومن لا يشكر الناس لا يشكر اللـه • ثـم كـان ازاء هذا التصريح أو التلويح فى جانب الذين يعالنونه نفسه بسوء • فبذلك كال ما كال للقائد المدنى وصوفيه الذى أشار اليه فى ترجمة القائد بوهيا • وهو الشيخ سيدى الحاج محمد الدرقاوى البوزاكارنى •

اذا أنا لم أشد باحسان محسن أو اعلان فعل من أساء فمن أنا ؟

ومن تتبع كتاب الاستاذ ظهر لـه هذان الوصفان واضحين بينـين • خصوصا فى شأن (تالعينت) التى آوتـه • فقد أرخها من نواح • وذكر أهلها وما قاموا به وما شيدوه • ولا ريب أن من فيه اجلال للاستاذ يحمل ذلك كله على محامل حسنة • على حين ان ذوى الاغراض يلحظون ذلك بأعين مراض • ورضى الناس غاية لا تدرك •

كان الاستاذ فى طليعة المبادرين الى (الهيبة) • وقد ذكر فى ترجمته ما خاطبه به • ثم انه صاحبه الى (مراكش) فتخلف هنا لك يوم الهزيمة . فأمكن له مـع الفقيه سيدى محمد أوعبنوا أن يتملصا من المدينة • سالكين (وادى نفيس) فكأن ما لاقـاه من المشقة من جراء الاعراب • هـو الـذى جعل لهم حظا غير قليل من حماته وغمزاته • ولـه فى هذه السفرة قواف فى الهيبة منها ما خاطبه به فى (مزوضة) • كنت نويت أن أثبتها هنا ـ كما وعدت به عند أخبار الهيبة ـ ولكن ضاعت النسخـة التى عنـدى فيها بين الكتب الآن • كما له فيه أيضا أخريات فى (مراكش)

كان الاستاذ متدينا يقشعر جلـده بمواعظ الصادقين فـى ظنه فيما يقولون فقد دل على ذلك ما كتبه فى ترجمتى الشيخ مولاى أحمد الوادنونى • والشيخ التاموديزتى • ومن كان بهذا الوصف فانه لـذو قلب عامر بجلال ربه • وهل يحرم هذا الوصف الا القاسية قلـوبهم • وحاشا الاستـاذ ان يكون ممن قست قلوبهم •

هذا وقد اشتهر الاستاذ اشتهارا تاما بالمبادرة الى الصـلاة فـى أول أوقاتها مقتفيا فى ذلك آثار استاذه ابن العربى • فكان ذلك من حلل مجده

ومن فخره الذى لايكاد يدركه فيه احـد . كما اشتهر ايضا بما يشتهر به العلماء الذين يذوقون الادب من موانسة وملاطفة فى المعاشرة والمجالسة . فمجلسه فياض مبتسم غير متجهم ولا عبوس . وان كان منظر الاستاذ أولا بملبسه وبوقاره البديهى لايقفى بذلك كما لاقانى به أول مرة زرته فى داره

كنت مرة مررت بـ (تالعينت) لازور الخالـة التى هى زوجه . فافوز بصلة الرحم . فطرقت عليه الباب . فى حمارة قيظ . فخرج الى بعد لأى فى رداء غليظ . وعمة كبيرة ومنظر وقـور . فحين عرف من أنـا . رجع فادخلنى فجلسنا . فلم يلبث أن نضا عنه جلاله . فآنس وذاكر . واذذاك أرانى مقيدات له فى وفيات علماء ورؤساء . فاتذكر أننى كنت حبذت فعله وترجيت منه ان يجمع ذلك كمؤلف . ثم لم يكن ذلك الا بعـد حين ولعلها اجابة لمقترحى . وكانت هذه الزيارة نحو ١٣٤٠ هـ . وهذه المرة هى التى رأيته فيها فقط . ثم انقطع مابينى وبينه الى أن كتب الى رسالة : ١٣٥٤ هـ وفيها قصيدة لم تحضرنى الآن . بادأنى بالمكاتبة تفضلا منه . ثم لما عزمت على الأشتغال بالتاريخ السوسى . كتبت اليه من (الغ) : ١٣٥٦ وأنـا منفى فاجابنى وأعار لى كتابه فكانت عندى يدا لا أنساها . وكـأين مـن أمثاله كتبت اليهم اذ ذاك فى مثل ذلك فما رأيت لهم جوابا . ولا تكلفوا أدنى عذر فى عدم رد التحية . فأعرضوا مجاراة للحكومة .

كان مبدأ الاستاذ هو مبدأ الفقهاء . وهو عدم التسليم الا لبرهان بين ولذلك تراه فى ترجمة سيدى الهاشم التيمكيدشتى . مع أنه ابن أشياخ أهله . لم يعمه التعصب . فقال عنه ما قال وهذا مما يدل عندى على أنـه من المنصفين . وعلى انه ممن يتوخون الحق . وكثيرا ما يعلن بين تراجم شن فيها الغارة على المترجمين يقول : ان من حكى أقوال الناس فليس عليه ملام . فان كان هذا هو مذهب الاستاذ الذى اعتقده . فاننا ان ضممنا اليه أنـه لايكتب فى ءاخرين الا مايعرفه عنهم . أو يظن ـ وان لم يصادف ظنه دائما ـ نحكم عليه بأنه عنـد نفسه لم يخرج عن الجادة . والحق الذى أعرفه : أن الزوبعـة التى أثارها كتابـه . انما جسمها كون الناس لايألفون مثل تلك الكتابة فى (سوس) وأذكر أننى التقيت مع ابى الاسعاد الفاسى بمراكش : ١٣٥٥ هـ فكان أول ما بادرنى به ـ تنكيتا ـ ان قال لى أهكذا كتابة التاريخ عندكم فى (سوس) غمز ولمز وتسجيل لما ينبغى ان لايسجل . ثم ذكر هذا الكتاب (روضة الافنان) وقد كان انتسخه . فصرت أدافـع عن الاستاذ . وأقول له : انه لم يكتب الا ما يعتقده . ثم لا عليه ان لم يصادفـه اعتقاد فـى البعض . فلم يقبل أبـو الاسعاد ذلك . وهو الذى نعلم منه أنه فـى

كتاباته نزيه القلم الى الغاية ٠ فانه على عكس ابن حجر العسقلانى الذى يقولون فيه : انه نزيه اللسان معتسف القلم ٠ وأيا كان ٠ فان للايكرارى حسنات كثيرة فى كتابه ٠ يمكن للتاريخ ان يشكره غدا عليها شكرا جزيلا وقد قدمت مرارا أن مثل هذا القول منى لايدل على ان كل ماهناك مقبول عندى ولا على أنى أحبذ تلك الطريقة المكشوفة للتاريخ ٠ فان لكل زمان بيئة ٠ وان لكل مقام مقالا ٠ وان فى استطاعته أن يقول كل ما يريده ٠ بغير تلك الجراهية الخاصة ٠ وانما أريد أن أعلن ان فى الكتاب فوائد كثيرة لم توجد الى الآن فى غيره ٠ يشكر المؤلف عليها كثيرا ٠ وأن كل ما صدر عن المؤلف مما يقول اناس انه اعتسف فيه ٠ فاننى أتطلب له فيه عـذرا ٠ فلا أنزل بسبب المؤلف عن درجته التى يتمتع بها٠ وأقول ذلك أيضا لدفع ما يقتضيه مثل هـذا الرد العنيف ٠ على مثل هذا المؤلف الجليل التأفف من اجراء القلم بالحقائق على رغم الانوف ٠

كان سيدى على بن الحبيب البوسليمانى زارنى بمراكش٠ فقال : اننى اشتغل بتأليف كتاب فى تاريخ رجالات سوس المتأخرين ٠ نقضا لما صنعه الايكرارى من التهجم على الاكابر منهم ٠ ذلك ما قال لى ٠ ثم لم أر اذذاك ذلك الكتاب ٠ لاعرف مقداره وقيمته الاريحية ٠ بعدمـا عرفنـا الكتـاب الاخر الذى استثار من مثل المذكور ما استثار ٠ وفى الغد يتبين كل شيء ٠ وعند الممات تظهر التركات ٠

(نعم اننى رأيت أيضا كتاب على بن الحبيب فوجدته يزخر ايضا بالثناء بلا مقياس ٠ فقلت ولا هكذا أيضا ٠ فان الحق فى الوسط ٠ بأن لايقال فـى الانسان الا ما فيه من المحاسن وغيرها ٠ فالكذب واحد ٠ فكما لايقبل تجسيم المساوى ٠ كذلك لايقبل تجسيم المحاسن وحدها ان كان ازاءها ما يضادها ٠

كان المترجم يميل الى اسرته وابناء أعمامه ٠ وقد القى عليه حبهم فلم يكن كغالب حديثى النعمـة ٠ اذ يكرهون كل من اليهم ٠ فقـد هذب منهم أناسا ٠ كما أنه كان أدى عن مثل أخيه سيدى اسماعيل دينه الكثير ٠ بعد وفاته ٠ ويندر جدا من يصنع مثل ذلك من أقرانه ٠ وانها لمنقبة من مناقبه الكثيرة لاتنسى له ٠ وقد ذكر لى بعضهم أنه كان أرسله بثلاث بغال مملوءة الى أبناء شيخه ابن العربى الادوزى وقليلون من يتعهدون أصهارهم وأبناء شيوخهم هكذا ٠

كان قيما على انماء ذات يده ٠ حريصا على ان يستغنى عـن الناس ٠ فتأتى له بذلك مال حسن كاف٠ أمكن له به أن يعيش معيشة هينة لينة ٠ وقد سلك فـى أهله مسلك أستـاذه ابن العربى الادوزى ٠ فيلاطف ويتخذ من يزاول الشؤون من طحن وطبخ وغيرهما ٠ فتبقى سيدة الدار وبناتها مكرمات

ثم كان للاستاذ نحو أزواجه صبابة خارقة للعادة فى تلك البيئة يعلن بها فى منظوماته • ويقول انه يخلع الرسن فى حبهن • وهـذا لعمرى أدل دليـل عـلى رقتـه • وعلى أنه من الكرام الخلص • لانهن يملكن الكـرام • ويملكهن اللئـام • وبيت يشتمل على مثل هـذا مـع اتساع فى العيش • ومزاولة للعلم• بيت يضم بين جنبيه جنة الخلد • ومثل هذه البيوتات تقل جدا فى بادية سوس • وهو فى كل ذلك يحاسن أهله • فقد حدثنى ثقة انه رآه مرة وقد دخل من الدرس الى داره • فتطلب ما يأكله • فقدمت له فضلة عبد من عبيده • ثم لم يتأفف من ذلك •

كان للاستاذ الايكرارى اتصال كبير بأهلينا الالغيين • فكان يكاتبهم ويساجلهم وقد مر فى ترجمة أبى الحسن ابن عبـد الله وفى ترجمة ابنـه المدنى بعض ذلك • وكان يشيد بأن يدهم فى الادب عليا • ثم يكر على ذلك بأنهم قلما يميلون الى سوى الادب • ولما وقع اختلاف حول مسألـة فقهيـة بين شيخنا أبى محمد عبد الله بن محمد الالغى• والشاعر أبىمحمد الافرانى حمل شيخنا الالغى ماكتبه ردا على الآخر الى المترجم • فأيده ضد الافرانى وتجد كل ذلك فى(المجموعة الفقهية) وقد شاعت أخيرا كلمته التى كانكتبها فى (روضة الافنان) من غمز أهلنا الساموكنية • وان ساموكن وحربيل ابنا جالوت • فاثر ذلك فى بعض الناس فى (الـغ) حتى كان عزم الفقيه سيدى المدنى على الكتابة حول ذلك ردا عليه • وكان ينبغى للالغيين أن يتأملوا فى المقال الذى صدر فيه عن الاستاذ ما صدر من دفاع • فيعرفون أنه فىمقام يعذر فيه • فقد ضيفه الحاج ابرهيم الايغشانى • فصار يغمز التيمكيدشتيين وينكر شرفهم • على حين أنه ينسب مرابطى (الغ) الى الشرف النبوى فحمل ذلك صاحبنا حتى نافح عن التيمكيدشتيين أشياخ أهله • والبادى أظلم • فناقض مازعمه الحاج ابرهيم من شرف الالغيين بما ذكره (الحضيكى) ثم انه فى أمكنة أخرى يشيد بالالغيين • فمثل هذا لاينبغى أن يهتبل به العاقل • ولا أن يتخذ جسرا الى المجاذبة والمشاكسة • ولكن الله لطف • فلم يكنشىء مـن كـل ذلك • وقـد دهى الناس من أمور معاشهم • وبما رأوه من أمر الاحتلال الجديد حادث عظيم • فنسوا سوى ذلك • وقد أشبعنا نحن الكلام حول ساموكنية •ال سعيد فى ترجمة جدهم : عبد الله بن سعيد فى (القسم الاول) من هذا الكتاب • بما فى عصانا من سير •

هذه نظرات قصيرة عن مختلف أنباء الاستاذ • ونقر بأن ما عندنا من ذلك قليل • لاننا لم نكن نعاشره ولا نعاشر من يعاشره • وان ما عندنا مـنـ يتسرب الينا من أثناء الاخبار • أو مااستقيناه من كتابه (روضة الافنان) •

كتب الى ابى الحسن الالغى :

(الفقيه الهمام • الدراكة المقدام تاج الادباء • ورأس النجباء ابو الحسن سيدى على بن عبد الله الالغى من ذرية الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد عليكم سلام معنبر • كالمسك الاذفر • وتحية معطرة • كنفحات الروضة المزهرة • وعلى من بكم واليكم من أهل وحاشية • وطلبة وغاشية •

أما بعد فنحمد الله على الاسلام الذى هو لنا جميعا النسب العام • فالحامل سيدى محمد البعمرانى يقصد زاوية الاشياخ بتيمگيدشت • فتطلب منى أن أدله على من يعتمد عليه فى تلك الجهة • ليطلب له رفيقا يهديه الطريق فرأيت أن أدله على ثمال اليتامى والارامل • ومن هو خير عالم عامل • وهو أنتم جزاكم الله خيرا ووقاكم ضيرا • والطريق فى (أمانوز) كما نسمع الساعة مخوفة • وأرياش الامن هناك منتوفة فوجب اليوم أن يستعمل الحازم بقول الحديث : الرفيق قبل الطريق • وأنت البصيرة فى الامر • ولا يضل من استضاء بالبدر • وأسلم على سيدى الحاج أحمد (١) وغيره ممن يسأل عنا من علماء تلك الجهة • والسلام • الضعيف : محمد بن أحمد التومانارتى الايكرارى • ثم التالعينتى غفر الله له)•

وكتب اليه أيضا • بعد البسملة والصلاة والتقديم المعتاد فى الرسائل

(أما بعد : فقد رأيت كلامك • وفضضت ختامك وتقبلت سلامك • وشربت مدامك • وقبلت انعامك • فليعلم سيدى اننى أكون عند ظنه بى ولا احتاج الى التأكيد بعد أن مضى تجريبى • فسأوافق على الفتوى بحكمى• لانه لم تشتمل الا على الحق وأبى وأمى :

وهبنى قلت هـذا النور ليل ايخفى العالمـون عن الضيـاء

وسأجىء ان شاء الله يوم الخميس الآتى • لان لى بـ (تزنيت) عرضا اكيدا • وساصاحب معى ما كتبته والسلام • نعم اننى راجعت الرهونى فوجدته زاد شرطا على ما ذكرته عن التسولى • وسنتذاكر عليه انتهى •

والغالب ان هـذه المراسلة كانت فى حدود : ١٣٣٠ هـ حين كان على ابن عبد الله فى (تزنيت) نحو رجب وشعبان ورمضان)•

وكتب اليه كما أظن أنها له : وخطه يشبه خطه • وكذلك كلامه :

١) هو سيدى الحاج احمد اليزيدى •

(العلامة النحرير • رب التدقيق والتحرير • سيدى على بن عبد الله الالغى • الذى قام لصاحبه بكل ما يبغى :

سلام على عالم عامل — تناسل من كامل كامل
أبى حسن خير من رقمت — يداه بمرقمه الجائل

أما بعد : فقد اشتقنا اليك • وان نرى من أخبارك • ونحن بخير • ولا يجرى بنا ضر • والمعصوم من عصمه المولى • والالتجاء الى الله دائما من الضعفاء أمثالنا أولى • وأما رسولك فقد أرفقته أحد أصحاب القائد الى موسم (سيدى بوعبدلى) حتى قضى غرضه • وأدى نفله وفرضه • وبيده الامانة • فادع لنا بخير • والسلام • محمد بن أحمد لطف الله به) •

من قوافيه ماخاطب به الاستاذ ابن العربى الادوزى • بعدما كتب اليه برسالة :

وربا السلام تضوعت وتنسمت — لعبيرها الاشباح والارباع
أهلا حللت ومرحبا من كف من — دانت له الاقلام والاوضاع
محيى القلوب منيلها فخرت به الا — جيال والانداد والاوزاع
شيخ المشايخ من تحن لقربه — وحديثه الاقيال والاشياع
شيخ يحفل للعويص خميسه — والسر كل قبيله مشياع
شيخ تفجرت العلوم وفاخرت — كرة الادوز به وذى الاصقاع (١)
حدث ولا حرج فصيتك سائر — جوف الفرا للصيد قل جماع
قسما بكم وبسركم وعلومكم — انى بصرف ودادكم نفاع
أنت الذى تهدى السلوك وغيركم — بجنونه ومجونه بياع
هدأت بنفحتك القلوب وسركم — من قلب كل صحابكم نباع
هذا الذى سكن الفؤاد وغيره — من سرهم قلبى له هواع
لبيك قد خولتنى ما تشتهى الا — ذواق والابصار ـ والاسماع

وله أرجوزة فى أتاى • ساير فيها ارجوزة استاذه الادوزى • مطلعها :

هل لك من مفاكهات فى أتاى — ان حديثكم به لمنيتاى
أجر ذيل كسوتى فى الكاس — ايه ولا تحد بالقياس
يذاد عن حرمه المزكوم — صدقت والهرم والمحموم
أما مناول لشرب (طَبَغا) — ان مسه وان بعود قد بغى
لكونه من سفلة الاقوام — فما له منصة الكرام

---

١) يعنى كورة (أدوز) ومثل هذا يقع له كثيرا • رحمه الله •

فان تجرا ومس الطبلـــة فنقرن لـه بجس طبلـــه (١)

يقول فيهـا :

وان مقيم انفـه قـد مسا أو رض قملة بهـا قد حسا
أو حـك فالعزل لـــه محتوم من لم يثب لضربـــه محروم
وغسل كفيـــه أمام المس محبب مـــروح للنفس

ويقول :

فلا تصخ لطارق ينـــادى اما أردت أن يطيب النادى

ويقول فى ذوق الاناى :

وذق بكأسك تصن من أف فلا تذق بكل كأس تلفى
نجســه لحـاضر وبـــادى من رد فضل الـذوق للبـراد
يجب أن يغرم ما قد أفسدا ببعـده عنه لمـا قـد اغتدى

ويقول فى بعض ءالة الغناء فى مجلس الشراب :

واربأ بنفسك اذا ما بربـــط فى مجلس الشراب جاء يزعط

ويقول فى المقراج المسود من الدخان :

وان يكـن مدخنـا مقراج لا بأس أن يطفـا لـه السراج

ويقول فى الهرم الذى حكم بعدم حضوره :

فمجلس الكـرام لا يغشـاه لأنـــه كـل علـى مـولاه

ويقول فى الساقى :

وان يك الساقى صبيح الوجـه مستحضرا للظرف كـل وجـه
لـه رزانـة اذا يفـوه ، وبخـر سلـم منـه فـوه
فاحمد لمن أولاك منه كاسا واستجمعن لكـل حسن راسا

ويقول فى مفرق الكؤوس :

لكن بياض وجهـه استحبوا اذ غيره قالـوا بجهر خب

---

١) الطبلة : الصينية عند السوسيين ٠

أمـا اذا جـاريـة تفـرق	فالشرع اذ ذاك حيـاء يطـرق
فقل لمن اساغـه للجهـل	أو لعنـاد أو فخار «وهلى» (١)
أخذ ذاك عن قواد العسكر	متبـع لهم بـذمـه حر
ولن يجيز أحـد فى الشرع	تخاذر الاموان عند الكرع (٢)
لاسيما بارعة فـى الخلـق	ريـا القرنفل بها فى العنـق

ويقول فى مفرق الكؤوس أيضا :

مخالف الكـؤوس عنـد الـرد	مقابـل فـى شرعنـا بالصـد

انتهى ما أخترناه من الرجز ، وهو رجز فكاهى ، وكان الاستاذ كتبه عن عجلة وأريحية ، فلا يبالى بما يقع له منه ، كما يعتاد كلما تعاطى القول فى أمثال هذه المواقف ، فيرسل الكلام على عواهنه ،

وبعد : فان ما كان الاستاذ الايكرارى يقوله فى مناسبات شتى لعلـه لايخرجعن هذا الوصف الذى ذكرناه، غير أن ذلك وان دل على أنه لاينفح، يدل على أريحية للقوافى ،وعلى أنه ينفعل للادب، ولكل طرق الادباء المطروقة، ولو كان هذا الكتاب مفتوحا للاشعار الممزوجـة عربيـة وشلحة ، لأتينا من أقواله فى ذلك بما يستحسنه من له المام بالشلحة وبالعربية ، فان بين يدى الآن كثيرا من ذلك ، غير أن الكتاب حرصنا على أن يكون كله عربيا مبينا ، لايحس فيه للعجمة بركز(٣) ، ولا تلمح فيه منها بارقة ، وذلك هوشرطنا، والشرط أملك، الا أن نسينا فالله لايواخذ بالنسيان، فان الاديب الايكرارى أريحى أديب ، يغلب عليـه وصف أستاذه ابن العربى الادوزى ، فينفعـل للادبيات الى حد بعيد ، ما دام فى جو الادبيات حتى اذا جـد الجد ، وجال الحزم، جاء العزم بوقار كأنه رسوخ الجبال الحالقة ، ولهذا نرى له قوافى فى المقامين ، فبين يدى قطع يرد بها على من يراهم من المبتدعة ، كما بين يدى ما يستفزه اليه الحق ان رآه مهضوما ، وهذا كله يدل على أن الاستاذ كـان حركة دائمة فى (أزاغار) فلم يبق ميدان من ميادين الفنون الا جارى فيـه افتاء وقضاء وتدريسا وادبا وما الى ذلك ، وكفاه ذلك حيلة خالدة تدل على حيويته رحمه الله ،

---

١) أصل الكلمة (واها لى) التىيقولها العربى متعجبا فهى بنفسها الكلمة المشلحة بمعناها العربى ،

٢) الاموان بكسر فسكون : جمع أمة ، وكرع من الماء : اذا شرب منـه بفيه بلا اناء وبلا كف ،

٣) الركز بالكسر فالسكون ، الصوت الخافت ،

على أن اراء قوافيه تلك نثرا مسجعا ، مفعوعما بالامثال وبنوادر الادبيات (فهاك عبارة فيوصفه لبعضهم • يقول فيه أثناء تراجم كانت بين دفتيكتيب ونص ذلك :

« ان الايكراري من كبار المعتنين بفن الادب من صغره • يحفظ مقطعات كثيرة • ويستحضرها عند انشائه • وقد تحدر من أسرة رفعت ألوية المعارف أزيد من أربعة قرون •

أخـذ عن الاستاذين الجليلين : محمـد بـن العربي • وعبـد العزيز الادوزيين وغيرهما • وله ءاثار قيمة • أعظمها ما بين دفتي كتابه :(روضـة الافنان) فانه كله صاغه صوغ الكاتبين الذين لايريدون ان يخرجوا عن ميدان الاجادة • فكله سجع وأمثال• وتتجلى فيه نفسية الاستاذ الايكراري• من اعلانه بكل ما يراه دون مجمجة • فكأنه أحد المحدثين من ائمة التعديل والتجريح • وقد درس كثيرا وخرج • وجاذبه أقرانه فبرز • وكان مـع أدبه فقيها نافذا في المسائل • وولادته نحو أواخر ١٢٧٩ هـ

وقد بدا لنـا أن نخصص ما نورده لهذا الاديب الاريحي ببعض فقرات نلتقطها من بين ثنايا تراجم كتابـه : (روضة الافنـان) المذكور • فان فيها براعة أحيانا مقبولة •

يقول في وصف رجـل :

أنذل من ثعلب• وأجبن من أرنب• لاأرى له قيمة • ولاعرض ولاشيمة • أبخل من مادر • وأطيش من طائر • لاتندى صفاته • ولا تمدح صفاته •

ولست بسائل الاعراب شيئا حمدت الله اذ لم ياكلوني

ويقول في ءاخر بعد أن ذكر له نظيرا :

سميه في الكذب والطمع • وسميه في الحمق والهلـع • عـلى نمط واحد• وزن المثقال بالمثقال• وحذو النعال بالنعال • بل هذا أجوع من ذاك وأقل مروءة • وهو رجل أشمط مائل الى القصر • ضعيف البصر • كأنـه تحت الثياب ذئب يتختل • أو هر يتمطى ويتحيل • منقبض لينباع (١) ومجرمز سيمد الباع (٢) يـدور حول الدار • وعينه على ما ينهب تجيـل الانظار • حداة تدور على المصارين • أو غراب أطيش يخطف العراجين • ان قلت ألص من شظاظ (٣) وألهب من شواظ • قصرت في التشبيـه •

---

١) ليندفـع ويترامى •
٢) متجمع بعضه الى بعض • وهى عبارة من المقامات الحريريـة •
٣) شظاظ ، كسحاب : لص مشهور قديما •

ولم تكن فيه بالنبيه • بل قل فيه :

جمعت وفحشاً غيبـة ونميمة　　خصالا ثلاثا لست عنها بمرعو

ويقول فى آخر من القواد :

رجل عاقل ينظر فى عاقبـة الامور •فسلم من الخـلاء • فلما رأى الناس قامـوا لتخريب القـواد • كان أول من قام وأظهر مـا فى خـاطر العامة فرأس •

اذا ذخلت بلـــدة أهلها　　عور فغمض عينك الواحدة

ودام على ذلك • يرجع اليه فى طرق الفساد • ويستصوب رأيهم فى كل ناد • حتى أدركه الاجل • وقد أصابه المرض • فقاده لحفرَته التى بها حل • فلم ينفعه ايقاظه ولا حماه قبيله اذ نزل به ايفاظه (١) ••••

وكان بطلا شجاعا راميا • اذا رمى أقصد (٢) واذا ركب أصيد • ما سمعنا أنه سقط عن الخيـل • ولا كبا بـه الحال بالويـل • ولكن لا أمان للزمان • ولا سلم فيه أحد من الهوان •

لا تهـاب المنـون شيئا ولا تر　　عى على والـد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى　　ويحط الصخور من هبـُود (٣)

ويقول فى قائد يلقب بلقب قبيح :

الاسم يدل على المسمى • بهيمة تمشى على الارض • لا صلاة ولا دين • ولا خـوف ولا اعتبار • ولا تـذكر ولا تدبر • عير وحـده • على منـوال (فلان)فى الاحكام • لا يحضر عالما • ولا يرضاه حاكما • يجمع العقود • ولا يحل أى معقود • الا أنه يطعم الطعام • ولا يتحاشى من جمع ذى فضل وطغام • لايذكر الوضوء فى داره • ولا من يذكره حتى عادة خوف عـاره • قصاع معمرة بالكسكسون • ومجـالس مملـوءة بالمجون • تسابيـح داره (الضامات) على كراسى مخططات • والبربط (٤) موذنه • والمزمار أنيسه

---

١) موته ، مؤخوذ من : أفاظه الله : أى أماته • لكن القياس افاظة •

٢) لم يخطىء

٣) شماريخ الجبل : أعاليه ، ورضوى : جبل بـين المدينة وينبع • وهـَبـُود بفتح فتشديد الباء : جبل أيضا •

٤) البربط كالبربر : العود من آلات اللهو

وموسنه (١) • واما الطار (٢) فسمير كل اهل الدار • يتبعه منهم العياط كعام هياط ومياط (٣) • حديثه : كلوا فلانا • لعن الله ابن فلانة وفلان • لايتوقى من‌الفحش • ولايسلم فی‌داره علی ولا وخش • لكل ساقط لاقط • يجمع المـ ••• والـلا ••• طـين . فانا لله من مسكن الشياطين . وأفعال الحراطـين • الغنى والزنـا لا يجتمعان • والانفـة والغـيرة هنا يفترقان • وحالـه ينشد :

خليانـی والمعـاصی ودعـا ذكر القصـاص
واسقيانی الخمر صرفـا فی أبـاريق الرصـاص
وعـلى وجـه غـزال طائـع ليس بعـاص
بـين فتيـان كرام قـد تواصوا بالمعـاصی
وعـلى اللـه وان أفـ ـرطت فی الذنب خلاصی

ولا يعد هذا غيبة • بل ذكر ما ترشح به الخبية • وليعلم ان الناس معادن • لمن أراد ان يتخذ منهم الخازن والخادن • قال فی (معجم البلدان) « من روى ما سمع كما سمع • فهو من الصادقين » • وقال النباتی : (من حكى قول الناس • فما عليه من باس) •

ويقول فی آخر ـ وهو القائد بوهيا الاخصاصی ـ

رجـل ظريف • حليم أليف • جواد صحيح • وبمروءتـه شحيـح • جاوزنا معه أياما عدت من العمر غرة • ومن الزمان غرة • لايناوشنا زيد ولا عمرو • ولا يناوئنا حين ولا دهر • طواجين مملوءة بالفراريج • وقصاع يلمعن ويتبعن بالمقاريج • الى كست (٤) ذكی • وعنبر شهی • مـع أنـواع المراش • وزرابی فوق الفراش • وموانسة تنسى العقيلة • وان كانت مع رقة خصرها أسيلة • فوجب عـلى أن أمدحه • وأن أذكر فضله واشرحه • فنبا لهذا الدهر المشت (٥) والزمان المهت (٦) لايصطنع لجواد • ولا يراف

---

١) موسنه : جالب له للوسن أی النوم
٢) (الطار) أی الدف
٣) يقال : هـم فی هياط ومياط (بكسر أولهما) أی فی اضطراب ومجیء وذهاب • وشر وجلبـة •
٤) الكُسْت : الذی يُتبخر به
٥) المشت : المفـرق
٦) بكسر الميم وفتح الهاء : الكـاسر •

لخراد (١) جرد له سيف العدوان . وجر عليه ذيل النسيان . بعدما كان للمجلس فانوسه (٢) وللحال به مانوسه . حديثه احلى من الضرب (٣) يشوق العجم والعرب .

الى أن قال بعدما ذكر تقلبات المترجم :

..... فكان البارود على دار بنى الشين . فاتاه القدر بالحين فجرح جرحا كان فيه أجله. فانقطع أمله . فحمل الى(تانگارفا) بـ(أيت السيمور) فغاب فيه بدرالسرور. وقد انحسمت الشرور. واستحكم (فلان) على الثغور. فاستعلى وعدم المنازع . واستولى ولم يظهر له مقارع . فقلت :

يا لك من قبرة بمعمر — خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

فنفخت أوداجه . وامتلات أدراجه . وأجلسه فى منصة الاحكام (الهيبة) فكانت له من ذلك اليوم الهيبة . ففرض المال ووعى . فجمع واوعى . فكره جميع من الى من (قبله) انتسب . ولو أن له أصيل النسب . أو العلم المنتخب . فطرد واغتصب وتكره واحترب . فاتبع هواه . الى أن يرديه فى مهواه . وينشد حاله :

نحن بما عندنا وأنت بما — عندك راض والرأى مختلف

فقلت :

انفوا المؤذن من بلادكم — ان كان ينفى كل من صدقا

ولله در ابن الخياط حين يقول :

أتظنني لا استطيـ — ـع احيل عنك الدهر ودى
من ظن أن لابد منـ — ـه فان منه الف بد

وقال ايضا :

لاتنكرن رحيلى عن دياركم — ليس الكريم على ضيم بصبار

وعمدته (انسان) عنده تشيخ . يتكلم فى الغيب . وطيره عنده تفرخ مراء فى الاعمال معدود عند نفسه من الرجال :

---

١) ج خريدة : البكر التى لم تمس قط . ولفظة خراد غير صحيحة . وانما الجمع خرائد وخرد ....

٢) أى مصباحه . والفانوس : مشعل يحمل فى الليل .

٣) العسل الابيض الغليظ . يقال فيه : ضرب . كطرب . وضرب كدهر

نعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رياء فاحذرهم انهم فخوخ

الى أن قال :

صلى وصام لأمر كان يطلبه ومذ حواه فما صلى ولا صام

وقال اخر :

تصوف كى يقال له أمين وما معنى التصوف والخيانة
ولم يرد الاله به ولكن أراد به الطريق الى الخيانة

الى أن قال :

هذا ما أنجزت اليه الاقلام ، وفضول الكلام ، وان كان فيه للقلوب الكلام ولكن لايخلو من فائدة ، فالكتاب كالمائدة ، يجمع الغث والسمين ، والسخيف والثمين فكل واحد ينظر بعين هواه ، ويرنو لما يهواه ، وينبو عما لايوافق فحواه ، فالله يقيل العثرات ، ويعفو عن السيئات ، وهو المستعان وعليه فى الجميع التكلان ،

تكفينا هذه النماذج من بنات يراع مؤرخنا الجليل ، الذى أحيا الفتح وتلاعبه بالكلام فى الدفاع عن أودائه ، ومهاجمة أعدائه ، وبين هذا وذاك ينتثر من القلم عبارات بارعة ، تستسيغها فى غالب الاحيان الاذواق السليمة ، على رغم أنوف غيرها ،

الآخذون عنه

١ ـ ابرهيم ولده
٢ ـ أحمد ولده الثانى
٣ ـ محمد بن عثمان ابن عمه
٤ ـ عبد الله البوكرفاوى ، وقد جرى ذكره قريبا فى ترجمة احمد ابن محمد الايكرارى
٥ ـ اسماعيل اخوه
٦ ـ المدنى اخوه
٧ ـ ابو بكر اخوه
٨ ـ الحسن الاخصاصى ، هذا الناظر على أحباس سوس من ١٣٧٦ هـ
٩ ـ بلعيد التالعينتى ، وهو طالب جيد ، أخذ أيضا عن احمد بن محمد ابن عمرو ، ثم شارط فى قرية (اغرم) الى الآن ١٣٧٨ هـ
١٠ ـ احمد بن مبارك الايدرقى الاكلويى ، وهو موثق حسن ، اخذ

أيضا عن أحمد بن‌مسعود المعدرى • وقد انخرط فى‌سلك العدول بعد موت سيدى الطاهر السماهرى • ولا يزال حيا على ذلك الى الآن ١٣٧٨ هـ ويعرف بسيدى أحمد السملالى • وانما انتقل‌أبوه الى قرية(أدرق) وهو الآن فوق الستين بسنوات - وهوكرسيفى -

١١ - محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم من اخوان الايكراريين •

١٢ - البشير اخوه •

١٣ - محمد بن بلوش التاكانتى القاتل • ويذكر فى (القسم الرابع) لانه من الآخذين من المدرسة (الالغية)

١٤ - الحسين بن ابرهيم بن صالح التالعينتى • ويذكر أيضا فى (القسم الرابع) لانه من أصحاب الشيخ الالغى

١٥ - عبد الكريم الاصبوياى• المتوفى ١٣٥١ هـ كان يشارط فى‌مدرسة (اصبويا) كثيرا • وله خزانة حسنة تذكر جمعها بهمته • وكان يفتى ويزاول التدريس • وقد يحكم فى النوازل •

١٦ - عبد الرحمن بن موسى اليعقوبى من اخوة الادوزيين

١٧ - محمد بن موسى اليعقوبى أخوه

١٨ - الحسن الركادى • المشارط الآن فى (تالعينت) اخذ أولا عن أبيه فى (ايغبولا) ثم عن أولاد سيدى عبد العزيز سيدى عمر واخوانه ثم اختتم عند المترجم كان مشاركا لابأس به • وانما يغلب عليه الحياء • ولا يزال حيا ١٣٧٨ هـ

١٩ - الهاشم بن محمد الايكرارى من اخوان الايكراريين

٢٠ - محمد بن الحسين بوكرع البعمرانى • ويذكر فى (القسم الرابع) لانه أخذ أيضا عن الالغيين •

٢١ - محمد بن الاشكر التالعينتى المتوفى قبل ١٣٣٠ هـ كان ممن أخذوا عن الاستاذ قديما • كما أخذ أيضا عن المحفوظ الادوزى وله سمعة علمية وسط وقد قصر عمره •

٢٢ - أحمد بن الحسن الايكرارى • من اخوان الايكراريين • وسياتى •

٢٣ - عبد الرحمن بن عياد • يذكر بين أهله فى (القسم الخامس) ان شاء الله •

٢٤ - محمد بن على بن أحمد بن ابرهيم • من الايكراريين هؤلاء •

وفاته

ولد الاستاذ كما تقدم اما فى اخر ٢٧٩ ١هـ واما فى أول التى بعدها•

فطال عمر الاستاذ الى أن لاقى ربه يوم الاربعاء حادى عشر رمضان ١٣٥٨ هـ وقد بلغنا انه كان مريضا ثم تعافى • فبقى بصحة لاباس بها • وكان يكب على أعماله القلمية • لانه لايزال ممتعا بحواسه • رغم قربه من الثمانين • وقد نسخ فى هذا الحين كتاب (سرح العيون) لابن نباتة • على رسالة ابن زيدون • وغيره على عادته فى ملازمة النساخة حتى عدت منسوخاته بعشرات• وعند قرب وفاته كان جالسا يزاول عمله • ويوقع على الرسوم التى شهد فيها لاربابها • فاستدعى قرينته لتأتيه بشراب • ثم نزل من مجلسه • فسرعان ما قضى عليه فى حالة لم تكن مظنة الوفاة •

كذلك طويت صفحة مؤرخ أزاغار الكبير • والذى أثار بقلمه عاطفة هوجاء بين من لاينصفون • فها هو قد ذهب • فليمض على سدرهم من كانوا يتوقعون أن يسبقوه • فيقعون من قلمه على مبضع يتناولهم فوق مشرحة لايظنون فيها رحمة ولا شفقة •

فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى　　تهيأ لاخرى مثلها فكان قد

انني وايم الحق متأثر غاية التأثر من موته • لانه كان طبقة وحده • نشأ ذا فكر• وكجبل علم لايتزعزع لجديد أيا كان• وكأنى بأقرانه تتابعوا• فيبقى الميدان خاليا لمن لايغنى غناءهم • ولا يسد مسدهم • وناهيك بمن يكب على النساخة وهو ابن ثمانين :

أقلـوا عليهـم لا أبـا لأبيكـم　　من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا

فرحمة الله عليك أيها الاستاذ • فها أنذا أقوم لك بما كنت تقوم به فى عهدك لمن درجوا بين يديك • فانني تناولتك بما أعرفه عنك منصفا لك• غير متحيز ولا مطرق • وأنت قريب العهد فى أسابيعك الاولى فى مرمسك• خوفا أن تفجأ القواطع لاقدر الله • فيحال بيني وبين ما أريده من ذلك • ولا أرتاب فى أنني مقصر نحوك•ووافقبك دون مقامك الذى تستحقه يامن أوتى حماسة علمية فائقة فى قطر خانع • لايعرف من ذلك نقيرا ولا قمطيرا • فلست أول من ضيعه قومه • ولكنك بنيت لنفسك فى حياتك • ما يبقى لك خالدا بعد وفاتك • فقد قمت وحدك بما لم يقم به اقرانك وهم كثر • وخلفتوراءك ما لم يخلفه شانئوك• فيكفيك ذلك ذكرا خالدا• وعمرا ثانيا :

(والذكر للانسان عمر ثـان)

لا أدعى انني ترجمتك من عندى • فان عمدتى فى كل ما كتبته حولك هو ما سطرته بنفسك لنفسك • ولولاك لما مشيت حولك الا كما أمشى حول اناس جامدين • لم يكن قلمهم ليبض بقطرة • فحرموا انفسهم واهليهم

واصدقائهم ومواطنيهم ما كنت اديته أحسن اداء فى كتابك الحى الادب . الخالد فى عالم التاريخ . ما دام للتاريخ المكتوب خلود . فقد سعدت أنت أولا بآثار أعمالك . ثم سعدت بك أسرتـك التى أعليت شأن أفرادها العلمـاء وذكرت كل من عرفته من معاصريك . أو ما سرى اليك عنهم ما يحفزك الى اعتبـــاره .

نم فى مرسك مطمئنا . فسيطوى هذا الجيل الذى كان أسمعك مـــا أسمعك عن كتابك . كما ستطوى أفكارهم . فينشأ ان شاء الله جيل آخر يكثر فيه من يقدر لعلمك قدره . فالعالم فى انقلاب سريع . وفى تطور عجيب . وأنا ضامن لك أن يكون لكتابك شأن آخر عظيم .

اننى أيها الاستاذ مدين لك بما أمددتنى به . فلولاك لما امكـن لى أن أمشى فى هذا الكتاب كثيرا فى غالب التراجم من الموجودين فى ناحيتك . أفلا يحق لى أن أقدم لك من الشكر ماتستروح أريجه فى عليـيك . وتستنشقه روحك وهى تسرى فى عالمها الجديد :

يمكن أن يقول قائل : لو كنت أعلنت ما أعلنته اليـوم . أننى انمـا أخاف من يراعك . فتزلفت اليك . ولكننى اليوم آمن من ذلك . حين فرق بيننا عادى الحمام . فويل للخراصين . فان ما اعلنته اليوم هو الذى كنت أعلنته منذ رأيت كتابك من أول وهلة . فهذا ما كنت قلته من قصيدة قافية . تقريظا لكتابك الذى اطلعنى عليه تلميذك الاستاذ سيدى محمد بن عثمـان الايكرارى . فقد قلت بعد المطلع :

فروضتك النبراس يشرق نورها ... فيعلمـك الغرب المجـدد والشرق
وتثنى عليك اللسن فى كل محفل ... وتشدو بما قدكنت أهلا له الورق
جهرت بما تدرى بكـل حماسـة ... كـذا فليكن مجد الاماثل والخلق
كتبت وأرخت الرجال بمـا ترى ... وقولك ماتدريه فى الرجل الصدق
ستعرفك الاجيـال عزما وهمـة ... ويشكرك التـاريخ والعلم والحق
فاغدق علينا العلم فالنشء ظامىء ... وفينـا الى تاريخ أعياننـا شوق
ودع عنك حسادا يهولهم الذى ... تقول فانت العالم الحر لا الرق
فلو كان منهم من يقول مصرحـا ... لما اختلفت سبل ولاانطمست طرق
ولكن داب بعضهم مدح بعضهم ، ... كأن لم يكن نصح . كأن لم يكن صدق
قضيت وأديت الحقـوق جميعهـا ... فدع عنق الهماز بعدك تندق
فعش سالما تبدى الفرائد خردا ... وتبدى من الافهام ما يحمد الذوق

كنت قلت القصيدة شبه ارتجال ، ثم لما توصلت ثانيا بالكتاب ، فطالعته حينئذ كما ينبغي ، من بعد أن كانت المرة الاولى انما هي القاء نظرات بلا استيعاب ، أرسلت اليه هذه القصيدة تقريظا للكتاب :

هذى لعمرى روضة أنف يا سعد من من زهرها اقتطفوا
كم كنت مشتاقا لطلعتها يهزنى تلقاءها الشغف
مذ شمت منها فى مباغتة يوما وقد قادتنى الصدف
نظرت منها نظرة عجبا يزهى على الماضى بها الخلف
رفت بأنوار تخالفها يبهر ألباب الالى حصفوا
هذا الذى قد بان لى وأنا مستعجل وصحبى انصرفوا
فلازمتنى بعدها حرقة فى أضلعى يذكو بها اللهف
حتى أتيحت لى فشاهدتها ؛ فى اليوم من فوق الذى اصف
عاينت فيها قلما بارعا يعرف كيف توكل الكتف
عبارة فتحية سجعها صفت بها فى المنهل النطف
در تنضد باطواقها كما أزيل حوله الصدف
لله در فكرة أفلقت فيها فقالت للانام قفوا
ذاع بها تاريخنا فغدا لنا بها العلياء والشرف

* * *

يا سيدا بيانه تنجلى عن النهى بنوره السدف
ظهرت للناس عيانا كما أنت وما مجمجت اذ تصف
أبرزت ما تعرفه فى الورى ؛ ولم تبال بالالى انفوا
كذلك التاريخ يطلب أن يقف ربه كما تقف
يقول ما يعرفه قلبه وينبذ الورى وما عرفوا
مثل الشهادة فيا ويل من حادوا عن المثلى وقد جنفوا(١)
لله أنت مشرقا فى السما والغير فى أجحارهم فخفوا
هل يظهر المرء سوى عمل يعمله وما به جنف ؟
دم للكتابة لتأتينا أيضا لدنك (روضة انف)

ذلك ما كنت أعلنه ، والاستاذ لايزال حيا ، وما أحرره اليوم فى كل ما مضى من هذه الترجمة ، هو الذى أعلنه أمس، وهل يرى قارىء بينهما اختلافا ؟

---

١) جنف بالكسر : مال عن الحق ، وعدل عن الطريق السوى

وبعد : فأما الاستاذ فقد قضى نحبه بعدما قضى ما أمكن له مما القى حمل واجبه عن كاهله ، نحو السوسيين ، فسواء مشى فى الجميع مستقيما او اعتسف ، فانه ان نظر الى عمله بمثل نظرتى هذه ، محمود مشكور ، ثم ان علينا نحن بعده ما علينا ، فقد نهج لنا الطريق، فلنمض قدما ، ولننخل فى تاريخ رجالاتنا كل ما أمكن لنا ، مصححين ما عسى أن نراه غلطا فى كلامه ومستدركين ما ربمايفوته ، كما نرجوا ان شاء الله أن ياتى بعدنا أيضا من يصحح ما لابد أن نغلط فيه ، أو يستدرك ما لابد أن يفوتنا ، فان الحقائق لاتتضح الا بذلك، معاعلان الشكر لكل ذى عمل ، واما تتبععورات العاملين فليس ذلك من شيم المنصفين ، بل من شيم المثبطين عن الاعمال .

وقد قلت ارتجالا فى رثاء الاستاذ ساعة سمعت بوفاته :

آه قضى النقادة الرفـــاكـى ما ذا عسى يجدى بكـاء الباكى ؟
حقا قضى فليطمئن بنو الهـوى من نقده المستكشف الهتـــاك
طويت به صحف تحاول جهـدها تبيين كيف مناصب الاشراك
من ظل فى الميدان يخطر طرفه ما ان يبـالى بالشجـاع الشاكى
ما زال مذ عقد الازار مناغيا نقد الرجال بوجهه الضحاك
أعطى اليراع العهد أن لا يغتدى فى الفرق بـين النـور والاحلاك
مـا مات من حييت مآثره وان أمسى ضجيع الهمد الهـلاك
من كان شك بأنه فرد العلا فانا لعمرى لست فى الشكـاك
كم عابه فى نقده من لم يبوء منه بشسع فى العلا وشراك
خلوا بنى الاقدام زولوا لا أبـا لكم فقد سرتم على الاشواك
من كـان يطمع أن يسد بسعيـه ما كان سد العالم الرفاكى
فليبرزن الى الميادن ثم يكـــ ـفيه علاء أن يرى كالحاكى
هيهات أين الماردون وان أتـوا صفـا جميعهم مـن الامـلاك

* * * *

قولة المؤرخ : علي بن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه العالم العلامـة ، المشارك الفهامة : ابو عبد الله سيدى محمد بن أحمد الايكرارى أصلا ، الجرارى سكنى ، المقرىء بمدرسة (عـين بنى جرارة) فى الحال ، كان عالما كبيرا ، فصيحا لغويا ، عليه أبهة العلم ، شمر عن ساق الجد فى بداية أمره ، حتى وصل الى أعلى قنن المجد وفخره ،

صواما قواما ذا دين متين ، حيسوبيا منجما فلكيا ، اليه المرجع اليوم فى علم التوقيت، كثير الانتساخ لكتب العلم، قلما تجده الا ناسخا او مطالعا، له خزانة من الكتب عريضة ، قرأ على الشيخ الراوية أبى عبد الله سيدى محمد بن العربى الادوزى رحمه الله ، وكذلك قرأ على أبى فارس سيدى عبد العزيز الادوزى ، وله مراسلات مع الادوزيين ، كالعلامة سيدى المحفوظ الادوزى وغيره ، وقد انتهت اليه رياسة العلم فى هذه الديار ، وجمع بين الخطط الثلاث : بين الفتيا والتدريس والقضاء ، وكان شديد الشكيمة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، ومن عادته وشدة حزمه ويقينه : أنه لا ينتظر الناس لصلاة الجماعة ، فبفراغ المؤذن من آذانه ، يقيم له الصلاة ، فلا يصلى معه الا من وجده الحال قد سبقه للمسجد ، الى فضائل أشهر من أن تذكر ، وغزارة علمه واتساع علمه ، وعلو مرتبته غاية فى بابه ، وقد وقفت له على تأليف سماه (روضة الافنان فى وفيات الاعيان) أبدأ فيه وأعاد ، وحرر المراد ،

وله (تاليف) أيضا، ذكر فيه فهرسة أشياخه، وما لقى من العلماء، ومن حاوره أو حاضره ، وما حصل عليه من فنون العلم واجازاته فيها ، ومن وقف عليه ، شهد له بالفضل وقضى له بعظيم القدر ، وعلو المنصب ، وأنه لفريد عصره ، ووحيد دهره ، وأعجوبة زمانه ، وياقوتة أوانه ، له أجوبة وقصائد ومقطعات كلها تدل على تأصيل أدبه ، وله لولا الاطالة ـ قصائد ونثر فائق مع الفقيه الشاعر نابغة الزمان السيد الطاهر بن محمد التانكرتى الافرانى الدار ـ لقيدت منها ما يكفى ويشفى ، وفى كل منهما بحق صاحبه كما قيل :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى

ايقظا الوسنان ، ونبها الكسلان ، بحلو ضربهما (١) ، بعضهما موجود ، وبعضها مفقود ، له اليد الطولى فى سائر العلوم . وخاطب وحاضر ومازح علماء عصره بأدبه ، وهو الآن فى قيد الحياة ، يذيل القصائد، ويكشف عن وجوه معضلات العلوم ، ولقد بذل مجهوده فى تقرير العلم الشريف لاهله الراغبين فيه ، وبين لهم ما أشكل على المتقدمين ، وجمع ما كان متفرقا ، وله مباسطات الاخوان فى الاتاى قوله :

(فشرط الاتاى نعنع ما تيسرا) الى آخرها

ثم لما زار مولاى يوسف الملك المرحوم (سوس) كان ممن خاطبه

(١) الضرب محركا : العسل الابيض الغليظ ،

المترجم • واليك ما قال ابن الحبيب فى ذلك :

ومما مدحه به الفقيه العلامة الايكرارى ما نصه :

محمد بن أحمد الجرارى … مقره الاسمى لدى الجرارى
رحب بالسلطان سيدى يوسف … قطب المغارب وفخره الانوف
شرّف بالاقدام منه السوسا … وأسست جنوده الاسوسا
وأمنت بيمنه الطريقا … وطبقت أفقه البروقا
أراك فى سلطانه كل عجب … به يروق ملكه وينتخب
يطير جنده ويسبق البروق … به يطاول الحنين للمروق
بركة أرسلها الاله … فانمحقت لمن بغى مناه
أطال مولانا مدى سلطانه … حتى يرى الهرم من ولدانه
من على العباد بالاقدام … جزى بالغفران والانعام
ما استنت الاقلام والكلام • … يهدى له الغرام والسلام

لما أطلع أخونا الاريب العلامة النجيب • الشاعر المفلق • الوجيه المتحقق السيد محمد ولد البيضاوى : باشا تارودانت • كلاها الله • لما زار عاملنا • وسمع بتخطيط هذا المؤلف • ألح علينا بالاتيان به • فثقل علينا • لانه غير منقح ولاملفق• ولعلمنا أن مثله لايطالع مثل هذا الملفق• فأبىوقال : لابد لنا منه • فأتيته به • وهو يومئذ بـ (دار السعادة) بمجلس الخليفة : السيد عبد الله الجرارى • فصرت أقراه عليه • وأنا فى شدة الخجل منه • فصار يستحسن كل ما مرت عليه منه ترجمة الى أن وصلنا الى هذه القصيدة المتلوة • فقال لابد أن تكشطها من هذا التقييد فقلت له : انه جامع للغث والسمين • فقال : ان هذا التقييد يعجبنى غاية غاية فان أبيت أن تنحى منه مثل هذه القصيدة • فسمه بـ (كرش الذئب) فاخذنى خجل عظيم • فاستحييت وتوقفت وقلت • نعوذ بالله من شرور أنفسنا وما جنت به علينا أيدينا • وعلمت أنه عرض بتأليفى هذا • فعزمت على حرقه أو تركه من غير اكمال • فاستشرت فيه بعض الاخوان • واستاذنت فيه من علقنا بيعة أعناقنا • وقلدناه أمورنا (١) فأشار على ان أتمه واستعمل بقول من قال • فمن حكى قول الناس فما عليه من باس • فكيف ونيتى فيه والحمد لله خالصة وسريرتى من الحسد صافية •

ولا تحسبن أيها القارىء والسامع أن شعر هذا السيد المذكور منحط عن الدرجة الرفيعة • فان له قصائد فى بابها • خاطب بها فحول أهل الوقت

---

١) يعنى القائد عليهم •

والعصر . وسترى قصائده عند ذكر ترجمته ان شاء الله . ولا يغرنك قول مثل هذا السيد فى مثل هذا الحبر . وحقيق أن القرائح متفاوتة متفاضلة. والاسماع تمج والمعاصرة أكبر من ذلك كله. فالله يجبر كسر حال جميع الامة الاسلامية .

(أقول عمدا أتيت بهذه الفذلكة لندرك أن لمعاصرة ابن الحبيب للمترجم دخلا فى الاتيان بكل هذا الكلام الذى أبقاه فى كتابه . فوقع فيما كان يعيبه عليه . حتى ادعى أنه انما ألف كتابه ليخلو من ذلك . سامح الله الجميع . وجمع الجميع فى الجنة على سرر متقابلين)

الواحد والثلاثون ـ القاضي ابرهيم بن محمد بن أحمد: ولد المذكور قبله

هو سبط الاستاذ ابن العربى الادوزى . ولد فى : ٢٢ ـ ٦ ـ ١٣٢٥هـ كما كتب به الى والده رحمه الله . وقد نال من صغره عناية كبرى من والده فصفت قريحته . وذكا لبه . واتسع علمه . وله اجازة من والده . ومن ابن عمه الاستاذ سيدى الحسن بن عبد الرحمن الفلكى . ولم يعد فى أوائله والده فى تحرير الفنون . واستخراج مكنونات المتون . ثم كان عند الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى سنتين . نزع فيهما عنده منزعا ءاخر . وكرع منه فى بحر ءاخر . فكانت له بذلك مشاركة تضاهى أن تؤول الى مشاركة والده أن ثابر . وما أخلاقه. وما علمه. وما كل أحواله الا من والده . حتى تعاليه بالعلم . له من والده منه حظ وافر . ولا خير فيمن لم يتعال بما علم بالعمل به . فيصونه . وهل يوجد خير فيمن لم يصن علمه ؟

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما

كنت لمحته عند والده حين زرته فى (تالعينت) عام ١٣٤٠ هـ ولكنه اذ ذاك كان لايزال فرهدا يناهز البلوغ . واما الآن فقد استوى رجلا عالما جائلا فى الميادين . وقد شارط بعد سنة ١٣٥٤ هـ فى مدرسة (تاغلولو) بـ (مجاط) ثم بعد ذلك ريض فى داره مثافنا لوالده . وله اطلاع حسن . ومساجلات قيمة مع الادباء الجراريين . ومجاذبات فى مسائل علمية . وقد تفضل فكتب الى بنتف من ءاثاره . وأنا له من الشاكرين شكر المرء لابن خالته .

هذا ثم اننى اتصلت به وزرته فى داره فى ربيع النبوى ١٣٦١ هـ فرأيت منه ما كان أعلى مما أسمع . ففاز البصر بأعظم مما سمعته الاذن . وقد وجدته فى طفاوة علمية واسعة . وفى مقام كبير . كريم فى قبيلته . وهو رفيق رئيس (تالعينت) الآن : الشيخ عبد الله ابن القائد عياد ـ وقد

ذكرت كل ما رأيته منه (فى الرحلة الاولى) من كتاب (خلال جزولة) ـ وقد أنشدنى اذ ذاك وأفادنى كثيرا • حياه الله وبياه :

بعض آثاره

اطلعت له على ءاثار كثيرة انتقينا منها ما ياتى :

قال يخاطب الاديب محمد ابنانى كاتب سمو الامير الشريف المولى الحسن خليفة الملك المحبوب بـ (تزنيت) حين التحق به كاتبا :

كتم الهوى يغشيه فرط هيام ... وذبول اجسام ولوك كلام
ومن العجائب كتمه والشان ان ... يبدو ولا يخفى عن الانام (١)
قسما بربات الاساور ما الهوى ... ان البكاء على ربا الارام
وتوله وتحير وتفكر ... وتنهد وتلازم الاجام
فعلام تعرض والوصال المشتهى ... والمبتغى من ذات لين قوام
والى م تمطلنى وللقلب المتيـ ... ـم لوعة والجسم رهن سقام

* * *

من لى بليل الوصل اغتبق الرضا ... ب واحتبى من فوق ست غرامى
كلا وانى الوصل وصل مهاة خد ... ر والرقيب لها شديد لزام

الى ان قال :

واها لذا التهيام كيف يقدر صبـ ... ـر الصب من كمد بحد حسام
ما لى وللتهيام والتنضال والتمثـا ... ل والاهوال رشق سهام
هلا اكتفيت بما الخيال فتصبح الا ... فكار ترتع فى رياض بشام
وتظل تجنى الزهر والريحان والـ ... ـورد النضير بروض خير نظام
وتتيه أن هنأت معالى الندب شمـ ... ـس العز فى برج الهنا بمقام
بدر المجادة فى سماء السعد فى ... أفق المراتب مصطهى الاعظام(٢)
فرع الفخار محمد البنان ذى الا ... نظار والافكار والافهام
نجل السراة الغر أرباب المفا ... خر والعلا والمجد والافخام
يا أيها الحبر المعظم لح هلا ... لا كاملا فى البرج برج سلام

---

١) الانام كالانام لغة فى الانام كسحاب •
٢) اصطهى الفرس : استوى على صهوته •

واشرب بجام الفوز شرب المجد فو ... ق سرير سعد راعيا للذمام
واهنا بذاك الانحياش لجانب الـ ... ـعز المؤيد غـرة الايـام
شمس الهدى المولى الخليفة من له ... فى المكرمات ازاهر الاكمام
مولى له فى المجد أى فضيلة ... ولـه دعائم كـل عز سام
نجـل الملوك الصيد تيجان العـلا ... وشموس دين فـى سما الاسلام
منى السلام عليهم ما اهتز غصـ ... ـن الشوق فى روض البها بهيام

وهى طويلة • أطال فيها حول هذا الشريف الاجل مخدوم مخاطبه •

ومن ءاثاره قصائد كثيرة • يلقيها فى كل مناسبة فى حضرات رؤساء (تالعينت) فلنختر منها ما يروق • فمنها لامية قالها فى ختم للبخارى :

جـاد الخميلـة وابل هطال ... فغدت زهور غصونها تختال
وارتاح من طرب وماس عرارها ... ميس الحسان كما تشا الامال

يقول فيها :

أين الجهابذة الالى هم فـى العلا ... مـلاك رقتـه وهم اقيـال
أين الاسانـد والاساتذ والـدرا ... يـة فالنبوغ يزيـد والاقبال
فأتاه منتدبا هلال المجد فى ... فلك السعادة عـالـم مفضال

ويقول فى وصف أحد أولئك الرؤساء :

والجهبذ الحـامى الذمـار المصطهى ... ضجن العلا (عياد)ذا المفضال(١)
أرباب تفضـال وابناء العـــرا ... نين الكرام الغر هم ابطـال

ويقول أيضا فى مثلها وهى قصيدة ميمية مطلعها :

ألا يا زهر أكمام الاكـــام ... لتنعم غب تهطـال الغمـام
ومس عـن زهر ورد الروض روض الخـدو ... د خـــدود ءارام الانـــام

يقول :

ألا رعيا لذاك العهد لـمـا ... تجمـع فيه ءامـال المـرام
واذ ورق المسرة صـادحات ... عـلى أفنـان دوحات الهيام

---

١) ضجن محركا : اسم جبل •

ألا رعيا لليل الوصل رعيـا ... ويـا عودا لـه بعد انصرام
ويـا عودا لايـام تقضت ؛ ... بسرد احاذث البـدر التمـام

ويقول فيها مخاطبا للرئيس :

ألا باه الملوك بذى المزايـا ... فقد رك شامخ سامى السنام
لتهنـا بالمفاخر والايـادى ... وبالاعيـاد أمنـا والصيام
على حين السعادة ساعدتنـا ... ووجه السعد طلـق ذو ابتسام
واذ تسعى الامانى خاضعـات ... الى الافكـار سعى المستهـام
لقـد تاهت على الاقطار (عـين) ... بكم تيه الاساند بالختام (١)
أسانيد البخارى الحبر قس الـ ... ـفصاحة رب أبحاث فخـام
على الهادى وعترته التحايا ؛ ... تدوم دوام أكوان السـلام

وقال يخاطب الاستاذ ابن عثمان ابن عمه من قصيدة :

برضاب ثغر الغيد بالاحداق ... بمهفهف بالـردف بالاحقـاق
بسوالف بالفرع بالقرط المنيـ ... ـر بوجنـة بمدعج الآمـاق
بتـذلل بتغنـج الا قبلـ ... ـت من الاخى معاذر الاوراق

ومن ءاثاره أيضا قوله يقرظ كتابا من قصيدة ٠ اختصرنا منها :

الشمس لولا سنا لم تعن فى المثل
(فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحـل (٢)

ما صال سهم لحاظ الغيد فى ملا ... الا وجدلت العشـاق بالمقـل
وكيف لا وعيون الغانيات وربا ... ت الخلاخل أرمى من بنى ثعـل
ياليت شعرى أيرجى وصلهن وءا ... ن الساحرات بطرف الاعين النجل
لكن شرع الهوى يسوغ الهجر والسـ ... ـحر وصيد المها بالختل والحيل
فليعذلوا الصب أو فليعذروه فما ... ينفك مستعلنا بالعشـق والغزل
ولا يرى تاركا لما يكابده ... وان تفتن أهل اللوم فى العـذل
ولا يرنحـه سوى الظباء وجـ ... ـس العود والنقر للاوتار فى الكلل
واهـا له كيف يسلو عن جاذره ... بالنعت والعطف والتوكيد والبدل

الى أن يقول يصف المؤلف :

فقل لمن يدعى ادراك مدركه ... (ليس التكحل فى العينين كالكحل)

١) عين المقصود به : العين الذى هو اسم تلك المدينة الصغيرة التى يقطنونها والمعروفة بالشلحة (تالعينت)
٢) شطر من لامية العجم ٠ وأوله (خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به)

وقال فى قصيدة اخرى :

رضاب ثغر ذوات الدل والكحل اشهى لصب من الجريال والعسل(١)
من كف غانية كالشمس بهجتها والراح فى راحها كالشمس فى زحل
فانظر اليهــا ترى شمسا تمد بها
أخرى الى الشارب النشـوان ذى الخجـل

وقال فى أخرى نبوية ، رفعها الى الخليفة الاجل :

يا راصد السعد فى ابراج عزتـه وراقب اليمن فى افاق طلعته
انجحت ان جبـين السعد منبـلج فوق البرية فى انوار غرتـه
فهز باب الرسول الهاشمى أما م الرسل من كلهم يسعى لنصرته
واذكـر مفـاخره العظمى التى انصـدعت
لهــا الشرافات اذ خرت لهيبتـه

الى أن قال :

ذاك الرسول الذى تعنو الخواقن والا
مـلاك والرؤسا طـرا لـعـزتـه
كمثل أبنائه الغر الائمة أنـ ـصار الهدى وسياج دون ملته
لاسيما السيد البر أجل بنيـ ـه الحسن الفذ من يسمو بنسبته

أقول : ان للجراريين أدبا خا صا تسابق فى حلبته منهم شيوخ وشباب كشيخ الادباء الجراريين سيدى الحبيب البوسليمانى ، وابنـاء عمومته ، كعبد الرزاق ، والحسن السنطيل ، وعلى بن الحبيب ، والاستاذ محمد بن أحمد الايكرارى ، وابن عثمان ، ومحمد بن سعيد الغرمى ، ومحمد عبد الرحمن ابن القائد عياد ، فكان المترجم يقول من بينهم ، فقد اطلعت لـه علـى قواف متعددة فى القائد (عياد) وابنه وءاخرين ، ومما قاله فى قاضى (تزنيت) قصيدة مطلعها :

حظيت نياق العزم بالآمـال ويتم سعد مطـالع الاكمـال
من بعد ما تعبت بقطع مهامه فيها القطاة تحار فى الترحال
من بعد ما امتلات ربا الاكام بالسـ ـيل الجسيم بهاطل الاهوال
ويـح الشجى من الخلى أليس ذا تهطال وابل عارض البلبـال

الى أن يقول :

يا أيها القاضى السمى جنابه ؛ بسمو قدر شريعـة المتعالى

١) الجريال بكسر فسكون : من أسماء الخمر .

دم للقفصاء مسربلا ثوب السعا دة والهنا والسعد والتفضال
زفت اليك خريدة تزرى بعز ة والرباب وكل ذات جمال
تبغى القبول لمهرها وهو العنا ية دائما وحضورنا بالبال

* * *

هذه نماذج مما كان يقول هذا الفتى النجيب . فلئن كان هذا في بدايته وهو اليوم كما افترعت رجلاه قمم الادب . وكما أنشأ يناغى ربة الشعر . فكيف اذن يكون غدا ان سار على هذا الدرب . وهل يصير الهلال الا بدرا كاملا ما رأيته يزداد نموا الى نمو فى أنواره المتلألئة .

وهذه بطاقة كان كتبها الى يوم أرسل الىّ جملة مما يقوله مع طائفة مما صدر عن والده . قال :

(على العلامة الذى تنير بدرايته حياة المعانى . والغطريف الذى له اليد الطولى فى جميع المبانى . أبى عبد الله سيدى محمد المختار . المختار المقدمتين . وقاه الله من جميع المكاره فى كلتا الدارين . السلام والرحمة والبركة .

هذا فالمرام منكم الدعاء بصلاح الحال والمآل . لتتحلى من رضوان الله هنا وهناك . بما هو أنفس من حلى اليواقيت واللآل . وأن تأخذ ماتيسر من شعر الوالد والجد الادوزى وشعرى . تستلمه من الحامل . وأما تتبعى لما قاله كله . فعويص . لكثرته جدا . على أن أمر سيدى أمر متبع . وأنا له من ظله أتبع . فان تعلق غرضه باكثر من هذا منه . فانني لا أقصر ان شاء الله ان أمرنى به والسلام .

كتبه فى ١٥ - المحرم ١٣٥٧ هـ أخوكم ابرهيم بن محمد الايكراوى .

أقول : ان يد سيدى ابرهيم ابن الخالة هذه . لن أنساها له . حين لبى ندائى . لما اجابنى وأمدنى بما أمكن له . على حين ان كثيرين اذ ذاك كاتبتهم فامتنعوا من أن يعيروا لمثل هذا النداء أذنا . جهلا منهم بما أنويه . اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون .

(هذا ما كنت كتبته فى هذه الترجمة منذ سنوات . ثم لما التقيت بالمترجم وعرفته وجالسته وثافنته . رأيته أكبر مماذكرته به فيما تقدم . فانه تجاوز العقبة . فكان فى كل العلوم مشاركا مشاركة يقبل بها ويرد . فقد ذاكرته فى مسألة بيانية . فقرطس فيها بديهة الصواب . ثم أتى بالمطول والاطول فاذا به قد درسهما . كما اننى ذاكرته فى الفقه وفى الادب . فرأيته بازلا من البوازل القناعيس فيهما . وقد خلف والده فى مقامه وفى جلالته وفى كل

شيء . فاصبح العالم المشار اليه في (تالعينت) . وله مخالفة للناس . يثني عليه بها كل من حاذاه . وهذه الحالة وحدها سياج متين لمركزه . وهواليوم رفيق لدته الرئيس ولد عباد . فاستحالت الرياسة هناك والعلم الى الشباب . وهل يضيع ما يتولى قيادته الشباب .

كنا نسرد قصيدة لوالده عينية . فعرضت فيها لفظة (الكوع) بفتح الكاف . فسألت عنه . فأفادني أنه : المشي على الركب . كما عرضت أيضا لفظة (اصطهى) فما عرفتها . فقال : استوى على الصهوة . فهكذا افادني في تلك الجلسة كثيرا كما انشدنا لوالده :

سكرنا المعلوم لم ير النبي   كما لجسوس بنص اجتبي

وانشدنا اذ ذاك أيضا . والكؤوس تدار :

اسقني بالكبير اني كبير   انما يشرب الصغير الصغير

وقد أفادني عن والده أنه كان ينسخ الى أن توفي الكتب القيمة . فأراني بعضها ككتاب (الانيس المطرب) الذي كان من أواخر ما نسخ . وناهيك بابن نحو ثمانين . لايزال يكب على النساخة للكتب الادبية . فهكذا هكذا الهمم .

وكذلك حكى أن والده لم يفارق القلم يده الا قبل اسلامه لروحه بدقائق فانه كما حرر عقدا . لم يغادر فيه شرطا من شروطه . ثم صار يوقع عقودا أخرى فاذا بالاجل وافاه رحمه الله .

كذلك الاستاذ العلامة أبو سالم اليوم ١٣٦١ هـ . وغده سيطلع بما هو أعلى من اليوم . كما أن اليوم جاء بما جر الذيول عما له أمس . رايته كذلك فلم أملك أن قلت فيه بديهة :

في كل يوم في العلا يزداد	من كان كل مجادة يرتاد
رضع المعارف من ثدى غطارف	بسوى المعارف كلهم ما سادوا
ما شئت من فهم جديد يستقب	ـم اذا يمس ثقافه المناد
لم أنس ساعات تقضت بيننا	والمونسات تحوط والاسعاد
والدهر يخدم والاماني مثل	جمعاء ما حامت بنا انكاد
تختال في حلل المسرة مستطا	ب بيننا الاصدار والايراد
سقيا لها ساعا لطافا انها	حقا بما نلنا بها أعياد
شمس لها (تلعنت) هالتها التي	في كل يوم في السنا تزداد
حييت يا ابن الخالة الاصفى فما	لي بعد ودك في الاخا مرتاد

ذلك هو الاديب العلامة الموطأ الاكناف . سيدي ابرهيم الايكرادي .

احد عدول محكمة القاضي بـ(تزنيت)اليوم • وقد قام بكل مايتعلق بالشرعيات في قبيلة الجرارين • ثم يقدمها الى المحكمة • بعـد ان يجيل فيها نظره • ويستعمل فيها يراعه • والحمد لله حين بقى السر فيمكانه • والعلم فيداره • فما أفلت شمسالعلامة محمد الايكراري • حتىأشرقت شمسابنه فيعليائها• ثم ان مقامه فيازدياد • فقد قام بتدريس مدرسة (تالعينت) الى الآن ١٣٧٤هـ

في خطة القضاء

(ذلك هو الاستاذ ابرهيم سنة ١٣٧٤ هـ ثم جاء الاستقلال • ونظمت المحاكم القضائية في سوس : (١٣٧٦ هـ) فتعين قاضيا شرعيا فـي محكمـة (بوزاكارن) حيث تنضوى اليهـا قبائل (افران) و (مجاط) و (الاخصاص) و (أيت برايم) و (الساحل) فها هو ذا يقوم في ذلك بالواجب • فالله يوفقه ويسدد خطاه • وهكذا صار هلال أمس بدرا كاملا اليوم •

قولة ابن الحبيب فيه

قال بعد ما ذكر ترجمة والده :

(ومنهم ولده الانجب • وشبله المنتخب • الفقيه ذو المكارم • العلامة أبو سالم • سيدى ابرهيم بن محمد الايكراري • سلمه الله تعلى وعافاه • ومن مكاره الدنيا والآخرة حفظه ووقاه • قرأ على والده • وناهيك به حفظا واتقانا • وفهما وعرفانا • مع سخاء وأدب • وحيـاء وعلو همة • وبسط موانسة • وحسن العشرة • مشكورة افعاله كلها • وليس هذا بغريب مـن حسن طلعته • ولطافة شمائله • وعلو مرتبته • فـان الشيء من معدنه • وها هو اليوم مكب على تاديت واجباته • فرائضه ونفله • وسائر متطوعاته

... علمه انقذ الورى — من الجهل لازلت الهلال المنورا
... لنجم الذي نجم سعده — بدا فغدا للدين طودا مقررا
... الله نجـلا قد ارتوى — بمجد وفاز بالعلوم مظفـرا
... اخوانه الشم انهم — خيار الورى من ودهم لـن يدمرا
... منى العفاة عرانيـ — ـن المفاخر من عادوه دام مدمرا
... شمس المكارم والعـلا — تحية عبد رام نصرا مـؤزرا

... الاديب البوكرفاوى عالم حسن • تخرج بالفقيه الايكـرادى • ... نه اخذ ايضا اخذا قليلا عن غيره • ولعله عن الفقيه سيدىالحسين

وساه... ويرغ... الادوز... وتتباع... قصيد... عنها ش... الاجور... الارب... الاطما...

« سلام محب شائق يعتل على » الخ

وتتضمن القصيدة أسئلة فقهية وتاريخية متعددة كان سأل عنها الفقيه ابن الحسين الايدغي وقد قال في ءاخرها :

أبو سالم راميك عن قوس باعــه … فجاوب اذا مـا العلم عندك مقتني
ولكن بنظم في الروى وبحره … لتبنى على حذو السؤال كما ابتني

فتصدى للجواب الاديب على بن الحبيب بما مطلعه :

سلام غدا في حسنه يجلب الثنا … ويزرى بروض زاره وافد الهنـا

فتتبع كل المسائل حتى استوفى الجواب عنها واحدة فواحدة .

الثاني والثلاثون ـ أحمد بن محمد أخو من قبله

للاستاذ الرفاكي أربعة أولاد من الـذكور : أ) ابرهيم العلامة المتقدم ب) العربي : ولايجول في مجالات أهله العلمية . رأيته كبيرا يزاول شؤون الدار . وولد قبل غروب الشمس : ٢٣ من المحرم ١٣٣٤ هـ وهو في (تزنيت) يزاول اصلاح الساعات في دكان . وهي حرفته الخاصة اليوم .

ج) عبد الرحمن المولود بين العصر والمغرب مفتتح رجب ١٣٤٦ هـ وبعـد ان أخذ قليلا من المبادىء بين علماء أهله . اتصل بنا فـي (الحمراء) فاكب على الادب . حتى كان له فيه ما كـان . فعهدى بـه يقرض الشعر . ويستحل الاكباب على كتب الادب وحدها . ثم في : ١٣٧٠ هـ تعين أستاذا في احدى مدارس الحكومة في (سوس) وهو على ذلك الآن ١٣٧٩ هـ ولم يحضر عنـدى من أبياته شيء . وهو حسن الاخلاق . حاذق فهم لبق . تزوج فكان له اولاد

د) أحمد صاحبنا هذا . وولد في الساعـة الثالثة من ليلة الثاني عشر مـن ذى الحجة : ١٣٣٠ هـ فهنى به والده بقول الاديب سيدى عبد الله البوكرفاوى:

وساهر ليله في ارتقاء مراقي النجاح ومعاليه . ولشعرى ان ذلك يرضيه . ويرغم انف حاسديه . وكذلك اخذ عن شيخنا المحقق . سيـدى المحفوظ الادوزى علم المعاني والاصول . فلازلت ايها النجل تقرع باب كل فضيلة . وتتباعد عن كل رذيلة . حتى تكون قرة العين . ومن باكورة شعره والغازه . قصيدة رمى بها بعض طلبة العلم . كلها الغاز ومحاجاة . واجله في الجواب عنها شهرين متتابعين . فلما وصلت الى يد العالم المذكور . ضاعف الله لـه الاجور . رماها على . فوجدتها مؤسسة بالادب . وفتحت في جدرانها ابواب الارب . بعد أن زعم كل من طالعها أنها لاتستطـاع . ولا تتعلـق ببيانهـا الاطماع . فرمتها فما امتنعت . وكلفتها وضع القناع فوضعت . وهي هذه :

ببيس • وقد كان يشارط فى مدارس بلده (بعمرانة) فيدرس هناك • ويفتى ويقضى • وكان سؤولا فيما يتوقف فيه • وقد مد سؤالا للاستاذ ابى الحسن الالغى سنة ١٣٣٥ هـ كما أظن • يتضمن مسألة فقهية فى الحبس وقد كتب اذ ذاك لهذا الاستاذ :

ألا أيها الحبر الجليل الذى علا — على كل ذى قدر عظيم من الملا
ويا من غدا فى الناس موئلهم اذا — تخالف صوت منذوى الخلف واعتلى
ويا من شموس العلم تطلع دائما — على أفقه أضوأ شروقا وأكملا
اليك كتبت كى تجيب تفضلا — ومثلك أولى أن يجيب تفضلا
وانى لدار أن نصك دائما — عتيد لديك فاستجب لمن أملا
وقد حارت الافكار من كل عالم — هنا فأزح عنا ظلاما قد أسبلا
عليكم سلام الله ما هبت الصبا — وما البدر فى تلك السماوات قد علا

وهذا السؤال قدم للاستاذ الالغى • وهو مع الجيش هناك • فكتب اليه بما نصه :

أتانى نظام كالرحيق مشعشعا — اذا دارت الكاس الدهاق على الملا
من العالم الارضى الفقيه أبى محمـ — ـد من جميع المكرمات تأثلا
يريد جوابا من اخى غربة له — مجال بنفع ثار يحجب جحفلا
فراجع اخى شرح (التسولى) عند بلا — ب حبس ترى النص الجلى مفصلا
فان لم يخب ظنى فانك واجد — هناك جوابا فوق ظنك اكملا
وانى لمهد زهر خير تحية — اليك ايا من فوق كل قد اعتلى

كنت وقفت على هذا كله بغير خط الاديب والاستاذ•ومن غير نسبه • فأرشدنى بعض الناس الى الحقيقة فى ذلك •

توفى الفقيه البوكرفاوى فى : ٢٠ ربيع الثانى ١٣٣٨ هـ والشرفاء البوكرفاويون أسرة مشهورة • فيها علماء ووقراء وتجار • ولم نتصل الى الآن بمن يفيدنا عنهم ما يلقى عليهم الضوء •

أخذ سيدى احمد ابن الايكرارى القرءان عن الاستاذ احمد بن مبارك الاكلويى • المشهور بالسملالى من تلاميذ والده — كما تقدم — من قرية (أفود نتكيضا) بـ (أكلو) — وهو كرسيفى ذكر مع أهله فى الجزء (السابع عشر) • ثم عن الاستاذ العربى بن مبارك التيزنيتى • وكان الفقيه الرفاكى شارطه لابنائه • ثم عن الاستاذ أحمد الاعرابى السباعى • ثم عن الاستاذ عمر ابن مبارك البعمرانى • ثم عن البشير الجرارى • وعن عمر • عن هؤلاء

تخرج وكان والده يشارط له ولاخوته هؤلاء الاساتيذ ليتعلموا تحت نظره في دارهم .

في سنة ١٣٥٠ هـ افتتح المبادىء العلمية . فلازم والده يتدرج في المتون على العادة الى سنة ١٣٥٨ هـ يوم توفي والده . فبوالده تمكن وأمعن في النحو واللغة والفقه . ثم لازم ابن خالته الاستاذ محمد بن عثمان في قرية (ايكراز) لانه هو الذي سكن في دارهم الايكرارية . ثم تزوج بنت خاله سيدي ابرهيم بن محمد بن العربي الادوزي . ولكن الزواج لم يحل بينه وبين متابعة دروسه .

كان يأخذ عن ذلك الاستاذ ابن عثمان هذه السنوات : البيان والفقه واللغة والحديث والادب . فيدرسان في مسجد القرية - ايكرار نسيدي عبد الرحمن- (١) وحدهما المختصر والتلخيص والالفية والمقامات الحريرية والموطأ .

هكذا وجدتهما لما زرت تلك القرية سنة ١٣٦١ هـ وقد جالسته واعجبني فهمه وتقدمه . وتطاوله الى التحليق في الاوج . وكان حسن الاستماع اذا حدث . حسن اللهجة اذا حدث . يحرق الارم على ان لم ينل بعد كل ما يتسامى اليه . وقد رأيته يحاول أن يتبصر في هذه العلوم العصرية . كالجغرافية وما اليها . وكذلك يورد أسئلة تدل على ذكاء وحسن ذوق . فقد سألني عن (ياجوج وماجوج) في مجلس هناك . فتنكبت الجواب في الحين فوعدته أن أكتب اليه بما عندي حول ذلك . اذا به ذكر تفسير الطنطاوي . فقلت له عليك به . فان ما فيه هو الذي أرتضيه . ولئن دام على هذا السير وبقي على هذه الهمة وتيسر له أن يستتم في الحواضر . كما احبه له . ليصبحن من أكابر علماء عصره . وقد حببت اليه الكتب العصرية . فتكون له فكر ثاقب . في أحوال العالم .

وقد وقفت على قطعة لاخيه أبي سالم . يخاطبه بها :

عليك مني سلام طيب الارج	يا بدر هالة أفق العلم والمهج
أخي احمد فرع من سما ودرى	بك التعاضد حين الفخر ذو حجج
عليك بالادب المختار ان به	نيل المنى ولحوق المنصب البهج
ثمت عرج الى الخط الرفيع اذن ؛	لانه اللهجة الفصحى لدى الدرج
وكن لدى الدرس مولعا بزبدته	تكن سريا ونبراسا من الدلج
وجانب الخبط والزلات ان لها	تاثير خطية تصمى من الحرج
اليك نصحي أتى منهل صيبه ؛	فاقبله واكمل به فليس بالسمج
ثم السلام عليك من اخيك مدى	مر الحوادث والاعصار والحجج

١) النون في الشلحة للاضافة . كانما قيل (ايكرار سيدي عبد الرحمن)

وكنت رأيت له قريضا لم يحضرنى الآن • وهو اديب حسن • وعينه قراره وكيف لايكون الا كذلك :

اذا كان فذا في الطعان لدى الوغى فما هو الا من كماة مطاعين

في خطة القضاء

لاحظه السعد • كما لاحظ أخاه ابرهيم • فصار قاضيا في (أكلميم) بعد الاستقلال على قبائل التكنة • فظهر منه حسن الادارة • فالله يسدده (ثم انتقل الى (أكادير) لحسن ادارته • وقد حفظه الله من الزلزال ليلة الفاجعة ولايزال في (أكادير) الآن مختتم ١٣٨٠ هـ (وليس عندى من آثاره شيء) •

الثالث والثلاثون ـ اسماعيل بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

قال فيه أخوه المؤرخ الايكرارى :

(ومنهم الاخ الشقيق العالم المشارك • سيدى اسماعيل بن أحمد • كان رحمه الله جوادا مبذرا • أفنى عمره فى الشرط • فلم يستبق فيه للمآل • ولا نظر اليه فى كل حال • عكفت عليه نفاليس (أيت بوياسين) كل يوم • فيستدين لهم ويبيع احضاره ـ أى أجرة شرطه ـ بأبخس الثمن • فيوكله لهم قبل ابانه • فاذا أخذه صرفه لمن له • ويوم مات ترك دينا : ست عشرة غرارة • فخلصتها عليه • وكذا ما عليه من الثمن • توفى رحمه الله فى ٥ صفر عام ١٣٤٧ هـ فورثته زوجته وبنوه : فاطمة ومحمد ومحمد ـ فتحا ـ)

أقول : كان لسيدى اسماعيل صيت حسن بالعلم • وكان سهل الكنف • يألف ويوالف • ويثنى عليه الاباعد • فضلا عن الاقارب • وما ذلك الا لما جبل عليه من الكرم الذى يغطى كل عيب • ولم يذكر المؤرخ عمن أخذ • وقد أخذ عنه نفسه • لانه واخوته كلهم اصغر من المؤرخ • كما أخذ أيضا عن سيدى المحفوظ الادوزى قليلا • وكان يشارط فى مدرسة (أيت بوياسين) بـ (الاخصاص) ثم عرفت أنه أخذ أيضا القرءان عن على بن محمد من أبناء عمومته • قبل أن يلازم صنوه الفقيه الايكرارى • ولم يتجاوزهم الا قليلا • عند سيدى محمد بن عمرو فى (أدوز) وقد ترك ولديه : محمدا ومَحمد وهما من أصحابنا الاعزاء النجباء ولو كانت عندى ولادتهما وءاثار لهما لافردتهما • لانهما يستحقان كل اعتناء • ولانهما أيضا من نجباء الابناء • فالاول محمد الذى كان نشيطا فى الحقل الوطنى • تولى بعد الاستقلال : منصب الحاكم المفوض فى (أكلميم) وله سيرة حسنة فى منصبه مشكورة •

مذكورة • وفيه اقدام غريب • وجرءة ما مثلها جرءة • وقد تزوج فولد له • وهو الآن فى (أكادير) أحد العمد فى القضاء • له هالة واسعة حول أفكاره الوثابة • والثانى : محمد رئيس على (أكلو) أزمانا• ثم مكث فى داره الى الآن • وقد لازمانى فى مراكش ما شاء الله معا • فاخذا أخذا حسنا عنى أولا • ثم عن غيرى من أساتذة (كلية ابن يوسف) بعد ما اخذا عن عمهما الاستاذ المدنى زوج أمهما المبادىء حتى شديا • وهما من خيرة الشباب •

الرابع والثلاثون – المدني بن احمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

أخو المذكور قبله : اخذ القرءان عن صنوه اسماعيل فى (سيدى داود) بـ (أكلو) وعن على بن محمد من (ايكرار) وبهما تخرج • ثم لازم الخاه المؤرخ • ولم يتجاوزه حتى تخرج • وذلك فى المدرسة (الرخاوية) وفى بعض المدارس (الاخصاصية) • وكان عالما عاملا • حسن الاخلاق • وكان دون اسماعيل سنا • وكان مشارطا فى (ايغبولا) وفى (أتبان) وفى (أزرو) بـ (هوارة) • ثم كان فى المدرسة (التازروالتية) • ثم فى مدرسة سيدى محمد بن يعقوب من (تاتلت) • ثم (سيدى بيبى) • ثم فى مدرسة (المولود) ثم لازم داره الى الآن : ١٣٧٨ هـ ولم أحظ بالتعارف معه من قديم • وقد كان أناس يبلغوننى السلام منه • ورأيت كل من يعرفه يثنى على ديانته وعلى همته العلمية • وهو فى كل هذه المدارس مجد فى التدريس قائم خير قيام • كما هو المطلوب من أمثاله •

وحين كان فى (أزرو) يبين جهرا ما يراه مخالفا من بعض الطرقيين هناك للصراط المستقيم – بحسب فهمه – فأداه ذلك الى أن اصطدموا واياهم • حتى طالبه الباشا الحسن بن ابرهيم حين كان فى (هوارة) بالكف والاقلاع• فائف من ذلك • فاقلع عن تلك البلاد •

ولد : ١٣٠٥ هـ (ثم اننى عرفته ومازجته ، وزارنى بمراكش) كما زرته فى (سيدى بيبى) وأنا الذى أرسلته الى (تاتلت) لما تذاكرت مع الباشا الاكلاوى ، لاقامة تلك المدرسة هناك • ولكن أهل تلك الجهة ، لم يرضوا فهومه • فذلك هو السبب حتى رجع • وقد أخذ عنه أناس نجبوا وادركوا كشباب من أسرته ، آواهم انيه – كمحمد بن اسماعيل : الحاكم الآن فى (أكادير) ، وأخيه محمد الاستاذ • والاديب الاستاذ المعلم عبد الرحمن ابن المؤرخ الايكرارى • والاديب الاستاذ الحسين وكاك أحد عمد جمعية العلماء فى معهد (تارودانت) وغيرهم • ولا يزال حيا الى الآن : مختتم ١٣٨٠ هـ ، مجدا فى أموره ، مكبا على المطالعة حريصا على امتلاك الكتب • وقد توسع حتى صار مرموقا بين أهله • وهو الآن فقيه القرية ، وعميد

الديانة فيها . والمنظور اليه كفذ في (ايكراز) فيبدئ، ويعيد فيها . وهو زوج أم محمد بن اسماعيل المتقدم . فكان ابن اسماعيل ربيبه . تزوجها بعد وفاة اسماعيل .

الخامس والثلاثون : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

أخو المذكورين قبله ، ولد : ١٣١١ هـ أخذ من صنوه الايكراري ، وقد أخبرني مخبر أنه كان يأخذ عنه في مدرسة بـ (أيت رخا) والغالب أنه لازمه في مدارس مشارطاته التي سنتعرض لها فيما يأتي . ولم يتجاوزه منذ أن افتتح القرآن الى أن تخرج في المعارف . وشارط في مدرسة (أيت علي ووكتوك) بـ (بعمرانة) وهناك ألقى عصاه أزيد من عشرين سنة من : ١٣٣٨ هـ الى ١٣٥٨ هـ وكان ذا ذكاء حسن . وفهم جيد . وليس له خبب في النوازل كأهله . غير أنه منبسط في معيشته . مع ورع وجد في الدين كبير . ووروده خمسة أحزاب من القرآن في كل سحر . لازم ذلك في أكثر عمره . وكل الذين يعرفونه يذكرونه بكثرة العبادة ، وأنواع من الأذكار . مع عزوف عن العرض الفاني . وفي مبادئه كان يجد في التدريس الى أن أنسته حلاوة العبادة حلاوة التدريس .

ومجمل حاله : أنه من أفاضل أهله من هذه الجهة . رأيت كبار أهله وصغارهم يشهدون له بكل خير . وكان نساخا في أول عمره . اعتنى بـ (ابن عقيل) على (التسهيل) . توفي : ٢٤ رمضان : ١٣٥٨ هـ ودفن في (ايكراز) وقد أعقب ولده محمدا . تربى عند عمه المدني وتعلم القرآن. وهو يتابع اخذ العلوم . ولعله يرث من مجد العلم الذى هو وحده ما يورثه العلماء لاولادهم .

السادس والثلاثون : احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

هو أخو الهاشم بن محمد بن محمد المتقدم الذكر المتوفى بـ (مراكش) وصفه المؤرخ بأنه طالب تقي نقي . ولو لم يكن له باع في العلم وسط لما وصفه بذلك . له يد في المبادئ والضروريات في العلم . أخذ ذلك عن أبيه ثم تقلبت به الاقدار ، ككل اخوته ، حتى توفي بـ (البيضاء) في المحرم : ١٣٥١ وهو المشهور بسيدي أحمد اللحيان . وله أولاد موجودون .

السابع والثلاثون : احمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

ابن عم المتقدمين ، ذكره (الايكراري) بنجابة ، ولم يذكر من أخباره

شيئا ٠ لا أين ماخـذه ٠ ولا كيف تقلبه فى الحياة ٠ الا أنـه ذكر وفاتـه بـ (البيضاء) سنة : (١٣٥٥ هـ) (ثم عرفت أنه اخذ عن على بن محمد القرآن ، ثم عن الايكرارى نفسه العلوم ٠ (وقد تقدم ذكره بين تلاميذه) ثم صار يزاول التجارة ٠ ثم حصل له خلل فى عقله ٠ الى أن توفى ٠ وكان يلهج بالحج حين اختل ٠

الثامن والثلاثون : محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم

هو أخو سيدى محمد بن عبد الرحمن الذى ذكر آنفا ٠ وكل أولاده علماء ٠ وهو ثانى ولدى سيدى عبد الرحمن صاحب القبة بـ (ايكرار) وقد تقدم ٠ قال فيه فى « روضة الافنان » :

« ومنهم ذكى العقل ٠ صحيح النقل ٠ رقيق الحاشية ٠ تتمنى الشمس أن تماشيه ٠ ناهيك من رجل ما تلبس بشبهة ٠ ولا طمع أحـد أن يكون شبهـه ٠ يقـوم لكل الناس بـالانصاف : سيدى محمد بـن عبـد الرحمن الايكرارى ٠ فقيه جليل يقفى بمشهور خليل ٠ من مناقبه أن بعض الناس كمن له فى الطريق ليفتك به لحكم أبرمه عليه ، وكان جبارا معدودا لديه ، فستره اللـه (ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء) توفى ـ والله أعلم ـ عام : ١٢٢٨ هـ رحمه الله ٠ وترك أماجد من الاولاد ، لهم فى العلم انطراف والتلاد » ٠

أقـول : وقفت فى كتاب عنـد أستاذنا أبى محمد سيدى عبد الله بن محمد الالغى على أنه توفى أوائل صفر ١٢٢٩ هـ

ثم ان هـذا السيد هـو الذى تولى الزاويـة بعد وفاة صنوه محمد : ١٢١٤ كما تقدم ٠ فقام بالتدريس والافتاء والقضاء والارشاد ٠ وهو الذى آوى اليه الاستاذ سيدى ابرهيم أقراب السملالى الساحلى (ذكرناه بين أهله انسملاليين) ولم ندر الآن عمن أخذ ٠ ولعله أخذ عن أخيه محمد ٠ وأولاده خمسة ، وهم : محمد وأحمد ٠ وسعيد ٠ وعبد اللـه ٠ والحسن ٠ وهكذا ولادتهم بالترتيب ، كما ذكرهم لى سيدى عثمان ٠ قائلا : ان المكان المكـان الذى كان ذلك المحكوم يرصده فيـه يسمى (نطفيـة ايموسريف) ومحرراته فى الاحكام موجودة ٠ ذكر لى أن بعضها فى (بعمرانة) وقبره فى قبة والده ٠

التاسع والثلاثون : سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم

ولد المذكور قبله ، قال فيه المؤرخ الايكرارى :

« ومنهم سيدى سعيد بن محمد كان رحمه الله رجلا دينا وقورا منعزلا عن الناس ، حتى بنى خارجا عن المدشر ، وهو أول من حفر البير فى (ايكرار) ، وبنى مسجده وحده يعبد فيه مولاه ، قال لى مرة : هل بدأت الالفية ، فقلت له نعم ، فقال : ان أردت المراد فعليك بالمرادى ، أدركه الهرم فاحتاج احتياجا فادحا ، فمات بالجوع عام ١٢٩٩ ﻫ رحمه الله تعلى » .

ومن مآثره : جسر على وادى (ايكرار) لايزال موجودا الى الآن ، وقد تأثر بمسغبة ١٢٩٩ ﻫ حتى كان يتمنى الموت ، كما أخبرنى به سيدى عثمان

الاربعون : عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن بن برهيم

الولد الثانى لسيدى محمد بن عبد الرحمن ، قال فيه المؤرخ الايكرارى :

« ومنهم الفقيه العلامة : سيدى عبد الله بن محمد ، فهو كأخيه سعيد ، بنى داره وغرس ، وله ولد فهم (الى أن قال) وهذا السيد لم يساعده الزمان مع كثرة علمه ، فلم ينفعه نفعا دنيويا ، فلما وصل ١٢٩٥ ﻫ رحل لـ (السويرة) فافتتن فى ماله ، وتشتتت كتبه ، ثم رجع للبلد ، فمات رحمه الله فى العشرة الاخيرة من المائة الثالثة عشرة ، أو الاولى من الرابعة عشرة ، بعد أن عطل رحمه الله » .

ثم صحح لى أن ولدا له ولد عام ١٣٠١ ﻫ فعلمنا أنه توفى أوائل الرابعة عشرة ، وقد قال سيدى محمد بن عثمان : انه كان يقسم التركات ، فما أكثر آثار يده فى ذلك ، كما أنه كثير الفتاوى ، فقد رأى من ذلك الشىء الكثير .

الواحد والاربعون : محمد بن عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله ، ذكره الايكرارى ، وقال انه فهم تخرج من (أدوز) توفى ١٢٩٥ ﻫ وأخبرنى بعضهم أنه كان فى الدرجة العليا فى النجابة ، فرع أقرانه فى المدرسة (الادوزية) ويعارضهم عند مطالعة الدروس ، ثم يكون الحق معه ، وقد أخذ عن العربى الادوزى المتوفى : ١٢٨٦ ﻫ وقد حضر عنده قبل : ١٢٨٢ ﻫ يوم يولف (أيسر المسالك)

الثانى والاربعون : محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمن

الولد الثالث لسيدى محمد بن عبد الرحمن ، ذكره لى سيدى عثمان وقال : ان له يدا حسنة فى الفنون ، ومشاركة فى كل ما يجول فيه أبناء عمه ، وانما كان معنيا بمزاولة أمور دنياه الكثيرة ، فلم تظهر له معهم سمعة

لانهم كانوا يحتاجون الى ان يشارطوا ويتعاطوا النوازل لينتفعوا وراءها • وله خط جيد • وقد مات قبل : ١٢٨٠ هـ وهو الذى كتب اليه الحسن التيمكيدشتي رسالة توقير وهي مصونة عند أهله •

الثالث والاربعون : على بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله • ذكره لى سيدى عثمان • وقال انه تخرج بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الرحمن الاغرابويي انتزنيتي • ثم وصفه بحسن السمت والتدريس • وفيه نحو بله • لازم المشارطة فى المساجد • يعلم كتاب الله • وبه تخرج كثيرون من أهله وغيرهم • وكان شديدا فى التعليم لايعرف كيف يضرب التلاميذ ان احتد • وهو حاد المزاج • تحكى عنه حكايات فى ذلك • غير أنهم يقولون : ان السلامة تقع من ضربه • وكان مشكورا مثنى عليه • ولم يزل على حاله حتى مات سنة ١٣٢٧ هـ ولا عقب له •

الرابع والاربعون : الطيب بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

أخو المذكور قبله • ذكره لى أيضا سيدى عثمان • وقال : انه تخرج بالاستاذ سيدى العربى الادوزى • وقد صدر بعلم جم • وعلو كعب • له سمو فهم يذكر به • وكن يشارط فى (سيدى داود) بـ (اكلو) وكان ثقة ثبتا • ذا حظ جيد • تورع عن معاطاة النوازل • وقد اثنى عليه احمد أضارضور • توفى ١٢٩٣ هـ

الخامس والاربعون : أحمد بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

أخو المذكورين قبله • ذكره سيدى عثمان ايضا • وقال انه تلو اخيه فى العلوم • ويظن أنه أخذ عن الايكراريين • لان دراستهم كانت اذ ذاك لاتنقطع وكانت له جولات فى النوازل • وباعه فيها حسن • توفى نحو ١٣٠٨هـ وقد شارط حينا فى (أيت ابرهيم بن يوسف) بـ (رسموكة) وتوفى مبطونا شهيدا • لانه أسرف من طعام حفلة • أقيمت فى قريته •

السادس والاربعون : الحسن بن محمد بن عبد الرحمن

أصغر أولاد أبيه • كان أخذ عن اخيه أحمد أضارضور (الآتى) ثم ذهب الى (فاس) حيث جاور حتى نجب • وكان يملأ أوقاته بالدروس وبالنساخة الى أن مات هناك وهو لايزال ياخذ • وذلك قبل : ١٢٩٤ هـ بكثير • لان اخوانه لما فرقوا مال ابيهم فى تلك السنة كان اذ ذاك متوفى • هكذا قال لى

ابن عثمان • وهو الذى ذكر ان آثار قلم هذا السيد النجيب كثيرة • رءاها بين كتبهم •

السابع والاربعون : أحمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

الولد الرابع لسيدى محمد بن عبد الرحمن • قال فيه المؤرخ الايكرارى: (ومنهم الشيخ الكبير • والعلم الشهير • من له اليد الطولى • فى تمييز الاقوال • والخبرة بمقادير فضلاء الرجال • يقول أين فلان من فلان • وبينهما بون يدركه من له الجنان • وليس ممن كان يعرف الحق بالرجال • بل ممن يضرب له فى تلك المسالك الامثال • أبو العباس سيدى أحمد • قرأ رحمه الله أولا على أبى سالم الايكرارى • ثم على أبى سالم المحجوبى • ثم انتقل الى (فاس) وكان يجلس فى أخريات الناس • ولم يعبأ به • حتى عرض فى مجلس السؤال عن مؤلف (العتبية) فقال المدرس : لعله ابن عتاب فتكلم السوسى • فقال : ياسيدى : مؤلف العتبية هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبى • فلما رجع الشيخ وجلس على كرسى اقرائه • فقال ادن منى • فنحى الطلبة حتى أجلسه حذاءه • ثم ان الشيخ كلما صور صورة خليل يقول له : هل هكذا ؟ فاذا قال له نعم جاز • وان سكت أعاد التقرير • وعلى ذلك دأبه • فلما قضى نهمته • رجع فلزم داره لايخرج لمسجد ولا لموسم ولا لسوق • بل يأتيه رزقه رغدا من كل مكان • يقضى بين الناس بالتحكيم ويسأل من الاكابر فيجيب بنحو قال مالك • وقال ابن القاسم • وقال فلان • يحكى قول الاسمعة • كأنه حضر لها •

والحاصل أنه فريد عصره • لاثانى له فى قطره • ولم يرو انه أخذ طريقة أحد من الاشياخ • بل لزم الصلاة على النبى التى بقيت وظيفة من شب وشاخ الى أن أتاه الحمام • وآذنه بالختام • فقيض الله اليه من مد يد العدوان • فأجلسه فى منصة الغفران • وفاز هو بصفة الخسران • ولم يراع فيه حق العلم • وباء بغضب من الله بالظلم • (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (انك ميت وانهم ميتون• ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) وذلك فى رجب عام١٢٩٤هـ

جاء رحمه الله من (بونعمان) فقطع عليه الطريق ولد همو على ومن معه • فضربه العبد فقتله • فساقوا الفقيه على بغلته • الى أن وصل (العوينة) محل بوحلاس فقتلوه ومثلوا به • فانا لله وانا اليه راجعون• وما أشبه هذا بأفعال بنى اسرائيل بأنبيائهم • (علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل) وحين قتلوه غارت عينهم أعواما • وقد مسخ الله (مسعود واسيف) فأسود وجهه وجسمه بعدما كان أبيض أمهق (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقد بان عليه العنوان

قبل ان يدنى للقبران، وحسبان الملكان(١) وقد أكلت داره، واهين شيطانه، ومقداره • فرحل مشتت الشمل • مهانا حيث حل • عادة الله في المعتدين • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وكذلك من تسبب في ذلك • وكان زعيم ما هنالك • علي بن برو الفاجر • الظالم الخاسر• أهلكه الله على يد من انتصر للحق • من ولاه السلطان الذى دق صلبه غاية الدق • فلم يسلم من تسبب ولا من باشر واحترب (من حارب وليى فقد آذنته بالحرب) والعلماء اولياء الله ان لم يكن العلماء أولياء الله• فليس لله من ولي (الا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) وآخر كلمة قالها على ما قيل : (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) قلت :

وما فقد مثل الشيخ الا مصيبة ... تكر على جلد الجليد فينفضح
علمنا يقينا انه حل منزلا ... عليا به الارواح للرسل تسرح
فزال عن الاكباد ما اغتم واشتوى ... حشاشتها فالقلب من ذاك يفرح
أعاضك يا عثمان ربى مثله ... فانعم به فاحمد خليقك تربح

انتهى ما قاله المؤرخ • وقد كنت أخذت عن سيدى عثمان ابن المترجم ترجمة واسعة لوالده هذا • فلنذكر ما كنا كتبناه عنه • فانه وان كان فيه نوع تكرار لما ذكر فان كلامه مفصل • على حين أن ما قاله المؤرخ مجمل •

قال : أخذ القرءان في قريته • ولم يتجاوزها • ثم افتتح العلم عند أبى سالم ابن عمه • ثم انتقل الى مدرسة (دودرار) بـ(رسوكة) عند الاستاذ سيدى ابرهيم المجوبى الرسموكي• ولازمه ما شاء الله • حتى أدرك وحصل ونال منالا كبيرا • فاقبل على المشارطة والتدريس والافتاء والقضاء • فكان من بين ما شارط فيه اذ ذاك • مدرسة (بونعمان) ثم بدا له أن يرتحل لاتمام معارفه في (فاس) فصمد أولا الى ضريح مولاى عبد السلام بن مشيش • فزاره قبل أن يلم بـ (فاس) وقد وقعت له في ذلك السفر غريبة • وذلك أن اللصوص وقعوا على القافلة التى كان فيها • فانحاز بالبغلة التى ركبها الى جانب • فأوقفها منتظرا ما يصنع به • فاعمى عنه أبصار اللصوص اذ ذاك • حتى انتهبوا القافلة عن آخرها • ثم تفقدوا فلوا كان يتبع امه • وهى مركب مقدمهم • فوجدوه واقفا ازاء البغلة • فانطق الله المقدم • فقال لهم : ان هذه البغلة وصاحبها في حمى الفلو • فلا يمسهما ماس • فكان ذلك سبب نجابته وحده من بين كل من في القافلة •

ثم ذكر الاستاذ الذى وقعت بينه وبينه قضية العتبية • وسماه المهدى (وهو المهدى بن سودة) فكان مكبا على الاخذ عنه وعن آخرين• فالقيت

---

١) كذا في هذه المجموع من خط المؤلف •

عليه محبة منهم • حتى ان احدهم راوده أن يعلمه سر الحرف • فعزف عن ذلك مستنكفا أن ينزل بهمته من الذروة الى الحضيض • ثم انه ندم بعد ذلك حين يتوقف بعض التوقف فى الخصاصة • ويقول ياليتنا تعلمناه• فانه أولى وأفضل من هذا الذى نحن فيه • يعنى القضاء بين الناس•وكان صاحب همة تناطح الجوزاء • وتنتعل العيوق •

قال : ورجوعه من (فاس) كان نحو ١٢٥٠ هـ ولم يطب ـ يوم خرج من فاس ـ نفسها بالرجوع • وكانت نهمته العلمية لاتزال محتدمة • غير أن وباء خطرا كان هناك • فكان هو السبب حتى أقلع • فحل فى أهله • ثم انه اقترن بكريمة استاذه الشيخ ابى سالم • وقد كان صادفها لاتزال دون ابان الزواج • فصبر عليها حتى أدركت • ثم أقبل على ما كان فيه قبل • فكان ما شارط فيه ثانيا : المدرسة (البونعمانية) ثم ان الله وسع عليه بما يزاوله من شؤون الكسب وبما يدر عليه من وراء النوازل والافتاء• وقد أكب على ذلك أخيرا• وطلق المشارطة والتدريس • وفتاويه جيدة محكمة• جمع منها كثيرا : الاستاذ سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم • وكذلك له حواش وطرر نفيسة على الكتب • وله ابحاث مع أكابر المؤلفين • وتنبيهاته قيمة • وباعه فى الاصول والنحو مثله فى الفقه والفروع • وقد خرج اناسا منهم سيدى عبد الرحمن المذكور • وأخوه سيدى الحسن وابنه سيدى أبو بكر • سيأتى ذكره • وغيرهم • وكان فى خلقه بعض حزونة • وكثيرا ما يثنى عليه سيدى مسعود المعدرى • ويقول : ان سيدى احمد اضارضور ـ وبذلك يعرف ـ هو وامثاله من يليق بهم ان يتعاطوا نشر العلم لأمثالنا• وقد كان سيدى أحمد يلم أحيانا بـ (أيت برابيم) لفض النوازل • فيزور المدرسة • وقد اشتكى عليه الطلبة هناك يوما • صعوبة (المنهج) للزقاق • وكان يدرسونه• فقال لهم : لابد لكم من اتقان الفروع • ليمكن لكم تطبيقها فاذن يسهل عليكم غاية • وكان لسيدى احمد جولان مع تلك الحلبة التى يعاصرها هناك الحسن بن الطيفور ومحمد بن ابرهيم الساموكنيان ومحمد ابن يدير واحمد بن ابرهيم الساحليان • وغيرهم • وقد كان فى الشق الذى يضم ابن يدير وابن الطيفور • وكان لابن يدير انقياد كبير له • وسبب ذلك أنه لما ارتحل الى (فاس) ليستتم دراسته • صار اساتذه الفاسيون الذين كانوا عرفوا سيدى أحمد اضارضور يقولون له : أترتحل الى (فاس) وتترك وراءك مثل أحمد اضارضور • فحفزه ذلك عند رجوعه الى أن ينزل عليه أولا • ويتعرف به قبل أن يمر الى داره •

ثم ان سيدى أحمد فى آخر عمره • كان ينقبع كثيرا فى داره حتى انه لا يخرج الى الخصوم • وانما يوسط بينه وبينهم ولده سيدى أبا بكر ،

فاقبل على شأنه في خويصة نفسه .

أقـول : ان هذا الدور هو الذى ألم به المؤرخ الايكرارى فى كلامه ، لم ذكر الحاكى سبب قتله . قال : ان له ولدا يسمى ابرهيم. من حفظة كتاب الله المتقنين . وكانت فيه شرة الصبا . وجنون الشباب . فلم يكـن يمشى في الصراط السوى . فكانت بسالته ترمى بـه مرامى لم تعرف لأهلـه . فكان يتبع القنص . ويتقلد السلاح . ويخالط أمثاله مـن قرناء السوء . فمات انسان من (أكلو) فى طريق سوق (العوينة) وكانت سوق (العوينة) اذ ذاك لاتزال قائمة . فاتهم بقتله . فأوعز اليه أن يجتنب المخالطة . وأن ينكف عن الرعونة . فصم عن ذلك . وأدل بقوته . وأعلن انـه لايحسب حساب أحد . فجاء رؤساء (العوينة) بأربعين فارسا . ليتوصلـوا مـن آل ابرهيم المتهم بالقتل فى طريق السوق . بما هو العادة من الغرامةالمعروفة على كل من مس مارا الى سوق . فنزلوا على الاستاذ . فقالوا له : ان ابنك قتل فى طريق سوقنا . فاغرم لنا ما يلزم كل من انتهك طريق السوق . فأجابهم الاستاذ . ان أثبتم على ولدى ذلك . فأنا أول من ينصاع للحق . وان لم يكن ذلك الا قولا فقط . فان مثل ذلك لايقبل . فقام ولده ابرهيم الىخيلالعوينيين فازال أوتادها من براح الدار . فشردها وصاح فىراكبيها مهددا قائلا : والله لاتؤوبن بدرهم . ثم شرع يطلق عليهم بندقيته فاردىلهم فرسين . فرجع القوم عازمين على أن يقتصوا بما أمكن . فتفرق أهل(أكلو) فى هذه القضية فرقتين : فريق يناصر الاستاذ . وآخر ـ وعلى رياستهم ابن برو ـ ضده . فتراد الناس الكلام مع الاستاذ . فأدلى أولياء القتيـل بأنه صرح وهو محتضر : بأن ابن الاستاذ هو الذى قتلـه . فذكروا ذلـك للاستاذ . فتطلب شهود غير ذويه . فلم يوجدوا . فاعتاصت القضيـة . كما يقع فى كل قضية من قضايا التدمية .

ثم ان الاستاذ بعد ذلك . كان فى (أيت برابيم) لنازلة زاولها هناك . فرجع على بغلته مع عبده . وابنه ابرهيم . فمروا بـ (العوينة) فقام اهلها وتعرضوا لهم يقولون : لا تمرون حتى تعطـوا غرامـة سوقنـا . فـمـال اليهم العبد . فقتل واحدا منهم . فجـاش العوينيون فتجـاوروا . فلحقوا الاستاذ بين (أبحرى) و (العوينة) فقادوا به البغلة . ثم قتلوه فغادروه . فحمل بعد ذلك الى (ايكرار) فدفن فى قبة سيدى عبد الرحمن. ثم ان ولده ابرهيم ثاور العوينيين أجمعين . وما زالوا به حتى قتل أيضا . كذلكواقعة الاستاذ رحمه الله . انجر اليه وبال ولده لاغير .

أما آثاره فلم نر الى الآن منها شيئا . وقد كنا وعدنا بها . وبكلالآثار الادبية لهؤلاء العلماء الايكراريين . غير أن الدهر لم يساعد فـى التوصل

بها الى الآن . وولادة الاستاذ فى سنة ١٢١٨ ﻫ كما ذكره لنا ولده سيدى عثمـان .

الثامن والاربعون - أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن

ولد المذكور قبله . ذكر لنا أخوه سيدى عثمان : انه أكبر اخوته ، وانه تعلم عند والده حتى نجب غاية . فكان دائما يحب الرحلة فـى سبيل العلم . فيمنعه والده لاحتياجه اليه أخيرا . ولكن لم يكد يقبر حتى التحق بـ (مراكش) فجاور فى المدرسة (اليوسفية) سنة ١٢٩٤ ﻫ والتى بعدها . فنال ما كان يصبو اليه من الشفوف . لكن الحمام لم ينسىء له فى الاجل . فاعتبط هناك سنة ١٢٩٥ ﻫ فدفن فى قبة سيدى على بن ناصر فى (بـاب الدباغ) وولادته سنة ١٢٦٠ ﻫ

التاسع والاربعون - عثمان بن أحمد بن محمد - فتحا - بن عبد الرحمن

الولد الثالث لسيدى أحمد أضارضور . هذا الاستاذ هو الذى عنونا به بادىء ذى بدء . ثم من بركته انجر الكـلام الى جميـع علماء اسرتـه . الايكراريين . ونحمد الله حين أمكن لنا بفضله أن نستقى ترجمته من فيه منذ سنتين . كما استقينا منه كثيرا مما يتعلق ببعض علماء أهله . وقـد كنت أتمنى لو اتممنا عليه ما كنا نكتبه عليه . غير أن الدهر الخؤون أبى لنا من ذلك غاية الاباء . فأحدث له عجلة شديدة فى يويمات اختلسناها من الدهر فادركنا فيها بسرعة بعض الشىء ثم لم نزل نتمنى لقياه ثانيا . فيسد القدر الباب . ومن ذا الذى يقدر أن يغالب القدر (نعم اتصلنا به بعد . ولكن لم يتيسر من المقصود الا قليل) .

منشـأه

ولد فى صفر ١٢٨١ ﻫ ثم تاخر تعلمه للحروف الهجائية الى ان كان ابن ثمانى سنوات من أجل الحب الزائد الذى دلله به والـده . ثـم تلقـى القرآن عن آخره عن سيدى المدنى البوكرفاوى الذى ذكر فى ترجمة الايكرارى ولم يزل عنده الى أن اتقن حفظ القرءان سنة ١٢٩٥ ﻫ ثم نشا له اهتبال بأمور الشباب . فسدر فى غلوائه نحو أربع سنوات . حتى كبح أخوه عبد الله جماحه وقلم شرته . فاقبل على ارتشاف المعارف .

فى المدرسة (البونعمانية)

افتتح الدراسة العلمية عند الاستاذ سيدى مسعود المعدرى . قال :

فاندغمت فى جمع هائل مائج من طلبة المدرسة • وكلهم فى جد واكباب على تفهم الدروس • حتى انهم بين العشائين ليتفرقون عشر حلق فى المصلى • ليتأتى لهم أن يستعدوا جماعة بمطالعة الانصبة للغد ـ كما هـى العادة ـ قال فوفقنى الله • فاجتهدت غاية الاجتهاد • وامعنت فى الاخذ • فتدرجت فى الفنون والمتون على ما هو مألوف • وكان الاستاذ يخصنى بمزيدالاعتناء محافظة على ما بينه وبين والدى فكنت عند ظنه • وقد كـان ايضا للاستاذ فى نظرى اجلال عظيم • واحترام زائد •

وقد وقعت لى معه مرة لطيفة تدل على مكاشفته • وذلك اننا اخذنا عنه أثناء الدروس فى (الرسالة) : أن المسلم أعظم أجرا مـن البادء للسلام • فقلت لمن معى : ألهذا كان الاستاذ دائما سباقا الى السلام كلما صادفنا فى مكان • فأنا من هذا اليوم لاأتركه يسبقنى • فأفوز بخصلة السبق • كان ذلك منا حيث لايسمعنا الاستاذ • ثم لايمكن أن يخبره بجريان هذا بيننا • لاحترامه ولانزوائه عنمحادثة الطلبة • وفىسحر يوم فىالظلام فى المتوضا واناوحدىوانا أريد أن أسكب ماء الوضوء منأنبوب الماء السخين•فاحسست بداخل ثم وقف على • فبادرنى بالسلام • ثم قال مبتسما : ها أنذا سبقتك هذه المرة • ثم اننى قلما صنعت له شيئا من الخدمة الا والى لى دعواتصالحة وكانكثيرا ما يقول لى : أعطاك الله ولاية جدك أبىسالم • وعلم والدك سيدى أحمد أضارضور • ثم اننا هناك مع اجتهادنا نشتغل فـى شبيبة متقاربين بما يشتغل به أمثالنا • فنعلن الجلبة • فكان يصبر لنا كثيرا • ثم لم أزل رابضا عنده أرتشف من مراشفه حتى دخلت سنة ١٣٠٥ هـ

فى المدرسة (الادوزية)

قال : كنـا كثيرا مـا نسمع ونحن فى (بونعمان) عن دروس الاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى • وكانت الاخبار المنقولة عنها تستفزنا دائما•الى أن نكون منها من الواردين • فحينبلغت من الدراسة (البونعمانية) ما بلغت • تطلعت نفسى الى أن اقتبس من هناك ما قدر لى ثانيا • فالقيت هناك المرساة • فوجدت حقيقة هنالك دروسا أخرى متفننة • وابحاثا عليه قيمة نفيسة • فكنا ناخذ مع الفقه والعربية : الاصول من (جمع الجوامع) • والبيان من (التلخيص) • والتفسير • والحديث • وكان الاستاذ يمعن دائما بالبحوث فى هذه الفنون • ويدرس جميع ما يدرس بتأن وتؤدة • موردا كل ما وجده • فكان ذلك لنا خير صيقل للافكار • واعظم مفجر للقرائح • فلم نزل على ذلك الى سنة ١٣١١ هـ • فاذ ذاك انقضى زمن الاخذ •

هكذا كانت معارفه وكلها ماخوذة عن هذين الاستاذين فقط : سيدى

مسعود وسيدى محمد بن العربى . وناهيك بفردين يقومان مقام الجموع الجمة .

مشارطاته

١ ـ مدرسة (أداى) بـ (رسموكة) سنة ١٣١٢ هـ
٢ ـ مدرسة (تاغلولو) بـ (مجاط) سنة ١٣١٣ هـ ثم لازم داره ما شاء الله
٣ ـ مدرسة (ايدغازال) الاخصاصية سنة ١٣٢١ هـ
٤ ـ مدرسة (الكريمة) بـ (الساحل) : ١٣٢٢ هـ
٥ ـ مدرسة (تاغلولو) ثانيا : ١٣٢٣ هـ
٦ ـ مدرسة (الكريمة) ثانيا سنة ١٣٢٨ هـ
٧ ـ مدرسة (ايدغازال) ثانيا سنة ١٣٣٢هـ

هذه مشارطاته . فكان كلما كان فى مدرسة يتعاطى التدريس . ولكنه على كل حال ليس بفنه . ويوجد اليوم من لهم سمعة علمية . وقد كانوا مروا بين يديه فى بداياتهم . كالفقيه سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكرارى . وسيدى محمد كدرار المافامانى السملالى . وغيرهما . كسيدى بريك بن عمر المجاطى .

بعض ما يتعلق به :

اقترن أولا سنة ١٣١٢ هـ اثر تخرجه من مدارس الاخذ . ثم حرم من زوجته هذه الاولاد . وهى بنت سيدى عبد الرحمن بن المدنى الجرارى الفقيه . فبقى كذلك ما شاء الله . الى أن اتصل بشيخه الالغى . فذاكره أنه يحب ان يقترن ثانيا لعله يرزق ذرية . فاذن له ان يخطب من عند أستاذه الادوزى قائلا له : اننى ساقدمك بالايعاز الى النساء أن يفتحن الباب وذلك لما كان للشيخ من مكانة عندهن . لكونه اقترن ببنت الاستاذ . ثم أمره أن يرسل المؤرخ الايكرارى خاطبا عند الاستاذ الادوزى . فتم الامر سنة ١٣٢٦ هـ وكان المترجم يقول : اننى وجدت بركة اذن الشيخ . حين تآخت الزوجتان على ما هو خلاف المعتاد بين الضرات . ثم يسر الله أن ولدت الثانية الفقيه الجهبذ سيدى محمد بن عثمان . فكان خير ذرية .

كان المترجم يزاول فى كل عمره النوازل . وله شهرة بذلك فى بلده وكان يقصد لذلك كثيرا . لقلة ما يأخذه . وليس بذى شره كغالب أقرانه. وكذلك يتولى كثيرا قسم التركات . فتقل جدا نازلة أو تركة فى بلده ليس هو قطبها . وكان نوازليا جيدا . وذا بصر فى كيفية القضاء بين الخصوم

ومحرراته فى ذلك طافحة فى (أكلو) وما اليه .

ثم ان له مع هذه اليد نفسية يحوطها من التورع اطار متين. فقد نشأ كذلك من اول يوم . ثم تطاولت نفسه الى ان يتصوف ليتهذب . وليتذوق مما رأى كتب الفن تدندن حوله . قال : وكنت اميل الى اتباع الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى لان تربيته يؤتى لى انها أسهل من تربية الشيخ الالغى . وكانا معا ممن تطايرت بهما الاخبار . وأنهما من أعاظم الاشياخ الذين يوصلون المريدين الى ربهم على طريق السيروالسلوك. ولما كان بينهما من افتراق المشربين حين كان التاموديزتى هينا لينا واضح المسلك . وحين كان الشيخ الالغى مكرا مفرا مقبلا مدبرا معا . يهذب تهذيبات يتراءى منها بادىء ذى بدء أن لاشفقة فيها . فكانت النفوس تفر منها نفورها من الحق الصراح . الذى يصدم صاحبه . ويصارحه بالحقائق وجها لوجه . اهـ الافتراق بين مشربيهما . كنت الى طريقة التاموديزتى أميل والى اعتناقها أسرع قبولا . غير ان الله يأبى الا ما أراد . قال ان هذه الفكرة خامرتنى من سنة ١٣١٢ هـ حين كنت مشارطا فى مدرسة (أداى) الرسموكية من اجل أننى كنت أخالط هناك سيدى أحمد بن عبد الملك من أحفاد سيدى صالح الفقيه الرسموكى الشهير . الذى هو من تلاميذ أحمد العباسى . فكان التاموديزتى يتردد عليه . لانه من أصحابه . فاتصلت بالشيخ التاموديزتى فتلقنت منه أذكارا . ثم صار يتردد على فى قريتنا ايكرار . فكنت أخفى نسبتى للطريقة الدرقاوية . حياء من أستاذى سيدى محمد بن العربى الادوزى . المشهور بمقاومة هذه الطريقة . وبشن الغارة عليها فى كل موطن. وفى سنة ١٣٢٣هـ حين كنت فى(تاغلولو) ثانيا مر بى الشيخ الالغى فلم أنشب أن أصطادنى بهمته الصيادة . فغرقت فى بحره . ثم صرحت بنسبتى غير آبه لاحد :

فصرح بما تهوى ودعنى من الكنى   فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ثم لما اندمجت فى تربية الشيخ بدا لى مقدار غلطى فى أن تربيته شاقة . كان يربى كل واحد بطريقة غير ما يربى به سواه . ينزل الناس منازلهم حسا ومعنى ويجعل لكل واحد مقاما محدودا . ثم يمد الكل من عطاء ربه عطاء غير مجذوذ بخلاف التاموديزتى . فان تربيته على أتو سديد . وعلى طريقة واحدة . يسلك بها جميع الطبقات . فرضى الله عن الجميع. فالازهار شتى والماء واحد :

خذن جنب هرشى أو قفاه فانه   كلا جانبى هرشى اليها طريق

كان سيدى عثمان هينا لينا كريما . باسط الكف . مضيافا وقورا

منبسطا . فليس من الصوفية المتجهمين . فكانه ليس بذلك العالم الكبير اذا جالس الناس . أو كانه ليس بذلك الصوفى العالى القدم اذا ثافن فى محادثاته التى يرسلها على عواهنها . فقد كنت جالسته مرارا . حين كنت أزور الخالة عنده . ثم صاحبته مرة الى (الغ) فى موسم الفقراء . ثم جالسته ثانيا فى جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ وفى كـل ذلـك كان خلقه رصينا ثابتا يجاذبنى فى المعارف ان فاتحته بها . فأرى منه ما أعهده من كبار العلماء السوسيين . وان فاتحته فى عالم التصوف . فقد فاتحته فى الميادين التى أوتى فيها ما أوتى . وقد برأه الله من كل دعوى لاعلمية ولا صوفية . فلا يتظاهر بأى شيء . فكانه ليس بذى مقامات سنية . بادناها يتبجح المتبجحون . فسبحان من هذب أخلاقه وكساه وداعة ولطفا . والبسه من الخشوع ومبادرة الدمع شارة تأخذ بالقلوب .

أصابته كوارث شتى فى حياته . لكنها كما تطوف الاعاصير بالجبل الراسى فلم تنل منه الا ازديادا فى الرسوخ . ففى آخر رمضان ١٣٣٢ هـ أصيبت قريته مع قرى (أكلو) بنهب الاعراب الصحراويين والبعمرانيين فى الكفاح تحت راية المنضوين الى الهيبة فنهبت داره . وتمزق متاعه . فخرج أهله ولم ينجوا الا بأنفسهم . وحين رجع لم يجد ما يستقبل به حياة أخرى الا ما كان أتى به من مدرسة (ايدغازال) تلك السنة . ثم صابر ورابط . حتى رجع اليه ما كان يألفه . وهو ابن اسرة شبت فى الرخاء . وسعة العيش . أبا عن جد . فلم يحمله هذا الذى أصابه على أن يظهر جشعا وراء النوازل . ولا أن يبيع من دينه ومروءته . وما المحفوظ الا من حفظه الله . فقد عرفت بعض علماء أهله ما تركوا بلدا الا ظهروا فيه بدعواهم العلميـة . ومـا غادروا وراء نازلة استشفاف ما أمكن . وما ذلك الا من جراء ما دهمهم من نهب متاعهم اذ ذاك . هذا والمترجم قنوع مستعف مستغن . ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . لايسألون الناس الحافا . ومن استعف يعفه الله . ومن استغنى يغنه الله .

يحس الانسان متى كان جليسا لسيدى عثمان . أنـه جليس انسان ساكن الطائر . حتى ليحسبه ذا بله . وليس بابله وانما فيه صفة المومن . فكان غرا كريما . وناهيك بعالم كبير . وصوفى مخبت منيب . حال الله بينه وبين الدعوى والتحذلق . فانه اذن لرجل عظيم . مبارك أغر .

ذلك هو سيدى عثمان كانك تراه . ولعلك ان رأيته تراه فى الذروة العليا من هذه الاوصاف كلها .

مكانته العلمية

قد يكون حكمنا المتقدم على تضلع المترجم من المعارف حكما مجردا من البرهان • وقد يظن بنا ونحن لم نخالطه كثيرا : أننا ممن يعسفون • فلكى يدرك القارىء مكانة سيدى عثمان العلمية الحقيقية • أورد بين يديه رسالة من قرينه العلامة ابن مسعود الذى لايمكن أن يرتاب فيه أحد • فلم يكن من البلادة – وحاشاه – فى مقام من يوجه الاسئلة لمن لايعرف انه يقوم بأجوبتها خير قيام • ولو كنا وقفنا على نفس الاجوبة لطلع النهار • ولاتضح كل شىء • ولكننا لم نجد بين ايدينا الا ما فى الرسالة من الاسئلة • وربما يكون فى ذلك ما يكفى لما يتضمنه السؤال مما ذكرناه •

الرسالة

(الاخ فى الله تعلى • والاحب من أجله : الفقيه الذكى النجيب الصفى اللوذعى اللبيب : مولانا أبو سعيد سيدى عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الايكرارى • أمنكم الله تعلى ورعاكم • وسلام على سيادتكم البهية • ونسألكم صالح الدعاء •

هذا ، وقد عرض لمحبكم اشكال فى فرع من فروع الربويات • هو ما ذكروه فى ضبط طعام الربا • من أنه ما وجد فيه الاقتيات والادخار • وقالوا فى الادخار انه فى كل شىء بحسبه • وذلك انه اذا كان المقصود بهذا ضبط طعام الربا كما هو الظاهر من تفسيرهم العلة فى قول الشيخ خليل: (علة الربا اقتيات وادخار) بالعلامة تبعا لما تقرر فىالاصول فىبابالقياس من أن العلة بمعنى المعرف لا الباعث • عاد حاصل الكلام الى ان ما وجد فيه الاقتيات وادخار زمنا ما فهو ربوى • وهذا الادخار يمكن ادعاء وجوده فى كل طعام • فقد قالوا : انه فى كل شىء بحسب الامد المبتغى منه عادة • ولا يمكن أن يبتغى منه الادخار أزيد مما جرت به العادة • فان ابتغاء ما علم أن العادة بخلاف غير معتبر • فاذن كل ما ينتفع به زمنا ما • يمكن ادعاء أن ذلك القدر فيه ادخار • لانه المبتغى منه عادة • فلم يخرج شىء من الاطعمة عن الادخار •

وكذلك قول البيانين فى (الكناية) انها متضمنة للمبالغة • لانها كادعاء بينة • مشكل على محبكم • فانه ان كان معناه أنها كذلك فيما اذا أقر المخاطب بالملزوم كما فى قولك : زيد مهزول الفصيل • أى زيد جواد ألا ترى أنه مهزول الفصيل • وقس عليه • وزد على ذلك أنه غير مطرد فى سائر المواد • منها ما يتعلق انكار المخاطب فيه باللازم والملزوم • فلم يكن

فيه سوق الكناية التى هى التعبير باللزوم كالادعاء بالبينة ، وهى البرهان وذلك كما فى قوله تعلى : (ليس كمثله شىء) على أحد الوجوه ، فان نفى المثل مساو لنفى مثل المثل ، فى أن أحدهما ليس يتوصل به الى الآخر ، فان منكر انتفاء المثل ، منكر لانتفاء مثل المثل ، كما لايخفى ، فتأملـه ، وأيضا قد يدعى أن الاستعمال ليس المقصود فيه من الكناية الا زيادة التصرف ، وقد لايخطر فى نفس السامع ، بل ولا المتكلم سوقها مساق الاحتجـاج ، اللهم الا أن يكون ذلك كله بحسب الاصل فيها ، ثم توسع فيها ، وكذلك اثباتهم للقسم الاول من أقسامها ، وهو ماليس مقصودا منه ولانسبة كقوله :

(والطاعنين مجامع الاضغـان)

غير ظاهر ، وقد قرره الدسوقى بعد أن استشكله بان مَجامع الاضغان مصدوقه هو القلوب ، فهو حقيقة لاكناية ، ان المراد من المجامع الصفـة وحدها ، أى الجمع ، ثم ينتقل منها الى القلوب ، ولابـن يعقـوب فى شرح (الجوهر) فيه كلام لم يشف الغليل ، ووجه اشكاله : أن المشتق موضوع للذات والحدث حسبما تقرر فى فن الوضع وغيره ، فأى فائدة فى تجريده من الذات ، ليتوصل الى الكناية ، وأى دليل على قصد هذا ، عـلى تسليم أنه ليس تكلفا ، مع أنه يمكن حينئذ ادعاء الكناية فى جميع المشتقات ، ولا خفاء فى بعده أو بطلانه ، فان قيل يخص بنحو مجامع الاضغان فى البيت المستشهد به ، فيما كان الغرض فيه الاشارة الى أن القلوب لكونها محـلا للاضغان جديرة بالطعن لها ، ولكون الوصف هو المفيد لذلك جعل اللفظ دالا عليه ، متنقلا منه الى الذات ، قلنا : هـذا وحده لايوجب القول بدلالة اللفظ على خصوص الصفة ، فان المشتق مع دلالته على الذات يفيد بالصفة التى هى جزء منه الأشارة الى العلية ، كما تقرر فى الاصول : ان تعليـق الحكم بالمشتق ، يوذن بعلية مامنه الاشتقاق ، ولم يشترطوا تجريده مـن الذات ، بل لو جرد عنها لخرج من كونه مشتقا ، ولزم تعميم الحكـم فـى المشتقات ، والمصادر المحضة ، ولم يقولوا به فيما علمنا ، وقد اسقط الشيخ الدردير فى (رسالة البيان) ذلك القسم فى الكناية ، ولايبعد أنه لمثـل هذا فعل ذلك ، وأعرض السؤال على شيخنا الفقيه الاكبر سيدى أحمد ، وادعوا معنا ، واقرا منى السلام على الاخ السيد ابرهيم بن محمد ، وأخيه سيدى محمد ، وكذا على أولاد شيخنا سيدى أحمد ، وأحمد لهم السلامة على اطلاق السيد ادريس ، وعلى أخيكم سيدى عبد الله ، والله تعلى يحفـظ حرفة الجميع ويجمعنا واياهم والاحبة فى المقام الرفيع بمنه ، وكرمه آمين والسـلام ،

وكتب محبكم لله تعلى الى لقاء الله ، والكمال على الله : الضعيف محمد ابن مسعود الطالبي ، كان الله له وليا ، وبه حفيا آمين ، مستمطرا من صالح دعائكم ، فانه لاعذر فيه .

نعم واذا بعثت جوابا عن هذا السؤال ان تحرر لكم ما يحسن كتبه عنه ، فابعثوا الينا نسخة من هذا السؤال ، وهذا القرطاس بعينه ، وقد وقفت فى تأليف (١) للامام أبى العباس العزفى رحمه الله ، فى مناقب ولى الله المشهور سيدى أبى يعزى المغربى ، رضى الله تعلى عنه ، ونفعنا به آمين على ما يفيد جواب ما كنت ذكرته لكم من الاشكال فيما يفعله بعض الشيوخ المسلكين فى العصر من الانكار على بعض الفقهاء بحضرة الناس ، مع كون ما يتكره مختلفا فيه أو مندوبا ، وذلك أنه قال ما نصه :

وصل الى الشيخ الصالح أبى يعزى كتاب من الشيخ الصالح الفقيه أبى شعيب أيوب نزيل (أزمور) المعروف بالسارية ، يلومه على كشف أسرار المسلمين ، وينهاه عن هتك أستارهم ، ويتقدم اليه بمثل قوله عليه السلام : من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، وقال له : ياتيك الزوار والوفود فتقول لهذا : فعلت كذا ، ولهذا فعلت كذا ، ولهذا كان منك كذا ، ولهذا أنت الذى تفعل كذا وكذا ، اتق الله فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، أو نحو هذا من القول ، قال فأخذ كتابه لما قرىء عليه ، وقال للحاضرين عنده من الزوار والوافدين (مازيغ دا مغار أبو شعيب) ومعنى هذا باللسان العربى : مولاى الشيخ أبو شعيب يلومنى على اخراج أسرار الناس ، وفضيحتهم لقبح أعمالهم ، وهل هذا فى قدرة بشر ؟ أو فى وسع أحد أن يعرف أعمال الناس وأفعالهم فى الغيب ، حتى يفضحهم بها بين الاشهاد دائما ، انما هو شىء يلقى الى ، وأوخذ بقوله ويقال : انما أنت آية من ءايات الله تعلى ، والمراد منك أن يتوب الخلق على يدك .

وقال لى ابنه أبو محمد ، وقد حدث بنحو من هذا عن الشيخ أبى شعيب ، وقال فى آخر الحديث : انى لاأقدر على الكف عن هذا ، وانا مغلوب عليه : أنخس وأغمز ، ويقال لى قل فأقول ، وهذا عذر واضح ، وحق لائح ، اه الح ما يشير اليه من أول الكلام ، ولفظ ما يشير اليه منه نصه :

ومن أعجب الاعاجيب وأوضح الشواهد على أنه عن الحقيقة ناطق ، وبلسان العلم مجيب ، ما حدثنى به الفقيه الفاضل ، أبو الصبر رحمه الله

---

١) قف على هذا المؤلف ، فانه غريب عزيز .

تعالى . قال وصل الى الشيخ الصالح ابى يعزى الخ انتهى . قال كاتبه محمد بن مسعود الطالبى كان الله له وليا آمين : أن ما كان منه من ذلك كان عن اذن خاص . وان خالف ظاهر الشرع . وهذا مثل ما ذكروه في الفرق بين معصية الولى . ومعصية الفاسق . من أن الاول يفعل عن الاذن دون الثانى . لكونه محجوبا . وبه يعلم أن معاصى الانبياء كآدم عليهم السلام ليست معاصى حقيقية . بل بحسب الصورة لحكمة يعلمها الله تعالى . كما نبه عليه بعض العارفين فيما أظنه . وأظنه للكرمانى وغيره . كالقاضى عياض فى (الشفاء) راجع حاشية (الصاوى) على (خريدة) الدردير ، فى التوحيد والله تعالى أعلم . وبه التوفيق . قيده مذاكرة معكم لا ليزيد به ما لم يكن عندكم . أخوكم الضعيف محمد ، كان الله له آمين) .

انتهت الرسالة التى اخترنا سوقها ، لامور ، منها : أن نعلم مكانة المرسل اليه . حين تصدى الاستاذ ابن مسعود بمثل هذه الاسئلة له . وقد ذكرنا ذلك . ومنها أننا لم نكن ذكرنا نماذج من أبحاث ابن مسعود فى ترجمته . فأردنا أن نستدرك ذلك هنا وفى غير هذا المحل كلما سنحت فرصة . ومنها : أن يعلم الباحث كيف مراسلة علماء سوس الاخيرين فى أمثال هذه البحوث . وهذه الامور كلها دعتنا حتى أدخلنا بين يدى القارىء الذى لا نأمن ثورته علينا فى مثل هذه المراسلة العلمية التى تكون فى كتب التاريخ التى تروج اليوم بعيدة . ولكننا نعلم أنه ان نظر بمثل نظرتنا سيخفف من لومه والغاية تبرر الواسطة . وربما يجد بعض القراء ممن كانوا على مذهب المحدثين الحق شيئا لا يرضاه فى آخر الرسالة . فنقدم له الاعذار . ثم نقول له : يجب على الانسان أن تتسع حوصلته . ثم ذلك لا يبطل حقا . ولا يحق باطلا . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وظيفة المترجم اليوم

انتظمت العدلية فى (تزنيت) سنة : ١٣٤٤ هـ فانتخب العدول من كل قبيلة . فكان هذا الاستاذ وآخران هم المنتخبين عن قبيلة (أكلو) ولا يزال على ذلك الى الآن . وقد لفحته لفحة من سنوات فتثقف فى (المركز الحكومى) أسابيع قليلة . ثم أطلق سراحه وذلك قلما يفلت منه اى عالم سوسى اليوم . ما دام التثقيف يقدم قبل جريان التحقيق . أطال الله عمر الاستاذ وختم علينا وعليه بالايمان والاسلام . فانه اليوم يناهز الثمانين . غير أن قوته لا تزال متماسكة رغم العقود الثمانية .

(ثم انه أسلم روحه رضى الله عنه ضحى الاثنين متم ربيع الثانى : ١٣٦٨ هـ فصلى عليه الفقيه ولده سيدى محمد الآتى بعده . فدفن ازاء

زوجيه فـي مقبرة القريـة قرب قبة سيدى عبد الرحمن • وكـان يجلس دائما عند صلاة العصر هناك • وقد كان ينشد حين يقابل قبرهما :

لله أيـام تقضت بكـــم ما كان أحـلاها واهناهـا

وقد خلف ولده محمدا • وبنتيه ربيعة : قرينة الفقيه سيدى عبد الله العوينى • وخديجة : قرينة القاضي سيدى ابرهيم بن محمد الايكراري •

اعتناقه للطريقة الالغية

رأى القراء فيما تقدم كيف اتصل المترجم بالشيخ الالغي بعد ما ذاق الشربة الاولى على يد التاموديزتى رفيق الشيخ وقرنه • ثم رأى كيف فنى فى التصوف • فطلق كل عنجهية الفقهاء وفخفختهم • وتعاليهم بمعلوماتهم فكان خير مريد للشيخ : اسلاس قياد • وحسن ظن • حتى انه لا يقدم على أى شىء الا باستشارته • وقد رأى القارىء بعض ذلك • وقد تحلى بحلية الفقراء • وتزيى بزيهم • ولازم اخباتهم وانابتهـم • فيغلب عليه الخشوع والبكاء فى المجالس • وعند لقاء اخوانه وعند فراقهم • وقد اجتمعت معـه مرارا بعد انطلاقى من النفى • فرأيت بعينى كيف الرجل ، حتىأنى لأحس بأن تلك الترجمة المتقدمة التى كنت كتبتها وقت النفى يظهر لى أنها دون قدره • فما أنس لا انس بياتى معه فى دار الشيخ الرئيس فى (العوينة) ولا كيف ظل معنا يوما آخر فى داره بـ (ايكرار) ولم يكن يفارقنى رحمـه الله • كلما خطرت هناك الى أن فرق بيننا الحمام • وما كان يراعى متى الا جانب شيخه ، فتصلنى عنه محبة نبعت من محبته واكباره لشيخه • وكم بكى يوما وقد ودعنى حتى تعجب ولده سيدى محمد من بكائه • وقـد كان له أيضا عند الشيخ نظرة خاصة • وقد وقفت على قطعة خاطبه بها وهى :

أعثمان حزت زى حلية عثمان خليفـة خـير المرسلين ابن عفان
بانجاز وعـد للاحبة باللقـا من الواجب الذى على كل ربـانى
ومطل الغنى الظلم قد جاء مسندا فلا تـك موسوما بوعـد وبهتان
اذا جاءك المرقـوم فلتات ولتكـن خطاك خفافا تطف أشواق نـيران

وقد ذيلها ابن مسعود بقوله :

برؤية أوجه حسان يزينهـا من النور ما افاضه بحـر عرفان
تزيح أبا عمرو عن اللب ما انطوى عليـه من أكـدار وأغشية الران
فيغدو لاصلـه من الحسن والبهـا ويرقى الى أوج الكمال بايقـان

وقد كان مرة ابن مسعود مع الفقراء سائحا فـى (أزاغـار) فاستدعاه

بهذه القطعة التى فزت بها اخيرا :

هذى الجنان مفتحات البـاب — زخـرت بحـور خرد أتراب
وقلوب أهل الله تسكر بينهـا — بمروق المشروب فى الاكواب
كل لـه حظ فهـل لك أن ترى — حظا لقلبك بين ما الاحباب ؟
فاقدم على عجل أبا عمرو تحز — من بينهم نفحات خير شراب
فعليك خير تحية تهمى على — ذاك المقام كهاميات سحـاب

ثم ان سيدى عثمان لازم زيارة زاوية شيخه بـ (الغ) فى حياته • ثم لاينقطع أحيانا عنها حتى أعيا وأسن • رحمه الله ورضى عنه •

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم الفاضل الفقيه الكامل سيدى عثمان بن أحمد بن محمد الايكرارى نفذت الاحكام برأيه • وكان لايداهن • ولا يدع قول الحق • وكـان أحفظ الناس لمذهب مالك • أخذ عن علماء وقته • وكان على هدى • وسيفا فى الحق مجردا على أهل الاهواء والبدع • غيورا على السنة • شديدا فى ذات الله •

الحمسون ـ محمد بن عثمان ابن المذكور قبله

أحد علماء (أزاغار) اليوم • المشار اليهم بالاصابع • وقبلة العيون ان التفت عليهم المجامع • تناول راية المجد الخفاقة باليمين • واستوى على منصة العرفان استواء بشر بن مروان على العراق • وسيزداد مكانة بهمته وتعاليه الى الشفوف حتى يكون له ما يكون ان استتم معلوماته • وهذب من تعاليه• واستنار باطنه كما استنار ظاهره • ومن يعش يره •

ولد فى منتصف شعبان ١٣٣٧ هـ وهو سبط الاستاذ محمد بن العربى الادوزى • وهو من الذكور وحيد والديه • ولكنه قرة العين • يكفى مثلـه الوالدين ولو لم يكن الا وحيدا • فأم الصقر تقر عينا بوحيدها وان لم تكن الا مقلاتا نزورا • حدثنى والده حفظه الله أنه تركه فى الدار حملا • وأمـه مقرب • فسافر الى (الغ) ليحضر موسم شيخه الالغى • قال فحدثنى ونحن هناك الاستاذ محمد ابن مسعود : أن الشيخ ذكر له : أن فلانا قد ازداد عنده اليوم ولد ذكر • فحين رجعت وجدته ولد فى ذلك اليوم الذى بشر به الشيخ عن ظهر غيب •

متعلمه للقرآن

أخذ القرءان فى مسجد القرية عن الاستـاذ الحسين البعمرانى • وبـه

تخرج كما حكى لى والده فاه الى اذنى .

مآخذه العلمية

كان انقطع الى الفقيه الاستاذ سيدى محمد بن أحمد الايكرارى فى المدرسة (التالعينتية) فكان يتلقى هو وابن الاستاذ ابرهيم المتقدم الذى هو لدته . فانهما كفآن . يعادل كل واحد منهما صاحبه . وتربان تراضعا أفواق الاستاذ الايكرارى . ولذلك نجد بين معارفهما ومتجهاتهما وأخلاقهما وتفكيرهما تشابها كبيرا . كما أسمعه عن الاستاذ ابرهيم . فأقيسه على ما رأيته من المترجم ـ وشبه الشيء منجذب اليه ـ

لازم الاستاذ الايكرارى الى أن أجازه بعدما استجازه بقوله :

انى استجزت شيخنا المرتضى	من كل ما يرويه عمن مضى
من كل مقرو حديثا ومـــا	لـه التشبث بفصل القضــا
والنحو والتوقيت أو غيرهــا	لازلت سيفا فى العدا منتضى
وعمـم القـول وبـين لنـــا	سلسلة تزرى بزهر الفضا

فاجازه بما نصه :

(حمدا لمن بغرر محامده تتجمل جباه المبادى . وبدرر ممادحه تتحلى نحور المطالع فى صدور النوادى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى . وعلى آله الحاضر منهم والبادى .

وبعد : فان أكمل الكمال فى الاقوال والافعال . التحلى بحقائق العلوم . والتحقق بفرائد المعارف والفهوم . فلذلك أرسلت جياد الجد والاجتهاد فى تحصيل عجائبها . وامتطى غارب الاغتراب فى تأثيل غرائبها . فكان ممن سقى برحيق سر غصنها الرطيب . ووشى ببديع طرازها القشيب . واسطة قلادة الاذكياء . ونتيجة دوحة أسلافه الاسرياء . العلامة الالمعى . والفهامة اللوذعى . أبو عبد الله : سيدى محمد بن عثمان بن أحمد الايكرارى . وقد رام منى ـ دام أنسه . وزكا غرسه ـ أمرا خفيت رموزه من قضاياه . واستترت كنوزه من خباياه . وهو : أن أجيز لـه ما صحت لى روايته . وتأيدت بسنده المتين درايته . فأحجمت عن هذا المطلب العزيز . واستعظمت أن أجاز فضلا عن أن أجيز . فأبى الا اسعافه فى مسألتـه . والاجابـة الى تحصيل قضيته . فأسعفته اسعاف المكره لا البطـل . واعملت أقلامى فى الاعراب لو كان لها عمل . فقلت مستعينا بالله . وعليه التكلان . بعد أعوذ بالله من الشيطان :

بعد حمد الاله حمدا كثيرا ... وثنائى مكبرا تكبيرا
اننى قائل لمن رام منى ... راغبا ياخذ الرواية عنى
قد أجزت به لأى فقيه ... عالم عامل بلا تمويه
فاشهدوا كل من بمجلس درسى ... أننى قد أجزت من غير لبس
للتقى النقى نجل كريم ... سيد نابه عليم حليم
نجل عثمان نجل أحمد يسمى ... بمحمد للاماجد ينمى
بالمقر (ايكراز) فى وسط سوس ... منبع للعلوم والتدريس

ثم أقول : وعلى الله الاعتماد ٠ ومن فيض كرمه الاستمداد ٠ قد أجزت للعلامة المذكور جميع ما تجوز لى وعنى روايته ٠ من مقرو ومسموع ٠ ومجاز وفروع واصول ٠ اجازة تامة مطلقة ٠ عامة ٠ بشرطها المالوف ٠ وسننها المعروف بين أرباب الفن ٠ وقد أخذت عن أعلام شيوخ ٠ وجهابذة تمكن ورسوخ ٠ منهم الامام الشهير ٠ والصدر الكبير ٠ خاتمة الحفاظ الاعلام ٠ وواسطة قلادة أئمة الاسلام : سيدى محمد بن العربى الادوزى ٠ وحفيده أبو فارس : سيدى عبد العزيز بن محمد المرابطى الادوزى ٠ فهما العمدة فى الاملاء ٠ وسرهما معى فى كل الاناء ٠ رحمهما الله تعلى ٠ وأفاض علينا من بركتهما فى ءاخرين ٠ كسيدى مسعود الطالبى ٠ وسيدى محمد الهرواشى ٠ وسيدى ابرهيم أبى الجمال ٠ وخالى سيدى أحمد بن ابرهيم ٠ وسيدى البشير التادارتى ٠ (ثم ساق منظومة ضادية تتضمن هذا المعنى بعينه ٠ ثم قال بعدها) كتبه فى ليلة الثامن من شوال عام ١٣٥١ هـ محمد بن احمد ابن محمد بن محمد الايكراوى ٠)

ثم انتقل المترجم من عند استاذه هذا الى المدرسة (الادوزية) عند الاستاذ سيدى المحفوظ ءاخر علماء (أدوز) الكبار ٠ فعليه تلقى الدراسة العليا ٠ وبه تثقف فى البيان والاصول والافتاء والنوازل ٠ وكيفية البحث وءاداب المناظرة ٠ فاقتبس منه الصلابة فى الرأى ٠ والوقوف مع مايعرفه ثم لايتزلزل عنه حتى يرى الحق عيانا فى غيره ٠ وقد اعتنى به الاستاذ الادوزى هو وطبقته اعتناء خاصا ٠ فلم يدع فنا من الفنون التى يدرسها الا مر بها معهم ٠

ذكر لى سيدى عثمان أن الاستاذ من كثرة اعتنائه بالمترجم لما يراه من حرصه على المعارف ٠ ربما يفرده ببعض أنصبة فى فن من الفنون ٠

من الاستاذين الايكراوى والادوزى المذكورين : استقى المترجم ٠ الا أنه استجاز بعد ذلك ابن عمه الفقيه الفلكى : سيدى الحسن بن عبد الرحمن فأجازه بما نصه :

الحمد لله الذي يجازي بالخيرات الوافرات على الحسنات ، المجيب لكل سائل ، والمعطي جميع المسائل ، والصلاة والسلام على منبع العرفـان ، وذروة سنام المجد ، وتاج الدهر ، وسر الاكوان ، سيدنا محمد صلاة وسلاما دائمين متلازمين في كل أوان ، وعلى ءاله وأصحابه البررة النجباء الائمـة الاعلام .

هذا فقد أشهدني الفقيه الشريف الاجل ، العالم الموقت وقتا بـ (البيضاء) الامثل : أبو علي سيدي الحسن ابن العلامة سيدي عبد الرحمن الايكراري انه أجاز أخانا العلامة الهمام ، الحلاحل الفهامة ، الذي فاق أقرانه من الانام أبا عبد الله : سيدي محمد بن عثمان الايكراري ، اجازة مطلقة تامة عامة في كل ما تصح له فيه روايته ، وتجوز له درايته ، من أصول ومعقول ، وفروع ونحو وصرف وبيان وتوقيت ومنطق ومعان ، لم يستثن له في ذلك فصلا ما ، بحق رؤيته اياه أهلا لذلك ، وبحق أخذه بالاجازة المطلقة من أشياخه ، كسيدي محمد بن عبد الرحمن الايكراري ، وشيخه الفقيه سيدي عثمان ، وخاتمة المحققين الولي الصالح سيدي محمد بن مسعود ، عن والده ، وهـو عن شيخ الجماعة سيدي العربي الادوزي ، كما أخذ أيضا بالاجازة عن سيدي محمد بن العربي الادوزي ، وعن الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الرحمن عن والده سيدي عبد الرحمن الجشتيمي ، وهو عن والـده سيدي عبد الله شارح (الشفاء) وأخذ سيدي محمد بن مسعود أيضا عن سيدي محمد أباراغ كما أخذ سيدي محمد ابن مسعود أيضا عن سيدي أحمد بن ابرهيم الايكراري عن أبيه عن سيدي الطيب بن كيران الفاسي ، اجازة تامة بشرطها المألوف ، وسننها المعروف ، كتبه من أذن له المجيز في الكتابـة ، لسبب اقتضاه ، في ٢٥ ذي القعدة ١٣٥٦ هـ عبد ربه ابرهيم بن محمد بن أحمد الايكراري ، ثم يليه بخط المجيز ما نصه :

(قاله وأذن في كتبه : الحسن بن عبد الرحمن الايكراري أمنه الله)

مشارطاته

تخرج المترجم بعد : ١٣٥٠ هـ فوجد والده يدب اليه الهرم ، فوجب عليه أن يتحمل أعباء الاسرة ، واذ لم يكن له الا المشارطة والجولان في النوازل أقبل عليهما اقبال الجلد الذي لا تنوءه أعمالهما ، فشارط في مدرسة (سيدي محمد بن داود) من قبيلة (انمستيتن) بـ (بعمرانة) سنة ، وذلك ١٣٥١ هـ ثم عرض له عارض ءاخر ، حوله الى وجهة أخرى ، لتبدل الاحـوال بعـد احتلال (بعمرانة) وجبال (جزولة) ءاخر ١٣٥٢ هـ فلم يكن بعد حرا فـي المزاولة الا بالوظيفة الرسمية ، فلذلك مد عنقه للنير .

وظيفته الرسمية

كان والده حفظه الله من العدول الرسميين . منذ انتظمت العدلية . ثم لما تقدمت به السن . وقارب الشيخوخة التى تعقل صاحبها عن الاقبال والادبار ـ وهذا محور تلك الوظيفة ـ دفع بولده هذا . فرشحه القاضي بـ (تزنيت) الى (الرباط) فأدى هناك فى الوزارة العدلية الامتحان . فنجح غاية النجاح . فتسلم العدالة عن جدارة . فها هو ذا فى قبيلة (أكلو) مع الاديب الطاهر السماهرى يصدران ويوردان . والعدل فى البادية يكاد يكون نائب القاضى فى جهته .

بيني وبينه

كان من أبناء الخالات كما يرى القارىء . فكانت أسباب التعارف متوفرة . وان لم تكن متجاورين سكنى . ولكننى من حين طلقت (سوس) ابتعدت عن كل أهلنا الاقارب والاجانب . فشرقت وهم مغربون . ورحلت وهم مقيمون . وشتان ما بين مشرق ومغرب . وراحل ومقيم . فلذلك تأخر التعارف بيننا كثيرا . اذ كنا معا ناشئين . حتى اذا بلغ كل واحد منا أشده واستغنى عن المسح شاربه . وجدنا الحال فى بلدين بعيدين . لاتزاور بين من فيهما الا لماما .

ثم زارنى فى (مراكش) بسبب رحلة له الى (فاس) . يقصد بها أن يتجول ويرى العالم خارج مسقط رأسه . فثوى عندى ما ثوى . أياما قلائل فأتذكر أننا كنا أمضيناها كلها فى مذاكرات حول فنون شتى . خصوصا فى أدبيات متنوعة . فرأيت منه فهما صيادا للمعالى . وفكرا غواصا فى الاعماق يستخرج الدرر . وعقلا مرنا فى الفقهيات يقل نظيره فى طبقته . كما رأيت منه قبولا كثيرا للازدياد فى الرقى فى مدارج المعارف . كما كان يحبه هو بنفسه . لو لم يكن مقيدا بما قيدته به الاسرة . الملقى عبئها على كاهله . على أننى مع كل هذه الاعذار الواضحة أحثه على أن يتناسى كل شىء ليستتم ما لابد منه . الا أن الدهر لايساعف فى كل وقت .

ثم لاقيته ثانيا فى (تزنيت) واذكر أن (روضة الافنان) للاستاذ الايكرارى رأيتها يومئذ فى يده . وهى أول مرة رأيتها فيه . فكتبت عليها كتقريظ القافية المتقدمة فى ترجمة المؤرخ الايكرارى . وقد تداولنا أيضا اذ ذاك أبحاثا طلية استفيد بها منه كثيرا . لولوعه بالتثبت وبالمجاذبة للحبال شنشنة جبل عليها . فيوتى ذلك لمثل فوائد عظمى من مثله . فازددت

سرورا بنبوغ ابن الخالة ، ويعجبنى منه وراء ذلك ما عرف به من تعال زائد على الادنياء والبلداء وما أكثرهم . فلم يتماوت ولا اذل مكانته بالتواضع الزائف . الا اننى لا أزال أحبذ له زيادة فى الحواضر غير ان العذر لا يزال قائما .

كذلك ابن الخالة ابن عثمان . ذو الابهة العلمية فى كل أحواله : فى لبسته ، وفى مشيته وفى كل هيئته . وهل ذاق حلاوة العلم من لا يحجم عن مواقف المهانة !

ثم فى هذه السنة : ١٣٦١ هـ زرته فى داره - كما بينت كل ما جرى بيننا فى (الرحلة الاولى) من كتاب (خلال جزولة) فبعد ما تجارينا اطلاقا . رأيته يتحسر على عدم تيسر الاستزادة من الحواضر . فقلت له : اما الآن ، والعالم مكفهر بهذه الحرب . فلا . فابدى النهم الشديد الى الحديث . فدللته الى الاقبال على (الموطأ) بشرح الزرقانى . فانه سداد من عوز . والكتاب فى فقه مالك . وهو عارفه . فيكون ذلك أكبر معين على ما يريد . فانشدته فى معرض تقويم نفسه بنفسه :

وكنت كذى عر تطلب جهده   طبيبا فلما لم يجده تطببا

قلت له : تبلغ بهذا الى أن يواتى الدهر . اصبره بذلك . لانه ربما يقول اننى أعزم على طلاق كل شىء فى سبيل ترويق عقارى كما أريد .

هكذا أعرف الاستاذ الذى لم يقف بعد . فدل ذلك على همة بين جانبيه عجيبة . واقدر ان أقول : اننى ما رأيت مثله بين شبيبة ناشئين الآن رأيتهم فى تلك الجهة يقنعون بما كانوا حصلوه . ويكتفى أحدهم بما كان أخذه من مدارس (سوس) فيلوى رأسه تحت طى جناحه . بل لا يزال كلما رأى علياء يتوقل اليها . وكلما آنس فنا يتفوق به عليه متفوق . يتطاول الى أن يحصله . وهكذا هكذا والا فلا لا .

اما ما جرى به القلم بيننا . فانه ليس هناك . ولكن لابد من سوقه على علاته . لان كل واحد منا انما كتب ذلك لوقته لا ليبقى للتاريخ . ولكن التاريخ مصاص لكل ما كان كيفما كان .

كتب الى والى الاستاذ الحسن البونعمانى من (سوس) الى (الحمراء) أثناء رسالة :

ياكتابى اذا وصلت لحمرا   ء فسل عن امامنا المختار
وادن منه وقبل الرأس والكـ   ـف ، ونب عن خديمه الاكرارى
وتادب ان جئته ثم لا تنـ   ـس مديرا لخمرة الاشعار

ذلك الحسن الفعال امام الـ ـحائزين العلياء في المضمار
فهما للجليس والله أشهى من لطيف الشذا من الازهار
وهما للجليس أشهى من الغيـ ـد الحسان العقائل الابكار
فبذكراهما الفؤاد تسلى عن حديثي بثينة ونوار
بهما كنت دائما أتفصى من حزازات هذه الاغيار
نلتما اليوم في السيادة شأوا لم يكن في سوالف الاعصار
ومقاما من المجادة فذا لم ينله أفاضل الاعصار

ثم أفرد الاديب البونعماني بقوله :

ما على هكذا افترقنا بحمرا ء ولا هكذا أخا الاحرار
لا ولا هكذا سجايا (بني مسـ ـعود) أصل الاماجد الابرار
لم أشم من جنابه من كتاب باح فيه بسره والجهار
ليت شعري أودهم مثل ودي أم ودادي قد فات حد اعتبار
ليتني الدهر لا أفارق أرضا ضمكم يا سلالة الاخيار

بهذا كتب الينا : ١٣٥٣ هـ ثم لم أجبه الا بعد حين بقولي :

ما نسيم مصافح الازهار نديات محلولة الازرار
في صباح الربيع واليوم طلق تتناغى صوادح الاطيار
ليس هذا النسيم في اللطف أذكى من قريض العلامة الا كمراري
من قواف كما تسوى عقاص مرسلات على رشا خطار
ومعان كأنما تمزج الخمـ ـرة من ظلم شادن خمار
تتلألأ الالفاظ من بينها مثـ ـل سماء تلألأت بدراري
أتملى منه نشيدا كأني أتملى بمبسم وعذار
يضح الود ناصعا من ثنايا ه كمثل الحباب بين العقار

* * *

أيها الشاعر الكبير المجلى أن تجارى الاقران في المضمار
قد تناهيت رقة وصفاء ووداداً على ابتعاد الدار
كيف تبغي وأنت أنت فريد رافع الشان نخبة الاخيار
ان ترانا في مستواك فأين الـ ـجذر في أرضه من الاقمار

زهرات الدفل وان أعجبت لي ـــست تضاهي نوافح الازهار
انجلى يومنا الغبار لذى الاعـ ـــين عن ذى طرف ورب حمار
فرأى الناس كلهم نجل عثما ن على المعدى والمختار
كيف يخفى الابدار في الجومن نو ر هلال ممحق بالسرار
فاعذرنا فقد بدا لك ما كا ن خفيا من واضح الاعذار
وسلاما كالمسك ينفح أو كالـ ـــورد بين الرياض في الابكار

هكذا كنت قلت هذا الجواب في شبه مداعبة ، في هذا الاسلوب • وهل يليق للاخوانيات الا مثل هذا الاسلوب ؟ واكل مقام مقال •

فللفصاحة أقوام لها خلقوا وللفهاهة أقوام وميدان

ومما كتب به الىّ المترجم اثر فرقة وصيته قبلها بالاعتناء بالحديث وما اليه في مكتوب منى اليه هذه الرسالة :

(أدام الله مجادة قطب زمانه • وغوث أوانه • ياقوتة العصر • ونخبة الدهر • الفقيه العلامة المحافظ الحجة الفهامة • امام المحدثين • وشيخ الاسلام والدين • انسان عين الكمال • ودوحة المجد والافضال • المؤرخ الكبير • والبدر الواضح المنير • جامع الفنون الغريبة • المتوغل في معارف العلوم العجيبة • الكريم النجار : مولانا وسيدنا محمد المختار • نجل الشيخ الاكبر • ذاك الولى الاشهر • لازالت أعلام مجدكم ظاهرة • ومحاسن فخركم باهرة • والسلام التام على مقامكم الرفيع • وجاهكم المنيع •

وبعد فقد ورد علينا من سيادتكم كتاب كريم • لم يال لنا فيه سيدى نصحا وارشادا • جزاكم الله عن الامة خيرا • فثملنا من سلافة محاسنه اللفظية • ومحاسنه البديعية • عليه من جواهر المعانى تاج مكلل • يحيى رميم الهمم بالفاظه اللطيفة • وفواصله المستعذبة الشريفة • كل فاصلة منه درة ثمينة • وجوهرة لها في سوق الادب أغلى قيمة • فقطع عزم فكرى عن أن يشرئب في الجواب الى محاذاته • أو يطمع الى محاكاته • فهرع الى قطعة من قصيدة الاديب عبد ابن أحمد أبى تمام الطالحى الحنبلى • فقدمها بين يدى نجواه فقال :

يـا واحدا أعربت عنه فضائله
وسار في الكون سير الكوكب السامى
في نعت فضلك حار الفكر من دهش
وكل ظام روى من بحرك الطامى

لا يرتقى نحوك السارى على فلــك
فكيف من رام أن يسعى بأقـدام
منك استفاد بنو الآداب ما نظموا
وعنك ما حفظـوا من رقـم أقلام
لما رأيت كتابـــا أنت كـــاتبه
وأضرم الشـوق عنـدى اى اضرام
أنشـدت قلبى هــذا منتهى أربى
أعـاد عهـد حياتى بعـد أعــوام
من ذا يوافيه فى رد الجواب له
عـذرا اليـه ولـو كنت ابن بسام
لا زال شانك فى امن وفى دعة
ودام عـزك فى سعـد وانعــام

هذا فلازلت استعذب ما أفادنيه سيدى من علومه الجمة ٠ العزيزة المهمة٠ وفوائده الكثيرة ٠ ومنافعه الاثيرة ٠ الى أمثال شعرية ٠ قلما نجد لها مثالا٠ لايأنس بها الجاهلون ٠ ولا يعقلها الا العالمون ٠

أغير المجد يطلبه الهمام ؟ أبعد العلم مرتبة تــرام ؟
على لكل ذى علم ذمــام ولى بمدارك العلم اهتمـام
وأحسن ما لدى لقـــاء حر وصحبة معشر بالعلم هامـوا

أحلف بالله سيدى ـ وأنا صادق ـ أنالفتح حليف مذاكرتكم٠ ورهين محاورتكم ٠ ولقد نفعنى الله بكم فى هذه البرهة القليلة بمـا لا أظـن انى أستفيده مع الغير فى أعوام عديدة ٠ وطربت لذلك ـ كما طرب النشـوان مالت به الخمر ـ وعرتنى حين كتبى هذا هزة الشوق ٠ الى الاستزادة من ذلك (كما انتفض العصفور بلله القطر) وامتزجت تلك الاستفاداتالعزيزة بخلدى (كما التقت الصهباء والبارد العذب) لاسيما ما الى علم الحديثالذى مات بسوسنا فى القديم والحديث ٠ فقد سهلت لنا سيدى طريق الدخول اليه كتابة ومذاكرة ٠ وياليته يتيسر اتمام الموضوع فيه معسيادتكم٠ لكن :
(ضيعت حزمى فى ابعادى الامــلا)

وقد بادرت الى ارشادكم ياسيدى ٠ فثابرت على نصاب فى (الموطـا) مع شرح العلامة سيدى محمد الزرقانى ٠ لكـن (ليس التكحل فـى العينين كالكحل) وما أجدرنى بقول القائل (لقـد حكيت ولكن فاتك الشنب) ٠

ولا أقل من التمسكن ، حتى يحصل التمكن ، واين أنا من قوله :

اذا المشكلات تصدين لى كشفت حقائقها بالنظر
ولست بامعة فى الرجا ل أسائل ذاك وذا ما الخبر

نعم عن لى أثناء المطالعة اشكال فيما يتعلق بالحديث ، وهو :

(هل جاز لدى أئمة الحديث لمن يعمد الى نسخة صحيحة فى ظنه وحصل بها الثقة من عدم التبديل والتغيير ، مع الضبط والاتقان متنا وسندا بالشكل ومعونة الشرح ، كالنسخة المعلومة من البخارى المضبوطة ، ان يتخذها ويرويها من غير سند يوصله اليها ، أم لابد من سند يوصله اليها على طريق المحدثين ، ولا أراه الا أنه يجوز قياسا على المرسل ونحوه مما لم يتصل ، نحب سيدى أن يتفضل ببيان ما للمحدثين فى هذه العقبة التى تقابلنا أمام المراد :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وبطى الرسالة : الورقة التى فيها نسب سيدى أحمد بن ابرهيم السملالى ، بخطه المعهود ، ونرجو ان لا ينسانا سيدى فى دعواته الصالحة بسعادة الدارين ، كما نرجو أن يسلم منا على السادة الاخوان ، وبالاخص سيدى محمد الخليفة ، والولد البار سيدى عبد الله ، زاد الله فى معناكم ، بجاه النبى وءاله ، والبخارى ورجاله)

٨ جمادى الاخيرة : ١٣٦١ هـ

من آثاره

ومن ءاثاره يقرظ كتاب (روضة الافنان) باختصار :

(نحمدك اللهم يا من أبرز فى كل برهة جهابذة الاعلام ، وافاض على ايديهم من مخبآت المعارف بالافهام ، وأيد كل جيل بتنافس الحذاق ، فى نيل مراتب السباق ، ليظفروا برتبة الاستحقاق ، اذ قاموا بالجد على ساق ، والصلاة والسلام على نبينا القائل : يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، لايضرهم من خالفهم ، ولا يعتريهم مع طول الزمان أفوله ، وكان من أعلم علماء هذا العصر شمس هذا المصر ، فخر الادب والكياسة ، وحامل التهذيب بالسياسة ، الفقيه النبيل ، الشريف الاصيل ، شيخنا وقدوتنا ، ومأملنا وملاذنا ، سيدى محمد ابن أحمد الايكرارى ، فكم له وقاه الله من منافع للاسلام ، يقصر عن وصفها اللسان ، ويعجز عدها عن البيان ، وكان من

افخم ذلك وأكمله . وأعذبه واجمله . الذى اجاد فيه كل اجادة . واتى بما لا مزيد عليه من الحسنى وزيادة : تاريخه الذى تشرئب الى مدارسته كل الاندية . وتتطلع الى السمر به كل البرية . الموسوم بـ (روضة الافنان في وفيات الاعيان) فانه لعمرى مما ساعدته فيه الاقدار . حتى أظهره للانام كأنه من بعض الالهام . وقد أطلعنى عليه فشددت عليه يد الضنين . وأحللته محل الدر الثمين . وتصفحته بأكمله . فالفيته - لله دره - قد وضع الهناء مواضع النقب (١) وجعل كل مطلب حيث يرتاده من عنه نقب . وحصل ما غيره عنه غفل . وقدما قيل : كادت الهمم أن تفعل :

عشق المكارم فهو مشتغل بها ... والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم تكن ... سوق الثناء تعد فى الاسواق

فيا له من مجموع حلى به العاطل من جيد الزمان . واحيا به ما أماته الخمول والهجران :

كتاب بديع يفوق الدرر ... أعار سناه الضيا للقمر
فلا زال منشيه يبدى لنا ... عرائس أبكار تلك الفكر
تحن النفوس اليه كما ... يحن الى الحى قاصى السفر

نتف اخرى من أخباره

رأيت فيما كنت كتبته من سنين كثيرة من أخبار المترجم . ومن آثاره ما تفهم منه مكانته فى الادب . وفى همته المتعالية الى المجد العالى . وقد اتته السنون التى تلت : ١٣٦١ هـ بمراتب له عالية . فقد علا شانه فى محكمة الشرع بـ (تزنيت) وتصدر للافتاء . وكان قطب العلميات بـ(تزنيت) والايام المتوالية لاتزيده الا ظهورا . وقد تزوج امرأة أخرى من احدى الاسر المثرية فى هذه المدينة . فتكونت له هالة حضرية . ثم داخل الرؤساء هناك فيقبل ويدبر . ولا هم له الا الشفوف على الاقران . بكل امكان . ثم طمع ان يلتحق بدار المخزن بـ (الرباط) فصار يفتل لذلك من الذروة والغارب . وهو ما بين (الرباط) و (تزنيت) لا يغب ذهابا وايابا . وهو من أهل العزائم . والعزائم اذا صممت فيما قصدت . أدركت

---

(١) مأخوذ من قول الشاعر :

(يضع الهناء مواضع النقب)

والهناء بالكسر : القطران : والنقب كضرب وقفل وكطرب : الجرب

اهدافها والقصدت .

وقد كنت تكلمت مع الرئيس في الاستيناف اذ ذاك شيخنا سيدي المدني ابن الحسني . فوعد أن يبذل جهده . وكذلك كان يعين غيري المترجم في منتهى أربه هذا . ولسان حاله ينشد :

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب   اليك آل التقصي وانتهى الطلب

وكنت أقول له : انك ستنال مرامك بحول الله . لانك اهل لكل منصب فيه شفوف. ولكل مقام عال . ثم ان ذلك تيسر له بفضل الله الكريم . فالتحق بمجلس الاستيناف . فلم ينشب لتمكنه في الفقهيات أن تعين من المبرزين هناك . يذكره كل أهل المجلس بتفوق واستحضار . والرجل حقيقة جدير بالثناء على الفقهيات التي له فيها باع طويل . وقد كنت قبل هذا العهد وصيته أن يجمع كل ماأمكن من فتاوى الفقهاء السوسيين كمعيار سوسي . فقطع في ذلك اشواطا . فقد أمكن أن يجمع ثلاثة مجلدات كبار في وقت قصير . ثم شغل عن ذلك بهذه الوظيفة الجديدة التي اندفع اليها اندفاعا ملك عليه كل اوقاته . لانه يراها المصدر الوحيد لمجده ولأقواته .

ها هو ذا المترجم الآن في (الرباط) وها هو ذا أيضا يتشرب من اخلاق الحضارة هذه فيظهر ذلك في همته وفي فهمه وفي محادثته بل حتى في هيأته وفي مشيته وفي أخلاقه . وأطلب الله أن لايبطىء به هناك ليرجع الى قطره . لينفع فيه حيث لانظير له .

وفي هذا الحين . حين توفي قاضي (تزنيت) سيدي أحمد بن المصلوت يرجو ان يتيسر له ان يعين هناك خلفا له . ولا ندري ما يفعل الله في ذلك .

ثم اختار الله له . فبقي في الحواضر بعد الاستقلال . ثم عين رئيسا على مجلس الاستيناف الجهوي في ناحية (تافيلالت) ثم الى (الناظور) حيث لايزال الى الآن في مختتم سنة ١٣٨٠ هـ

قولة ابن الحبيب فيه

الفقيه العلامة سيدي محمد بن عثمان ،صدر من صدور عدول الحضرة التزنيتية . نبيل مدرك . جيد النظر . شديد الفهم . له مشاركة حسنة في فنون الفقه والعربية والادب . وحفظ الشعر وقرضه . قرأ على الفقيه سيدي محمد بن أحمد الايكراري . ثم على علامة المصر سيدي المحفوظ

الادوزى • وقرا على غيرهما من معاصرى أبيه • ولم يحضرنى من شعره فى الوقت • وان كان اكثر من الحصى • الا قوله يمدح (روضة الافنان) لشيخه الايكرارى :

أعيدى سليمى الوصل فالوصل لى فخر   وتجديد وصلك الشهى هو النصر

الى اخرها •

الحادى والخمسون : محمد بن محمد العيني الخياطي

من هذه الاسرة المسكدادية • ومن أكابر العلماء فى أواخر القرن المضى • ومن مشاهير من كانوا يلازمون حضرة الرئيس سيدى الحسين بن هاشم الايليغى • وله شهرة طنانة فائقة فى الميدان العلمى •

أساتذته

أخذ عن أبى العباس الجشتيمى • ولعله أخذ أيضا عن أخيه الاستاذ عبد الله بل عن والدهما شيخ الاسلام أبى زيد • فقد رأيت من مخطوطاته تفخيما كبيرا لشأن هؤلاء الجشتيميين • ثم رأيت له من حب الادب • ومن الاعتناء بالتقاييد مايكاد يحقق لى أنه ثافن من المشايخ من كان معروفا بذلك الشأن • وهو ابو زيد الذى نعرف منه ما نعرف فى هذا الباب • ثم ذكر لى انه أخذ أيضا عن أبى حامد سيدى العربى الادوزى • مع اننى رأيت له أنقالا عنه كثيرة • ولا استحضر أنه يصفه بالشيخوخة واتوقف فى هذه الساعة فى أنه يصفه بالشيخوخة أولا يصفه • فهؤلاء من أعرفهم من أساتذته لا غير • ثم وجدته أيضا يصف الحاج ياسين الوسخينى بالشيخوخة فعلمنا انه ممن أخذ عنه أيضا •

رحلته إلى الحج

وقفت بين مقيداته على ما يدل على أنه حج فى صحبة أبى العباس الجشتيمى سنة : ١٢٨٠ هـ فكثيرا ما يقول: أخبرنا فى طريق الحج• وأنشدنا فى طريق الحج • والغالب أنه صاحبه معه • فلئن صح أنه حج • فانه بلا ريب سيعتنى بالاخذ عن كل من يصادفهم فى الحرمين• فيصنع على الاقل ماصنعه أبو العباس الجشتيمى حين استجار علماء الحرمين • لان من له مثل حرصه الذى رأيناه له لا يفلت مثل تلك الفرص •

سقطت الى كناشة كبيرة هي الآن تحت يدى كانت في ملكه • فيها فوائد كثيرة متنوعة مما يدل على اهتمام كبير • لم نعهده من غالب اقرانه • فهناك رسائل نفيسة • لن نقع عليها في غيرها • كما أن هناك فوائد شتى • ثم انني رأيت له أيضا مجموعة أخرى نبوية • جمع فيها قصائد نبوية : كالهمزية والبردة وبانت سعاد• وموازنتها للبوصيرى• والوتريات• ثم ضم اليها قصائد نبوية للجشتيميين • وأخرى للعباسيين • ظفرنا من بينها بقصائد نفيسة لهم • منها نونية لسيدى سعيد بن محمد العباسى الموازنة لنونية الفشتالى • كان قالها في احدى الليالى النبوية فى عهد بودميعة • اذ (ايليغ) عاصمة (سوس) كلها • ومنها قصائد نبوية لوالده العلامة قاضى الجماعة سيدى محمد بن سعيد العباسى •

وهذه المجموعة وقعنا عليها عند انسان مر بنا فى (الغ) ثم لم يتيسر أن نحوزها منه • فكتبنا ما قدر لنا أن نكتبه على عجل • والاسف شديد حين لم أنسخ كل القصائد العباسية لسيدى محمد بن سعيد • لانني انتقيت منها • ولانني اذ ذاك لم تختمر فكرة جمع هذا الكتاب عندى بعد • وكم للتاخير من آفات • ثم لم يكن هذا كل ما رأيته له من المقيدات • فقد رأيت فى طرر لبعض كتبه بيعت متفرقة من تركة أولاده • أشياء نفيسة • منها رسالة لابىزيد الجشتيمى الى سيدى الحسين ابن هاشم سقناها فى كتابنا « ايليغ قديما وحديثا » كما رأينا له مقيدات أخرى • كلها ذوات فوائد • وهذا السيد أحد الذين استفدت كثيرا من بنات أقلامهم • بل أكاد أنادى بانني ما استفدت كثيرا فى أمثال هذه المقيدات • ما استفدته منه • ان استثنيت الاستاذ أبا زيد الجشتيمى الذى توصلت بجملة وافية وافرة من بنات تقييداته • بواسطة أحد أحفاده •

أبيات مستحسنة مما يولع بنسخه

عز البياض بأرضكم	أم قد بخلتم بالمداد
أم طال عهدكم بنا	فنسيتم حفظ الوداد

* * *

ان يوم الفراق أحرق قلبى	وكوانى الفراق بالنار كيا
ان قضى الله بيننا باجتماع	ما ذكرت الفراق ما دمت حيا

* * *

اقول وقول الصدق فى النفس اوقع
وفى الحق ما يصغى اليه ويسمع
رايت فنون العلم ترفع أهلها
ولولا طلاب العلم ما كان يرفع

* * *

اذا ساعدتك الحال فارقب زوالها
فما هى الا مثل حلبة أشطر
وان قصدتك الحادثات ببؤسها ،
فوسع لها صدر التجلد واصبر

* * *

مر الجراد على زرعى فقلت له
لا تأكلن ولا تشغل بافساد
فقال منها خطيب فوق سنبلة
انا على سفر لا بد من زاد

* * *

ورزمة كاغد فى البيت عندى
أحب الى من عدل الدقيق
ولطمة عالم فى الخد منى
أحب الى من شرب الرحيق
ومحبرة تجالسنى نهارا
أحب الى من أنس الصديق

* * *

ضدان ما اجتمعا للمرء فى قرن
نيل المنى ولزوم الاهل والوطن
ان كنت تبغى المعالى فادرع نعلا
أو أرض بالذل واربح راحة البدن

* * *

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنة
فلن يسود فتى أعط النسا رسنه

* * *

فمن أمثال هذه الابيات يكلف يراع المترجم بخطها • ولا ريب أن اختيار المرء قطعة من عقله • فهذه كلها نقلتها من مقطعات كثيرة من الكناش الذى عندى • وعلى هذا يقاس ما يلهج باختياره • وأما النوادر من الرسائل لاى كانت • فلا تسل عن لهجه بنسخها • وخطه وان كان بينا يقرأ ليس بحسن – وما ذلك بضائره نقيرا (فاجن الثمار وخل العود للنار) فالعبرة

باللب لا بالقشرة ، وقد عاش هذا الاستاذ الى أواخر القرن الماضى • ولا نستحضر الآن وقت وفاته •

من بنات فكره

وجدت بخط بعض علماء (سملالة) أحسبه الاستاذ سيدى محمد المافامانى على ظهر هذه الرسالة الآتية • انه للفقيه سيدى محمد التومانارى ونص الرسالة :

« الفقيه المفتى العلامة النصوص سيدى محمد بن الحسن العدانى المجاطى • السلام عليك ورحمة الله وبركاته •

أما بعد ، فيعظم الله أجركم فى الفقيه الذى لبى نداء ربه • وجعله فى ظل النبى وحزبه • وقد تكلفت أبياتا فى رثائه • وان لم أكن من أهل الفن الشعرى • ولكننى اتشبه والتشبه بالكرام رباح •

مضى لطيته الفقيه سيدنا — خير الاماثل من أمثاله العلما
مضى فخلف حزنا دائما أبدا — فى صدر كل تقى قلبه اضطرما
من ذا سينصح بعد المسلمين كما — قد كان ينصح اما حادث دهما
صلى وصام وحج البيت مفترغا — فكل حق عليه كان قد غرما
لم يرقط بنهج شائن خطل — وكيف ينهج نهج الشر من علما
فالله يرحمه رحمى يكون بها — مع كل خيرة أشياخ له رحما
بجاه سيدنا خير الورى وبجا — ه الصحب والآل والاشياخ والقدما

هذا ما نفثت به الفكرة العليلة الكليلة • وأطلب الله أن يرحمنا جميعا • وأنهى الى سيدى أننا بخير • وقد تمت القضية التى نزلت عليها• وأنا على نية الرجوع الى الدار • ولا أدرى أيتيسر لى أن أزوركم معزيا • ولذلك بادرت بهذه الرسالة خوف أن تقطعنى العوائق فتقوم مقامى • والسلام » •

انتهت الرسالة وهذا هو الأثر الوحيد الذى وجدته لهذا الاستاذ • ولا يعجبن القارىء من اسفاف هذا النظم • فان الرجل حقا كما قال ليس من أرباب الفن • ولكنه فقيه يمازج الادباء فيتعالى الى الجولان فى ميادينهم • ثم اننى وقفت له أثناء كلام له فى محلات : ان كان يحرر شيئا على لحن كثير فى النثر • فكيف اذن يكون النظم من مثله • على أن مثل هذا النظم هو الذى يتعاطاه سيدى العربى الادوزى وهو ما هو • أفلم يكفنا منه أنه

موزون • على حين أننا نرى احيانا من منظومات آخرين من معاصريه سقوطا لا يرضاه الخليل بن أحمد •

ان نواحي غير قليلة من أخبار هذا الاستاذ لا تزال خافية عنا • ولكننا نقنع بما تيسر الآن • ولعل فيه كفاية حين لم يكن عندنا سواه •

وممن أخذوا عنه : سيدى محمد بن الحسين الايليغى • يعسوب (ايليغ) المشهور •

وأما ابن الحسن العدانى المذكور ، فسيرد مع أهله فى (القسم الخامس) ان شاء الله • ولا أدرى الآن من هو الفقيه المعزى فيه • وما ذلك الا من عدم وضع التاريخ على الرسالة • وهذا سبيل كثير من السوسيين الماضين • ويا ما أسوأها من خلة •

الثاني والخمسون : أحمد بن محمد العيني الخياطي

ابن المذكور قبله • قال فيه الايكرارى :

(ومنهم الفقيه أبو العباس سيدى أحمد بن محمد الخياطى بـ (عين الطلبة) كان رحمه الله فقيه سيدى محمد بن الحسين بن هاشم • وامامه بعد أبيه •لايفارقه حضرا ولاسفرا • فهو كاتبه ووزيره أكثر من خمسين عاما • وهو نجى سره ومشاوره • قرأ فى (بونعمان) وتبرك فى (أدوز) ثم لازم الشريف المذكور • وهو ناصرى الطريقة • كما ان مخدومه قادرى الطريقة • فلم تخدش المخالفة فى المشرب بحسن النية • خلاف ما يقال : الناس على دين الملك • فلما مات مخدومه • وفاته منه ملزومه • صاوله الا ملاق • وقام له على ساق وفارقه القماش • ولم يدخر ما يحصل له به انتعاش • فجرى من جفونه الدم • وعجز عن نقله القدم • فانشد حاله الشعر المستغرب • الذى املاه من له معرفة بالادب :

أنا الخياط لى رزق ولكن ... أرى حالى من الافلاس عبسرة
ذراعى فيه من فقرى مقص ... ورزقى خارج من عين ابرة

توفى رحمه الله فى الساعة الثامنة من ليلة السبت الذى هو الثالث من رمضان ١٣٤٣ هـ غفر الله له •

وقال فيه على بن الحبيب :

(ومنهم الفقيه ذو الشمائل المرضية • المحبة السنية • أبو العباس

سيدى أحمد بن محمد الخياطى من (عين الطلبة) التازاروالتى • هذا السيد رحمه الله • افنى عمره فى خدمة ءال هاشم • وهو كاتب سرهم وجهرهم • والمعول عليه عندهم • منظور اليه بعين التعظيم والتوقير • الى ان بردت نارهم • فسيم الخسف من العامة • ووصل به الحال الى ان اكلت داره • وتشتت أوراقه • وتفرقت اولاده ولم يرعوا له ذمام • فهذه عادة الدنيا مع أهلها• توفى رحمه الله فى ثلاثة أيام من رمضان • عام ثلاثة واربعين وثلاثمائة وألف •

جملة اخرى من اخباره

كان سيدى أحمد الخياطى بعدما تخرج من (بونعمان) عند سيدى مسعود ومن (أدوز) عند سيدى محمد بن العربى الادوزى رابضا فى (ايليغ) وذلك من أواخر القرن الماضى بعد وفاة والده الذى كان يلازم تلك الحضرة • فهو قاضيها ومفتيها • وامامها ومستشارها • فخلفه فى كل ذلك • وقد صادف قرنه سيدى محمد بن الحسين كما برز أمره من تحت جناح والده سيدى الحسين الذى كان لايزال حيا متمتعا بصولته المعروفة • ففى هذا الظل الوريف ترعرع سيدى احمد الخياطى فنال مقاما شامخا • وسمعة كبيرة • وسطوة يالها من سطوة • وهو كما كان يتولى قارّها يتولى حارّها (١) • فيثنى عليه من يثنى على أرباب مثواه • ويجرعليه ثوب الزراية من كان ينظراليهم شزرا • فقد حكى لى بعضهم أنه رأى بعض من نالته صدمة عنيفة من(ايليغ) يقول : اتمنى على الله أن اشوى كبد الخياطى فآلوكها• فظلم الرجل بهذه الكلمة النابية •وقد كان نال وفرة العيش ورغده • حين كان سيدى محمد لايزال موفور الغنى • رغد العيش • ثم لما شالت كفة الميزان • وزالت النعمة • طاف به طائف مما نال أرباب مثواه • حتى انه فى ءاخر عمره يستوكف الاكف • ويعرض لمن يظن منهم السماح تلويحا وتصريحا • فكم مرة جاء الى (الـغ) فنزل بأبى الحسن الاستاذ • وبالرئيس الحاج ابرهيم الايغشانى • وربما أرسل رسائل يستمطر منهما بها • فتاتى أحيانا بملئها ماء • وتارة بحماة وقليل ماء (٢) • وهاك نص رسالة له الى ابن الحسن

---

١) هناك مثل : ول حارّها من تولى قارّها ــ بتشديد الراء منهما ــ اى ول بؤسها من كان تولى التمتع بنعمتها •

٢) قال :

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملءها طورا وطورا تجىء بحماة وقليل ماء

في الموضوع :

(الفقيه الارضى، والعلامة المرتضى، والسميذع الاجود ، والفياض بالمدد، سيدى أبو الحسن على بن عبد الله الالغى ، السلام على سيدى ورحمة الله وبركته ، ما رجا راج من كريم فامتلأت راحته ،

أما بعد فاننا يا سيدى بخير ، وكذلك كل شرفاء (ايليغ) وقد توقفت جدا فى هذه الايام على شعير ، فلم أطق ان أصب ماء وجهى عند غيركم، فان الماء لم يتوفر الا فى بحركم ، فان تيسرت منه غرارة فذلك هو المأمول ، والحامل تكفل أن يكون على يده لذلك الوصول ، فان لم يمكن الا ان يكون ذلك سلفا مردودا ، لاجل يكون محدودا ، فلا بأس ، وعلى كل حال فاننا فى أوحال ، فلينظر الينا سيدنا بما كان ، ليرتد ناب الزمان ، والسلام)

الجواب على ظهر الرسالة

(الفقيه البركة سيدى أحمد بن محمد العينى، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ما امتلأت من بحر كريم راحاته ،

أما بعد : فقد وصلنى كلامك ، وترأت لى جراحاتك وكِلامك (١) ، فعلمت أن الدهر لايزال على عاداته فى الفضلاء ، وانه لايفضل ولا يرغد العيش الا للوءماء البخلاء ، فقد أجبت على يد الحامل بما تيسر ، وان كان دون المنتظر ، غير أنه ليس سلفا ، وان كنت أعلم أن مثلك من قضى ووفى، وانما اقتسمنا الصبر ، وان كان عند الجانبين أمر من الصبر ، فالسنة كما ترى شهباء ، وعلى عاتق العبد منها أعباء ، فقد قلت : شيء أحسن من لا شيء - وبذيل ردائه يستظل من لايجد الفيء :

فخذ القليل وكن لخلك عاذرا	فالعذر يقبله الكريم الطيب
فالطل أولى أن تشح سحابة	ما انهل منها المستفيض الصيب)

انتهت الرسالتان من خطيهما رحمهما الله ، وسترى فى ترجمة سيدى محمد ابن المترجم ما يزداد به القارىء بصرا بأحوال هذه الاسرة التى نكبها الدهر بعدما أسعدها ، وأرجلها بعد ما أركبها ، والدهر حوّل قلّب ، قلما يثبت على حال ومن عرف الدهر ، لايبيت منه على أمان ،

وكان للمترجم صلة كبرى بأبى الحسن الالغى ، حتى كان مفزعه الوحيد فى قضيته التى بينه وبين صهره على ابنته سيدى البشير الناصرى ، فهاك رسالتين من المترجم الى الاستاذ فى الموضوع :

---

١) بكسر الكاف جمع كلم بمعنى الجرح ، كما يجمع أيضاً بـ كلوم ،

الاولى

(الحب البركة الافضل • العالم الخير الامثل • سيدى على بن عبد الله ابن صالح الالغى • أصلح الله لنا ولكم جميع الاحوال • ورزقنا واياكم المدد فى الاقوال والافعال • والرحمة والبركة عليكم وعلى من لاذ بكم •

اما بعد : فاعلم أن السيد البشير بن المدنى الناصرى بت طلاق ابنتى لله الحمد وله المنة • وتخاصمت معه فى الجهاز والصداق • وبقى بينى وبينه حظها فى المستفاد وفى اجرة امتى • واستضمننى فى ذلك أخاه السيد القرشى مع القائد مبارك البنيرانى • بعد أن امتنع من ذلك زاعما أن نساءهم لاسعاية لهن • وتواعدنا على سؤالك فى ذلك • وأحببنا من كمال فضلك ان تشد الحزم بأن لاتضيعها فى ذلك • وعن قريب ان شاء الله نرد عليك بقصد فصل ذلك والسلام) •

الثانية

(بقية السلف • الذى لانظير له فى الخلف • زعيم الفضلاء • وتاج النبلاء • سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى • لازلت محفوفا بأذيال وقاية البارى • والسلام والرحمة والبركة عليكم وعلى من لاذ بكم •

أما بعد : فقد أحببنا من وافر علمك • وعميم حلمك • أن تنظر فى دعواى على السيد البشير بن المدنى • ما حكم الله فيها • فقد أدعيت عليه بسعاية ابنتى • منذ كانت امتهم الى ان فارقها • فانه يسافر فى البلاد شهورا على جمع الزيارات • ويتركها فى الدار قائمة بشؤون نوبتها بين العيال • وتخدم لاضيافه وأجرائه • وأردت حظها فى أشريتهم وأرهنتهم • وحبوبهم وادامهم وبهائمهم • وءالات دارهم• وادعى ان ذلك ليس فيه سعاية لغيره • بل هو يخص به • من حيث كان بعضه من الزيارة • ثم ادعيت عليه باجرة امتى التى تخدمهم ستة عشر عاما • وأمر الامة جعلته أولا من جملة الجهاز • وهى مشتراة وقتئذ بثمانين ريالا • فلما وصلتهم حالوا بينها وبين أمتى • ولم يتركوها تخدمها • وطلبتهم مرارا أن يخلوا بينها وبين سيدتها فأبوا • فلما حققت معهم من ذلك • اسقطتها عنه فى الجهاز • وتركتها تخدم ابنتى الى الآن • وقمت عليهم بطلب أجرتها تلك المدة • وقد علمت حكم من أوصل نفعا للغير • اذن أو لم يأذن • حسبما قاله الشيخ الاجهورى • ثم ادعيت عليه أيضا بما انفقت على ابنتى عاما وشهرين • حين اهملوها بدارى • وهى حامل غير ناشز • وقمت بواجبها أربعة عشر شهرا•

فوضعت عندى • وقمت لها بالعقيقة • والاسبوعى (أى حفلة الاسبوع اثر الولادة) وسكت عن هذا كله • رجاء رجوعه الى حسن المعاشرة • ولم يجد نفعا • وهذا كله لم أتجاوز له بشيء عنه • الا ما منع عنه الشرع وأردت أن تتأمل فى ذلك • وتزنه بميزان الشريعة • وما لزمه فى ذلك أعلمه بــه ليعطيه على يدك الكريمة • قبل أن نكون معه أضحوكة العوام • وما لم يلزمه بالشريعة • فبينه لى ونقنع منه • حفظك الله مما الى حاله معنا وحالنا معه • والسلام) •

من هاتين الرسالتــين يعرف القارىء كيف عبــارة المترجم • وكيف مهاجمته فى التداعى ومدافعته • فنفسية كثيرين لاتدرى الا من مثل هذا • على أنه عند الايليغيين محترم غاية • بل مالوا به الى الصلاح • وقد ظهرت عليه أخيرا — بعدما انطوى الجاه • وتقلصت الرياسة • وأفل رغد العيش — انحياشات الى التأله والادمان على (المصحف) وعلى (دلائل الخيرات) • وقــد سمعت أنه عمى فى ءاخر عمره • فلازم التــلاوة الى ان توفــى رحمه الله • وألحقنا به مسلمين ءامين • غير مفتونين •

ثم وقفت بعدما كتبت ما تقدم على قافيتين • خــوطب بهمــا المترجم احداهما من بعضهم • لاأدرى من هو الآن • والثانية للاديب سيى محمد بن الحاج الافرانى • ونص الاولى :

ما بين تفريط مسعاه وافراط   نال المعــالى من نــادوا بخياط
غاص البحور بحور العلم منفردا   فحازه وسواه كان فى الشاطــى
كم بين تحليق نسر فى سماوته   وبين اسفاف عصفور ووطواط
فذاك بين النجوم الزهر فى قمم   شما وذا غيره فى أرضه واطــى
أدامه الله للعليــاء هــامتهــا   وللندى منعشا أشتات أرهاط

والثانية :

هى المكارم لاتعنو لمحتــــال   ولا المفــاخر تعزوها لمختال
ولا العلا يمتطى صهوتها برم   كلا ولا ساومتها كف بطال
لاينبغى الحمد أن تبنى معالمــه   وأن يجدد من أركانه البــالى
الا لمن يحتمى العز الرفيع بنــا   ؤه المنيع على ممر احــوال
من ما اعتراه فتور فى مكابدة الا   خطار دون مرام السؤدد العــالى
محط ابصار ارباب البصائر من   عهد القرون الالى مرضية الحــال
مثل الفقيه أبى العباس احمد من   تــوج تيجان اعزاز وافضال

فتى له فوق السما قدم الـ ... ـرسوخ في عز مقدار واجلال
طراز حلة دولات الفضائل ، لـ ... ـكن طلعة افخرمنه أفضل الفال
رب العوارف بل كنز اللطائف بل ... فخر الخلائف في ماض وفي حال
من لايقدم في غير العلا قدم التـ ... ـوفيق والسعد روادا لآمال
ولايمد لغير المكرمات يد الا ... فضال منه كدأب الطيب الحالى
عذرا فديتك ان كلت نجائب طبـ ... ـعي فاستوى فيك ايجازي وايغالي
فالفكرأعيا عن أعمال الدبيب بمضـ ... ـمار الثنا عنكم فضلاعن ارقال(١)
دونك مني بنت الفكر رافلـة ... تؤم علياك في أطيب سربال
تنهاك ماقد حباك الدهر من نعم ... تجل حسا ومعنى ربك العالي
بقيت للدين والدنيا ترمهمـا ... ومجدك البحت(٢) في يمن واقبال

الثالث والخمسون : محمد بن احمد بن محمد العيني

والد من قبله . وقد مضى في (الفصل الاول) من هذا القسم بترجمة مستقلة . لانه على شرطنا . لاخذه من المدرسة (الالغية)

الرابع والخمسون : عبد الله التوماناري

رايت فيما مر بي أن عالما من (تومانار) ذهب الى الحج فتوفي في مصر . وقد تولى دفنه هناك بعض تلاميذه الذين صاحبوه . وهذا هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد الذي سيأتي ذكره قريبا في كلمة آتية . والآن لا نعرف عنه غير هذا .

الخامس والخمسون : محمد بن الحسن بن علي

هو محمد بن الحسن بن علي بن عبد الله بن عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى التوماناري . ذكره العيني في (رحلته) وذكر أنه كان نشأ في (درعة) وأنه لازم آل (تامكروت) وأنه حج ثم شارط في (ماسة) وقد وصفه بالاستاذ . وذكر عنه ما يفيد أنه من كبار صلحاء ذلك

---

١) الارقـال : الجرى
٢) البحت : الخالص

العصر . ولا نعرف عنه غير ذلك . ووفاته على كل حال بعد (١١٩٤) هـ وسترى ذكرا له ايضا فى آخر هذه التراجم .

* * *

هؤلاء من أمكن ذكرهم من علماء أسرة الايكراريين . والتومانارين . وسيرى القارىء آخرين من الاسرة قريبا . وقد داولت علماء الاسرة : الفقيه سيدى عثمان . والاستاذ سيدى الحسن بن عبد الرحمن . والاديبين ابن عثمان وأبا سالم ابن المؤرخ الايكرارى . فازددت من عندهم ما ليس عندى . فنحمد اللـه على أن تمكنا من جمع رجالات هـذه الاسرة العظيمة الشان . التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها . فكانت كما وصف به المطر . فى اثر يذكر : لا يدرى أوله خير أم آخره .

ذيل مذهب لهذه الاسرة

بعد مـا حررت كل مـا تقدم من نسب هـذه الاسرة . ورجالاتها . وقفت فى كناش العلامـة المـؤرخ الايكرارى على أمور لا تزال تتعلق بها . فاحببت أن اوفى المقام بسوق كل ذلك . فكـان الفضل للمؤرخ المذكـور فى كل هذا أولا وآخرا . رحمه اللـه . وفى أثناء ما سياتى بعض رجالات آخرين لهذه الاسرة . سوى من ذكرناهم .

قال بعد أن ذكر النسب المتقدم :

« ونسب لسيدى ابرهيم بن محمد أيضا شارع (المبنيات) ما نصه : (عبد الرحمن بن موسى بن تللت بـن على بن داود بـن عبد الواسع بـن محمد بن ياسين بن لمعز . بن وافلا" بن تخمد بن مزال بن وتدّير بن سليمان ابن أسمر بن يحيا بن مسكداد اهـ نقله من خطه سيدى عبد الله بن أحمد العينى وهو ثقة . ثم مسكداد رفـع نسبه الى جعفر بن أبى طالب على مـا نسب لسيدى أحمد بن عبد الرحمن بـ (تيزركين) ونصه :

« مسكداد بن مرتنّى بن زيمة بن هلال بن اعراب بن ايلال بن غفير ابن حسان بن ثابت بن حبان - وفى نسخة فوقه بن حابس - بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم اهـ كما وجدته عند بعض اخواننا بـ (العين) والله أعلم ». والاقرب الطريقة الاولى على ما عند شيخنا الادوزى رحمة الله عليه . ونقلته فى ٢٠ محرم الحرام عام : ١٣٣١ هـ . قيده محمد بن أحمد الايكرارى اهـ مقابلة لفظا بلفظ . فما ضبطه ضبطته من هذه الاسماء العجمية . وما لا فلا . ثم قال بعد ذكره هذا بصفحتين من

ذلك الكناش ما يلي :

« وجدت في عقد مؤرخ بانتصاف ذى الحجة عام : ١٣٠٨ هـ منسوب لسيدى محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى ما نصه :

« هـذا تقييد لبعض أولاد سيدى عبد الرحمن بـن موسى المدفـون بـ (وجان) وعقبه بـ (توما نار) و (أكلو) و (درعة) و « هشتوكة » بالاستيطان ٠ اولهم أولاد سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم الايكـرارى ٠ وأولاد أخيه الفقيه سيدى على بن ابرهيم ٠ وأولاد أخيهما : الفقيه سيدى محمد ٠ الساكنون بـ (أكلـو) ثم أبناء عمهم أولاد الفقيه القاضى سيدى عبد الله بن محمد بن سعيد المذكور ٠ وهم سيدى محمد بن عـلى بن احمد ابن عبد الله بن محمد بن سعيد المذكور ٠ وابن عمـه الطالب : محمد بن محمد بن بلقاسم بن عبد الله بن محمد المذكور ٠ ثـم ان ابن عمهم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد هو الساكن بـ (حصن المنكب) ـ يعنى أكادير المرسى الشهير ـ ثم سعيد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور ٠ أعنى جد سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم الساكن في ساحل (بنى عمران) وابن اخيه سيدى أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور ٠ الساكن بـ (توما نار) وأبناء عمهم أولاد سيدى محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور ٠ وأولاد أحمد ابن يحيا بن سعيد بن محمد بن سعيد المذكور ٠ فهـؤلاء معروفون عندنـا بـ (ادْ محمد) ثم أولاد الطالب ٠ وهـم أولاد سعيد بن سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى ٠ وأبناء عمهم المعروفون بـ (بنى المستخلف) وهم أولاد سيدى عبـد اللـه بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد المذكور ٠ وأولاد أخيه أولاد سيدى ابرهيم بن محمد ابن محمد ٠ وأولاد أخيهما سيدى أحمد بن محمد بن محمد ٠ وأبناء عمهم أولاد سيدى أحمد بن عـلى بن محمد بن عبد الرحمن بـن سعيد المذكور ٠ وابن عمهم عبد الله بن عبد الله بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد المذكور ٠ وهؤلاء معروفون عندنا بـ (أولاد الطالب) ثم (بنو اللحيان) وهـم سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد اللـه بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى ٠ وأبناء عمه سيدى عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد المذكور واخواه سيدى أحمد٠ وسيدى عبد الرحمن الساكن ببلدة (إنتكا) وأبناء عمهم سيدى محمد بن الحسن بن ابرهيم

ابن يحيا بن عبد الله بن سعيد المذكور • وأخـوه سيدى على بن الحسن • فهؤلاء معروفون عندنـا بـ (بنى اللحيان) ثـم أبناء ابرهيم وهـم سيدى محمد بن موسى والسيد ابرهيم بن موسى • وهـو سيدى محمد بن موسى ابن محمد بن ابرهيم بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى • ثـم أولاد سيدى أحمد الساكنون بـ (هشتوكة) منهم سيدى ابرهيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى• وأبناء سيدى أحمد بن سعيد بن عبد بن أحمد بن سعيد المذكور • فهؤلاء معروفون بـ (بنى الطالب) سعيد • وهم الباقون منهم • و (أبناء الحسن بن سعيد) لم يبق منهم وارث • ثم (أبناء بـلاّ) وهم الفقهاء الكائنون بـ (درعة) وهم سيدى محمد بن الحسن بن على بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى • وأبناء اخوانـه سيدى المقـداد وسيدى محمد وسيدى أحمد • ثم سيدى محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) المذكور • وأخواه ابرهيم وسعيد المعروف بالذئاب (كذا) ثم سيدى ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) المذكور • وأخوه الطالب على بن محمد • ثم أبناء عمهم سيدى أحمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن ابرهيم بن عبد الله بن عبد المنعم (كذا) المذكور • واخو محمد بن محمد • فهؤلاء معروفون عندنـا بـ (بنى بـلا) ثم الفقير عبد الله بن مبارك بن محمد بن ابرهيم بن بحمان بن على بن عبد الرحمن بن موسى • فهو الباقى هو وأولاده من ذرية على بن عبد الرحمن فهم المعروفون عندنا بأبناء بحمان •

كتب بيانا وضياء لمن سيقف عليه : محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بـن عبد الرحمن بن مـوسى فى انتصاف ذى الحجة عام : ١٣٠٨ هـ انتهى ونقله عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد التومانارى • ثـم المستخلفى فى أوائـل ربيع الثانى عام : ١٣٨٢ هـ انتهى ما بالاصل المذكور • ونقله فى ٢٠ المحرم الحـرام عام : ١٣٣١ هـ محمد بن أحمد بن محمد الايكرارى • أمنه الله •

انتهى ذلك بالمقابلة التامة حرفا بحرف • وفى ذلك فوائد جليلة تبين كيف تشعب أولاد الشيخ عبد الرحمن بن موسى الوجانى أصل جرثومـة هذه الاسرة المباركة •

هذا آخر ما نكتبه حول المسكداديين الكرام • والفضل لرجالهم فى كل ما سطرناه هنا • ويرحم الله أهل الاعتناء أيا ما كانوا •

محمد بن عبد الرحمن الايكراري

١٢٨٠ هـ - ٢٠ = ٢ - ١٣٥٩ هـ

نسبـــــه :

محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن الى آخر ما تقدم فى نسب أهله ٠

أحد علماء الايكراريين الكرام ٠ وفذ من أفذاذ الصوفية الذين شربوا الكاس الى ثمالتها ٠ بل الرجل العظيم المنفرد همة ومعرفة بربـه فى تلك الجهة ٠ وان كانت شمسه قد التحفت بضباب الخمول ٠ والخمول لامثاله مثل الصدف للدرة المكنونة ٠

متلقاه للقرآن

لازم فى قريته أستاذ كل أقرانه هناك السيد : المدنى اوترسيم - به عرف من (آل بوكرفا) وبه تخرج ٠ ولم يذكر لنا أنه تجاوزه ٠

في تلقى العلوم

ولى به والده وجهته للمعارف ٠ ليحوز من تراث أهله ٠ فحظى بـأن يأخـذ عن أعاظم المدرسين اذ ذاك ٠ ومـا هما الا الشيخ مسعود المعدرى ٠ والاستاذ الكبير ابن العربى الادوزى ٠ لازم الاول ما شاء الله فى المدرسة (البونعمانية) من سنة : ١٢٩٧ هـ الى : ١٣٠٣ هـ فبـه تدرج فى متون الابتداء حتى شدا ٠ وظهرت له نجابة ٠ ثم أراد أن يجرى فى مضمار يراه هو ووالده أوسع وأبعد مـدى ٠ فالتحق بالثانى فى المدرسة (الادوزية) وذلك : ١٣٠٣ هـ فأكب عنده حتى تفوق وجال فى مجالات النجباء الكبار ٠ وقد حضر عنده فى العربية والفقه والحديث والتفسير ٠ وقد حكى لى من كان عرفه اذ ذاك بانه كان يعتنى كثيرا بمراجعة الاستاذ فى كل ما يعن له فيه

اشكال ، أو كل فهمه دون ادراكه ، كما أن الاستاذ أيضا يتنحيه أحيانا بأمور يسالـه عنها تدريبا ، وأخذا بجناحه ليحلق فى الاوج ، ومن ذلـك فقهية منظومة رأيتها بينهما ، وليس هذا الكتاب بصدد عرض الفقهيات ، ثم أجازه الاستاذ عند صدوره بما يلى :

(حامله اللذوعى الفقيه المتواضع على رفعته ، سيدى أبو عبد اللـه ابن الفقيه سيدى عبد الرحمن ابن الفقيه سيدى ابرهيم التومانارى أصلا ، الايكرارى وطنا : أجزناه لحسن نيته ، وصفاء طويته ـ لا لانا من أهل هذا الشأن ـ بكل ما لنا من أشياخنا المرحومين ، اجازة من الاصول والفروع والمقاصد والوسائل ، ولا نخص علما من علم ، حسبما شاركناه فى ادراكه أو أدركه بنفسه ، فله نشره وتعاطيه لذويه ، قاصدا بذلك وجه الله ، والتقرب اليه تعالى ، ثم عليه العمل بما علم ، والتثبت ومباحثة من له فى ذلك المام ، وتحرى الصواب ، والقول بلا أدرى عند عـدم العلم ، فانـه الجنة الواقية ، والدرجة العالية ، والتحلم وايصال الخـير الى عباد الله ، فانه عهد الله الى العلماء ، كما فى الحديث ، ونسأل الله تعالى أن يحيى به ما اندثر من الدرس فى بلده ، وأن يقوم به الله من أوده ، فانه أمر متروك فيه مـع تيسيره ، فعليه أن يخصه بمزيـد الاعتناء ، فالله يلهمه ويصلح به ، واستودعه الله الذى لا تضيع ودائعه ، فليذكرنا بدعائه فى خلواته وجلواته. قاله فى المحرم ، فاتح عام ١٣٠٨ هـ محمد بن العربى الادوزى)

بعـد تخرجه

أول ما بـدأ بـه اثر مغادرته للمدرسة (الادوزية) أن حصن نصف دينه فتزوج تلك السنة : ١٣٠٨ هـ فاسس مركزه بـين أهلـه ، ثم أقبل على المشارطة فى المدارس ، يؤدى بذلك ما عليه من حقوق العلم نحو نشره.

١ — مدرسة (وجّان)

هى باكورة مشارطاتـه ، وذلك اثر تزوجـه ، فبقى فيها الى سنة ١٣١٠ هـ ثم لازم داره الى : ١٣١٢ هـ .

٢ — مدرسة (الكريمـة) سنة ١٣١٢ هـ

٣ — مدرسة (بوكـشرفا)

انتقل اليها بعد أن كان فى تلك الوجانيـة المتقدمة سنة واحـدة ،

فاقبل على التدريس بكليته وعنده نحو : (١٥) طالبا • فبقى فيها ما بقى• ثم لازم داره الى أن شارط أيضا فى :

٤ — المدرسة (الوگاكية)

لازمها نحو ثمانى سنوات • وكان التحاقه بهذه المدرسة فى العقد الرابع من هذا القرن • بعد ما شغر من المدارسة كثيرا •

٥ — مدرسة (إفَرْضْ أُوطاها) بحاحة ، سنة ١٣٤٢ هـ

٦ — مدرسة (الخميس) بأيت بوبكر بـ (بعمرانة) ما شاء الله

هذه هى المدارس التى جالس فيهـا حياته • ثم شغله ما سنذكره • فلازم داره الى أن لحق بربـه •

لقاؤه بالتامودیزتي

كان فى سنوات : ١٣١٢ هـ مكبا على مطالعة كتب التصوف• خصوصا منها كتب الشعرانى • ككتاب اليواقيت والجواهر • فيرى هناك ما لايراه فى العلوم التى درسها عند اساتذته ويدرسها لتلامذته• فملكت عليه مشاعره وأسرت له لبه • فكان ذلك هو السبب حتى تطلب ممازجة أرباب هذا الفن • فهذا هو السبب حتى التحق بصحبة الشيخ التاموديزتى • فكان يصله فينة بعد فينة • وهو فى مشارطة • فاذ ذاك جرت بينهما المكاتبة الآتية • ثم لم يزل يعد من أصحابه الى سنة وفاة هذا الشيخ : ١٣١٦ هـ •

التحاقه بالشيخ الالغى

ثم لما غمرت موجة الطريقة الالغية (أزاغار) فى سنوات : ١٣٢٠ هـ واعتنقها كل ذى شأن • انتظم أيضا فـى سلكها • لاسيمـا و (الالغيـة) و (التاموديزتية) شيء واحد من جرثومة واحدة • فاذ ذاك فقط • وجد مـا كان يتطلبه • كما صرح بذلك فيماأخبرنى به عنه سيدى أبو بكر بن عمر المتجرد • فغرق بين الفقراء • حتى نصلت عنه صبغة الفقهاء • فيتردد الى (الغ) ويسيح بعض الاحيان مع الفقراء • وكان ذا ذوق عال • وهمة متناهية فى مجالاتها • حتى انه ليصيبه ما يسميه الفقراء بالجذب • فتعتريه أحوال

ربانية . وكان ذا لسان قؤول فى معارف القلوب . وصاحب مجاهـدة لا يفتر عنها . مع عدم الدعوى . بهذا يصفه عارفوه من الفقراء .

نبذ أخرى من حياتـه

حدثنى الفقير سيدى أبو بكر بن عمر رحمه الله أن المترجم كان معهم مرة فى سياحة بعد وفاة الشيخ الالفى . فذكر أنـه قال لـه : عجبا منكم انتم الذين صاحبتم الشيخ طوال حياته . لـماذا لا تخرجون جميعا شموسا مشرقة فى كل العلوم . فاننا وان لم نصاحبه الا قليلا وفى بعض الاوقات. لنزعم أن لنا منه من الانوار والاسرار . ما لـو كشف عنه الحجاب . لطبق ما بين السماء والارض . قـال فقلت له : انـه كان يربينا على الاقبال على الله فقـط . وان لا نبالى لا بسر ولا بنـور مما يعرض فى القلوب . ثـم لم يزل بنا حتى نسينا ما تسميه أنت الانوار والاسرار . وانما هى العبودية المحضة لا غير . ثم قلت له : أوليس أن الله يقول : (اذكر ربك حتى ياتيك اليقين) وهل قال : اذكر ربك حتى ترى الانوار والاسرار . ثم زدت له من هذا حتى قال : اذن ان هذا المقام الذى رقاكم اليه الشيخ أسنى وأعلى مما نحن فيه . فأستغفر اللـه . ثم تلى قولـه تعالى : (وترى الجبـال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) أفهكذا أنتم . فمن يراكم يستنقص حالكم. ولكن اذا تكشف الستار يرى ما يرى .

كان سيدى أبوبكر يحدثنى عنـه بمثل هـــذا فى أحاديث أخرى . ويذكر أنه بعد موت الشيخ حضر فى مجلس السماع معهم. فانشد المنشدون ألحانا عجيبة جديدة عنهم . فتحرك من الحاضرين مـا سكن . فقال سيدى محمد : لا أتمنى الا أن يحضر الشيخ هذا المجلس . فانـه وحده من يعرف كيف يطير فى أمثال هذه المجالس بالاشواق الى الخلاق .

ومن أخباره انه كان ركب مرة سيارة . فانقلبت به ومن معه . فوقع له اختلال فى دماغه . فتناقص ادراكه . فيفارق شعوره التام أحيانا . حتى أنه ربما صلى الى غير القبلة . فان نبهته زوجه يجيبها بأنه أدرى بقبلته . حتى ان معارفـه ذهبت عنه فى تلك الحـال . واذا حضر مجلس الفقراء . تعتريه أحوال أعظم مما كان يعتريه قبل . وقد ذهل عن معاريفه . فلا يكاد يعرف أحدا . وقد لج بانشاد الاشعار الصوفية فى الفناء . فحكى لى أنه ينشدها لكل من لقيه حتى للعوام . مثل قول الحراق :

أتطلب ليلى وهى فيك تجلت   وتحسبها غيرا وغيرك ليست

كان صالحا معتقدا يراه الناس بعين لا يرون بها الا الصالحين الكبار • يرونه منبع الاسرار • ومطلع الانوار – كما كان صرح به عن نفسه قبل – وقد سكن فى أخريات أيامه (تزنيت) فيحضر فى زاوية الفقراء هناك • الى أن تأثر أخيرا • فبقى بلا أكل ولا شرب ما شاء الله الى أن لحق بربه فى (تزنيت) فاقيمت له جنازة دون قدره • وقد تأسف الناظر سيدى أحمد (أوعمنو) على ذلك فقال : ان العادة فى أمثاله : أن يدعى الناس الجفل الى تشييع جنازته • فقلت له فى نفسي : أو ما تعرف ما قيل فى أمثاله :

مساكين أهلُ العشق حتى قبورهم ۞ عليها تراب الذل بين المقابر

ولم يعقب الا بنتا واحدة • لم تطل حياتها بعده •

من آثاره

كتب الى شيخه التاموديزتى بعد ما كتب اليه رسالة كما يظهر فيما يلى لم نقف عليها :

« الى شيخنا الهمام • وقدوتنا الامام أبى على : سيدى الحسن بن مبارك التاموديزتى • سلام الله تعلى ورحمته وبركاته عليكم وعلى من ناط بأذيالكم من جميع الاهل والاخوان •

وبعد : فقد وصلنا كتابك الاعز الوافى • المشحون بنفيس المعارف الشافى • فتلقيناه بالقبول والسرور • والترحيب والحبور • وفهمنا مضمنه بقدر الامكان • وأزال من قلوبنا غياهب التردد والشكوك • وأمعنت فيه النظر • فاذا هو جامع لكلام الصوفية رضى الله عنهم • اذ مدار كلامهم على أصول ثلاثة : معرفة الله تعلى • ومعرفة النبى صلى الله عليه وسلم • ومعرفة النفس •

نعم ، ورد على وارد اشكال وجوابه • وأحب أن أذكره لكم على طريق قياس الشكل الاول • وهو ان نفوس أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ونفوس العارفين رضى الله عنهم ميتة • وكل ميت لا تصح محاربته• ينتج : نفوس الاصحاب والعارفين لا تصح محاربتها ومجاهدتها • فما معنى المجاهدة فى حديث : رجعتم من الجهاد الاصغر • الى الجهاد الاكبر • ثم بعد هذا ورد على جوابه • وهو : أن مراد الصوفية رضى الله عنهم بموت النفس فطمها عن مألوفاتها وشهواتها • ومعنى المجاهدة فى حقهم : خوف رجوعها اليها بمكرها ودسائسها من غير شعورهم • وأيضا النفس جاءت من عالم الارواح• وما كان منه لا يموت ولا يشبع • لان الارواح من مواد البقاء • بل النفس والروح والعقل أسماء لمسمى واحد • سميت نفسا باعتبار

ميلها الى الشهوات • وروحاً باعتبار تعلقها بالجسد • وعقلا باعتبار ادراكها الاشياء • وانما تعددت الاسماء بتعدد المتعلق • والله أعلم • ثم ورد على وارد اشكال أيضا • وهو لا يزال عندى مشكلا • وهو قول الصوفية رضى الله عنهم : ان شمس القلوب لا تغيب كما قيل :

ان شمس النهار تغرب ليلا   وشموس القلوب ليست تغيب

وظهر لى والله أعلم انها تغيب وقت نومهم • والنوم سبات • ولاسيما من ضعيف المشاهدة • وعدم نوم القلب هل هو مخصوص للنبى صلى الله عليه وسلم ـ كما قيل فى خصائصه ـ أو عام لجميع العارفين • الظاهر الاول : لان له قلبا اذا نامت العينان لم ينم • وقولنا (١) مجيبين عن الابيات الثلاثة • (تطهر بماء الغيب) الخ :

غسلت بماء الغيب حقا ولم أكن   أشاهد الا الله فى الكون مطلقا

وتقديمنا الامام سلب ارادة   نصلى على الفانى فناء محققا

نضحنا شريعة بماء حقيقة   فصرنا بذاك جامعين تحققا

وقوله فى تلك الابيات : وصل صلاة الفجر فى أول العصر • دليل على اتصال نهاره • لان من صلى الفجر فى أول العصر • قد اتصل نهاره • ولا ليل عنده كما قيل فى البيت المتقدم : ان شمس النهار الخ • ونسالكم صالح الدعاء وأن تعذرنى سيدى غاية من التطفل على ميدان أهل العرفان • اذ التعلق بأذيالهم تعلقا ما أولى من تركهم بالكلية • ولاسيما ياسيدى أن نبهتنى فيما أخطات الادب والصواب • لانك طبيبى • وما كتبت اليكم نحو هذا الا استجلابا لجواهر نفثاتكم • وتلذذا بنفائس مقالاتكم • كما قيل :

كتاب فى سرائره سرور   مناجيه من الاحزان ناج

كراح فى زجاج بل كروح   سرت فى جسم معتدل المزاج

على أنى نحيف الجسم • لا أقدر على الاسفار البعيدة • الا أن يقوينى ربى • ونسأله تعالى أن يقوينا حسا ومعنى • وأن يجمعنا مع الاحبة ظاهرا وباطنا دنيا وأخرى • انه على ذلك قدير • وبالاجابة جدير •

نعم ، فاذا ظهرت النتائج • فى عرصات المدارج • فليس هناك الا نفائس المنن • ولو فى طى المحن • والسلام •

نعم ، وقولكم سيدى : وتارة بلون السباع والبهائم والكلاب الخ

---

(١) عرفنا الآن أن هذه الابيات من انشائه •

هـذا هو الكثير منها قبل زوال الحجاب • وقولكم سيدى : وتارة تطمح الى الربوبية هذا بعد زوال الحجاب • وظهر لى أن كل من حصل مقام الفناء • لابد أن يحصل له هـذا الطموح • ثم يجاوزه • وقولكم سيدى : بل التى هى عـين كل شيء فـآل الامر الى أن جميع الفرق جمع • والحـاصل ليس هناك الا هى • وقد فهمناه والحمد لله والشكر له • والسلام) •

الجواب

(وعليكم السلام ورحمة اللـه وبركاتـه وبعد : فمدار الاربـاح على التقوى • وهى الادب كله • ولا يتقى من لا يعرف • ولا يعرف المشغول عنه • فرغ قلبك من الاغيار • ولا يفرغ قلبه الا الشجاع. الكريم يجـود بحظه لا لحظ • وينعش بذوب حاله • وينتعش اللئيم ببقاء ماله • هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمـان • فكل ذى نعمة محسود • والكتمان قسمان : الظاهر يعرفـه كل الناس • والباطن يكون بأثواب الذل • فما أمره وما أحلاه • ولا ثبات فى الطريقة الا بهما معا • واهمال الاصول يقطـع عن الوصول • وللآدمى ميز تظهـر به وجهته وثمرته فى سفره • تبكيه أحبته الغافلون كبكاء الممات • وترحمه أعداؤه رحمة الامهات • فهذا من علامة سفره الى الحق • واذا ودعه أحبته فى سفره • فاعلم أنه ما زال مقيما عندهم • والكل بحول الله وقوتـه • من استبعد أن ينقذه الله من شهوته • فقد استعجز القدرة الالهية • كما قال ابن عطاء الله رضى الله عنه •

واعلم أن للآدمى فى هذه الدار وجهتين : وجهـة الى الحـق • فمـا أصعبها قبل السلوك • كما قال عليه السلام : طريق الجنـة حزن بربوة • وهى بعد أحلى من متعة الملوك • (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـا) ووجهة الى الوهم • وما أسهلها • كما قال عليه السلام : طريق النار بسهوة حفت الجنة والنار كل بضدها • سنة الله • ولن تجد لسنة الله تبديلا • ولن تجد لسنة الله تحويلا • فمثال المتوجه الى الحق كرجل طريقه نهر جار • وحاجته من أعلاه • يسهل عليه سلوكه ايمانه بما فى غايته من علو المرام • وما يلتقطه الآن فى حافتيه من جواهر العلوم • وان صبر فى بعض الاوقات • وحبس النفس وغاص فى بحر الطريق • عاد بيواقيت الانوار • حتى أنسته شدة جرية الماء الى أسفل • فيغلب ريحه ريح الهوى • حتى كان لا ماء فى طريقه • كسفينة فى بحر لجـى • تمخر المـاء وهو مواج ولا تحس به • فيتعجب الناس من توجه أهل الصدق وسلوكهم • لعدم فهمهم أذواقهم •

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

ومثال التوجه الى الوهم كذلك • الا ان عزم السالك الى أسفل • تساعده النفس والهوى والشيطان والدنيا • فكأنه ماش مع الماء • حتى كأنه ماء بنفسه • فيكون أصم أبكم أعمى • أى من جهة الحق • مع أنه سماع منطيق بصير • أى من جهة هواه • فلذا لايعذر بغفلته (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون • واذا استيقظ الانسان من نوم الغفلة تكلف الوقوف بالنهر • فيتحرى احدى ناحيتيه • وهو معنى التجريد ظاهرا وباطنا فى البدايات • حتى يقلب وجهه الى أعلى الوادى • فيحس بشدة مناقضة الماء له من نفسه وقرينه • فيعرف حينئذ عدوه من صديقه • فان صدق فلا يجد أعدى من نفسه التى بين جنبيه كما قال عليه السلام فان استجاب لله حقا • صدق فى محاربة عدوه • ونصب له المجانيق والرعادات • وعض بالناب • وخدش بالظفر وكل ما أمكن • وأقام نفسه عالما كليا تغيب عنه العوالم كلها بشغله • عملا بقوله تعالى : (فخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) وقال (فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) وقال (فشدوا الوثاق) وقال (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) أى حتى تنقاد نفسه الى سلوك الطريق مع مناقضة الهوى • فحينئذ يدب ثم يمشى ثم يهرول • ثم يطير (وما ذلك على الله بعزيز) •

واعلم أن محل الفجر الكاذب • هو محل الفجر الصادق • ومحل الصادق • هو محل الشمس لامحالة • فمن ولد – أعنى ولادة معنوية – على فراش الصنعة • فلابد أن يلعب بها فى أوله • وهو من علامة النسبة • ثم يتعشقها حتى يجد فيها • وحتى يكون فيها ماهرا كآبائه • أو أمهر منهم ثم لايترفع: (لاترفعونى فوق ابن متى) الحديث ؛ فشر الناس من يرضى أن ينبت نبت خضراء الدمن (فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم) (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم؛ وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة)

فخيار الناس هداتهم وسواهم من همج الهمج

آيتان فى كتاب الله تعلى • أصمتنا وأفنتنا كل واحد • وحققتا النسب لمن انتسب : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى) ولكن يفرح العبيد بقرع الباب • وان اقفله البواب • ويجعل تذلله عليه غاية الوصول • حتى اذا طلعت شمس الحبيب • وجد الباب عين البواب

كنت قبل اليوم حائر فى زوايا الكون دائر

والذى كان مرادى لم يزل فى القلب حاضر

ثم يتماوت من الحياء • من توهم البعد مع أنه لابعد • ثم يدعه الحبيب يسقط فى يده مليا • متجاذبا مجذوبا • متململا مولها • حتى لايشعر بما ياتى وما يذر • ثم يسقيه كأسا سنية سماوية • أبردت حشاه من حرارة افكار الطريق • فلم يملك أن غرد بملء فيه :

لى سكرتان وللندمان واحدة أطربه الخمر حتى قام عن ساق
فهام عن وجهه وطاب من طرب وسكرتاى بها ولحظة الساقى

وقد أذعنا • ولكن فى سوق أهلها صموت • حتى كأنهم المكتب تابوت وقلنـا :

لله خمرتنا تخفى وقد ظهرت اذا أعاندها لاحت بلا مهل
قالوا ألم تر من تهوى فقلت لهم انسان عينى بخلى زينـة الكحل

غـيره :

كيف أراه بعينى اليوم راعية أنعامهم فى حضيض الحب والقلق

هذا فمن رأى الملاح • فلم يعشقها فهو الخسيس • تعس عبد الدينار • تعس عبد الدرهم • تعس عبد القطيفة • تعس عبد الزوجـة • ثم انتكس (بيس للظالمين بدلا) وقد قلنا :

ما أرخص السعر والارواح نقرته فكيف ان قيل لى شىء من الوحل
قالـوا ادعيت فما تحقيق نسبتنا والغدر لاح وقد احجمت من ملل
فقلت قـول الوشاة ضل سعيهم والله لا أنجلى ولو دنا أجـلى
ديدنتى حججى والفضل معتمدى فكيف يعوز فضل أنتم أمـلى

فلا تستسمنوا ذا ورم • وشر الناس البرم • كل على مولاه • ان استودع فغربال • وان استمهل ظنه من نوع الاهمال • بيست البضاعة العجلة • واختها افراط المهلة • فكل شىء له حد • اذا جـاوزه فسد • فنعم الوزير العلم • أعنى به توقد الهمة • من مشاهدة الحسن المطلق • لاعلم الطروس • فعنه تنشأ المحبة الجامحة • وطيران الارواح بالاشباح • ونسيان المحنـة •
فعنه تنشأ المحبة الجامحة • وطـيران الارواح بالاشباح • ونسيان المحنـة •
واعلموا أن أهل كل حرفة يغلبون فى دارهم • ويغلبون فى دار ضدهم • كبرى سقط فى بحر • يغلبه أدنى حيوان البحر • كعكسه • فـلا يلومن الفقير الا نفسه فى مخالطة ضده • الا لضرورة • فيتحفظ من مسارقة الطباع وقولكم : نعم ورد على اشكال وجوابه • الى قولكم : والله أعلم • أعلـم أولا

أن هذه الدار دار تجلي الصفات الجلالية والجمالية • أى في عالم الملك والملكوت فبحسبهما يكون الجهاد• فالملكوت فرق لسكانه من الملك والجن • جمع للملك وأهله • والملك فرق لاهله • جمع للملكوت وأهله • أى فكل جمع لضده فكل حالة مالوفة لنا تفرقنا• أى تحيى نفوسنا • وغير مالوفة تجمعنا • فلذا قال شيخ شيوخنا رضى الله عنهم • مولاى العربى رضى الله عنه • جوع النفس كثيرا • واشبعها كثيرا • أى واعرها كثيرا • وحلها كثيرا • وايقظها كثيرا • ونومها كثيرا • أى حتى تكون سلسلة سهلة قابلة للتلون بلاعنف• فتكون كالجمل الانف • ان استنيخ على صخرة اناخ • فيبقى لها ادراكها عند التلوين الالهى • أى تجلي الجلال والجمال • وهو سر قوله تعلى : (ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا) الآية ••ففى نحو هذا يكون الجهاد • ولو من نبى • لان العبد عبد • والرب رب • (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) ولا عبودية الا مع الجهاد • شيبتنى هود وصالح • وقال عليه الصلاة والسلام : رأيت جبريل عليه السلام تحت العرش كالحلس البالى من خوف الله • أليس هذا هو الجهاد الاكبر • وهم معصومون • فكل مقام له أدب يخصه • والادب جهاد • وله باطن • وهو أكبر محله • ولايعرفه الا أهله• وهو المعتنى به عند الاخوان • وأما من لاتسكن نفسه الا بحسن الظواهر المتلاشية • من كسيوات • ولين الثياب • وكثرة الاتباع • ولطخ كفه بالتقبيل من الاوباش • فلا يطمع فى معرفته • وله ظاهر يسمعه كل الناس ـ وأعله يعرفه كل الناس ـ وهو نقطة من أثر أدب الباطن • بشرط طهوره على طريق الحكمة • ويعنون بموت النفس : تذليلها لهذين الادبين • ولانزال الدابة تستوحش من الحمل مدة عمرها • ولولا علمها بقهر ربها لما قبلته يوما • ولو اهملت زمنا لما ألفته الا بشدة • فبقدر العلم يكون القرب • وبحسب القرب يزيد الادب • ثم بالادب يتزايد القرب•وعنه عليه السلام: انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة • وأشد الناس بلاء الانبياء • ثم الامثل فالامثل • أتظن ان بلاءهم منحصر فى المصائب فقط• لا • لا• وأكبر البلاء نعوذ بالله : الخذلان • وكل يخافه • وربما يقال : لا أنس مع الجهاد • والمومن يانس ويطمئن • أقول : على الهمة أنسه جهاده أفلا أكون عبدا شكورا •

لا تدعنى الا بيا عبدها فانه أجل اسمائى

الحاصل أن الدنيا دار تلوين مع ظلمة خالصة • أو مشوبة بنور تام أو ناقص • بحسب ما يعرض للفطرة (كل يعمل على شاكلته • وربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) والآخرة دار تلوين • لكن مع نور تام • (اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا) فال ما ذكرنا الى ما ذكرت • نعم مجاهدة الخواص فى

بساط الهيبة والانس ، وغيرهم فى بساط الخوف والرجاء ، هذا فانظر الى قوله تعلى (واصطبر لعبادته) تأمل تاء الافتعال ، فلها معنى بليغ ، وقد قيل:

وما فى الارض أشقى من محب وان وجد الهوى عذب المذاق

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) ولو قامت المجاهدة بحقها لما كان فضل ، فلله الحجة البالغة على الاطلاق ، آه ، آه ، آه ، فالخير كله فى تهمة النفوس ، والسلام ، فما زالت النفس لم تجاوز الصراط ففيها بقية ، فيها يكون الجهاد ، والناس فى السير أبدا ، ومحل القاء العصا : الجنة أو النار ، نسأل الله الغفور الرحمة ، ونعوذ به من حال أهل النار (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) الآية ، والاشكال الثانى الباقى على حاله ، مضمنه : ثمرة المجاهدة ، وفى ادعائه قيل للبطالين :

هى الشمس مسكنها فى السما فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعو د ولن تستطيع اليك النزولا

ولكن لما كانت النعم منحا الهية ، وفضل الله يوتيه من يشاء ، طمع فى ذلك الجمال كل ناظر ، وقد يفوز المتأخر ، ويعثر الجواد :

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

وكقوله :

حتى رأيتك تجتبى وتخص من تختاره بلطائف الامنـاح
فعلمت أنك لاتنال بحيلة فلويت رأسى تحت طى جناحى

واكثر من ينعت هذا المقام ، مدع بلا بينة ، فلذا قال مولاى العربى رضى الله عنه : من وادى (تونس) الى (وادى نون) (تجنبر فيه واحد أوجوج) ـ أى تجد فيه واحدا أو اثنين ـ والمدعون كثيرون ، ولكن العبد يقول :

وان لم أفز اليك حقا بنسبة لعزتها حسبى افتخارا بتهمة

ولا يرضى بغير الوصول الا الجهول ، فهذا المقام يشم ويذاق ، فلما يزيده الكلام الا غموضا ، والكشف عنه علامات جهله ، وتكون من أهله اشارات اليه ، والبصير من الناس فى هذا المعنى ، كناظر من الماء الصافى الى نجوم السماء يريد الاحاطة ، قال تعلى : (فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وضعيف البصر كناظر فى ماء متغير ، ومن غلب عليه الرين كناظر من

حما مسنون، بحسب تعلق الهمة بعالم الاحساس وفراغها . هذا وما ذكرت من أن النوم سبات . فالموت اسبت منه فبالموت يظهر هذا المعنى . لا أنه ينعدم به . فلذا يحبه المحب (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتا . بل أحياء . ولكن لا تشعرون)

وانى لاستغشى وما بى غشية   لعل خيالا منك يلقى خياليا

وكقولـــه :

واخرج من بين الديـار لعلنى   أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ويقظتنا كسماء مغيمة . وموتنا ـ والنوم أشبه به ـ كسماء مصحية دليل الاولى الناس نيام . فاذا ماتوا انتبهوا . وفى الموت اللقاء . والقبر روضة من رياض الجنة . أو حفرة من حفر النار .

واعلم أن الحقائق لاتتبدل بنقلها فى المقامات . بل تنمو بها . فالمحبوب محب يقظان أو نائما . والسلطان هو هو يقظان أو نائماً . والعارف أثبت مطلوبيته . وفنيت طالبيته . وقد قالوا : متى نسيته فاذكره :

(يا قوم من هو روحى كيف أنساه)

(وهو الذى أمات وأحيا) (وهو معكم اينما كنتم) فلله مجنون بنى عامر اذ قال :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت   على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا   اليها صدى من جانب القبر صائح

وكقولـــه :

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا   ومن دون رمسينا من الارض سبسب
لظل صدى صوتى وان كنت رمة   لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

فلا تظنن عين القلب نائمة . ولو فى لمحة . الا أن يقظة قلوب الانبياء عليهم السلام . ليست كيقظة أحد . فبتوجه عين الغافلين الى الفانى يقظة ومناما سموا موتى . لموت معتمدهم . ومحل نظرهم (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) وبتوجـه عين الاحبة الى الباقى . سموا أحياء . والعز يتلألأ منهم وهم موتى . فضلا عن أهل النوم . فها آثارهم وقبورهم تحج . الحاصل لا ليل ولا نوم ولا موت فى الجنة . بل أهلها فى روضة يحبرون . فللعارف وجهتان : وجهة بشرية (ان نحن الا بشر مثلكم) ووجهة ربانية (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده . يختص برحمته من يشاء) فالناس لحياة نفوسهم فى سوق الظلام والاحبة لموتها فى ضوء النهار . غر أهل الغفلة اعارة الصفات

اى اشراقها على ايلهم • فظنوا أنهم موصوفون بها • فماتوا بادبارهم عنها • وأعرض أهل اليقظة عن الآفلين • فدبوا الى الحى الدائم • فرأى صدقهم • فاخذهم عنهم فانجز لهم ما وعدهم • فصارت الحضرة معشش قلوبهم • وان نزلوا الى الحظوظ فبالاذن واحاطة العناية • فكيف تغيب شمسهم • واشد الاوقات اظلاما على القلب • وقت قضاء حاجة النفوس • ولاسيما المنكح • واكثرها اشراقا وقت الضرورات (امن يجيب المضطر اذا دعاه) الآية • ولكن أكثر الناس لايعقلون فيفرون منها • ولهم نزوع الى نار شهواتهم • كفراش يطلب لهب المصباح • وان فاته وقع فى الزيت • فياليته فر منها ويقضى حاجته فى ساحل ضوئها • والاستبصار فى هذا الباب بالادبار عنه • وباقامة الادب بالذكر وشروطه حتى تضمحل غيوم آفاق القلب • فتظهر شمس الصفات على بقاع النفس فتنشفها • وتصير أفانين الظلام مضمحلة • كأن لم تغن بالامس (بياض مما انتسخنا منه) ان شمس القلوب والله ماغابت قط • ولكن العين هى التى تعمى • كيف تغيب نوما والموت أشد منه • وقد قال عليه السلام : يموت المرء على ما عاش عليه • ويبعث على ما مات عليه (فانها لاتعمى الابصار • ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) اى ترى دائما مظهر الصفات • ومحال ان تفارق • ولكن القلوب لها ميل الى غير ما ظهر لها • فعميت بلا عمى (قل انظروا ماذا فى السماوات والارض) الآية وقد قالوا :

كل شىء عقد جوهر حليـة الحسن المهيب

والنوم شىء (هو الاول والآخر والظاهر والباطن • وهو بكل شىء عليم) وقالوا ظهر المحبوب فى الحياة وفى الممات • وفى النصارى وفى اليهود وفى القرود • وفى الذوات والصفات •

لاترى فى شمسها ظل السوى فهى شمس وهى ظل وهى فى

هذا فكيف يظهر من احتجب بظهوره • وقهر كل شىء بسطوع نوره • أم كيف يخفى من قام بكل شىء • وكان على كل شىء رقيبا • وغاية الكشف فى هذا الباب قول الصديق رضى الله عنه : العجز عن الادراك ادراك •

ما وحد الواحد من وحدا توحيده اياه توحيده

وقول من ينعته لاحد • الى آخر كلام أهل الفن رضى الله عنهم • وسقانا من مشربهم • وقولكم على قولنا : وتارة بلون السباع الخ هذا قبل زوال

الحجاب. أقول : ان للنفس غرائب قبل الحجاب وبعـده . لكن قبله لاشعور بما فى الدار . وبعده يكون . قال شيخ شيوخنا رضى الله عنهم سيدى على الجمل . رضى الله عنه فتارة أنا ولى . وتارة نصرانى . وتارة يهودى . وتارة يونانى . وتارة وتارة الخ . وقد خلق الآدمى من بين العوالم كلها . فهـو كعبتها تحجه كل حين . فكل عالم نزل به تلون به . فلكونه جامعا تحمـل الامانة . ولو شاهد حسنه لشغله عن كل حسن خلقه مولاه . فقال لـه : ته يا مركز نورى ونظرى . جعلنا الله واياكم ممن فهم عن الله . بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولكم : يحصل له الطموح بعد الفلاح . بل قبله لثبوت انانيته . وحينه تمحقه الهيبة . لكل داخل دهشة . وبعده يثبته الانس . نعم بعض يطيش فيقع له الشطح . فيقول : أنا هو . فيقع له ما ذكرت . لكن هذا فى عين النور . لا لوم باطنا . وان ليم ظاهرا . وذلك فى عين الظلمة يلام ظاهرا وباطنا . وقولكم : قال الامر الى قولكم : ان ليس هناك الا هى . وقد تفهمناه . ولو فهم لما ورد الاشكال الثانى . اذ الذات عين الصفات عند أهل الحـق .

الحاصل : الذل الذل . الناس الناس . فالاستيناس بهم مـن علامـة الافلاس والتؤدة التؤدة . فان العجلـة من العــدو . وشبر من العمل ، خير من ألف ذراع من العلم . وذكر والمذكرات أساس الطريقة . والصدق سيف لاينبو . (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) وادامة السبب يثمر المسبب

* * *

انتهى الجواب العجيب الذى هو وحده ترجمة للشيخ التاموديزتى . والحق أقول : ما كنت أظنه ممن يولعون بأمثال هـذه العبارات التى تكـون شائكة عند أرباب الفن . حتى رأيت لـه اليوم هذا . فوقع لى فيه مثل ما وقع لى فى الاستاذ محمد بن العربى الادوزى . الذى كنت أظنه على مذهب الفقهاء والمحدثين حين رأيته ينكر على بعض الصوفية . ثم لما رأيت لـه فى شرح (رحلته) المراكشية مارأيت تعجبت منه كثيرا . لاننى رأيت له قبل فى الطريقة الناصرية . وفى الشيوخ التيمگيدشتيين رحمهم الله . ما ينكرمثله أو أدون منه على سواهم . فكذلك الشيخ التاموديزتى . فما كنت أحسبه ممن لهم الخوض فى مثل هذه المخاضات التى ان سقط فيها مريد أو ألم بها.

فلا يزال يلهج بها حتى ربما تنسيه المقصود • ولذلك قلت : ان ترجمة كبيرة له • تعرف من هذا الجواب الذى يدل على ذوقه • وعلى أنه من أرباب مثل هذا الفن • فأين هذا مما نعهده من الشيخ الالغى الذى يألف أن يسد هذا الباب دائما أمام المريدين • فلم أقع له على لمحة منه فى كل رسائله التى مرت بى • وهى ما ت • فان كان سبقه لسانه أثناء مذاكرة فى مجلس المذاكرة فسرعان ما يستدرك فيجيف الباب • فكل أصحابه لايعرفون الفرق والجمع ولأمثال هذه العبارات • ان هى الا أعمال واخلاص فى العبودية • فمن ذاق فانه ينبذه وراءه • ثم الى ربك المنتهى •

انتهت ترجمة الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الذى يظهر منه أنه لم يتورط فى هذا كل التورط • أم ان الشيخ الالغى أنقذه أخيرا من هذا• وبأمثال هذا يدرك الفرق بين تربية الشيخين رحمهما الله ورضى عنهما •

الحسن بن عبد الرحمن الايكراي

١٢٩٨ هـ = ربيع الاولى ١٣٦٦ هـ

نسبه

الحسن بن عبد الرحمن بن ابرهيم إلى ءاخر النسب المقدم عند أهله

متعلمه للقرآن والعلوم

أخذ القرءان عن علي بن محمد من بني عمومته في قريته • وعن ابرهيم اللعمرى البونعماني في مسجد (دير بني همّو) في (بونعمان) ثم عن عبد الله من بني رمضان الكريمي • من الكريمة • بمدرستها • فعلى هؤلاء جود •

ثم افتتح عند صنوه المذكور قبله : الاستاذ محمد : ١٣١٢ هـ في مدرسة (الكريمة) ثم صاحبه الى مدرسة (بوكرفة) فبه تقدم وختم الفنون في المتون • وقد ذكر أن أخاه المذكور كان يلزه اذ ذاك لزا • وقد حكى المترجم ذلك قائلا : وكثيرا ما يتوقف بعض أقراني في مسألة • فيضربني أنا (كالثور يضرب لما عافت البقر)

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتندم

هذا هو الاستاذ الاول الذى خاض بواسطته الفنون • وفتحت له به أبواب المتون •

والاستاذ الثاني : مبارك بن همو التمجاضي البرايبمي • الاستاذ المشهور • وقد كان اذذاك مشارطا في مدرسة (تزنيت) وهذا الاستاذ ذكر في محل آخر • والسنة التي كان عنده فيها : ١٣١٤ هـ وهو من الآخذين عن سيدى مسعود المعدرى • ومن أكابر أصحاب النوازل في عصره •

والثالث : الاستاذ محمد بن مسعود • التحق به نحو أواخر : ١٣١٤ هـ فاكب هناك على التحصيل التام • مجتهدا على أن يكون دائما مجليا بين اقرانه • فثافن وحفظ وحصل •

والرابع : الاستاذ : الحسين بن عمر بيبيس · اتصل به : ١٣١٩ هـ وقد ذهب من المدرسة (البونعمانية) اليه في احدى مدالس الاخصاص التي يكون فيها هذا الاستاذ · فلازمه نحو عام ·

والخامس : الفقيه عثمان ابن عمه في مدرسة (ايدغازال) هناك في (الاخصاص) ثم في سنة ١٣٢١ هـ راجع المدرسة (البونعمانية) فاقبل على تحصيل المنطق والبيان والاصول عند الاستاذ ابن مسعود حتى حصل منها جملة وافرة · خصوصا في الاولين · فكان الاستاذ يسرب اليه الطلبة ليعلمها لهم · فينتدون حواليه · كما أنه شرح اذ ذاك بعض المؤلفات البيانية للاستاذ كما ستراه في ذكر ءاثاره ·

ومما حصله هناك أيضا علم الادب · فان له فيه يدا · قد اكتسب ما عنده منه من الاستاذ · فتاخذه أريحية الادب · ويجول في القريض بمناسبات كما سترى ذلك · وقد أجازه الاستاذ باجازة ·

مشارطاته

١ ــ مسجد (ايغبولا) : ١٣٢٧ هـ سنة واحدة ·

٢ ــ مدرسة (ادشعود) بـ (الاخصاص) عامين : من أواخر ١٣٢٩ هـ وقد راجعها أيضا بعد سنوات قليلة ·

٣ ــ مدرسة (ايدغازال) الاخصاصية : عامين في حدود ١٣٣٨ هـ ثم راجع أيضا المدرسة المذكورة قبلها سنة ونصفا · عام ١٣٤٤ هـ كما راجع أيضا هذه مرة أخرى سنتين ·

٤ ــ مدرسة (أورير) ازاء (أكادير) سنة ١٤٤٣ هـ

هذه هي المدارس التي شارط فيها · فساهم في التدريس · وان كان جل عمله فيها مزاولة النوازل · خصوصا في (الاخصاص) فان ما بينه وبين القائد المدني ملتحم حينا · فرفع له ذلك راية الشفوف على أقرانه ·

نبذ من أحواله وتقلباته

كان فقيها جريئا متعاليا بعلمه · رأيناه وهو شيخ مكفوف · فرأينا ذلاقة الشباب ونشاطهم وهمتهم وحبهم للتقدم في كل شيء · مع فكاهة لاتغادر التجهم في مجلس هو فيه · يستحضر من العلوم التي درسها · فتراه يورد النصوص · ويأتي بالفوائد في كل مناسبة · متشبثا مصرحا بالحق الذي يراه في هذا الباب · وأما في غيره فانه عاقل يداري غاية المداراة · ما ولج بيئة الا اكتسى حلتها · واصطبغ بلونها · فلو كانت الدنيا

والجاه والشهرة الكبرى تنال بالنشاط وبالعلم والعزوف والهمة • والمخالقة التامة • لكان له اليوم من كل ذلك ولكن ذلك كله انما هو قسم وحظوظ •

كان والده سيدى عبد الرحمن ولاه المولى الحسن القضاء فى جهته بظهير يوجد عند أهله• لم نتوصل به • فقدمه المترجم الى الامير الهيبة ١٣٣٠هـ بـ (تزنيت) فتولى اذ ذاك اقتداء بما فى ذلك الظهير • قضاء (أكلو) و (أيت برايبم) و (الساحل) • وقد كان من بين الفقهاء الجزوليين الذين يجولون اذ ذاك فى تزنيت ولكن كل ذلك لم يتم • لتقلص امارة ذلك الامير بسرعة • لكنه كان يكب على النوازل فى كل مكان أمكن له فيه ذلك • فجال فى بلده وما اليه قبل أن تتمكن الحكومة • وتنظم أمور القضاء كما كان له ذلك أيضا فى بعض مشارطاته • كـ (الاخصاص) — كما ذكرناه قبل — وقد كانت (الاخصاص) اخر الميادين التى جال فيها بذلك حتى قلب له القائد المدنى ظهر المجن • فذهب الى (البيضاء) : ١٣٤٩ هـ

كان جوالا هنا وهناك • فيكون كثيرا فى (حاحة) وفى (رأس الوادى) وقد حدثنى من رآه فى مجلس القائد محمد بن ابرهيم التيييوتى • يذكر مع من فيه وردهم • ثم رآه وحده منتبذا فى قبة سيدى احمد بن عبد الرحمن يذكر ورده الخاص • قال فقلت له ما تصنع : فقال : اذكر وردى الحقيقى• وأما ذلك • فانما هو للمماشاة مع أرباب المثوى • أقول : قد أوصى ابن عطاء الله فى كتاب (التدبير) — كما أحسب — على أنه ينبغى للفقير أن يذكر مع كل من يصادفهم من الذاكرين على أى حال كانوا • ولعمرى ان هذا هو المتعين فى عدم التفرقة بين المسلمين • ولكن قبح الله الجهل وأهله • فقد جعلوا الاسلام طرائق قددا • والقرءان ودينه عضين • وبهذا تعرف أن ما ذكره به المؤرخ الايكراري لايعيبه • بل يكسوه حلة مذهبة •

كان بحاثة مع كل من لاقاه • وقد وقع له مع شيخنا أبى محمد الالغى مثل ذلك • حين كانا معا مشارطين فى مدارس (الاخصاص) نحو الاربعين• فقد رآه شيخنا يباحثه كثيرا • فأراد أن يوقفه عند حده • فناوله كتاب (نزهة الالباء) فقال له : اتل علينا منه واهل الـغ يدلون بأنهم يحسنون التلاوة من أى كتاب صادفوه بلا تلعثم ولا لحن • فقال لـه المترجم : انـك وامثالك مازلتم مكبين على أمثال هذا الكتاب حتى حفظتموها • فلا تلحنون فيها • أفتريد أن أمضى فيه أنا قدما بغير تصحيف لاول وهلة • فخذه أنت الذى حفظته فاتل علينا منه •

بيني وبينه

صدرت مرة من(الغ) حين كنت أتلقى بالحمراء • وذلك في حدود ١٣٤١هـ فمررت من هشتوكة الى قرية (المزار) بقبيلة (كسيمة) فلاقيته مقبلا من (حاحة) الى بلدته فرجع معي الى (المزار) لانه لم يبعد بعد من هناك • ففي ذلك اليوم افتتح تعرفي معه • فرأيت منه كل ما وصفته بـه من محاسن الاخلاق • والحذق والعلم الكثير • ثم ضرب الدهر بيننا الى أن انطلقت من (الغ) اثر ما كنت منفيا اليه • فكنت بـ (تزنيت) في دار القاضي في اليوم الثاني من ربيع الثاني : ١٣٦١ فولج علينا • وولده يقوده ـ لانه عمي من سنة ١٣٥٦ هـ فانبعث من ذاكرتي ما كان فيها ذلك اليوم في (المزار) فمر لنا مجلس حافل معه • وهوحفظه الله يفيض بالفوائد النادرة • ومما سمعته منه في ذلك المجلس أنه ذكر أن المروءة ضبطت بفتح الميم وضمها في كتاب (درة الغواص) للحريري • فدل ذلك على انه طالع كثيرا • وكان يحاول أن يبحث اثر كل كلمة قيلت حتى باسطته قائلا : البحث في الالفاظ يعلـو عنه مثلك • وانما هو من إشيم المتفهمين المبتدئين • أو كما قلت له • ثم بعد أيام جالسته أيضا في قريته بـ(ايكرار) فلا تسل عما مضى لنا هناك فانه كان ممتع المجالسة • حلو الحديث لطيف المفاكهة • حاضر النـادرة • وقد تشذب بأخلاق الحواضر التي التحق بها منذ : ١٣٤٩ هـ فأداه اتصاله بالناس هناك • وكثرة مخالطته ومخالقته الى أن تعين في المسجد الكبير في (البيضاء) للتوقيت • وقد لاقاه استاذ الفن : سيدي محمد العلمي الفاسي • فأثنى على ادراكاته في هذا الفن •

وقد حدثني القاضي الهاشم بن خضراء السلوي : أن المترجم هو الذي وقف مع العلمي على تحرير قبلة المسجد المحمدي يوم تأسيسه • فترك له العلمي تحرير القبلة • فلما أتم العمل وافقه العلمي على ما فعل • فصار يشهد له بالتمكن في الفن ثم لم يزل هناك حتى فقد كريمتيه • وممن أخذ عنه هناك القاضي سيدي الرشيد ابن المصلوت الهواري •

ثم لما عمي بقي ولده عبد الله يعلمه بالاوقات • وقد حذق أيضا فـي التوقيت • فدام على وظيفته الى الآن : ١٣٦١ هـ وانما ورد الى بلدته ليشارف أملاكه • فلذلك ساقه لنا الحظ فجالسناه • ومما حكى ذلك اليوم ونحـن نأكل كسكسا باللحم أن بعض الفاسيين آكـل صاحبا له بدويا في قصعـة من كسكسو فتهدم اللحم الى جهة صاحبه بعدما أمعن تحته • كأنما يحفر هناك خندقا فقال صاحبه البدوي :

فرح الطعام بأهله فتبسما

فقال الفاسى : بل جا البلا من تحته فتهدما

وقد أنشدنا اذ ذاك لنفسه ما سنورده بعد .

أدبيات منه و اليه

ومما كتبته اليه بديهة اثر مفارقتى له :

بالله يا ريح الصبا هبى نحو الحمى بهوى من القلب
وانحى به شمس المعارف من ملكت بشاشة خلقه لبى
شمس لها الانوار قد سطعت تكسو جميع الشرق والغرب
بحر خضم فى العلوم غدا لفنون كل العلم كالقطب
يحوى علوم الارض ثم علا همما لعلم الانجم الشهب
دامت له العليا ودام لها متفردا فى العجم والعرب

الشيخ الصالح . العلامة الفهامة . جماع الفنون . والبحاث بذهن كصارم مسنون . سيدى الحسن بن عبد الرحمن . السلام على مقامكم السعيد . وعلى وصلتكم التى هى فى عيوننا على عهدها موسم وعيد . أما بعد فقد وصلنا البلد بحمد الله وشكره . وما أنس لاأنس تلك الفوائد التى تمتعت بها منك حينا من الدهر . صار عندى كأنه غرة وتحجيل فى العمر . فمتى استأنس ثانيا بك ياسيدنا ومفيدنا . بل يا شيخنا الذى بمثله نفاخر . وأحب من سيدى أن لاينسى ما وصيته عليه من ارسال الاجازات التى أجازه بها اساتذته . مع كتابته لى مثل ذلك . أدامكم الله للمعالى وللعلوم والمكارم . والسلام .

١١ جمادى الاولى : ١٣٦١ هـ

وقد وجدت عندى منه ما ياتى اثر مكاتبة ـ ولعلها المتقدمة ـ :

هو الحبر وابن الحبر خير ممجد وهل ينجب السادات غير مسود
تحوز أيا ابن الشيخ ارثك من أب عظيم فتغدو أمجدا نجل أمجد
فلله ما أرسلته من الوكة فصاحة سحبان وانشاء احمد
فشيخ الشيوخ قد تقر عيونه بما حزته فى يومنا بله فى غد
فوالله لم أبصر سواك بسوسنا نظيرا لما أوليت من خير محتد
فقد فقت فى العليا لداتك كلهم ومشيخة أيضا لدى كل مشهد
علوم وآداب وخير سجية تفوق بها رغم العدا كل سيد

فـإن تكـن النعماء أعطتك لبهـا فأنت الذي بالهصر تجنى وباليد
فقد كلت للتحصيل بالقدم الثرى وثافنت للعرفان فى كل معهد
أداماك للمجد المؤثل والعلا الهك عن جاه الرسول محمد
عليك سلام الله ما هبت الصبـا وما قام هاد فاقتدى به مقتد

وقد كنت كتبت اليه قبل وفاته بقليل . ثم لم يتيسر أن يصله لوفاته :

دم لاكرار بالعلوم ذكـاء فيفى أفقها سنا وسناء
ان (اكرار) منبع العلم والد ين فتحوى الافاضل العلماء
هى بحر كانت تجاور بحرا من ترى منهما ترى الدأماء
أسرة لاترى سوى العلم مجدا فيه قد يطاولون السمـاء
كل صعب سهل لمن أصلهم من أسرة فذة العـلا شمـاء
لم تكن غير سلسلسلات عظام كل عصر تتابعوا أسريـاء
أى قرن لم يبد منها عليـم يجعـل الناس كلهـم علمـاء
عرفتهم (ايسى) فـ(وجان) سحبا هامات بغيثهـا سحـاء
فاذا (تومتـار) تصبـح منها كرياض قد فوفت زهراء
واخيرا (اكرار) حازت من الاجـ ـداد ما توجوا به الابنـاء

وكتب الى استاذه ابن مسعود ـ ولعل ذلك حين كان لايزال يأخذ عنه مانصه :

سلام ربى على نجل أبى الفرج كـذا تحيته تصحب بالفرج
لله دره من عدل أقام على محبـة الله لا تراه ذا عوج
وكيف لا وهو قد حوى العلوم فلا تركن الى غيره تركن الى الهمـج
أنخ مطية عزم شطر مربعه ثم ائتمنه بلا ضير ولا حرج
يا منصفا يبتغى الهدى بسيرته عرج به عله يلقاك بالبهـج
لما رأى ظلمات الجهل قد بسطت جعل فى قلعها بالوعظ كالهزج
بالله يا منية للقلب أعط رضا لمن أراد النجا بكم من الهرج

الجـــواب :

زادكم الله من فضل ومعرفة ما فوق آلكم ياقطعة الكبد
ان اللسان جمال للفتى اتسقت له المعالى بتقوى الواحد الصمد

فتق اللسان تراه بالتدرب من ... حفظ القصائد والانشاء فاجتهد
وارع الالاه وكن بالذكر محتفلا ... وراع قلبك دابا تحظ بالمدد
أصل الصفاء تخلص القلوب من الا ... كدار ، فالذكر فيه أوفق العدد
لالت بحرا بسيط الفضل وافره ... مسدد الفكر بالتحقيق والرشد

ومنها قوله يخاطب الاستاذ المحفوظ الادوزى :

فلست ترى بحرا تلاطم موجه ... بمجلس علم حله الفخر والمجد
سوى فطن من للمعارف متقن ... واعنى به المحفوظ منجوده الجود
ولم لا وقد سما على الشمس رفعة ... تضىء به الارجاء فالشكر والحمد
فرائد قد زهت فطابت وورنقت ... بعلمكم الفضفاض يامن هو السعد
غرائب علم تنجلى بذكائه ... وتختال للرواد منه ولا تعدو
أدامكم المولى لحل عويصة ... بذهن مصيب ليس يطرقه الرد
سلام شذاه يملأ الكون كله ... على بدرنا اللذ فضله ما له حد

الجواب :

أريا الخوالى جاء وهنا بها الورد ... أم المسك من دارين ضاع له الند
نعم غادة تهدى بفكرة ماجد ... بليغ ، فما قس لديه وما سعد(١)
ولم لا وقد أبدى فريدة نوعها ... يذوب اذا أمليتها الحجر الصلد
يسوم بها الاقران أى مشقة ... ويعنو له فيها المسالم والند
وبالجملة العلوم حاز قيادها ... وتعنو اليه العاليات ولا تعدو
أدام به المولى حياطة حالها ... وارضاه افضالا ولازمه السعد

ثم بعد هذا كله ، أطلعت له على قصيدة خاطب بها القاضى العدل الجليل سيدى الهاشمى بن خضراء السلوى ، ولم تحضر عندى الآن .

آداب مجلس الاتاى

كان للآداب العربية فى جميع نواحى المغرب ، سجل طافح حول مجالس تعاطى الاتاى ، شارك فيها السوسيون ، فقد قرأنا للفقهاء الجشتيميين .

١) سعد الدين التفتازانى ، لانه هو الذى يتكلم فى البلاغة ، كما أن قسا يتكلم بالبلاغة .

والعلماء الادوزين • والادباء الالغيين • قوافي متعددة • سيراها المطالع منبثة في تراجمهم في هذا الكتاب • وكان ممن لهم في هذا الميدان مسابقة وطراد : السادة الجراريون • فبين أيدينا الآن أرجاز بخط الاستاذ سيدي محمد بن أحمد الايكراري حول (تشحير) الاتاي • أينبغي أم لاينبغي • والمقصود بالشحير : تسخين البراد من فوق مجمرة صغيرة • كثيرا ما تكون ازاء المجمر الكبير الذي يكون فوق المقراج • ولاسيما في أوقات البرودة وكثيرا ما يسخن البراد من فوق مجمر المقراج نفسه • فقد تجاذب القوافي حول ذلك هؤلاء السادة الاستاذ سيدي محمد بن أحمد الايكراري وسيدي عثمان بن أحمد الايكراري وسيدي الحسن بن عبد الرحمن صاحب الترجمة والاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي • والاديب سيدي الطاهر الافراني • فحين كان الكل موجودا الآن أمامي • فانني أعزم على عرض بعض تلك الاراجيز باختصار

قال الاستاذ الايكراري :

الحمد لله العظيم الشان	ثم صلاته على العدناني
والآل والاصحاب والاتباع	والتال بالاوتار والاشفاع
وبعد فالغرض في المنظوم	نسبة بعض الناس للوهوم
أعني به مجمر البراد ،	فما له فضل بكل ناد

الى أن قال :

قلنا لهم زهومة القزدير	تغير الطعم بلا نكير
لو كان تجمير لوندريزي	ذكره في نظمه الادوزي (١)
كذلك العلامة الجشتيمي	والسيد العرب في المنظوم (٢)
عدوا له نظافة وأدبا	وجانبوا التجمير والتعشبا (٣)
مداوموه في النوادي بله	وبالطنافس يحق الكره

---

١) على (لندن) : عاصمة الانكليز • يطلق لوندريز وينسب اليها الاتاي الجيد عند الشلحيين •

٢) هؤلاء الثلاثة : محمد بن العربي الادوزي • ووالده العربي • واحمد الجشتيمي • لهم كلهم قصائد في آداب مجالس الاتاي •

٣) أي وضع العشب • يعني نباتات غير النعنع والمردقوش والشيبة •

الى ان قال :

أرني ذا مروءة هذا فعل ... والشح يبدو نجمه متى انفعل
فعيلة ابدعها المزالط ... واستحسنتها فئة مغالط (١)

الى أن قال :

وكل ما الحياء منه مانع ... فانه للذم حقا جامع
كشرب طابغ ولهو وهذر ... من كل ما استقبحه حسن النظر
هذا الجلي مالك ما تقول ... ولا تخف جاوزك الفضول
وحجة قوية لا تبخسوا ... والحق بالباطل لايلتبس (٢)
تعمدا قد كتم الشهادة ... مجمر واستحوذ البلادة
اذ كل من له أقل مسكة ... يحسن الاخذ بذا ومسكه
يحق للموعاظ فى المحافل ... تنبيه ماجد بها وسافل

الى اخرها .

ثم أجابه ابنا عمه سيدى الحسن بن عبد الرحمن وسيدى عثمان بما لم نقف عليه . ولعله نثر . ثم كتب الايكرارى المذكور الى سيدى الحسن ابن عبد الرحمن أيضا .

أول ما يبدأ به السلام ... على الذى تحفته الكلام
هذا وان الحسن النظام ... خاطبنى لكن بلا سلام
فنظمه فى الحلى كالجمان ... مستعذب فى الحلق للنشدان
زخرفه بحجج ضعيفة ... قيمها لدى اللبيب ليفة
كابر فيها الحس فى (لاتبخسوا) ... ملقنا لحزبه لا تيأسوا
أما الذى أدعيت من جزاف ... دعواك فاستحضر لها التلافى
والامتهان حق فى التجمير ... مكابر يقول ذو التجبير
وذائق يثبت روح النار ... مشافها صانعه بالعار
ونهم للورق ذو ارتشاف ... ثم يمجه لبطن جاف (٣)

---

١) مزاليط ج مزلوط : هو الفقير المدقع بانشلحة . ويعنى بالمغالط : المغالطين .

٢) فى القرءان : ولا تبخسوا الناس أشياءهم .

٣) كانت العادة أن يعمد الى أوراق الاتاى بعد الكفاية منها فيأكلها من شاء أو يمتص منها . ولاحمد الجشتيمى قصيدة فى الحض على أكلها وفى النهى عن طرحها .

اغاب عنك طابخ اللحمان … له ثلاثة من الولدان
قال له الكبير هاته فلا … أترك فيه للكلاب مفصلا
قال له لست له بأهل … فهو للوسيط قل يا نجل
قال له ادقه بضرسى … حتى يرد كتراب الرمس
تحسبه النمل اذا تراه … كثيب الرمل ولا تشاه (١)
قال له مثل الكبير ثم قال … لذا الصغير كيفما كان المثال
قال له الوكه بالصدق … حتى يعود كبصاق الشدق
قال له أنت بنى حقا … فجودن لذا العظيم دقا
وانما اتيت بالتمثيل … ليعلم الرشوف بالتثقيل
والاختراع دائما يعاب … يشوبه فى شرعنا ارتياب
مبتدع أوصاله فى النار … والنص فى الصحيح للبخارى
تصويبك التجمير للاتاى … عليك أن تثبته بالآى
أما الذى ادعيت بالبنات ، … لشفة بغير بينات
كذا ادعاء جريان العمل … به لمن يعد مثل الجمل
لابد من تعيين حبر يعمل … به يليق متبعا لا يجهل
اصبعه يشير للهداوة … فلا محالة كذا الهراوة

الى ان قال :

أرن عالما بهذا يعمل … معتبرا لا كمداج يفعل
أحوجه الافلاس والاملاق … والشح والحكم له يساق
وللضرورة لنا احكام … واستعذرن جاوزك الملام
فان زيدا عاذر من اعتذر … وجانبن فى النهج كل منحدر
وراجعن للمنهج القويم … مجافيا تجمير ذا العديم
تشبه الكرام حقا يتبع … وقارع بابهم لا يمنع
واجشع علمت فيه القيلا … قناعة تكثر القليلا (٢)

الجواب من سيدى الحسن بن عبد الرحمن :

الحمد لله على الدوام … صلى على من أفضل الانام

---

١) تصغير : كثيب .
٢) يلوح الى قول صاحب لامية العرب :
وان مدت الايدى الى الزاد لم أكن … بأعجلهم اذ أجشع القوم أعجل

هـذا وان العالم الا كرارى … سلمه اللـه من الاكـدار
لا زال بحـرا وافـر الافضال … مسدد النظـر فى المقال
قد بذ كل سابق ولاحق … مغبرا بوجـه كل حاذق
مبتكـر بفكـره خرائــدا … لسانه يسفر عن فرائـدا
ونظمه يميس بالـدلال … قد شيب بالكحل واكتحال
لكنـه أغـرب حيث مثـلا … بما خـلا عن نسبة للمجتلى
اذ بين ذا الرشف وذاك العظم … مسافة لا تنطوى بالرسم
يدركها الخبـير والبليـد … لاسيما مـن علمـه يزيـد
والحق قـد حقق بالتمحق … لثقلـه على ذوى التمشدق

الى أن قـال :

افزعنى لكن بـلا سـلام … لكن ناس واعـذرن مـلام
ونحن فى مـذهبنا كساج … لا نلتوى بقول كل هاج
قولـك واستحضر لهـا التلاف … يكفيك ما ظهر من اتلاف
كذاك ما نسب للجشتيمى … من نظمه المسطر المرقوم
معظـم للـورق ذو ارتشـاف … ثـم يمجـه لارض شاف
علـى الـذى تحفتـه الكـلام … موجـه مثلـه لا يـرام
وقصدنـا بجريـان العمـل … العرف لا مـا قلتـه من همـل
ان قلت لا موافقـا فى الشرع … بذا فيحسبونـه من بـدع
قلنا ولا ضرر فى الجـرى على … مـا اتخذوه من مباح عمـلا
ومن هنـا يعلم أن لا حكمـا … يحتـاج فيـه للوقـوف حتما
أحـوج هـذا كيسنا المنصوب … لا الشح والاقـلال والمغـوب
والكيس ذو مرتبة بين السرف … والشح لا نعيب طرقا للخلف

الى اخرهـا .

ثم كتب الايكرارى الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى يرفع اليه القضيـة .

ثم السلام العطـر الافنـان … أمـده لانجب الخـلان
اعنى بـه سيدنـا المحفوظا … لا زال فى شؤونه محفوظا
وها أنـا أرفع للمقـام … شكيـة مـن لـدة لـؤام
يجمر البـراد فـوق النـار … مشافها ناقمـه بالعـار
يقول لا يعطى الكمـين منـه … الا بذاك لا غناء عنـه

محرضا بـه الانـام طـرا
يبرق فى نظم لـه ويرعـد
أشكـنِ منه بصريح القول
وقـد أتى بحجـج ضعيفـة
والمشحيح غايـة الترياق
مضيفه قال له (لاتبخسوا)
كذا الطنافس بحرقه تضاع
لغـير ذلـك مـن الاضرار
قلنا لــه زهومة القزديـر
قال وكيف هذه المراجـل
قـال وكيف لقليل الـورق
قلنا فهـذى حيلـة المفالس
قـال بهذا جريـان العمـل
أرن عالمـا بهذا يعمـل
أحوجـه الافـلاس والاملاق
قال فهذا الجشتمى قد أمر
قلنا له دع ارتشاف الورق
فان فى اطعامـه لاجرا
مخالف فيما ذكرت(عثمان)
وكلنا أدلى بمـا لديـه
بشرط أن تشاور المجربين
أعنى به القاطن بـ(الانزاض)
أبدع تجميرا بذلك الجبـل
لذاك لا تلق اليـه بالا
هنا انتهى المد لهذى العجرفة
الى آخرها

وان تمطى مـد واكفهـرا
وأمره لـذا مقيم مقعـد
جـزاك مولانا كثير الطول
مسودا بها على الصحيفة
وللكريـم ريشة الوقواق
برادنـا وقـال انـى أكيس
والخرق دائما به لـه اتساع
أريتك المبنى لذى الاشرار
تغير الطعم لـذوق عـار
قلنا وبـين ذا وذا مراحـل
فعلتنا هـذى لحـل المغلق
ضرورة تروج المتدالس (١)
قلنا تَراكِ هفوات الهمـل
معتبـرا لا كمـداج يفعـل
والشح والحكم لـه ينساق
بالارتشاف من ضياعه حذر
لخنفس يجى له من ذرق
يمحو به المولى علينا اصرا
ونجل خالنا (عبيد الرحمن)
وعينن معـولا عليـه
لاكحبيب عدفى المجمرين(٢)
مقرض النعناع بالمقراض
منوها بقدر تيك الحيـل
فانه لذاك حقـا مـالا
وخل عن طريق خالى المعرفة

ثم أجاب سيدى المحفوظ فقال :

ثم علـى العـلامة الاكجرارى
محمد بن أحمـد الجرارى
هـذا وقد ورد منه نظم

سلالـة للعلمـا الاخيـار
أقفل مـا حيا به ديارى
حرت لحسنه ونـاء الفهـم

---

١) يقصد جمع تدليس
٢) الفقيه سيدى الحبيب الانزاضى

وكيف لا وانه لرجز … رؤبة والاضراب عنه عجزوا
مضمونه السؤال هل تجمير … أليق بالبراد أو توفير
وان أجيب بنظام يحكى … نظامه فورا بلا تلكى
ولست من فرسان هذا الملعب … ولا انتمت نفسى لهذا النسب
وانما السعى على العيال … اعلق بالقلب من المعالى
بعد وجودهم وقبله أديم … بطالة فى موج بحرها أعوم
كما استقر الكل فى علمكم … وان ارد اخفاء شىء عنكم
لكن يضل بحقوق الود … اهمال ما عندى وان لم يجد
مع ان رسوى ضاربا بالطوب … أبقى على العرض من الهروب
ويوثر الموت على الدنايا … كل ضعيف ما له مزايا
وزاحمن بالعود أو دع فى اختيار … للبدء ظالما وليس فى اضطرار
وانما يطلب كل علم … من علمائه فشا من قدم
ولست للاتاى من أرباب … فاعرف القشر من اللباب
وربه المثرى من الرجال … ووطنى باشهق الجبال
وما فشا تعبيرهم بالجبلى … الا لقل موجب للبخل
ان قيل ذا يلزمكم عنه العدول … قلت أجل وان يقع فمن فضول
فاختر اذا علمت هذا للجواب … من يعرف الخطا منه والصواب
فاننى بمعزل عن أن أجيب … هبنى أشاور نجيا أو حبيب
اذ لايحل الحكم للمشاور … دون ظهور الحق كالمشاور
وذاك مختص به من يجتهد … عن قاصر وعن مقصر يعد
أتى به فى (البهجة) التسولى … عن(ابن عبد البر) من منقول
وقر فى الخلد أنه سبق … به من(الرهونى) ذى البحث الانيق
والامر فى الفتاو والاحكام … متحد يدريه غير العام
ثم الحبيب فى الاتاى أقدم … منى فمن آدابه لا يعدم
وهو أولى بالسؤال منى … عنه لخبرة لديه تغنى
وفطنة تظهر منه للخليط … أول ما خلطته به ينيط
فلو سألته وعن شوارى … نهيته أصبت منا الدارى
واطلب لذا الضعيف ستر العرض … بهذه الدنيا ويوم العرض
ورفق مولاه به فى الحال … وسكرة الموت وفى الترحال
وزد عليه الوالدين والولد … ومن يرى للمسلمين فى عدد
مستشفعا بأفضل الانام … عليه منا أفضل السلام
أولاك مولانا من الافضال … والعلم ما يرضى ومن اقبال

ممتعا بطول عمرك لأن تحيى ماندرس فينا من سنن

ثم أجاب سيدى الطاهر الافرانى التانكرتى بقوله :

الحمد لله وصلى الله على نبيه ومن تلاه
هذا وانى قد رأيت رجزا موشحا محبرا مطرزا
قد دار بين سيدين أحرزا خصل المدى فى الفضل لما برزا
كلاهما لدى الصيال بازل اذا سطا عنا له المنازل
هما هلالا هالة الاكرار سلالتا الخيرة الابرار
سيدنا محمد بن أحمدا من صار فى قلب الحسود كمدا
وكفوءه سيدنا عثمانا من قد حكى نظامه الجمانا
تجاريا فى حكم أمر حدثا من صنع تشحير الاتاى عبثا
فعابه الاول عيبا قادحا فيه ورده الاخير مادحا
فبان لى أن أجرى الفكرة فى فصل القضية بقول منصف

الى ءاخرها وهى فى مقدمة هذا الكتاب فى (الجزء الاول)

انتهت المحاورة اللطيفة . فرحم الله هؤلاء الادباء الكبار : الايكسرارى والادوزى . وعثمان والحسن والطاهر . فقد صار الجميع الى عفو الله .

مؤلفاته

جالسته عشية فى قريته (ايكرار) فذكر لى أنه ألف :

١ ـ شرح منظومة رسالة البيان . لاستاذه ابن مسعود . والاصل للدردير
٢ ـ شرح منظومة عبد الرحمن بن عمرو الجرادى لرسالة المطلب للمارديني
٣ ـ حاشية مقولات البليدى .

هذه المؤلفات الثلاثة هى التى ذكرها . وأحسبه ذكر أن بعضها تلف فى حاحة . عند انسان هناك خانه فى كتب له .

اعتناقه للطريقة الالغية

كان فى المدرسة (البونعمانية) حين كان أستاذه ابن مسعود اعتنقها . فاقتدى به كل تلاميذه . ومن بينهم المترجم . ولكنه ليس فى هذا الميدان مثل صنوه سيدى محمد . ولا مثل ابن عمه عثمان . فان خلال الفقهاء . واريحية الادباء لاتزال تغلب عليه . فقد كان يداخل الشيخ واتباعه . ووفد

الى (الخ) مع الوفد الازاغارى مرات ـ كما حدثنى به ـ ثم لايزال وفيا لعهد شيخه الى اليوم • كما يعلنه الى الآن • وقد رأيته فى هذه السنة • فتحققت منه ذلك • أفلا يستحق بذلك أن يتخذ مكانته العليا بـين اتباع الطريقـة والصوفية يقولون : كل منسوب محسوب •

قولة الايكراري فيه

قال فى (روضة الافنان) بين الايكراريين عنه ـ نحكى قولته على مـا هى عليه • وقد بينا الحق قبل ـ : (مال الى اكتساب الدنيا • فتنفر منه • لانه لايستقر بمكان :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ... مـا بالعذيب ويومـا بالخليصاء

يتلون فى الطريق تلون الحرباء • فكان أولا ناصريا • ثم درقاويا • ثم تيجانياً :

ولست بأمعـة فى الرجـا ... ل أسائل ذاك وذا ما الخبر

فها هو الآن موقت بـ (الدارالبيضاء) ولا أخاله يقيم على السراء والضراء مع أنه نزل للدراهم بالمرسى • ان قدر له أن يرسى • والمؤرخ لايعد قوله غيبة بل يبين أحوال الناس • فما عليه فـى ذلك مـن بأس • كتب لى مرة ما نصه :

لابى عبيـد الله عـج بالمنبـع ... ورد الغزير العذب منه واكرع
تظفر بما أملت منه فانـــه ... من ينتمى لجنابـه لم يقمـع
بدر الدجا الف المكارم والندى ... حمال راية كل علم أنجـــع
أبدى الجواهر واليواقت نظمه ... بعد النكوص به لنفر أقرع
لله دره من همـام فاضـل ... من بذ فى الميدان غير مضعضع
يا منصفا يبغى العلوم بطولها ... هاتيك أوعية العلوم فاترع
يسدى ويلحم فى الامور ولن ترى ... عدلا له ما مثله من مفزع
أحيا رسوم الفضل بعد ان اغتدت ... درست به لا تلتوى بالمفزع
أبقى بـه المولى نظام علائه ... ووقاه من كر الزمان الاقمـع
صلى الاله على النبى محمـد ... والآل أرباب المجاز الانفـــع

فأجبته بقولى :

علقا نفيسا أم علائق جوهر ... أهدت قريحة عبقرى ألمعـى
بل قينة ماست وفاحت بالثنـا ... وشدت بمفصلها بأحسن منزع

واها لمبكرها وناسخ بردهـا — بفصاحة ومتين فهم أشجـع
حسن الخلائق والفعال اذا رنـا — للمعضـلات تيقنت بتـزعزع
أكرم به من حاذق متبزل — متقرح بحداثـة المتـرعـرع
يختال فى ميدان أمر مشكـل — لا يلتوى لشنانه المتقعقع (١)
فات الورى أهل البراع وراءه — واليعملات حسيرة فى المهيـع
لم لا وعلم أصوله متكامـل — بجنابـه المتكـامل المتضلـع
ان قلت لا فاسبر يوافك هاطل — من علمه تعجب لموج متبـع
فخذ الحذار اذا تسيل فهومه — يكفيك وبل من جناه الامرع
ألف السلام يشوقه ويسوقـه — حادى الثناء لمجده المتخشع)

انتهت قولة ذلك المؤرخ • وقد تركنا كل ما ذكره كما هو مع ما فيه كما لايخفى •

قولة ابن الحبيب فيه

(ومنهم الفقيه الفلكي الحيسوبى العلامة سيدى الحسن بن عبـد الرحمن له فطنة حادة • كشعلة النار فى المضاء • وكالسراج فى الاتقاد • لاتقرع له العصا • كثير الجولان • مشاركا فى العلوم كلها حتى أدته خاتمةالمطاف الى السكنى بـ(الدار البيضاء) حرس الله مجادته • وأرقى سعادته فيشفيها بعلومه • واطلع فيها نجومه • حتى ذهب بصره بها • رحم الله ضعفه) •

أقول : لحقه أجله فى مسقط رأسه • فدفن بين مقابر أهله • رحمه الله • وبه انقضى ذكر العلماء الايكراريين • احدى الاسر العلمية الماجـدة التى تسلسل فيها العلم منذ زهاء خمسمائة سنة ثم لايزال فيها مطردا •

---

١) الشنان جمع شن • والمتقعقع مفرد •

سيـــدي

الطاهر السماهري ثم الاكلويــي

١٣٠٧ هـ = ١٣٦٩ هـ

نسبـــــه :

الطاهر بن محمد بن عبد الله

والسماهرة فخذ من قبيلة من (بعمرانة) وأهلها من (شتوكــة) مــن قبيلة : (ايزركين) من الصحراء. وقد ذكرلى الفقيه سيدى محمد السماهرى ثم التزنيتى ــ الماضى آنفا ــ أنه قال يوما لاستاذه ابن مسعود : ان أهلنــا يتوارثون بينهم أنهم مــن أولاد أبى يزيــد البسطامى . فلم يجبه بكلمــة . والسكوت ان دل على شيء فى بعض المواطن . فانه لايدل هنا عــلى أى شيء . لا ايجابا ولا نفيا . وان كان الى النفى أقرب (ولا تقف ما ليس لك به علم)

هذا الاستاذ الكبير سيدى الطاهر أحد الادباء العلمــاء الذين رفعــوا اليوم فى (أزاغار) راية المعارف والآداب . وبهم بقيت هناك صبابة من العلوم والآداب لاتزال تدرس وتتداول . ولولاهم لاقفرت تلــك البلاد مــن قبس يسترشد به الحيران . ومن شربة يتبلغ بها الصديان .

مآخذه للقرآن

أخذ فى قريته التى نشأ منها بـ (السماهرة) من (بعمرانــة) عــن الاستاذ عبد الله التملى ــ منسوب الى قرية هناك ينتسب أهلها للتمليين ــ وبه تخرج وكان المترجم رزق الحفظ من صغره . فكان يحفظ ربــع الحزب فى الختمة الاولى . وهذا نادر . فى هذه الجهات . وان لم يكن نادرا فى غيرها . وفى الختمة الثانية ختمها بالنصف . فسرعــان مــا استظهر القرآن عــلى حرف ورش ثم حرف قالون . ثم التحق بالاستاذ الحسن بــن محمــد فى قرية (أوخريب) من قبيلة (أيتعبلا) بـ (بعمرانة) وهو من القراء الحمزيين ثم بدا له أن يمضى زهرة عمره فى العلم . لا فى القراءات .

١) الحسين بن عمر بيبيس : أخذ عنه فى مدارس (الاخصاص) وقد التحق به : ١٣١٩ هـ وبه افتح وتدرج فى الابتدائيات • ثم لم يفارقه هذه المرة حتى استبصر •

٢) الحاج احمد أقاريض الصوابى •

أخذ عنه فى مدرسة (توملين) قال سافرت اليه مع رفيقى الحاج محمد ابن مبارك أوشن الاخصاصى الحافظ النابغة • فلازمناه عاما ونصفا • وهو مجتهد معنا فى الدراسة • آخذ بايدينا فى الزاد • يريش اجنحتنا بكل ما فى طاقته • وكان يجمع كل ما بقى له من كسر الخبز فيمر ببيوت الضعفة فى وسط النهار • فيناول كل واحد كسرة كسرة من الخبز القفار(١) قال وقد تبلغنا بذلك • بل انتفعنا به كثيرا • فاستطعنا أن نزاحم الاثرياء من الطلبة فى الدروس بل فقناهم بالتفرغ لما نحن بصدده • وقد اخذنا هناك كثيرا من النحو والفقه واللغة (وأما الحاج محمد المذكور فانه بعد أن اخذ كثيرا من (سوس) حتى نجب • التحق بمدرسة (تيزكين) برسموكة مشارطا • ثم غادر المغرب فالتحق بـ (الازهر) فبلغنا أنه تفوق بالمشاركة التامة خصوصاً فى الفقه والحديث• وقد صنف شرحا على (الرسالة) القيروانية قارن فيه الفقه بالحديث • ثم نعى الينا حوالى ١٣٦٠ هـ وربما يذكر مع أبيه مبارك أوشن بمناسبة أخرى)

قال المترجم : ثم خرجنا من هناك لسبب مع الاستاذ الذى كان معنا مجتهدا من تلك المدرسة • كما أن صنوه أبا عبد الله يجتهد أيضا فى مدرسة (دوتكاديرت) فمررنا فى رجوعنا بشيخ الاسلام أبى العباس الجشتيمى فتبركنا من عنده وان لم نأخذ عنه ما له بال • ولكن نعده من مشيختنا الذين تبركنا بهم • فان لم ننتفع بعلمه • فقد انتفعنا بدعائه • ثم رجعنا أيضاً الى الاستاذ الحسين بيبيس • العديم النظير فى الاكباب على الانصبة • لا يخرمها • ولا يعرف بطالة • وكم مرة هطلت الامطار • وتدفقت السيول واكفهر وجه السماء • ويكاد الجماد يرتعد صرا وصبارة برد • ونخاله يتخلف فى داره • فاذا به على بغلته يخوض بها الاوحال • وسيولا كالجبال• ولا خيط من ثيابه الا ويقطر ماء • فينفتل عن بغلته • فلايكاد يدخل المجلس وهو ينفض عن لحيته الكبيرة الماء بيديه حتى نسمعه يعلن صوته على العادة برجز ما يقرأ من دروس الالفية علامة على افتتاح الدرس • وبه نفعنا الله

---

١) كسحاب • لا أدام معه •

كثيرا . والحمد لله فاننا لم نفارقه هذه المرة الثانية حتى كانت لى ملكة أطالع بها الانصبة . وأقبل وأرد .

٣) الاستاذ ابن مسعود المعدرى

رأيت أن الاستاذ المترجم كان تمكن عند سيدى الحسين بيبيس فكانت له يوم التحاقه بمدرسة (بونعمان) قدرة تامة . قال نزلت هنا وأنا منفض لا ريش لى . فلازمت دروس الاستاذ المتوالية . وكان كلما أتى الى المجلس أو التفت رآنى هناك . ثم أمرنى أن أكون معيد الدروس للطلبة . ومهيئا لها قبل أن يدرسها لهم – على العادة – مع القيام بطبقة من المبتدئين أوالى لهم التدريس فى المتون الصغيرة . فيلاحظنى الاستاذ ويهتبل بى . ويفضلنى فى الاعانات التى يعين بها الطلبة الضعفة ممن كانوا خفيفى الحاذ (١) . قال وممن انتفعت به هناك من نجباء الطلبة سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكرارى . أخذت عنه السلم . قال فبقيت كذلك مكبا الى سنة ١٣٣٦ هـ فاقتضى نظر الاستاذ أن يرسلنى الى المشارطة . فودعنى خير وداع . ثم انه أجازنى بعد هذا الحين بما يأتى :

(يقول كاتبه الضعيف محمد بن مسعود السملالى الطالبى ثم المعدرى كان الله له فى الدارين وليا . وبه حفيا . امين : ان الاخ فى الله تعلى الفقيه النجيب اللوذعى الاريب . أبا عبد الله سيدى الطاهر بن محمد الباعمرانى ثم السماهرى . حفظه الله تعلى وتولاه . قد استجازنى بحسن ظنه وصفاء طويته . يحسب أنه صادف منزلا اهلا . ومطرا وابلا . على ما جرت به العادة . ومن الخير احياء عادة السادة . وكان لزمنا فى مذاكرة فنون من العلم الشريف . كالفقه والنحو والاصول والبيان والحديث . والتفسير . فظهرت نجابته . ورجى نفعه وانتفاعه . فاسعفناه بمراده لا لكونى من فرسان هذا الميدان والله . ولكن محبة فى احياء آثار هذا العلم وتكثير السواد . فاقول :

أجزت الاخ المذكور بما صح لى وعنى روايته اجازة عامة مطلقة بحق ما أجازنى جماعة من المشايخ الكرام . أحقهم بالتقديم وأولاهم منى بمزيد التعظيم : شيخنا الوالد رضى الله عنه . وهو عمدتى فى الاستفادة . وقد أجازه جماعة منهم شيخه وعمدته شيخ الاسلام . العلامة النحوى الدراكة . الخشوع المحبوب لعباد الله . الذى ظهرت آثار الاخلاص على عمله بقبول ما ألفه . أبو المعالى سيدى العربى بن ابرهيم الادوزى . شارح الخلاصة وغيرها

---

١) خفيف الحاذ بتخفيف الذال : قليل المال والعيال .

لايجهلها الا أجنبي عن المعارف • وأجاز شيخنا الوالد أيضا رحمه الله تعالى الفقيه الحافظ المشارك الصالح المؤلف الشهير أبو علي سيدي الحسن بن الطيفور البكري • ثم الساموكني نزيل (تزنيت) وسنده في البخاري مقيد لنا في غير ما هنا • وأجازه أيضاً الفقيه الصالح البركة الواضحة • ذو الاعمال الصالحة الرابحة أبو العباس سيدي أحمد بن محمد التيمكيدشتي رضي الله عنه ونفع به المسلمين • كما أجازني أيضا شيخنا المشارك ابو العباس سيدي أحمد بن ابرهيم بن محمد التوماناري ثم الايكراري • وهو عن والده الشيخ الشهير المتبرك به العلامة المشارك أبي سالم ابرهيم بن محمد المذكور • وهو عن الشيخ الامام الحافظ المحقق الكبير سيدي محمد الطيب بن كيران الفاسي وغيره من معاصريه من أهل فاس • وأجازني ايضا شيخنا الفقيه الصالح التقي البركة الشهير سيدي محمد بن ابرهيم اباراغ البعمراني • عن شيخه الدراكة الفهامة المفسر الصالح المتبرك به • ذي المعارف الوهيبة أبي علي سيدي الحسن بن احمد التيمكيدشتي • وسنده مقيد عنه في غير ما هنا • وأجازني أيضا الفقيه الصالح العلامة الاديب الاكبر البركة الاشهر أبو العباس سيدي أحمد ابن الامام الاديب الفقيه الشهير الحسيب • سيدي عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الجشتيمي • أدام الله النفع به • واسانيده تطلب من غ يرما هنا • وأجازني أيضا غيرهم كشيخنا العلامة الصالح العارف بالله سيدي الشيخ ماء العينين بن محمد بن فاضل الصحراوي • والفقيه عبد المعطي السباعي كان الله لنا ولهم بكل خير آمين • وأجازني بالطريقة الشاذلية غير واحد • منهم شيخنا الفقيه الدراكة الفهامة • الامام العارف بالله • الدال على الله • ذو الكرامات الواضحة • والانوار الساطعة اللائحة • مربي المريدين • وحامل لواء العرفان المهتدين • القطب الرباني • والغوث الذاتي الصمداني • سيدنا أبو الحسن سيدي الحاج علي بن أحمد الجعفري ثم الالغي • رضي الله عنه وأمدنا بمدده الحقاني ظاهرا وباطنا آمين • وقد شاركني الاخ الحامل في التلقي منه • وانما ذكرته تبركا ليكون مسكا للختام • وأوصي الاخ بتقوى الله • وان لاينساني من صالح دعائه • قال ذلك وكتبه عن عجل • وشغل بال محمد بن مسعود المذكور أعلاه بتاريخ أواخر جمادى الثانية سنة ١٣٢٧ هـ عرفنا الله ببركتها آمين آمين بالنبي وآله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه ءامين)

أخذه عن الشيخ الالغي

كان أستاذه ابن مسعود متصلا بالشيخ الالغي • من سنة ١٣٢١ هـ فتتابع تلاميذه في الاخذ عنه تبعا له • حتى كاد كل اتباع المسعوديين يعدون من التلاميذ الالغيين طريقة • ومن بينهم هذا المترجم • وقد ذكر انه

اخذ عنه بنية صادقة • فكان ذلك سبب أن لاحظه الشيخ له ملاحظة خاصة وسترى فيما ياتى براهين هذا •

مشارطاته

١ ـ مدرسة (سيدي وكاك) الاكلوئية

قـال : جاء أهل هذه المدرسة سنة ١٣٢٦ هـ الى الاستاذ ابن مسعود فتطلبوا من عنده أستاذا لمدرستهم ـ وهذه عـادة القبائـل السوسيـة أن لايفرطوا فى مدارسهم • فيقصدون كبار المدرسين • ليتطلبـوا منهـم أن يختاروا لهم من يعمرون مدارسهم ـ قال : فصادف ذلك وجود الشيخ الالغى فى (بونعمان) • فامر الاستاذ أن يرسلنى اليهم • فكان ذلك أول مشارطاتى باذنه • فوجدت بركة ذلك • فامضيت هنا سنة تامة •

٢ ـ المدرسة (المِيلكية)

قال كان الشيخ هو الذى أرسلنى اليها أيضا • اثر مغـادرتى لتلك المدرسة فامرنى أن أدرس فيها الفنون على أن يبقى أستاذها سيدى مبارك الميلكي القارىء المشهور هو صاحب المدرسة يقوم بتعليم القراءات على عادته وبعد شهور مر بنا الشيخ هناك فقال لم آت الا لانظر كيف أنت مع سيدى مبارك • فانه فى أعيننا لفى مكانة سامية لانحب من يكسر خاطره ولوبقليل فقلت له أنا يا سيدى لم أعد الخطة التى أمرتنى باتباعها • قال فبقيت هناك سنة • والمدرسة عامرة • ثم رجعت بعدها الى الزاوية بـ (أكلو) فى جوار تلك المدرسة الاولى فتزوجت •

٣ ـ مدرسة (الكُريمات) الساحلية

قال : شارطت فيها سنة ١٣٣٠ هـ فبقيت فيها سنة أزاول التدريس بقدر الطاقة • ثم راجعت مدرسة (أكلو) الاولى • فبقيت فيها ثلاث سنوات

٤ ـ مسجد (تاسيلا) بماسة

وهو مسجد كبير ولكنه مؤهل للعلوم • لم يتجاوز فيه سنة • وفى : [illegible]
العدالة التى انخرط فى نظامها سنة ١٣٤٥ هـ • وفى سنة ١٣٥٨ هـ راجع أيضا المدرسة (الوكاكية) حيث لايزال الى هذه السنة : ١٣٦١ هـ

أشياء حولـه

هذا الاستاذ الكبير كنت اسمع به من صغرى • لانه كان يطرق(الغ) منذ ابتداء عقلى من سنوات : ١٣٤٢ هـ فتأثرت بذلك • فكانت له منى محبة انبتت بعدها ما انبتت • والارواح جنود مجندة • فما تعارف منها ائتلف• وما تناكر منها اختلف •

ان للاستـــاذ أخلاقـــا رصينة • ووقـــارا فى مجلسه • وهو يجتهد ان لايفارق لبسة الجيل القديم • من لباس أبيض نقـــى • ومـــن لزوم الرداء والسلهام والعمامة • كما كان يعرف بلبسه العلماء • فتحمد كل عين شارته كما تشكر كل أذن عبارته • مع تأن يغلب عليه فى كلامه وفى ذوقه فـــى كل أحواله • فقد تأثر بالتصوف الى حد بعيد • فيملأ مجالسه ومحادثاتـــه بأقوال الصوفية وبأبياتهم • وهذا ما رأيته منه • وما كان يذكر لى عنه • ومما أنشده لى يوما فى ذلك :

اذا ما رأيت الله فى الكون فاعـــلا   رأيت جميع الكائنات ملاحـــا
وان لم تر الا مظاهر صنعه   رأيت جميع الكائنات قباحا

وقد رأيت له ما يظهر منه أن له وقتاً خاصاً مع ربه • وأنه لايجد قلبه الا فى الاقبال على الله • وقد انتفع بملاقاة الشيخ الالغى الذى لايزال يلهج به لهج من ذاق على يده ما ذاق • ثم لايرى لـــه مثيلا فى ترقيـــة المريدين الى المراد •

ومما أنشده لى لمتساجلين • قال أولهما :

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى   يفنى زمانى فى حل وترحال
دعها تسر فى الفيافى والقفار الى   أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال

فقال الآخر :

كذا النفوس اللواتى العز يصحبها   لاترتفى بمقـــام دون آمـــال

وقد كان نشأ فقيرا • ثم منّ الله عليه فتزوج بأيم غنية فـــى زاويـــة (أكلو) انتفع بمالها فكان ذلك هو السبب • حتى ألقى مراسيه فـــى ذلك المكان• فكان عالم (زاوية سيدى وكاك) والمشار اليه فيها • وقدعمر المدرسة اليوم : ١٣٦١ هـ بكل ما فى امكانه اماما فى الصلوات • وخطيباً فى الجمع • [illegible] يعظ من شاء من المصلين بالموعظة الحسنة بعد الصلاة • على انه ان أخل بالتدريس فانه معذور • أو على الاقل ربما يعذر بأنه منتشب فى خطة العدالة التى تتطلب منه أن يكون هنا وهناك • فى نواحى القبيلة • اعقد

نكاح • أو تلقى شهادة • وبأن همم التلاميذ عراها اليوم فتور عام • وماذا عسى أن يفعل لو جمع كل همته الى التدريس • ان فقد التلاميذ •

لاحظت من أحواله أنه مع توسطه فى المالية ليس بذلك الهلوع الجماع المناع • الذى يخبط بكلتا يديه فى كل ناحية • فـان أراضيـه فـى سقى الزاوية انما يزاولها الناس بالشركة • فلم يفعل كالذين يريدون أن يكونوا قيومين على كل أموالهم بأنفسهم • حتى لايذهب منها قطمير لغيرهم• ولعل هذا أدل دليل على ما وصفته به من علو الهمة • كما لاحظت أيضا أنه جمع فى تلك القرية التى لم يكن الا طارئا فيهـا الاوصاف التى تنفـع الغريب وتزينـه :

يزين الغريب اذا مـا اغترب	ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانية حسن أخلاقـه	وثالثهن اجتنـاب الريب

وأما باعه فى المعلومات فواسع • حسن المشاركة • رأيته يجول فـى الفنون التى درسها • كاللغة والنحو والادب • والفقه حتى التاريخ • ولكنه ذو مقدرة زائدة وذو عناية كبرى فى الادبيات • يحب أن يجول فيها بكل مناسبة • وهذه المحبة وحدها لهذا الفن هى التى حدته الى الادب • ولانه أيضا أخذه عن أربابه كما يظهر من ءاثاره الآتية• وهو مكر مفر مقبل مدبر فى الابحاث مع المباحثين • لاحظت منه ذلك فى مجالس فحمدته • وقد لاذ الاستاذ محمد بن عثمان الايكرارى يوما أمامى وانا مشغول عنهما بكتابة •

[redacted]

وخريدة تنسى الدمى متغزلا   تبدى سوالف عن خدود نضار
قد حببت عين الظبا متنسكا   بأن المشيب بفوده وعذار
ترنو بألحاظ فواتر مثلما   يعنو ويعطو الظبى للاشجار
وشذا الكبا قد فاح من أردانها   فصبا لذاك الطيب كل ممار (١)
سلبت قلوب العاشقين بغنجها   والدل فى ورد وفى اصدار
فكأنها المشكاة فى ليل سجت   أحلاك ظلمته أمام السارى
أو انها روض زها نسرينه   أو ورده بتساجل الاطيار
تترنم الاطيار فى الخيطان عن   حلوحلو الندى من مبسم الازهار(٢)
أو انها أهدت سلافة صرخد   مالت بها الندما على الاكوار
أذكت أوارا من صبابة شيق   للوصل فى الآصال والابكار
يصبو اليها المستهام مبادرا   كيما يمتع من شميم عرار

ويقول فى وصف الرحلة :

شاقت الى مغنى الحبيب وأذكرت   دار الاحبة يا لها من دار
ضاع الرجاء بضوعها لمتيم   يهوى عظيم الانبيا الاخيار
بل انها وشى ولا كمطارف   تزهو به فى محفل الانظار
هى رحلة هامت بها العشاق من   ذكر العهود لروضة الانوار
[redacted]

وقال فى وصف جامع الرحلة :

وهو الفقيه اخو النباهة والنهى   حلف اليراع منور الافكار
ان يعدد النجباء والفطنا الورى   فاجلهم نجل الفتى الهوارى

وقال فى السيد عبد السلام الناصرى حين نزل عندهم فى زاويـــة (سيدى وكاك) يوم جال فى سوس سنة ١٣٥٥ هـ :

أهلا بمن نارت قلوب أحبة   بقـدومـه فتنعمت بأمـان
هامت به قبل الوصال وربما   تشفى بقربه غلة الصديان
سعدت بوصلك أرضنا طرباً بمن   يسلو له ذو اللب عن ولـدان

ويقول فيها :

عبد السلام سلالة الاخيار والا   برار وارث سرها الربـانى
نجل الاماجد من علته مهابة الا   سلام آل الـدين بالايقـان
من آل ناصر العلى محبـة   للمصطفى المختار من عدنـان
وذوى الولاية والسيادة والهـدى   نور الظـلام وبغية اللهفـان

ويقول فى وصفه :

رب المفاخر والمحاسن والجدا   والرشـد والايثـار والعرفـان
ورث المكارم والسعادة والهنا   عن مفرد غيث عظيم الشان
من قد تقلد بالتقى وحبا بها الاتبـ   ـاع فى سر وفـى اعـلان

وقال يرثى شيخ الاسلام شعيبا الدكالى من قصيدة طويلة :

فاض الاسى لما قضى شيخ الورى الـ   ـمولى شعيب سيد الاقران
شمس المفاخر عالم الدنيا الذى   نال العلا بمهابة الرحمان
ان سنت الخنساء لبس صدارها   عن صخرها اذ مات يوم طعان
فقلوبنا لبست أسى متراكما   اذ مات نور العلم والايمان

الى ءاخرها

وبعد: فهذه نماذج مما يقول ، بل هذه نماذج من مختارات قوافيه ، فانه لاينقح كثيرا ، بل يلقى الكلام على عواهنه ، ثم لايرجع البصر ليلقى الزبد جفاء ويبقى ما ينفع الناس .

بيني وبينه

كان اسم المترجم يطرق أذني وانا صغير ، فعرفته من قبل أن أعرف

فصادفت مودته من قلبي الفارغ مكانا خاليا فتمكنت. وقد كان يتردد اذذاك كثيرا الى المواسم (الالغية) ثم زرت داره سنة ١٣٣٢ هـ وأنا اذ ذاك في (بونعمان) فقد كنا ذهبنا من (المعدر) الى (بونعمان) فلم يمكن لنا ان نسلك الصراط المستقيم اليها لحرب قامت اذ ذاك بين المعدريين وبين التزنيتيين • في أول عهد القائد ابن دحان • فدرنا من (أكلو) ومعنا أناس استحضر منهم الآن الواعظ المرحوم بالله سيدى الحاج محمد بن عدى • ثم لما كنت في (مراكش) في السنوات الاخيرة ألحق بي ولده يوسف الآتي • فزارني هناك مرة • فازددت به اتصالا ثم تواردت علي رسائله • وليس عندي الآن منها الا واحدة أو اثنتان • ولايخلى كل ذلك من قصائده • ثم لم ألقه ولاكاتبته الى أن زرته هذه السنة ١٣٦١ هـ فاريته كل ما سطرته في رحلتي الاولى من كتاب (خلال جزولة) واذ ذاك أخذت عنه ترجمته هذه • وهذا بعض ما كان خاطبني به تحت يدي • ولكن لم أذكره اختصارا واكتفاء من أقواله بما تقدم ذكره • لان ما يقوله كان على أتو واحد ثم انني تدبجت معه تبركا بأمثاله • فأجازني وأجزته • كما فعلته مع القاضي سيدى عبد الحفيظ الفاسي •

ومما يجدر ذكره أنني اقترحت عليه أن يؤلف ما يعرفه عن الشيخ الوالد لانه ممن عاصروه أخيرا • فجمع من ذلك مؤلفا في جزء وسط • أفاد فيه وأجاد •وهو عندي بخطه • وقد ملأه باستطرادات تدل على سعة حوضه في المحفوظات • وكثرة حفظه من حكايات الصالحين •

وقد وافاه الاجل في الوقت الذي استتم فيه مجده في هذه الحياة • فانتقل الى الحياة الدائمة التي يرجى له فيها بفضل الله ما يرجى لامثاله المومنين من ذيول فضل الله التي ننتظرها نحن أيضا دنيا وأخرى •

ولداه يوسف

للمترجم ولدان من الذكور : يوسف المولود ٢٧ شعبان ١٣٣٢ هـ وصنوه عبد الله المولود : ١٣ ـ ٣ ـ ١٣٣٧ هـ وربما كان له اخران صغيران ولدتهما له الزوجة الاخيرة التي اقترن بها بعد ما ماتت أم هذين •

أخذ سيدى يوسف القرءان عن والده وعن الاستاذ العربي بن الحسن في زاوية (أكلو) مسقط رأسه • وبهذا تخرج • ثم افتتح العلم على والده حتى شدا عليه ثم انتقل الينا أواسط ١٣٥٤ هـ فلم يلبث ان نفض عنه شظف البادية وتجهمها • وألقى عنه غلظتها وجفاءها • وقد أعجبني منه ذكاء وحفظ ظهرا منه بسرعة • ولكن لم يكد يتجاوز حد الاستعداد الى

التفوق حتى نادى فينا منادى الفراق • فتفرقنا شذر مذر • فالحقت أنا بـ (الغ) منفيا • والتحق هو ببلده بعدى بنحو شهر • حين أيس منعودتى فمنذ ذلك العهد بقى مع والده وتأسف كثيرا حين تضع شبيبته • وشبيبة مثله فى ذكائه وحدة نظره وسرعة حفظه غالية لاتقوم • وقد كانت قريحته تميل الى الادب • فيحاول أن يصوغ ءايات باهرة • وقلائد بارعة • وطبعه حقيقة ادبى فغالب من اخذوا عنا هناك • كالشاعر الحسن التنانى • والمفوه عرفة الفاسى • والنابغة عبد الحى البزيوى • والمنطيق الجرىء محمد بن العربى الاسفى • وشوقىأحمد بن محمد بن العربىالدكالى ومحمدالرودانى النابغة • وابرهيم الاخ الالغى وابن العم ابرهيم بن احمد • وءاخرين أشربوا حب الادب من بين تلك الدروس الادبية التى كانت تلفت أنظارهم أكثر من غيرها من الحديثية والفقهية والاصولية • مع حرصى على أن يهتبلوا بالادب وحده • اهتبالا ينسيه غيره من الفنون • ولكن لم يكادوا يفلتون منقبضتى حتى ولى كل وجهته الى الادب • فنبغ منهم امثال المتقدمين ومن خلق لشىء فانه لابد واصله •

وهكذا كان يوسف السماهرى هذا• فانه قد اعرض من بعدى عن جميع الفنون وعن تعاطيها الا لماما • غير أن الادب لايزال له من جانبه نصيب كبير • وقد جلس الى حين بت فى دارهم هذه السنة ١٣٦١ هـ • فجعل يفيض على من أدبيات من محاضرة النابغة التنانى حول شاعر الحمراء فالقى على مسمعى مما ذكره المحاضر هناك أبياتا مرقصة • وقد اقترن يوسف• وولد له • ولكنه لايزال يزعم أنه يقدر أن يتملص حتى يستوفى غرضه من الدراسة • متى هدأت هذه الحرب الحاضرة ــ الحرب الثانية ــ • وقد ألقى على قصائد يقولها • منها رائية كان قالها قبل الايام التى نفيت فيها من (الحمراء) وقد كان فى بلدة يتشوق الى (الحمراء) ثم بعد مجيئه بيومين • فرق الدهر بيننا قبل أن يرينيها • وهى :

يادهرهيجت وجدا بالنوىاستعرا	صار بحرقته الفؤاد منفطرا
فارقت (مراكش)الحمرا وجئتالى	(أكلو) فجفنىيفيض الدمعمنهمرا
فارقتها وزفير الشوق مشتعل	والقلب فى ذكريات ورده كدرا
والجسممذ غبت عنها مكتسسقما	والطرف عانق فىأجفانه السهرا
استعر الشوق فىالاضلاع ملتهبا	شوقا الى من غدا بالعلم مفتخرا
فياصبا قد سرت مننحوهمسحرا	بالله قصى علينا عنهم خبرا
فاننى بعد أن فارقت حضرتهم	ما راق طرفى شىء بعدهم نظرا
لله أيامنا معهم فما خلقت ،	الا من الروض كانت كلها زهرا

تمر ساعاتنا فتنقضى معهم ... بكل معجبة تحير الفكرا
نجني ثمار علوم لم تكن لترى ... منها جنيا سوى أن قمت مهتصرا
فى مجلس مستنير بالذى رغبت ... فيه التلاميذ أن يستكشفوا الدررا
تيهى به ارض هاتيك المدينة من ... فرد ولكنه يحيى بها زمرا
نفسى الفداء له من كل ما ترح ... يستتبع البغى فى الاسراء والنكرا
وهو الفقيه السرى (المختار) من سعدت ... به المنى فغدونا نقطف الزهرا
شمس العلوم ومفخر الكرام ومن ... تشدو به ألسن الطلاب والفقرا
قد ورث الفخر والمجد المؤثل عن ... قوم بدور سماء بل ليوث شرى
رب القوافى ورب النثر من سجدت ... لسحره ألسن الافلاق حيث جرى
من خلقه كنسيم الروض هب على ... من حبه فى مجال كاسه حضرا
وغالبا كل من ناواك منتصرا ... وغالبا كل من ناواك منتصرا

تلك قصيدة ألقاها الى فاطنبت فى اجادته فيها تنشيطا له على عادتى مع كل من الى دائما من أصحابى .

وقال أيضا من قصيدة يرثى الشيخ شعيبا مقتديا بأبيه :

لم أنل ما أريد ان ذبت حزنا ... وسكبت الدموع صوب العهاد
عظم الرزء والمصاب وجل الـ ... ـخطب فى المغربين فى كل ناد
ألهذا المصاب نوع تسل ... تشتفى منه غلة فى فؤاد

هذا ما حضر لى الآن من أقوال هذا الاديب الجديد الذى أخاف كل الخوف أن ينقطع فى وسط الطريق . فلا يستتم معلوماته . ولا يستوفى تهذبه فى الاستاذية . وقد تولى التعليم فى مركز (انزكان) ناحية (أكادير) . ما شاء الله فى مدرسة حكومية . ثم بعد سنين انتقل الى أخرى فى (تزنيت) سنة : ١٣٧٤ هـ ثم تعين أخيرا مديرا لمدرسة فى (أيت جرار) وقد ترقى فكره . وحسنت ءاثار قلمه . ثم كان اليوم ١٣٨٠ هـ فى مدرسة بـ (تيزنيت) مديرا . ومقامه محمود خلقا وسيرا وتسييرا . وهو قرة العين . وثمرة الفؤاد .

أما صنوه عبد الله . فانه أيضا أستاذ معلم . ولعله يتقدم الى الميدان فيسلك طريق اسرته العلمية بعدما تقدم أشواطا . وولادته فى سنة ١٣٣٨ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ العربى بن محمد الزاوى الاكلوبى .

وكان يدرس في مدرسة الزاوية من (أكلو) حتى خرج بهمته كثيرين • وقد توفي نحو ١٣٤٥ هـ • وعن الاستاذ محمد بن الحسن ابن همو بـن موسى من الزاوية أيضا • كان أيضا يدرس القرءان هناك • ولا يزال حيا ١٣٧٩هـ فعلى هذين تخرج سيدى عبد الله فى القرءان •

واما في الفنون العلمية • فقد أخذ كثيرا عن والده فى مدرسة الزاوية بـ(أكلو) ولما شدا التحق بالاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى فى مدرسة (ايغيلالن) وعلى يد هذين سار حتى أخذ ما تيسر له • ثم التحق مع صنوه بنا فى مراكش • ولكن سرعان ماجاء النفي ففرق الدهر بيننا • وقد لازم والده يخدمه وينتفع منه الى أن تعين أستاذا فى سنة ١٩٥٠ م فى مدرسة (انزكان) حيث بقي خمس سنين • ثم فى (تارودانت) عامين • ثم فى مدرسة بالزاوية مسقط رأسه فى (أكلو) حيث هو الآن ١٣٧٩ هـ

هذا وقد علمت أخيرا أن هناك أيضا من أولاد سيدى الطـاهر ثلاثة ءاخرين : الحسن ومحمدا والحسين • ولا يزال الاولان يتبعان اليوم فى المعهد الردانى • والآخر فى القسم الابتدائى فى بلاده • وفق الله الجميع •

نجز الجزء الثالث عشر من كتاب (المعسول)

ويليه إن شاء الله الجزء الرابع عشر

الفهارس سبعة

الاول في اسماء الذين تاسست عليهم تراجم الجزء

الثاني الفهرس العام فيما احتوى عليه الجزء معنونا وغير معنون

الثالث في القوافـي

الرابع في المنثورات من رسائل وظهائر وأمثالها

الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

السادس في الخطإ والصواب

السابع في الكلمات الشلحية التي فيها حرف مشدد

(الفهرس الاول)

(في اسماء الذين تأسست عليهم تراجم الجزء)

٥ العلامة محمد بن مسعود المعدرى ثم البونعمانى
١٣٢ العلامة سيدى احمد بن مسعود أخوه
١٨٨ الفقيه الصوفى سيدى ابرهيم كزور المعدرى
١٩٩ القاضى سيدى محمد أوعامو التيزنيتى
٢٥٦ نائب القاضى سيدى أبو بكر بن أحمد التيزنيتى
٢٥٨ الفقيه العدل سيدى محمد السماهرى التيزنيتى
٢٦١ الفقيه الصوفى سيدى الطيب الطاحونى التيزنيتى
٢٦٥ العلامة سيدى عثمان الايكرارى الاكلويى
٢٦٥ الفقيه الصوفى سيدى محمد بن عبد الرحمن الايكرارى الاكلويى
٤٢٠ الاستاذ الفلكى سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايكرارى الاكلويى
٤٢٠ الاديب الصوفى سيدى الطاهر السماهرى

الفهرس العام فيما احتوى عليه الجزء معنونا وغير معنون

٣ من فى الجزء اجمالا
٤ من فى الجزء ممن أسست عليهم تراجم الجزء تفصيلا
٥ العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى ثم البونعمانى
٥ مكانة الاسرة المسعودية فى المجد والشرف
٥ الطالب يعزى من أجداد الاسرة
٥ محمد بن محمد ـ فتحا ـ والد سيدى مسعود
٧ الفقيه سيدى المدنى بن محمد بن الحسين البراييمى من حواشى الاسرة
٧ الفقيه الصوفى سيدى عمر بن الحسين الدهوزى من الحواشى ايضا
٨ سيدى مسعود مؤسس مجد الاسرة . وأبو أعلامها .
٨ مبتدأ حياته
٨ سيدى محمد ـ فتحا ـ الحنبوبى أستاذه فى القرءان
٩ متلقاه للعلوم عن سيدى العربى الادوزى وحده
٩ يشارط فى مدرسة (سيدى مزال بن هارون) أولا
٩ فى المدرسة (البونعمانية) وكيف شارط فيها
٩ ذكر ابن خلدون لزوايا (بنى نعمان) فى تاريخه
١٠ أسماء أساتيذ كانوا (فى البونعمانية) قبل سيدى مسعود

١٠ كيف دراسة الاستاذ لطلبته
١١ عمارة المدرسة بالطلبة
١٢ زيادات سيدى مسعود أجنحة فى المدرسة لاكتظاظها بالطلبة
١٢ موازنة (بونعمان) بغيره من المدارس اذ ذاك
١٢ اجازات سيدى مسعود من أساتذته
١٤ همته العلمية
١٤ اعتناؤه باستنساخ الكتب ٠ وذكر بعض ما استنسخه
١٥ اعتناؤه بزيارة أضرحة الصالحين
١٥ تقدمه فى الطريقة الناصرية وذكر علماء مقدمين فيها قبله
١٦ اجازة له فى هذه الطريقة
١٦ بعض عادات المترجم الربانية من ملازمة (اللطيف) وغيره
١٦ عادة الناصريين بين العشاءين ليلة الجمعة
١٦ زمه لمسانه عن الوقيعة فى الطرق الاخرى
١٧ قيامه على شؤونه الدنيوية ٠ وانتداعى حولها
١٨ فى حضرة الملك مولاى الحسن سنة ١٢٩٩ هـ يوم زار سوس
١٩ فى مدرسة (سيدى مزال بن هارون) ثانيا
١٩ فى المدرسة المعدرية
١٩ وثيقة تبين أوقات تنقلاته فى هذه المدارس بخط يده
٢٠ فى أيام الحاحيين سنة ١٣١٥ هـ
٢٠ تحريراتهم له
٢٣ فى مدرسة (سيدى مزال) ثالثا
٢٣ أخلاقه ونتف من أخباره الاخرى ٠ وبينها غرائب
٢٣ تنكبه الجولان فى النوازل بين المتخاصمين
٢٤ زوجه عائشة بنت صالح الصالحة ٠ وترجمتها
٢٥ عائشة بنت الحاج محمد بن عبد الكريم المرسموكية ٠ الصالحة
٢٥ أحمد بن أحمد المعدرى الرجل الصالح
٢٦ زوجان له أخريان غير عائشة المتقدمة
٢٦ سعة أخلاق سيدى مسعود وقناعته
٢٧ مكانته العلمية عند نفسه
٢٧ وفـاة الاستاذ
٢٧ رسائل منه واليه
٢٩ الآخذون عنه
٣٢ قولة المؤرخ الايكرارى فيه

٣٤ قولة ابن الحبيب فيه
٣٤ أولاده .
٣٤ الطاهر بن مسعود النجيب الشاب المعتبط
٣٥ من ءاثاره
٣٥ ابرهيم بن مسعود · الشاب الاديب المعتبط أيضا
٣٦ ءاثار أدبية منه واليه
٣٧ قولة ابن الحبيب فيه
٣٨ على بن مسعود · الشاب المعتبط أيضا بعد ما حصل من العلوم
٣٨ العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود
٣٨ كلمة صغيرة فى التعريف به لكنها جامعة محققة
٣٩ سنة ولادته تقديرا
٣٩ متلقاه للقرءان
٣٩ الاستاذ الحاج محمد السرسيفى المعدرى وكلمة حوله
٣٩ الاستاذ الحسن التافضنى البونعمانى
٣٩ أساتذته فى العلوم
٤٠ والده سيدى مسعود الذى كان يحبه حبا جما
٤٠ رياضة طلبة المدارس الجزولية بالكرة والسباحة
٤١ الثانى سيدى أحمد بن ابرهيم الايكرارى
٤١ اجازته له
٤٢ الثالث سيدى الحسن بن أحمد بن ابرهيم السملالى الساحلى
٤٢ الرابع سيدى محمد بن أحمد بن حسين الكرسيفى الاكلويى
٤٣ اجازته لـه
٤٣ الخامس سيدى عمر الدهوزى العوينى (المتقدم)
٤٣ السادس سيدى ابرهيم بيرعمان الساحلى
٤٣ السابع سيدى محمد العربى الادوزى
٤٤ قافيتان لابن مسعود فى (أدوز) يوم زار فيه أستاذه هذا
٤٤ الثامن الحاج ياسين الواسخينى
٤٤ التاسع سيدى أحمد الجشتيمى · مع قواف بينهما
٤٤ اجازتـه له
٤٦ العاشر سيدى عبد المعطى المسباعى · وبينهما قواف
٤٧ الحادى عشر سيدى محمد الضوء السباعى
٤٧ اجازتـه له
٤٨ الثانى عشر سيدى الحاج محمد الباراغى البعمرانى البوكرفاوى

٤٩ فوائد رواها عنه
٥٠ رجال من الاسرة البوكمرفاوية
٥٠ ابرهيم بن ابرهيم البوكمرفاوى
٥١ عبد الله بن ابرهيم البوكمرفاوى
٥١ عبد الله بن ابرهيم ـ ءاخر ـ البوكمرفاوى
٥٢ تصدره فى المدرسة (البونعمانية) واكبابه على التعليم
٥٢ عصر دراسته الذهبى
٥٣ مجاذبته الاستاذ المحفوظ الادوزى البحوث العلمية
٥٤ مجاذبته للاستاذ أحمد بن محمد الالياسى الماسى اياها أيضاً
٥٤ ابن مسعود قاض كبير
٥٥ يعتنى بالمطالعة والتاليف
٥٦ اعصار روحى فى أفق حياته
٥٨ ملاقاته بالشيخ ماء العينين
٥٩ مع الحاج بلخير • مع ذكر بعض أحوال الحاج بلخير
٦٢ مع الشيخ الالغى
٦٤ رسوخه فى الطريقة الالغية
٦٤ سياسة الشيخ الالغى فى تربية أمثال ابن مسعود
٦٥ تصفية الاستاذ حسابه برد كل ما فيه شبهة لاهله •
٦٥ تربيته لنفسه حتى تزول عنجهيتها على عادة القوم بخرق العادة فى المواسم
٦٥ بعض رسائل شيخه اليه
٧٣ كيف يربى الشيخ الالغى تلمذيه ابن مسعود وسيدى ابرهيم بن صالح
٧٤ حث الشيخ للاستاذ على الدراسة
٧٥ مكانة ابن مسعود بين الفقراء
٧٦ قصائد المترجم فى شيخه تنتشر فى محافل الادباء فى (الـغ) وفى (مراكش)
٧٧ ءاثار قلمه فى هذا الطور فى التصوف
٧٧ ما قدمه لتصدير وتعجيز (البردة) من النثر
٧٨ رسالة من شيخه اليه • ينبهه على شىء فى هذا المؤلف الذى كان باذنه
٧٨ فترة من الاستاذ صدرت عن امتحان له من الله بينه وبين شيخه
٨١ رجوع الاستاذ الى ما كان عليه بينه وبين الشيخ
٨١ رسائل من الشيخ اليه

٨٣ نظم (تحفة الرسول) وقافيتان حولها بينه وبين شيخه
٨٤ الاستاذ يبنى مدرسة بـ (المعدر) ينوى عمارتها
٨٤ الاستاذ بعد وفاة شيخه
٨٥ تصدر الاستاذ للمشيخة . واصطدامه مع قلوب اخوانه من الفقراء
٨٥ رسالة منه فى هذا الطور تتضمن روحه العلية
٨٦ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
٨٦ بعض نظرات على حياة الاستاذ
٨٧ رسالة منه الى عمر الدهوزى . تتضمن بعض ما فتح الله به عليه فى الروحيات
٨٨ ثانية له فى مثل ذلك
٨٩ بعض الواردات بقلم الاستاذ
٨٩ همته العلية فى الطموح
٩٠ بعض ءاثار ادبية وغيرها بقلمه . منها أبيات تصدر منه مقطعات
٩٢ رسالة له الى تلاميذه . يجب الوقوف عليها
٩٤ أخرى منه اليهم يوصيهم بالاخلاق الحسنة
٩٥ أخرى الى سيدى ابرهيم كزور المعدرى قرينه
٩٦ اجازتـه الكبرى لابى زيـد العوفى . وتتضمن بعض اجازات من أشياخه له غير الاجازات المتقدمة . تجب مراجعتها .
١٠٥ رسالة له أيضا
١٠٦ أخرى الى شيخه أحمد بن ابرهيم الايكرارى
١٠٦ أخرى الى بعض أقرانه ممن كان يجاذبهم حبال النوازل
١٠٧ قطع من القوافى له
١٠٨ مقـامـة لـــه
١١٠ بعض التصدير والتعجير لـ (بانت سعاد)
١١٣ فوائد من مقيداته فى اللغة والادب
١١٥ الآخذون عنه
١١٧ مؤلفـــاتـــه
١١٩ قولة الايكرارى فيه . وهناك قواف له
١٢١ قولة علي بن الحبيب فيه
١٢٢ قولة بعضهم فى الاستاذ من قديم . ترجمة مسجعة
١٢٧ سيدى أحمد بن محمد بن مسعود الشاب المعتبط بعدما حصل
١٢٨ ءاثـار أدبيـة حـوله ومنـــه
١٣٠ سيدى مسعود بن محمد بن مسعود
١٣١ سيدى محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود الشاب النجيب المعتبط

١٣٢ العلامة سيدى أحمد بن مسعود المعدرى ثم البونعمانى
١٣٢ عظم شأنه فى أزاغار حياته
١٣٣ مئاخذه للقرءان وللعلوم
١٣٣ يشارط فى المدرسة (التازاروالتية)
١٣٣ يشارط فى المدرسة (التازاروالتية)
١٣٣ فى المدرسة (الميرغيتية)
١٣٣ فى المدرسة (المعدرية) بعد أخيه سيدى محمد
١٣٤ يتصل بالشيخ الالغى
١٣٥ بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية اذ ذاك
١٣٦ حكاية لسيدى سعيد التنانى مضحكة فى نيل المشيخة الصوفية
١٣٧ رسالة من الشيخ الالغى اليه
١٣٧ يقوم بالتدريس فى (البونعمانية) مقام صنوه
١٣٨ المؤلف بين يدى هذا الاستاذ وكيف يشغله فى الادب
١٣٩ تباعد المترجم عن مجامع الناس فى عهد الهيبة ٠ لما جبل عليه من الانقباض
١٤١ موقفه أخيرا بعد ثورة سيدى الحسن الواغزنى
١٤٢ الآخذون عنـــه
١٤٣ ترجمة سيدى محمد الصبار الاخصاصى وأسرته العلمية
١٤٣ ـ١ـ ابرهيم بن الحسن الفقيه الاخصاصى من اد" لحسن
١٤٤ ـ٢ـ عبد الله بن الحسن بن محمد ـ فتحا ـ ابن الطالب على
١٤٤ ـ٣ـ على بن الحسن بن محمد أخوه
١٤٤ ـ٤ـ سالم بن الحسن أخو المذكورين قبله
١٤٥ ـ٥ـ محمد بن سالم وهو الصبار المشهور اليوم فى امرباط
١٤٧ رسالة من سيدى أحمد بن مسعود الى تلميذه الصبار المذكور
١٤٧ أخرى الى صنوه سيدى محمد
١٤٨ وفاتـــه
١٤٨ مرائيه ٠ للعثمانى دالية
١٥٠ قوة ابن الحبيب فيه
١٥٠ سيدى محمد بن أحمد بن مسعود فقيه مدرسة (المعدر) اليوم
١٥١ سيدى أحمد بن محمد أستاذ المدرسة (البونعمانية) اليوم
١٥١ قافية عينية حوله
١٥١ سيدى البشير بن أحمد بن مسعود النجيب المحصل
١٥٢ سيدى على بن أحمد بن مسعود الصوفى

١٥٢ الاديب الكبير النابغة سيدى الحسن بن أحمد البونعمانى الشهير
١٥٢ منشاه
١٥٢ مكرمة نحوى لوالدته رحمها الله
١٥٣ مأخذه للقرءان
١٥٣ أساتذته فى العربية والادب
١٥٣ والده رحمه الله ورضى عنه
١٥٣ سيدى مبارك البعقيلى
١٥٣ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى
١٥٣ سيدى داود الرسموكى
١٥٤ الاديب البونعمانى فى الحواضر
١٥٤ كيف اتصلنا به فى (البرميلة) بمراكش
١٥٥ اتصاله بالحضريين • وزيارته لمختلف الحواضر
١٥٦ رحلته فى جزولة
١٥٦ منته على السوسيين فى احياء مجدهم
١٥٧ تلقنى منه هذه الفكرة التى من نتيجتها هذا الكتاب
١٥٧ تـوظفــه
١٥٩ أخلاقه • وكيف يعاشر بملاطفة تأسر الالباب
١٦١ نفحة من أدبياته
١٦١ من قصائده
١٦٩ بعض ما بينه وبين ابن زيدان من المراسلة والقوافى
١٧١ مـع كرماء (أبزو)
١٧٤ بينى وبينه من المراسلات والادبيات
١٨٦ نتف أخرى حوله
١٨٨ الفقيه الصوفى سيدى ابرهيم گزور
١٨٨ مأخذه للقرءان واستاذه فيـه
١٨٨ متعلمه للعلوم
١٨٩ يشارط فى مدرسة ادًا ومحمد
١٨٩ يشارط فى مدرسة من جبل (درن)
١٩٠ فى مدرسة (افردا)
١٩٠ فى المدرسة (المعدرية)
١٩٠ فى (أتبّان)
١٩٠ ملاقاته للشيخ الالغى
١٩١ أخلاقــه
١٩٢ نكبتـــه

١٩٣ مع المؤلف
١٩٤ من ءاثار قلمه
١٩٨ ولده أحمد الرجل الصالح
١٩٨ ولده محمد الفقيه العدل
١٩٨ مشارطتـــــه
١٩٩ القاضى سيدى محمد أوعامو التيزنيتى
١٩٩ التكلم حول أنساب(أيت َمحمد) التيزنيتيين. وأيت عمروالوجانيين وءال سيدى ابرهيم بن على التنانيين
٢٠١ علماء أيت محمد ـ فتحـا ـ
٢٠١ ـ١ـ سيدى الحسين البولوقتى . الآتى
٢٠١ ـ٢ـ سيدى أحمد البولوقتى . الآتى أيضا
٢٠١ ـ٣ـ سيدى أحمد بن على
٢٠١ ـ٤ـ سيدى محمد بن أحمد بن على
٢٠٢ ـ٥ـ سيدى أحمد بن عبد السلام
٢٠٣ ـ٦ـ سيدى محمود بن محمد بن سعيد
٢٠٤ ـ٧ـ سيدى الحسن بن سعيد بن بيهى
٢٠٤ ـ٨ـ سيدى الحسين بن محمد من ءال بيهى
٢٠٥ ـ٩ـ سيدى ابرهيم بن أحمد كَافْقا
٢٠٦ ـ١٠ـ سيدى الحسن بن أحمد بن على
٢٠٦ ـ١١ـ القاضى سيدى محمد أوعامو . الآتى
٢٣٣ ـ١٢ـ سيدى ابرهيم ابن القاضى الآتى
٢٣٤ ـ١٣ـ القاضى سيدى أحمد أوعامو ـ الآتى
٢٣٤ ـ١٤ـ سيدى أبو بكر بن أحمد ـ الآتى
٢٣٤ ـ١٥ـ سيدى أحمد بن َمحمد اليحياوى
٢٠٦ القاضى سيدى محمد أوعامو
٢٠٦ مأخذه للقرءان
٢٠٦ الاستاذ سيدى أحمد بن مبارك من أيت َمحمد
٢٠٦ الاستاذ سيدى سعيد من بنى عدى منهم أيضا
٢٠٦ الاستاذ ابرهيم المقدمى منهم أيضا
٢٠٦ الاستاذ عبد الكريم من ءال يعزى وهدى
٢٠٧ الاستاذ أحمد بن محمد العمرى البونعمانى
٢٠٧ مشيخته فى المعارف
٢٠٧ سيدى الحسن الراسلوادى أستاذه الاول

٢٠٩ سيدى محمد بن على الاكلويى وءاثار له أدبية
٢١٣ سيدى ابرهيم بن على الاكلويى
٢١٣ سيدى مسعود المعدرى أستاذه الثانى
٢١٣ سيدى الحسن الازاريفى أستاذه الثالث
٢١٤ سيدى محمد بن مسعود أستاذه الرابع
٢١٤ مختلف أخبار تقلباته
٢١٥ أعماله فى القضاء هو وصاحبه سيدى الحسن العفيانى
٢١٦ سفر له عن الكنتافى الى (انبغ)
٢١٧ تغريم الكنتافى لـــه
٢١٨ توليه القضاء وظهائر فى ذلك
٢٢٠ نتف من أخلاقـــه
٢٢٠ بين يدى الحاج بلخير البوشتى
٢٢١ عمله فى القضاء وخفض جناحه للمتخاصمين
٢٢٢ اعتناقه للطريقة الالغيـة
٢٢٣ مشاورته لشيخنا سيدى سعيد التنانى
٢٢٣ علمـــه
٢٢٤ همتـــه
٢٢٤ أمداح الناس فيه بالقوافى • وهناك مطالع ما قيل فيه
٢٢٧ احالتـه عـلى المعاش
٢٢٧ وفـــاتـــه
٢٢٧ مراثيه ومنها قافية للمؤلف
٢٢٩ قولة ابن الحبيب فيه • وفيه قواف حوله
٢٣٢ رسالة عمر الى أبى موسى الاشعرى
٢٣٣ ابرهيم ابن القاضى • وقافية فيه للمؤلف
٢٣٤ القاضى سيدى أحمد أوعامو
٢٣٤ كيف كانت (تزنيت) شاغرة من التدريس قبله • ثم عمرت به
٢٣٤ مـــولـــده
٢٣٥ فى الكتـــاب
٢٣٥ مشيخته فى المعارف
٢٣٥ سيدى على بن الطاهر الرسموكى أستاذه الاول
٢٣٦ قافية للمترجم فيه
٢٣٦ سيدى المحفوظ الادوزى أستاذه الثانى

٢٣٧ أشياخه الفاسيون بالاخذ وبالاجازة
٢٣٨ قواف للمترجم فى بعضهم
٢٣٨ نبذة من أحواله وتوليه نظارة الاحباس
٢٣٩ كيف يباحث
٢٤٠ انتصابه للتدريس
٢٤٠ بعض ءاثاره الادبية
٢٤٤ خطة القضاء
٢٤٤ قولة ابن الحبيب فيه
٢٤٤ سيدى الحسين البولوقتى
٢٤٦ مكانته فى المعارف
٢٤٦ أدبيات اعتنى بها بقلمه
٢٤٨ بقية أخرى من أخباره
٢٤٩ سيدى أحمد البولوقتى
٢٤٩ متلقاه للقرءان
٢٤٩ فى المدرسة (البونعمانية)
٢٥٠ فى الزاوية (الالغية) حيث افتتح عليه المؤلف الجرومية
٢٥٠ بعد وفاة محمد بن مسعود شيخه
٢٥٠ فى حاحة
٢٥١ فى تادلة
٢٥١ فى الرباط
٢٥١ فى زعير
٢٥٢ مداركه
٢٥٣ بعض ءاثاره
٢٥٤ نادرة تدل على حزونة فى أخلاقه
٢٥٤ سيدى أحمد بن محمد بن محمد من بنى يحيا
٢٥٦ سيدى أبو بكر بن أحمد نائب القاضى
٢٥٦ متعلمه للقرءان
٢٥٦ الاستاذ الحاج الحسن بن أحمد التيزنيتى الزكرى
٢٥٦ الاستاذ سيدى محمد بن على بن الحسن
٢٥٦ تعلمه للعلوم فى (بونعمان)
٢٥٦ أستاذه سيدى محمد بن مسعود
٢٥٦ فى نيابة القاضى
٢٥٧ مختلف أحواله

٢٥٧ مما قيل فيه
٢٥٨ الفقيه سيدى محمد السماهرى ثم التيزنيتى
٢٥٨ مأخذه للقرءان
٢٥٨ مأخذه للمعارف
٢٥٩ حياته بعد
٢٥٩ اعتناقه للطريقة الالفية
٢٦٠ من منشداته
٢٦١ الفقيه الصوفى سيدى الطيب بن أحمد الطاحونى
٢٦١ سيدى أحمد بن مبارك والده · واشياخه وأخباره وءاثاره
٢٦٤ نتف عن سيدى الطيب
٢٦٥ العلامة سيدى عثمان الايكرارى الاكلويى
٢٦٥ مجد ءاله من قديم · وتنقلات أهله من امسكدادن الى ايكرار
٢٦٦ الاول من علماء الاسرة سيدى أحمد بن عبد الرحمن التيزركينى
٢٦٦ ما قاله فيه الحضيكى
٢٦٨ ما قاله فيه أحمد أدافال الدرعى
٢٦٩ أشيـــاخـــه
٢٦٩ سيدى الحسن بن عثمان التملى أول أشياخه وما ترجمه به الحضيكى وما قاله فيه المنجور مع ذكر تلاميذ سيدى الحسن · كمحمد الشيخ ومحمد بن ابرهيم الشيخ التامانارتى · وأبى بكر التازولتى
٢٧٠ على بن سليمان ابن أخى سيدى الحسن بن عثمان · صاحب الشرطة
٢٧٠ أبو بكر بن سليمان أخوه
٢٧١ يحيا بن مخلوف السوسى ثم الفاسى الشيخ الثانى للتيزركينى
٢٧١ ءاثار التيزركينى فى التاليف
٢٧٢ رسائل له · منها الى سيدى سعيد بن عبد النعيم
٢٧٦ الآخذون عن التيزركينى
٢٧٧ منهم سيدى يبورك جد الاسغاركيسيين
٢٧٧ عبد الله بن أحمد · ولده
٢٧٧ أحمد بن الحسين بن يحيا التملى
٢٧٧ أبو بكر بن عمر التازولتى
٢٧٧ عبد المومن السكتانى
٢٧٨ الثانى من علماء الاسرة عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى
٢٧٩ الثالث من علماء الاسرة الحسن بن محمد المسكدادى

٢٧٩ الرابع منهم عبد الرحمن بن موسى المسكدادى نزيل (وجان)
٢٨٠ الخامس محمد بن عبد الرحمن بن موسى . ولد من قبله
٢٨١ السادس سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الناظر على أحباس مشهد سيدى أحمد بن موسى
٢٨١ السابع محمد - فتحا - بن سعيد ابن من قبله
٢٨٢ الثامن عبد الله بن محمد بن سعيد ابن من قبله
٢٨٢ التاسع ابرهيم بن محمد بن سعيد . أخو من قبله
٢٨٢ العاشر عبد الرحمن أخو من كانا قبله
٢٨٢ الحادى عشر محمد - فتحا - بن ابرهيم بن محمد بن سعيد
٢٨٣ الثانى عشر ابرهيم بن محمد بن ابرهيم . صاحب الرحلة
٢٨٤ تلخيص ابن مسعود للرحلة
٢٨٥ ذكر ابتداء السفر
٢٨٥ تتبع السفر الى السويرة . فالرباط . فمكناس . ففاس . الى أن وصل الى تونس الى جزيرة جربة . ثم ركب البحر الى مصر . ووصف بعض عادات المصريين الخ
٢٩٦ لطيفة
٢٩٨ سيدى محمد بن محمد الايرغى السوسى . والاستاذ محمد الكرامى نزيلا مصر
٢٩٨ انتهاء اختصار مختصر الرحلة ولم نتتبعها هنا بالعناوين فمن ارادها فليطالعها .
٢٩٩ وقوف المؤلف على نفس أصل الرحلة
٣٠٠ لائحة رحلات حجازية جنوبية اذ ذاك . وكلها بأقلام الناصريين وتلامذتهم
٣٠٠ ذكر اواسخينى
٣٠٠ الثالث عشر محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم
٣٠٠ الرابع عشر على بن ابرهيم القاضى
٣٠١ الخامس عشر عبد الرحمن بن ابرهيم بن على بن ابرهيم
٣٠١ السادس عشر عبد الرحمن بن ابرهيم بن محمد بن سعيد
٣٠٢ السابع عشر محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم
٣٠٣ الثامن عشر ابرهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابو سالم . العلامة الكبير المتخرج من فاس
٣٠٣ الاسطرلاب والربع المجيب قديمان عند السوسيين
٣٠٤ كرامات لابى سالم
٣٠٥ بعض الآخذين عنه

٣٠٦ التاسع عشر أحمد بن ابرهيم
٣٠٨ ءاثار من القوافي لــه
٣٠٩ العشرون محمد بن علي بن أحمد بن ابرهيم
٣٠٩ الحادي والعشرون عبد الرحمن بن ابرهيم
٣١٠ مرثية فيه لابن مسعود
٣١١ الثاني والعشرون محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم ـ الآتي
٣١١ الثالث والعشرون الحسن بن عبد الرحمن الفلكي ـ الآتي
٣١١ الرابع والعشرون عبد الله بن ابرهيم
٣١١ الخامس والعشرون محمد بن عبد الله بن ابرهيم
٣١١ السادس والعشرون الحسن بن ابرهيم
٣١٢ السابع والعشرون محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبد الرحمن
٣١٣ الثامن والعشرون محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبدالرحمن
٣١٤ التاسع والعشرون الهاشم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٣١٤ أشياخه ـ الحسين نيت بيهي المتوكي
٣١٥ اجازة الحسين لــه
٣١٥ نتف من أخباره
٣١٦ الثلاثون محمد بن أحمد الايكراري المؤرخ
٣١٦ كيف يكتب في مؤلفه
٣١٦ عائلته الخاصة
٣١٨ منشأه
٣١٨ أساتذته في القرءان
٣١٨ سيدي أحمد أمجوض الساحلي
٣١٩ سيدي المدني البوكرفاوي
٣١٩ سيدي الحاج ابرهيم العروسي التازروالتي
٣١٩ سيدي بلقاسم البوكرفاوي
٣٢٠ سيدي مسعود المعدري
٣٢٠ سيدي محمد الخنبوبي
٣٢٠ أساتذته في المعارف
٣٢٠ سيدي البشير التادارتي
٣٢٠ سيدي مسعود المعدري
٣٢٠ سيدي محمد بن العربي الادوزي
٣٢٠ سيدي عبد العزيز الادوزي

٣٢١ سيدى ابرهيم بيرعمان الساحلى
٣٢١ سيدى محمد بن ابرهيم الهرواشى البعمرانى
٣٢١ اجازاته من أساتذته
٣٢٢ مشارطاته
٣٢٣ مقدار مداركه
٣٢٥ أنباء عنه مختلفة . وهى طويلة الذيول
٣٣٣ نتف من ءاثاره
٣٣٤ أرجوزته فى الاتاى
٣٣٧ مقرات من نثره فى كتاب (روضة الافنان)
٣٤١ الآخذون عنه
٣٤٢ وفاته
٣٤٤ بينه وبين المؤلف
٣٤٦ قولة ابن الحبيب فيه
٣٤٩ الواحد والثلاثون القاضى ابرهيم بن محمد الايكرارى
٣٥٠ بعض ءاثاره
٣٥٦ فى خطة القضاء
٣٥٦ قولة ابن الحبيب فيه
٣٥٧ الثانى والثلاثون القاضى أحمد بن محمد الايكرارى
٣٥٧ أولاد العلامة الايكرارى محمد بن أحمد المتقدم
٣٥٧ عبد الرحمن أحد أولاده . وهو الاديب صاحبنا . ولو كان عندنا من ءاثاره لأفردناه كما أفردنا من لعلهم دونه
٣٥٧ عبد الله البوكرفاوى الاديب . وبعض ءاثاره
٣٦٠ أحمد الايكرارى يتولى القضاء
٣٦٠ الثالث والثلاثون اسمعيل بن أحمد الايكرارى وأولاده محمد ومحمد ولو كان عندنا من آثارهما لافردناهما .
٣٦١ الرابع والثلاثون المدنى بن أحمد الايكرارى
٣٦٢ الخامس والثلاثون أبو بكر بن أحمد الايكرارى
٣٦٢ السادس والثلاثون أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٢ السابع والثلاثون أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٣ الثامن والثلاثون محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم
٣٦٣ التاسع والثلاثون سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم
٣٦٤ الاربعون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم
٣٦٤ الواحد والاربعون محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٤ الثانى والاربعون محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٥ الثالث والاربعون على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

٣٦٥ الرابع والاربعون الطيب بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٥ الخامس والاربعون أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٥ السادس والاربعون الحسن بن محمد بن عبد الرحمن
٣٦٦ السابع والاربعون العلامة أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أضارضور
٣٦٧ ما وقع له فى فاس بين يدى شيخه حول مؤلف (العتبية)
٣٦٨ ثناء سيدى مسعود المعدرى عليه
٣٦٩ سبب الفتك به فى (العوينة)
٣٧٠ الثامن والاربعون أبو بكر بن أحمد أضارضور
٣٧٠ التاسع والاربعون العلامة عثمان بن أحمد الذى أسست عليه هـذه التراجم
٣٧٠ منشأه
٣٧٠ فى المدرسة (البونعمانية)
٣٧١ فى المدرسة (الادوزيـة)
٣٧٢ مشارطـاتـه
٣٧٢ بعض ما يتعلق بـه
٣٧٣ تصوفه
٣٧٥ مكانتـــه العلميـة
٣٧٥ يسأله محمد بن مسعود عن مسائل فى (رسالة)
٣٧٧ مؤلف العزفى فى الشيخ ابى يعزى
٣٧٨ وظيفة المترجم الرسمية
٣٧٨ وفـــاتـــه
٣٧٩ اعتناقـه للطريقـة الالغية
٣٨٠ قولة ابن الحبيب فيه
٣٨٠ الخمسون العلامة محمد بن عثمان
٣٨٠ متعلمه للقرءان
٣٨١ مآخذه العلمية
٣٨٣ مشارطاته
٣٨٤ وظيفته الرسمية
٣٨٤ بينى وبينـه
٣٨٤ اثـــار لـه
٣٩٠ نتف من أخباره
٣٩١ انخراطه فى مجلس الاستيناف
٣٩١ رياسته على الاستيناف الجهوى
٣٩١ قولة ابن الحبيب فيه

٣٩٢ الحادى والخمسون محمد بن محمد العينى الحياطى
٣٩٢ أساتــذتــه
٣٩٢ رحلته الى الحج
٣٩٣ ءاثـار قلمـــه
٣٩٣ أبيـــات مستحسنـــة مما يولع بنسخه
٣٩٥ من بنات فكره
٣٩٦ الثانى والخمسون أحمد بن محمد العينى الحياطى
٣٩٧ جملة من أخباره
٣٩٨ من ءاثار قلمـــه
٤٠٠ ما قيل فيـــه من القوافى
٤٠١ الثالث والخمسون محمد بن أحمد العينى الحياطى
٤٠١ الرابع والخمسون عبد الله التومانارى
٤٠١ الخامس والخمسون محمد بن الحسن بن على
٤٠٢ ذيل مذهب لهذه الاسرة
٤٠٢ نسبة أخرى لمسگداد غير المتقدمة
٤٠٣ مشجر خاص لاولاد عبد الرحمن بن موسى
٤٠٥ سيدى محمد بن عبد الرحمن الايگرارى الفقيه الصوفى
٤٠٥ متلقاه للقرءان
٤٠٥ فى تلقى العلـــوم
٤٠٦ بعد تخرجـــه
٤٠٦ المدارس التى شارط فيها
٤٠٧ لقاؤه بالتاموديزتى
٤٠٧ التحاقه بالشيخ الالغى
٤٠٨ نبذة أخرى من حياته
٤٠٩ من ءاثـــاره
٤٢٠ العلامة الفلكى سيدى الحسن بن عبد الرحمن الايگرارى
٤٢٠ متعلمه للقرءان وللعلوم
٤٢١ مشارطاتـــه
٤٢١ نبذة من أحواله وتقلباته
٤٢٤ أدبيات منه واليـــه
٤٢٦ ءاداب مجلس الاتاى
٤٢٧ قصائد رجزيـة متعـددة
٤٣٣ مؤلفاته
٤٣٣ اعتناقه للطريقة الالغيـــة

٤٣٤ قولـــة الايكرارى فيه
٤٣٥ قولة ابن الحبيب فيـــه
٤٣٦ الاديب الصوفى سيدى الطاهر السماهرى الاكلويى
٤٣٦ مآخذه للقرءان
٤٣٧ مشيخته فى المعارف
٤٣٩ أخذه عن الشيخ الاغى الطريقة
٤٤٠ مشارطاته فى المدارس
٤٤١ أشياء حوله
٤٤٢ نفحة من أدبياته
٤٤٤ بينى وبينـــه
٤٤٥ ولده يوسف الاديب
٤٤٦ ءاثار أدبية ليوسف
٤٤٧ عبد الله ولده الآخر

الفهرس الثـالث فى القـوافى

وسنكتفى بالشطر الاول من القصيدة، ان صرع المطلع، والا فسنزيد الكلمة الاخيرة فى الشطر الاخير، ولانذكر الا ءاثار المترجمين، وما فى معناها :

الهمزة :

١٠٧ ابن مسعود — كتبت اليك والطجين مهيـــا
٤٢٥ المؤلف — دم لاكرار بالعلوم ذكـــاء

البـــاء :

١٧١ الحسن البونعمانى — فاز الامين بقطعة شعرية — الطبيب
٢٢٦ الطاهر السكرادى — هنيئا أيا خير القضاة بمنصب
٢٢٦ عبد الله بن الطاهر — الا فانشرح واطرح همومك يا قلب
٣٨٠ محمـــد بن مسعود — هذى الجنان مفتحات البـــاب
٤٢٤ المؤلف — بالله يا ريح الصبا هبى

التـــاء :

٤٥ ابن مسعود — واذ فاتنا أخذ الدراية عنكم — غنيـــة
٨٨ له أيضا — أرى ظاهرى عبدا تسربل خشية
١٢٠ له أيضا — أبا سالم (أبا السحاب) وسيلتى
٢٠٩ الحسن البراسلوادى — تعلم رعاك الله أن شفاعة
٣٥٣ ابرهيم ابن المؤرخ — يا راصد السعد فى أبراج غرتـــه

الجيم :

٣٥٩ ابرهيم ابن المؤرخ — عليك منى سلام طيب الارج
٤٢٥ الحسن بن عبدالرحمن — سلام ربى على نجل أبى الفرج

الحاء :

١٠٧ ابن مسعود — أسقنى ماء قراحا
١٠٨ له أيضا — الوقت وقت استراحة
٣٣١ ابن سعيد الغرمى — ما أهاج الفؤاد وشم ملاح
٢٤٣ أحمد أوعامو — نسيم المنى من جانب النجح ينفح
٣٦٧ المؤرخ الايكرارى — وما مثل فقد انشيخ الا مصيبة — فينطح

الدال :

٩١ ابن مسعود — كم جاهل يسعى لامر هلاكه — والمجد
٩١ له أيضا — عجبا أرتجى الدنو فلما — البعاد
٩٢ له أيضا — المجد مثل زهرة الورد
١٢٠ له أيضا — جزاك الله أفضل ما يجازى — عبد
١٤٨ محمد العثمانى — لو شمت جهد النفوس يا ابن مسعود
١٦٣ الحسن البونعمانى — تاج على هام العلا معقود
١٨٥ له أيضا — ان ذبت حزنا هل أنال مرادى
٢٢٧ الطاهر السماهرى — بانت سليمى فبان الصبر عن خلدى
٢٣٠ على بن الحبيب المؤرخ — تبين نور الحق واتضح الهدى
٢٣٢ أحمد أوعامو — طرب العالمين مسك ودادى
٢٣٤ المؤلف — أبا سالم أشرفت نحو ذرى المجد
٢٣٦ أحمد أوعامو — أبشر هلال للسعادة قد بدا
٢٣٨ له أيضا — أتتنى من جنب السعادة تبرد
٢٤١ له أيضا — أهلا بمن يعلو السماك سيادة — تتجدد
٣٥٥ المؤلف — فى كل يوم فى العلا يزداد
٤٢٤ الحسن بن عبدالرحمن — هو الحبر وابن الحبر خير ممجد
٤٢٥ ابن مسعود — زادكم الله من فضل ومعرفة — الكبد
٤٣٦ المحفوظ الادوزى — أريا الغوالى جاء وهنا بها الورد
٤٣٦ الحسن بن عبدالرحمن — فلست ترى بحرا تلاطم موجه — والمجد
٤٤٨ يوسف بن الطاهر — لم أنل ما أريد ان ذبت حزنا — العهاد

الـراء :

٤٤	ابن مسعود	سقيا ورعيا لمنزل كان بـه	ـ مـدرار
٤٤	لـه أيضا	اذا كان قلب المذكر ياسين فالذى	ـ القطر
٤٥	لـه أيضا	سلام كريم فائق المسك فى النشر	
٤٧	عبد المعطى السباعى	قسما بالبدور من كل حبر	
٥١	عبد الله البوكرفاوى	أمولاى يامن علمه انقذ الورى	
٩١	ابن مسعود	سالم ـ فديتك ـ من هجر	
٩٢	لـه أيضا	مجلس أنس راق منظره	ـ مختـار
١٠٦	له أيضا	ما المجد الا مجد من فاق الورى	
١٠٨	له أيضا	من صحاب ينسى اغريب بلقياهم	ـ والاوطار
١١٩	له أيضا	ملاذى اذا ما خاننى كل ناصر	
١٢٩	أحمد بن محمد بن مسعود	اذا كبر الانسان يكبر عقله	ـ يصغر
١٢٩	له أيضا	اذا مجلس الاتاى لم يمض بالذكر	
١٧١	البونعمانى	نبأ أتانى فى الصباح مبشرا	
١٧٢	لـه أيضا	قالوا وقد جد الرحيل ألم تكن ـ الساحر	
١٧٣	لـه أيضا	أبا العباس لم تترك فخارا	
٢١٤	ابن مسعود	أهم ما على الفقير	
٢١٥	المؤرخ الايكرارى	مفاتيح أغلاق المنى قد تيسرت	ـ القرى
٢٢٦	الحسين التالعينتى	الى الماجد الذى تباهت مفاخره	
٢٤٧	بعضهـم	اذا قيل من فيه جميع ذوى الخير	
٣١٠	ابن مسعود	رباب الرضا استهل منك بمدرار	
٣٥٧	عبد الله البوكرفاوى	أمولاى يا من علمه أنقذ الورى (وقد تقدمت)	
٣٨٥	محمد بن عثمان	يا كتابى اذا وصلت لحمرا	ـ المختـار
٣٨٦	المؤلف	ما نسيم مصافح الازهـار	
٤٤٣	الطاهر السماهرى	وخريدة تنسى الدمى متغزلا	ـ نضـار
٤٤٦	يوسف بن الطاهر	يا دهر هيجت وجدا بالنوى استعرا	

الـزاى :

٤٤	ابن مسعود المعدرى	لله أيام تقضت من أدوز	
١٧٦	المـؤلف	ظـلال ظليلات ومـاء وخضرة	ـ أبزو

الضاد :

٣٨١	محمد بن عثمان	انى استجزت شيخنا المرتضى	

الصـاد :

٩٥ ابن مسعود — لعمرك مـا التنزه غير لهو — العاصى

الطـاء :

٤٦ ابن مسعود — ان دعتك صواعق الجهل فالجأ — معطى
٢٢٥ الايكرارى المـؤرخ — لبيك ياخـير قاض حل فى حمل — غلط
٢٢٩ الحبيب السكرادى — سلام بالاختصار منى لفظـه — بسطـه
٤٠٠ بعضهم — مـا بين تفريط مسعاه وافراط

العـين :

٩١ ابن مسعود — أبا حسن من لم يكن حسنا بـه — جوامع
٢٢٥ المؤرخ الايكرارى — مرحبا بك فاقض ما أنت قاض — المنزاع
٣٣٤ لـه أيضا — وربا السلام تضوعت وتنسمت — والارباع
٤٣٤ الحسن بن عبد الرحمن — لابى عبيد الله عج بالمنبع
٤٣٤ المؤرخ الايكرارى — علقا نفيسا أم علائق جوهر — المعى

الغـين :

١٥١ الحسن البونعمانى — أأحمد يـا نجل صنوى لقـد — نبـوغ

الـفـاء :

١٠٩ ابن مسعود — سلبتك جالبـة الحتـوف
٢٢٥ المؤرخ الايكرارى — هنئت يا خير قاض بالتى جليت — صدف
٣٤٥ المؤلف — هذى لعمرى روضـة أنف

القـاف :

٢٢٧ المؤلف — أحقا يا بنى (تزنيت) حقـا
٢٦٢ أحمد الطاحونى — ألا هل الى لثم الكمال طريق
٣٥٢ ابرهيم ابن المؤرخ — برضاب ثغر الغيد بالاحـداق

الكاف :

١٦٥ البونعمانى — المعرش دم فى اعتزاز أيها الملك
٣٤٦ المؤلف — اماه قضى العـلامة الرفاكسى

اللام :

١١٠	تشطير ابن‌مسعود لقصيدة(بانت سعاد فقلبى اليوم متبول)	
١٢٠	لـه أيضا	بعثت لى حصة خطت على مهل
١٥٨	بعضهم	ذيالـك المقـدام عـــلال
١٨٥	البونعمـــانى	قم قدس الشرق واحمل راية الجذل
٢٢٦	ابرهيم الايكرارى	حظيت نياق الحزم بالامال
٢٤٣	أحمد البولوقتى	العلم عز والجهول ذليل
٣٠٨	أحمد بن ابرهيم الايكرارى	فأحمد مشتاق اليك فهل الى
٣٥١	ابرهيم ابن المؤرخ	جاد الحميلة وابل هطال
١٥٢	له أيضا	الشمس لولا سنا لم تعن فى المثل
٣٥٣	لـه أيضا	حظيت نياق العزم بالامال
٣٥٨	عبد الله البوكرفاوى	ألا أيها الحبر الجليل الذى علا
٣٥٨	أبو الحسن الالغى	أتانى نظام كالرحيق مشعشعا ــ الملا
٤٠٠	محمد بن الحاج الافرانى	هى المكارم لا تعنو لمحتال
٤١٣	التاموديزتى	ما أرخص السعر والارواح نقرته ــ الوحل

الميــم :

٤٥	ابن مسعود	سلام كمثل المسك شيب بتسنيم
٩٥	ولـه أيضا	ياصحابا وجوههم بسنا العلم
١٦٨	المـؤلف	اليك أبا العباس بالحبر أرقم
١٣١	محمد بن مسعود	هنيئا لمولانا الامام مقامه
١٧٠	البونعمانى	ياويحهم من أبى ساكن الاجم
١٨٦	له أيضا	وطنى عليك تحيتى وسلامى
٢٠٩	محمد بن على الاكلويى	حمدا لبارئى كل الخلق من عدم
٢٣٠	الحبيب السكرادى	أهديتها نعلا لرجل همام
٢٤٠	أحمد أوعامو	عم الهناء وجيش السقم منهزم
٣٥٠	ابرهيم ابن المؤرخ	كتم الهوى يفشيه فرط هيام
٣٥١	له أيضا	ألا يــازهــر أكمام الاكام

النــون

٣٦	ابرهيم بن مسعود	الجد أفضل حلية الانسان
٣٦	المحفوظ الادوزى	أذكى مسك أم ملاح غوان
٥٨	ابن مسعود	بالعيس عج يا شاكى العينين
٩٠	له أيضا	للجهل آفة وللعلم رتبــة ــ فنون
٩١	له أيضا	وما حسن منك التوانى أبا حسن

٩١ له أيضا — لام العذار بعارضيك موتـر ـ كالسهمين

٩١ له أيضا — وما الحل اوفى بذا الزمان

٩٧ له أيضا — أجزنا وللبيب في القصد أسعفنا

١٦٥ البونعماني — يا من بطلعته العلياء تقترن

١٦٦ لـه أيضا — ألا يا مرحبا بالواردينا

١٦٧ لـه أيضا — عرش القوافي لا يصان كيانه

١٨٢ البونعماني والمختار(مساجلة)اليوم يظهر شاعر الوجدان

١٣٨ أحمد أوعامو — شكرا لمبدع صوغه في قالب ـ الازمان

٣٥٧ ابرهيم ابن المؤرخ — أبو سالم راميك عن قوس باعه ـ مقتني

٣٧٩ الشيخ الالغي — أعثمان حزت زي حلية عثمان

٤٤٤ الطاهر السماهري — أهلا بمن نارت قلوب أحبة ـ بأمان

الهـــاء

١٢٩ أحمد بن محمد بن‌مسعوديا سيدا نارت بطلعته على ـ تزدهي

١٨١ المـؤلف — من عذيري ممن أقطع ليلى ـ لقيساه

٣٠٨ أحمد بن‌ابرهيم الايكراري‌أيا من سما قدرا على البدر وانسها

الــــواو :

٢٨٦ البونعماني — سلوة القلب امنحي قرب المنى ـ الضوى

اليـــاء

١٦١ الحسن البونعماني — أناشدكم هذي القرون المواضيا

أراجيز

٨٣ ابن مسعود — وبعد تسويدى لذا النظم أتى

٨٣ الشيخ الالغي — أتحفتنا بتحفة الرسول

٣٣٤ المؤرخ الايكراري — هل لك من مفاكهات في أتاي

٣٨٢ له أيضا شبه رجز — بعد حمد الاله حمدا كثيرا

٤٢٧ أراجيز متعددة من ٤٢٧ ـ الى ـ ٤٣٣

الفهرس الرابع في المنشورات

وتشتمل على الرسائل والاجازات والظهائر والتحريرات والمحاضرات :

مسعود المعدري ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٨ ـ ٢٨ ـ ٥٥ ـ ٥٧

الحسن التيمگيدشتي _ ٢١٢
المدني الناصري _ ٢٩
الطاهر بن مسعود _ ٣٥
أحمد الجشتيمي _ ٤٦
عبد المعطى السباعي _ ٤٧
محمد الباراغي _ ٤٩
ابن مسعود _ ٥٣ _ ٥٦ _ ٨٧ _ ٩٢ _ ٩٤ _ ١٠٥ _ ١٠٦ _ ١٠٦ _ ١٠٧ _ ٢١٤ _ ٣٧٥ _
التامودیزتی _ ٦٣ _ ٤١١ _
الشيخ الالغي _ ٦٦ _ ٦٧ _ ٦٨ _ ٦٩ _ ٧٠ _ ٧٠ _ ٧١ _ ٧١ _ ٧٢ _ ٧٢ _ ٧٢ _ ٧٦ _ ٧٨ _ ٨١ _ ٨٢ _ ١٣٧
سعيد التناني _ ٧٥ _
محمد ابن الشيخ الالغي _ ١٣٠ _
سعيد الشريف _ ١٤٤ _
أحمد بن مسعود _ ١٤٦ _ ١٤٧ _ ١٤٧ _
المؤلف _ ١٥٨ _ ١٨١ _ ٤٢٤
ابن زيدان _ ١٧٠ _
البونعماني _ ١٧٤ _ ١٧٧
ابرهيم گزور _ ١٩٤ _
الحسن الراسلوادي _ ٢٠٨ _ ٢٠٩ _
محمد بن على الاگلويي _ ٢١١ _ ٢١١ _
المؤرخ الايگراري _ ٢٢٥ _ ٢٢٥ _ ٣٣٣ _ ٣٣٣ _ ٣٣٣ _
المؤرخ ابن الحبيب _ ٢٣٢ _
أحمد المسگدادي _ ٢٧٢ _ ٢٧٢ _
أحمد بن ابرهيم الايگراري _ ٣٠٧ _
محمد بن محمد الايگراري _ ٣١٣ _
ابرهيم المؤرخ الايگراري _ ٣٥٤ _
محمد بن عثمان الايگراري _ ٣٨٧ _
محمد بن محمد الحياطي _ ٣٩٥ _
أحمد بن محمد الحياطي _ ٣٩٨ _ ٣٩٨ _ ٣٩٩ _ ٣٩٩ _
محمد بن عبد الرحمن الايگراري _ ٤٠٩ _

الاجازات

للحسن بن أحمد التيمگيدشتي _ ١٢ _ ١٦ _ ٢١٢

لعبد المعطى السباعى ـ ١٠٣
لمحسن بن الطيفور ـ ١٣ ـ
لمحمد أباراغ ـ ١٠١ ـ ١٠٢
للعربى الادوزى ـ ١٣
لمحمد بن العربى ـ ١٠٠ ـ ٣٢١ ـ
لاحمد بن ابرهيم الايكرارى ـ ٤١ ـ
لمحمد بن أحمد بن حسين الاكلوى ـ ٤٣ ـ
لابن مسعود الاجازة الكبرى ـ ٩٦ ـ
للواسخينى ـ ٢٨٣ ـ
المحسين نيت بيهى ـ ٣١٥ ـ
لعبد العزيز الادوزى ـ ٣٢٢ ـ
للمؤرخ الايكرارى ـ ٣٨١ ـ

التحريرات والظهائر والتقاريظ والمحاضرات

تحريرات رسمية من ٢٠ ـ الى ـ ٢٢
محاضرة ـ ٢٤١ ـ
ظهير ـ ٢١٨ ـ
ظهير ـ ٢١٩ ـ
ظهير ـ ٢١٩ ـ
ظهير ـ ٢٨١
تقريظ ـ ٣٨٩ ـ

الفهرس الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

المسعوديون فى أول الجزء ـ الى ١٨٧ ـ
الايكراريون من ـ ٢٦٥ ـ الى ٤٣٥ ـ
المحمديون التزنيتيون من ـ ١٩٩ ـ الى ـ ٢٥٧ ـ
السالميون الاخصاصيون من ـ ١٤٣ ـ الى ـ ١٤٧ ـ
البوكرفاويون من ـ ٤٨ ـ الى ـ ٥٠ ـ
ءال حميدوش الاكلويون من ـ ٢٠٧ ـ الى ـ ٢١٣ ـ

الفهرس السادس في الخطإ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٩	السماهر	السماهرى
١٢	٧	استاذ	الاستاذ
١٣	٧	مصر	مصرا
١٦	٢٥	لدروس	دروس
١٨	١٦	حتى فيها	فيها حتى
١٨	٢٧	متقبلة	مقابلة
٢٠	١ (فى الحاشية)	عندنا ابن خلدون	عند ابن خلدون
٣٢	٢٦	ولا بتر	ولا بطر
٣٢	٢٨	غية الامل	غاية الامل
٤٢	٢٩	الاكلولى	الاكلويى
٥٤	١	يعتورانهما	يعتِورانها
٦٠	٢	متجهدا	متهجدا
٦٢	٧	كالدرقاوين	كالدرقاويين
٧٧	١٨	فى ءاخر فى مبيضة	فى ءاخر مبيضة
٧٧	٢٩	والسؤال	والسؤل
٨٥	٢٣	التراجيم	التحريم
٨٦	٨	الذكر	الذاكر
٨٩	١٠	فلك	فذلك
٩٣	٢٨	تصفة	تصفية
٩٥	٢٢	كان	كانت
٩٦	١٩	الله	اليه
٩٧	١٥	صحبة	صحة
٩٨	١٨	وياسانيده	وبأسانيده
٩٩	٢	عمدة رجال	عدة رجال
٩٩	١٥	كنا كل	عنا كل
١٠٤	١ (فى الحاشية)	علامة هوارة	علامة أولاد يحيا
١١٠	١٠ (فى الحاشية)	العطاب	العطاء
١١٠	١٣ (فى الحاشية)	السن الذى	السن التى
١١٢	١٠	اننى	انى
١١٢	١٨	وبه	وله
١١٧	٧	ذكرهم لهم	ذكرهم لنا

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
١١٨	١٣	سنيـة	سينية
١٢٠	١٤	لا أستطيـع	لا أسطيـع
١٣٥	٢	ذكرناها	ذكرناه
١٣٨	٣٠	والده محمد	ولده محمد
١٤٧	١٢	فترهم	فتراهم
١٥٥	٢٨	وعترف	واعترف
١٦٤	٣	(فى الحاشية) ـ المنجـود ...	المنجود : المغموم
١٧٩	٩	فى وجوه	فى جوه
١٨٠	٧	لسانى حالـى	لسان حالى
١٩١	١٠	كل أمة	كان أمـة
١٩٤	٦	هو متداول	ما هو متداول
١٩٤	٢١	أولو اقدرهم	أو لم أقدرهم
١٩٥	٢١	عن نشريعا قبه عليه	عن شر يعاقب عليه
١٩٧	١٣	جعك الله	جعلك الله
١٩٧	٢٧	وزيادة	وزيارة
١٩٨	٢٩	شرط	شارط
٢٠٥	٢٠	وكان كما يواخذهم	وكان يواخذهم
٢٠٦	٢٩	المقام	المـام
٢١٥	٣٣	ومن من برز	ومنهم من برز
٢١٦	٣١	فلى أنسى	فلا أنسى
٢١٨	٣١	الاحكام	الارحـام
٢١٩	٦	افـق	أوفق
٢١٩	٢٨	عبد ربـه	صدربـه
٢٢٠	٣٠	(حملق الى شاخصا ببصره)	مكرر
٢٢١	٢	شيخنا	شيخا
٢٢١	٣١	أكما قال	أو كما قال
٢٢٢	٢١	هذا البلاد	هذه البلاد
٢٢٤	٣٠	النغماء	النعمـاء
٢٢٥	٢٠	العاصمية	العاصمة
٢٢٦	١٢	أولهمـا	أولاهما
٢٣٠	٢٦	جائر	جائرا
٢٣٣	٨	الثامن عشر	الثانى عشر
٢٣٣	١	بنيـة	بينتـه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣٤	٤	ذوى المجد	ذرى المجد
٢٣٤	١١	التاسع عشر	الثالث عشر
٢٣٥	١٩	مشيخه	مشيخته
٢٣٥	٢٠	ب (تزنيت)	(تزنيت)
٢٣٨	٥	الرضا	الراضى
٢٤٣	١	عن الكسل	فى الكسل
٢٤٣	٢٨	لن يعل	لم يعل
٢٥٤	١٦	بسبيط	بسيط
٢٥٧	٤	صارد	صادر
٢٥٩	٣٦	العدالية	العدلية
٢٦٣		هكذا الآية (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)	
٢٦٥	١٨	جعفر	فى جعفر
٢٦٦	٩	بن الرحمن	بن عبد الرحمن
٢٦٧	٢١	طلبها منها	طلبها منه
٢٦٩	٢٢	دررة الحجال	درة الحجال
٢٧٤	٢٧	علمنا	عملنا
٢٧٨	٢٩	ما نقل منه	ما ننقل
٢٨٣	٧	كان قبل	كانت قبل
٢٨٣	١٧	من بينهما	من بينها
٢٨٨	٥	تعلى وعنا	تعلى عنه وعنا
٢٩١	١٤	ان (سوسة)	ان لـ (سوسة)
٢٩١	٢٠	مسوب	منسوب
٣٠٢	٣٢	المجيد	المجيب
٣٠٨	٢٠	بوصف الحسن	(بوصف الحسن والحسن قد بدا)
٣٠٩	١٧	لابن سالم	لابى سالم
٣١٧	٢٥	من يحيا عن بينة	من حى عن بينة
٣١٨	٢٨	القعصاء	القعساء
٣٢٥	١٨	خاطبها	خطبها
٣٣١	١١	التأفف	من التأفف
٣٤١	٩	أنجزت	انجرت
٣٥٠	١٦	يقدر	يقد
٣٥٨	٩	فاستجبب	فاستجب
٣٦٨	٧	نفسها	نفسة

صفحة	سطر	خطـــأ	صواب
٣٨٢	٢٨	اعتنــاءه	اعتنائه
٣٩٢	٢٦	استجار	استجاز
٣٩٣	١٨	الحسين ابن	الحسين بن هاشم
٣٩٤	١٦	اعــــط	أعطى
٣٩٥	٤	محمد	محمدا
٤٠٢	١٧	شارع	شارح
٤٠٤	٢٥	١٣٨٢	١٢٨٢
٤٢١	٢	مدالس	مدارس
٤٢٥	١١	سلسلسلات	سلسلات
٤٢٥	١٣	هامات	هاميات
٤٦٢	٤	لالت	لازلت
٤٦٢	١٤	الخـــوالى	الغوالى
٤٢٧	٥	بالشحير	بالتشحير
٤٢٧	٦	فوق	فوقـــه
٤٢٧	٣ (فى الحاشية)	ـ وولده العربى	ووالده العربى
٤٢٨	٢٠	الحسن	الحـسن
٤٣١	٢٤	بقدرتيك	بقدر هاتيك
٤٣٢	٨	يضل	يضر
٤٣٧	٣	افتـــح	افتتح
٤٣٢	٢٤	ولله خلقـــه	ولله في خلقـــه
٤٤٣	٨	حلو حلو الندى	حلو الندى
٤٤٦	١٢	ينسيــــه	ينسيهم
٤٢٧	١٢	اصلاح البيت ا بقيت جانى اثمـار العلا أبـــدا	وغالها كل من ناواك مقتدرا

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

أثبّان تامُو دِيزْت

أمْجوض خمِيدوش

أوعَامو كِبّزُور

بوشّتي كبّافقّا

تنبيه

نلفت أنظار المطالع الى أن الاولى لمن سيقرأ أى جزء من أجزاء الكتاب ان يعمد الى نسخته فيصلح منها أولا ما بينا الخطأ فيه فىءاخر كل جزء • ثم أنه لابد أن يجد أخطاء أخرى لم نتنبه لها • اما لنسياننا بسبب الاشغال التى نحن فيها • أواما لجهلنا الكثيف • وقد بذلنا جهدنا فى التصحيح مااستطعنا ثم كان ما كان • حتى فى بعض الآيات مما نأسف له • فمعذرة للقراء •

المؤلف